



الأقليات المسلمة في العالم

ظروفها المعاصرة،
آلامها، وآمالها

المجلد الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتوى المجلد الأول

صفحة	
	تقديم :
٩	لمعالي وزير التعليم العالي ورئيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي
١٣	للأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي
١٩	الافتتاح
٢١	كلمة صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض .
٢٥	كلمة معالي وزير التعليم العالي ورئيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي .
٢٩	كلمة الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي
٣٥	كلمة الوفود المشاركة .
٣٩	القسم الثاني : البحوث .
٤١	المشكلات الثقافية والاجتماعية لدى الأقليات المسلمة
	□ الأقليات الإسلامية — المشكلات الثقافية والاجتماعية
٤٢	للدكتور جمال الدين محمود .
	□ أثر الثقافة السوفييتية على الأقلية المسلمة بالاتحاد السوفييتي — دراسة حالة
٥٩	للدكتور عبد الرحمن النقيب
	□ أضواء على التربية والتعليم لدى الأقلية المسلمة في الولايات المتحدة
٧٩	للدكتور كمال كامل عبد الحميد
	□ الأقليات المسلمة ، نحو خطة شاملة لتربية جديدة
١٠٧	للاستاذ خرم جاه مراد

- دور المؤسسات التعليمية في رفع المستوى الثقافي للأقلية المسلمة
- ١٢٣ للدكتور سعيد إسماعيل علي
- ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر العالمي السادس
- ١٥١ للدكتور حمد إبراهيم الصليفيح
- ١٦١ الفصل الثاني : الأقليات المسلمة والدعوة إلى الإسلام
- الإسلام لغير المسلمين — برنامج مقترح للدعوة بين الأقليات المسلمة
- ١٦٣ للدكتور مانع حماد الجهني
- استراتيجية الدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية
- ١٧٩ للاستاذ محمد عبد الله السمان
- الدعوة بين غير المسلمين في الغرب ، بعض الجوانب الفكرية والمنهجية
- ١٩٥ للاستاذ خرم جاه مراد
- مسئولية المسلمين المواطنين في دول غير إسلامية
- ٢١٥ للاستاذ م . راشد دورياو
- استراتيجية الدعوة الإسلامية في الأندلس
- ٢٣٩ للدكتور عبد السلام هراس
- الحوار الإسلامي المسيحي بين المبدئية والعبث
- ٢٥٣ للدكتور بهيج ملا حويش
- ٢٦٧ الفصل الثالث : الأقليات المسلمة في مواجهة التحديات
- التنصير ووسائله في أوساط الأقليات المسلمة للأستاذ الطاهر المعموري
- ٢٦٩
- أساليب التبشير النصراني بين الأقليات المسلمة في بريطانيا
- ٢٨٥ للأستاذ عطاء الله صديقي

- نحو حل لمشكلة الأقليات
 ٣٠٥ للدكتور محمد فتحي محمود
- دور المساجد والمراكز الإسلامية في مجتمع الأقلية المسلمة
 ٣٢٣ للدكتور محمود مصطفى حلاوي
- خطط وبرامج للأقليات المسلمة في العالم
 ٣٤٣ للأستاذ الهادي بخاري علي
- اللاجئون — نظرة إسلامية
 ٣٥٩ للحاج فضل الله ويلموت
- دراسة إحصائية عن الأقليات الإسلامية في العالم
 ٤٠١ للدكتور محمد محمود محمددين
- الدراسات النفسية والاجتماعية للأقليات المسلمة
 ٤١٣ للدكتور سيد أحمد عثمان
- الفصل الرابع : المسلمون في الاتحاد السوفيتي والصين
 ٤٣٣ □ الوضع الراهن للمسلمين السوفيت كما يمثلهم التتار في إقليم كازان
- للدكتور نادر دولت
 ٤٣٥
- وضع الأقلية المسلمة في إقليم اوجور المتمتع بالحكم الذاتي في الصين
 ٤٥٥ للأستاذ غلام الدين باهتا
- اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية
 ٤٧٣ للأستاذ محمد أركن ألبتكن
- مانتائج حملة روسيا الحضارية في أراضي المسلمين التركستان
 ٤٨٩ للدكتور محمد ساراي

تقديم الكتاب

**لمعالي وزير التعليم العالي
ورئيس الندوة العالمية للشباب الاسلامي**

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونصلّي ونسلم على خاتم أنبيائه ورسله ، وخيرته من خلقه ، محمد بن عبد الله ، النبي الأمين ، أرسله الله بالحق إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، ورحمة وهداية وسراجاً منيراً ، وبعد ...

يسر الندوة العالمية للشباب الإسلامي أن تقدم للشباب المسلم خاصة ، وللمسلمين في كافة أقطارهم عامة كتابها السادس ، الذي هو حصيلة ما ألقى من محاضرات وما دار من بحوث في مؤتمرها العالمي السادس حول الأقليات المسلمة في العالم :

ويكتسب هذا الكتاب أهمية خاصة ، يستمدّها من ثلاث نقاط رئيسية ، هي :

أهمية الموضوع ، وأصالة البحوث ، والتوصيات الختامية .

أما أهمية موضوع الكتاب وهو (الأقليات المسلمة في العالم) ، فهي نابعة من عدة اعتبارات :

- إعتبار عقيدي وديني ، فإن من توجيهات العقيدة الإسلامية ، أن المسلمين أمة واحدة ، فوق اعتبارات الدم والجنس والأرض ، وهم كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ، ومن هذا المنطلق وجب الاهتمام بموضوع الأقليات المسلمة أينما كان للمسلمين أقليات ، على اختلاف الأوطان وتناحي الديار .

- واعتبار آخر هو اعتبار مصيري ، فإن الأقليات المسلمة حيثما وجدت ، وعلى اختلاف ظروفها ، مهددة في مصيرها كأمة مسلمة ، ذات خصائص متميزة ، في عقيدتها وفكرها وسلوكها ونظرتها إلى الحياة . وهذه الخصائص تتهددها أخطار شتى وضغوط رهيبية ، منها ما هو عفوي نابع من أنماط الحياة ونظم المجتمعات حيث تعيش تلك الأقليات ، ومنها ما هو مخطط له بدهاء ممتزج بأحقاد وضغائن وكراهية عمياء ، ومسلح بالحديد والنار ، وأفانين البطش والإرهاب وأسباب الفناء . وهذا وذاك ، يحتم علينا البحث والنظر في قضايا الأقليات المسلمة .

- واعتبار ثالث ، هو اعتبار المصلحة المشتركة في مسيرة الحياة ، ولا أقول إنها مصلحة دينوية مادية فقط ، بل هي مصلحة عامة شاملة ، شمول الدين الإسلامي ، تمتزج فيها العقيدة بالعمل ، والدنيا بالآخرة .

وأما أصالة البحوث المطروحة ، فهي حصيلة حسن التخطيط للموضوع من قبل الندوة ، ثم أسلوب البحث والمعالجة من قبل الإخوة الباحثين ، حيث أمتزجت في هذا الأسلوب الموضوعية والدراسة الميدانية ، مع صدق وحرارة العاطفة ، مما بث في الكتاب روحاً إيجابية باعثة على التفاعل والاهتمام .

ثم جاءت توصيات المؤتمر ، خلاصة أمينة لما دار فيه من أبحاث ومداولات ، حيث استعرض المجتمعون أوضاع الأقليات المسلمة ، ومشكلاتها ، وحددوا احتياجاتها ، وسبل دعمها ومساندتها ، واتخذوا على ضوء ذلك مجموعة من التوصيات الشاملة ، تناولت الجوانب الدعوية ، والتربوية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإعلامية ، وناشدوا الدول الإسلامية ، حكومات وشعوباً ، وهيئات وأفراداً ، أن يقوم كل منهم بتحمل المسؤولية الكبيرة تجاه الأقليات المسلمة وأجيالها الناشئة ، والعمل على تقديم الدعم اللازم لها ، للحفاظ على عقيدتها وقيمها ، وذاتيتها وأصالتها ، وكفالة حقها في العيش الكريم وفق ما يمليه عليه دينها وشريعتها .

وبعد أيها القارئ الكريم ، فهاهو هذا الكتاب في طبعته الأولى بين يديك ، نرجو أن يكون وافياً بالغرض الذي أعد من أجله ، ونسأل الله تعالى أن يوفق المخلصين من هذه الأمة إلى تبني توصياته ، كل في حدود اختصاصه وقدر استطاعته ، كما نسأل الله تعالى ، الهداية للجميع ، وأن يهيئ لهذه الأمة من أمرها رشداً ، وصدق الله العظيم ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ .

وفي الختام نتوجه بخالص الشكر لخدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، ولولي عهده الأمين الأمير عبد الله بن عبد العزيز ، وللحكومة السعودية الرشيدة لما لقي مؤتمر الندوة العالمي السادس من الدعم والمساندة ، كما نتوجه بالشكر لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض الذي تفضل برعاية هذا المؤتمر ، ولكل من ساهم في أعمال هذه المؤتمر بجهد ووقت واهتمام - وهم كثير ، لا يتسع المقام لذكر أسمائهم - خالص الشكر والثناء ، ولهم من الله تعالى جزيل الأجر والعطاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وزير التعليم العالي

ورئيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي

(حسن بن عبد الله آل الشيخ)

مقدمة الكتاب

**للأمين العام
للندوة العالمية للشباب الإسلامي**

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ، وبعد ...

فقد دأبت الندوة العالمية للشباب الإسلامي منذ إنشائها ، على عقد مؤتمر عالمي كل ثلاث سنوات ، تلتقي فيه القيادات الشبابية الإسلامية من جميع أنحاء العالم ، مع مجموعة مختارة من علماء ومفكري الأمة الإسلامية ، لبحث ودراسة موضوع فكري هام ، أو قضية جادة من قضايا العمل الإسلامي . وقد عقدت الندوة خمسة مؤتمرات عالمية في السنوات الماضية ، كانت المواضيع التي بحثتها هي :

- المنظمات الطلابية الإسلامية : دورها ومشكلاتها .
- المقومات الإسلامية في مواجهة التحديات الفكرية .
- الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية نظرياً وتطبيقاً .
- الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم .
- الدعوة الإسلامية : الوسائل ، الاستراتيجيات ، المداخل .

أما المؤتمر العالمي السادس الذي انعقد هذا العام في الفترة من ١٢ - ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ ، فقد كان موضوعه (الأقليات المسلمة في العالم) ظروفها المعاصرة ، آلامها ، آمالها ، وكيفية الارتقاء بها لتحقيق الذات الإسلامية في مجتمعات غير إسلامية :

إن طبيعة التوجه العالمي (للندوة العالمية للشباب الإسلامي) في عملها الإسلامي ، وعلاقتها الوثيقة المباشرة بالمنظمات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم ، وصلتها المستمرة بالأقليات المسلمة في مختلف المناطق ، ولدت عندها قناعة كبيرة بأهمية دراسة وضع هذه الأقليات ، وما تعانيه وتواجهه من مشكلات وتحديات خطيرة ، توشك في بعض الأحيان أن تهدد أصل وجودها ، خاصة وأن مشاكل هذه الأقليات متعددة ومتنوعة بتنوع الظروف والمناطق التي تعيش بها ، وما يسود فيها من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية ، إلى جانب أنماط المعيشة والمعايشة اليومية ، وما ينتج عن ذلك كله من ضغوط عصبية ونفسية وتعليمية وتربوية ، وأحياناً ضغوطاً سياسية قاهرة ، يمكن أن تتطور إلى صور من الإرهاب يتهدد الحياة والمصائر .

كذلك لمست الندوة الحاجة الماسة إلى دراسات ميدانية واحصاءات دقيقة عن وضع الأقليات المسلمة ، مستقاة من دارسين مسلمين ، ينظرون إلى الأمور بموضوعية وروح علمية ، وهو ما لا يتوفر في معظم الاحصائيات الصادرة عن جهات غير إسلامية ، حيث لا تخلو هذه الجهات من تجن وإغراض أصبحت أهدافه مكشوفة .

ثم هذه الصحوة الإسلامية التي امتدت إلى مختلف أنحاء العالم ، فأيقظت في الأقليات المسلمة روح الانتماء لدين عظيم ، وأمة كبيرة ، وتاريخ مجيد ، وهي مقومات الأصاله التي أعطت لهذه الأقليات تماسكاً وصلابة بعدما كادت معالم الشخصية الإسلامية فيهم أن تضيع أو تذوب ، أقول إن هذه الصحوة بحاجة إلى استثمار وتأصيل ، وتضافر للجهود وتعاون ، للأخذ بيد أخوة لنا في الدين ، لهم علينا حق المؤازرة والمساندة ، والدعم والمساعدة ، ونحن على يقين أن ذلك إن تم على الوجه الصحيح ، فإن هذه الصحوة لن تخبو أو تتبدد ، وإنه رغم العواصف وتلاطم الأمواج فإن رياح التغيير تنفخ في أشعة المسلمين لتقودهم نحو مستقبل أفضل ، ومكانة أعز ، تليق بمكانة الأمة الوسط ، التي اختارها الله شاهد صدق على البشرية جمعاء .

في هذا الإطار ، واستجابة للشعور بالمسئولية ، جعلت الندوة قضية الأقليات المسلمة في العالم ، موضوع مؤتمرها العالمي السادس ، الذي أتى ليكون خطوة طيبة على طريق الدعوة الإسلامية ، وقد سبقته خمسة مؤتمرات ، وسوف تليه مؤتمرات أخرى قادمة بإذن الله ، تتضافر جميعاً في تقديم خدمات نوعية في حقل الدعوة الإسلامية ، تتصل بطريقة التفكير ، وخطط العمل ، وتطمح إلى أن تتجاوز التكرار والتماثل ، والفضل والمنة لله جل جلاله .

عقد مؤتمر الندوة العالمية للشباب الإسلامي السادس في الرياض ، وكان انعقاده يوماً بهيجاً في عاصمة الخير والإيمان ، تلاقت فيه جهود الجميع من الداخل والخارج ، في إطار من الأخوة والتكامل ، بهدف الوصول إلى نتائج عملية ، ودراسات موضوعية ، تسهم في الارتقاء بأحوال الجاليات المسلمة في العالم ، التي بدأت تبحث عن ذاتها وتحاول استرجاع هويتها ، فوجب على الجميع أن يعملوا ما بوسعهم لعونها في تحقيق هذا الهدف النبيل ، ومن هنا جاءت أهمية مؤتمر الندوة الذي نقدم الآن في هذا الكتاب وقائع ما جاء فيه .

حرصت ورقة عمل المؤتمر التي أعدها الندوة على الدقة والموضوعية ، وحرصت أيضاً على أن تكون شاملة وعملية . لأن هذا من شأنه أن يقود اتجاه البحوث حتى تكون جادة من ناحية ، عملية قابلة للتطبيق من ناحية أخرى .

من أجل ذلك كانت المحاور الأساسية لموضوعات المؤتمر على النحو التالي :

- دور المؤسسات الإسلامية في مجتمع الأقليات المسلمة .
- دراسات متخصصة في أقلية مسلمة معينة .

- تجارب رائدة في مجال العمل الإسلامي لدى بعض الأقليات المسلمة .
- المشكلات التي تواجه الأقليات المسلمة .
- دراسة احصائيات عن الأقليات المسلمة في العالم .
- برامج وخطط للأقليات المسلمة في العالم .
- قضايا اللاجئين المسلمين في العالم :
- حقوق الأقليات المسلمة في العالم .
- مسؤوليات المسلمين المواطنين في بلاد غير إسلامية .
- استراتيجية الدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية .
- وضع اللغة العربية في أوساط الأقليات المسلمة .
- أحكام شرعية عن الأقليات المسلمة .

وان نظرة واحدة إلى هذه الموضوعات، تدل دلالة كافية على التنوع والجدية والشمول في طريقة التفكير والاختيار.

وقد قدم إلى المؤتمر ١٦٠ بحثاً من مختلف أنحاء العالم ، قبل منها ٥٣ بحثاً . منها ٣١ بالانجليزية و٢٢ بالعربية . وقد تم قبول هذه البحوث بعد أن مرت على لجان علمية حكمت لها من خلال ضوابط موضوعية كانت وراء عملية التقويم والاختيار .

ويجمع هذا الكتاب الذي نقدم له ، البحوث التي قبلت وقدمت في المؤتمر كما يجمع خمس محاضرات عامة ألقاها فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ محمد العثيمين ، والدكتور المهدي بن عبود ، والدكتور جمال بدوي ، والدكتور رجاء جارودي . فضلاً عن مناقشات وقصائد وكلمات ترحيب في البداية وتوديع في النهاية .

نسأل الله عز وجل ، أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يوفق الجاليات والأقليات المسلمة لاتخاذهم مرجعاً وبرنامج عمل ، وأن يوفق الندوة العالمية للشباب الإسلامي وجميع المؤسسات الإسلامية الأخرى للنهوض بواجباتها .

والله هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل .. ،،

الأمين العام

للندوة العالمية للشباب الإسلامي

ورئيس المؤتمر العالمي السادس

د. توفيق أحمد القصير

القسم الأول

افتتاح المؤتمر

كلمة
صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز

أمير منطقة الرياض

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

أما بعد ..

أيها الحفل الكريم ..

أيها الإخوة في الإسلام ..

أيها الضيوف الكرام ..

إن من دواعي سروري أن أقف اليوم بينكم مرحبا بكم في بلدكم وبين إخوانكم ، فأهلا بكم على الأرض التي أكرمها الله ، فجعل فيها بيته الحرام ، مثابة للناس وأمنا ، وبعث فيها خاتم أنبيائه ورسله ، وخيرته من خلقه ، وجعلها قاعدة ومنطلقا للدين الذي ارتضاه لعباده .. والذي على أسسه قامت المملكة العربية السعودية ، يوم أن أسسها المغفور له الملك عبد العزيز طيب الله ثراه تحكم بكتاب الله وسنة نبيه الكريم ، موقنة أن عزة المسلمين ورفعتهم وتقدمهم ، إنما تكون بالتمسك بعقيدة التوحيد الخالص ، والشرعية الإسلامية السمحاء .

ولا تزال المملكة العربية السعودية سائرة على هذا النهج وتمسكة به ، بقيادة وتوجيهات خادم الحرمين الشريفين ، جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله ورعاه الذي يولي قضايا المسلمين عامة ، وقضية الأقليات المسلمة خاصة ، كل اهتمام ورعاية .

أيها الإخوة قادة وممثلو المنظمات والجمعيات الإسلامية الشبابية :

إنكم تجتمعون اليوم في المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، لبحث موضوع الأقليات المسلمة في العالم ، وهو موضوع حيوي وهام نرجو من الله تعالى أن يوفقكم فيه إلى تلمس الحلول المناسبة ، ووضع المقترحات المفيدة ، لتحسين أوضاع الجاليات والأقليات المسلمة في دينها وديناها ، والارتقاء بمستواها الثقافي والاجتماعي والحضاري ، بما يناسب مكانة المسلمين ، ودورهم في المجتمع البشري ، وهو دور إيجابي ، يستفيد من منجزات الحضارة ويتفاعل معها ، ويقدم العقيدة الإسلامية ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والأسوة والقُدوة الصالحة ، فبهذه الأخلاق والسيرة وصل الإسلام إلى أقاصي الأرض ، يحمله مئات الدعاة والتجار والرحالة .

ولأنتي لعلى كبير الثقة ، وعظيم الأمل ، بأن جمعكم الكريم ، كفاء لهذه المهمة ، وأن لقاءكم بروح المودة والتعاون ، والبشر الذى تطفح به وجوهكم ، خير مؤشر على النتائج الطيبة التى سيخرج بها هذا المؤتمر .

وآمل أن تكونوا على كامل الثقة ، من مساندة المملكة العربية السعودية ، بقيادة مليكها المفدى ، وولي عهده الأمين ، لقضاياكم ، ولن تضمن المملكة فى سبيل إعلاء شأن المسلمين ، بأى جهد أو دعم مادي وأدبي ، ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق .

أيها الإخوة الكرام : لكم خالص شكري ودعائي بالتوفيق ، وللندوة العالمية للشباب الإسلامى التى تبذل جهودها المخلصة فى خدمة الشباب المسلم برئاسة معالى الأستاذ حسن بن عبد الله آل الشيخ ، كل إعزاز وتقدير ..

وفقكم الله ورعاكم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كلمة
معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ
وزير التعليم العالي
ورئيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي

أيها الإخوة :

أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله ومن دعا بدعوته ، وسار على سنته إلى يوم الدين .

الحمد لله الذي يسر لنا عقد هذا المؤتمر العالمي السادس الذي دعت إليه الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، فجاء تنويعا لجهود متصلة دؤوبة بذلتها الندوة في صمت وإصرار ، وهو لقاء كريم سبقه خمسة لقاءات على درب الدعوة إلى الله والعمل لخير الإسلام والمسلمين مما يشهد للندوة بأنها أصبحت بفضل الله ثم بجهود العاملين فيها ، شجرة كريمة مباركة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وينتفع من ثمراتها شباب الإسلام في شتى أنحاء المعمورة .

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ .

ويجيء انعقاد هذا المؤتمر في الرياض ليؤكد مجددا هوية هذه الدولة المباركة ، ودورها المشكور في خدمة العمل الإسلامي ، منذ أن وطد أركانها الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، ولا غرابة في ذلك فهي دولة شادها بانيها ، وتابعه على خطاه أبنائه البررة الذين خلفوه من بعده ، على الكتاب العزيز والسنة الشريفة ، فاستطال البناء ، وظهر عزيزا كريما ، يعجب الزراع ويسعد به المؤمنون في كل مكان ، وزاد الأمر خيرا على خير ، ونورا على نور أن هذه الدولة شرفها الله بخدمة الحرمين الشريفين اللذين تهفو إليهما قلوب المسلمين في كل مكان .

وقد توالى هدايا هذه الدولة المباركة للإسلام والمسلمين ، وكثرت وتنوعت ، وكان منها تلك الهدية المباركة التي قدمها الملك فيصل - رحمه الله - لشباب الإسلام في كل مكان ، وتابعه على دعمها ودفع مسيرتها الملك خالد - رحمه الله ، والملك فهد - حفظه الله ، وولي عهده الأمير / عبد الله - حفظه الله ، وهي الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ذلك أن الندوة هي أول مؤسسة شبابية إسلامية عالمية تسهر على قضايا الشباب المسلم في كل مكان ، وتسعى لترشيد حركته حتى يكون شبابا مسلما معتدلا متوازنا يفهم الإسلام فهما صحيحا شاملا ، ويمنحه ولاءه ، ويعتبه به ، ويسعى لنشر أنواره في العالمين .

وقد منّ الله تعالى على هذه الندوة بخير كبير ، ففازت بثقة جمعيات طلابية وشبابية كثيرة تقارب الـ (٥٠٠) جمعية ، بسبب حسن تعاملها معها ، واستقلالها في عملها وسهرها على دعم مشروعات هذه الجمعيات ومشاركتها لها في أنشطتها المختلفة ، وبذلك تبين جدوى صدق النية ، وصواب العمل ، فأتى نتائج مباركة ، هي في حقيقتها أكبر من الجهد المبذول والإمكانات المتاحة .

لقد صار للندوة حضور فاعل مع شباب المسلمين في أطراف الأرض المختلفة من خلال المخيم والمؤتمر والمحاضرة والكتاب وما إلى ذلك ، ونمت لها خبرة ممتازة في هذه الميادين ، فلا غرابة أن صار عملها عملا له نوعية خاصة تنفرد به ، واستراتيجية مستقلة تتميز به .

إن هناك مؤسسات إسلامية كثيرة تعمل لخدمة الإسلام ، في داخل المملكة وخارجها ، لكن الندوة انفردت بأنها مؤسسة شبابية ، تركز جل اهتمامها على الشباب . والشباب هم الغد وهم المستقبل ، فيهم حيوية وحماسة ، وفيهم مثالية واندفاع ، وهم أحوج عناصر الأمة لتوظيف قدراتهم في مجال الخير والعطاء والبناء ، ومن هنا كانت مسؤولية الندوة أكبر ، والحمد لله على ما قسم لها من نجاح وتوفيق .

والشكر أولا وآخرا لله العلي القدير على ما يسر وأنعم فالأمر كله بين يديه .

ثم الشكر لجلالة الوالد الملك المفدى على ما أولى الندوة ، وما يوليها من عناية ودعم ، وفقه الله للمزيد ، وأجرى على يديه النفع ، وجزاه خير الجزاء .

وإني كمستشرف برئاسة هذه المؤسسة الشبابية المباركة ، وبحكم اطلاعي على ما تحظى به من دعم ، أتوجه بالشكر الجزيل لجلالة الملك المعظم حفظه الله على كريم دعمه وصادق اهتمامه حتى باتت الندوة شيئا مذكورا في دنيا المسلمين عامة ، والشباب خاصة ، فجزاه الله خير الجزاء ، وحفظه ذخرا للإسلام والمسلمين .

والشكر كذلك لسمو ولي عهده الأمين على حسن اهتمامه وكريم عونه ، حفظه الله ووفقه ونفع به ، ثم الشكر لسمو النائب الثاني رئيس الهيئة العليا للدعوة الإسلامية فقد أعطى الكثير لهذه المؤسسة الشبابية الشابة . والشكر كذلك لسمو أمير منطقة الرياض ، التي ينعقد فيها هذا المؤتمر على ما تفضل به من عناية ورعاية .

ولا يفوتني أخيرا أن أشكر كل من قدم جهدا في إنجاح هذا المؤتمر أيا كان موقعه ، له منا الشكر ومن الله الثواب .

وختاما :

أيها الإخوة الكرام ، باسم الله نبدأ ، وعليه نتوكل ، وإليه نضرع أن يوفق المسلمين عامة وشبابهم خاصة لما فيه خير البلاد والعباد ، إنه سميع مجيب .

**كلمة
الأمين العام
للندوة العالمية للشباب الإسلامي
ورئيس
المؤتمر العالمي السادس**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض

أصحاب السمو الأمراء

أصحاب السماحة والفضيلة العلماء

أصحاب المعالي الوزراء

أيها الإخوة الكرام أعضاء الوفود

أيها الحفل الكريم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

يطيب لى أن أقف أمامكم اليوم في هذا الحفل المبارك الذى يراعه أمير منطقة الرياض ، صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز ، حفظه الله لأرحب بضيوفنا الكرام من قيادات الأمة الشبابية ومفكرها .

إنه لما يسعدنا جميعاً أن يتعقد هذا المؤتمر فى المملكة العربية السعودية ، ففى ذلك إشارة لا تخفى أن مهد الإسلام الأول ، سيظل يعمل خادماً لدين الله تأكيداً لهويته العقائدية التى قام عليها ، وإعلاناً لرسالته فى الحياة ، ومواقفه الأصيلة فى نصره قضايا الإسلام والمسلمين .

ولئن كان للأرض التى يتعقد عليها المؤتمر شأنها وأهميتها ، فإن للقضية التى يتصدى لها هذا المؤتمر ، وهى قضية الأقليات المسلمة ، شأنها وأهميتها كذلك وهى القضية التى لا تزال تدور بين الآمال الحلوة والآلام المريرة .

آمال فى بزوغ فجر صحوحة إسلامية ، بين أقليات وجاليات مسلمة ، كادت أجيالها تضيق فى زحمة الحياة وضغوطها المادية ، وآلام تعتصر قلوب المسلمين وتدميها ، لما تلقاه أقليات مسلمة أخرى من صنوف الاضطهاد والتضييق ، والتعصب الأعمى ، ومصادرة أبسط حقوق الإنسان فى حرية الاعتقاد والعبادة . وكل هذا يتم تحت سمع مسلمى العالم وبصرهم .

فما الذى ينبغى علينا عمله تجاه تلك الأقليات ، وهم إخوة لنا فى الدين ؟
وما الذى ينبغى على الأقليات نفسها أن تعمله ؟

ويأتى هذا المؤتمر الذى يجمع قيادات الأمة الشابة ، وممثلي الأقليات المسلمة من كل

العامين السابقين ، والأمناء المساعدين ، وأعضاء الأمانة العامة للندوة ، الذين بذلوا جهودهم لإنجاح عمل الندوة وبرامجها كل في منطقته ومجاله ، وكذلك أوجه الشكر لجميع العاملين بالندوة ، إذ لولا روح التعاون والود التي سادت العمل ، ما تمكنت الندوة من تحقيق طموحاتها وآمالها . مع خالص الشكر للإخوة الذين شاركوا في التخطيط والتحضير وتنفيذ فعاليات هذا المؤتمر كافة .

وإني إذ أسأل الله سبحانه وتعالى أن يشمل هذا المؤتمر برعايته ، أتمنى لكم جميعاً أيها الإخوة التوفيق والنجاح في أعمالكم واسمحوا لي أن أقدم باسمكم جميعاً بالغ الشكر والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز داعياً الله أن يحفظه ويعينه لما فيه الخير للإسلام والمسلمين ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

د . توفيق أحمد القصير

الأمين العام

للندوة العالمية للشباب الإسلامي

**كلمة
المشاركين في حفل افتتاح
المؤتمر العالمي السادس للنحوة**

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز

صاحب المعالي الأخ الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ
رئيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي

صاحب السعادة الأخ الدكتور توفيق القصير
أمين عام الندوة العالمية للشباب الإسلامي

أصحاب الفضيلة والسماحة العلماء

الإخوة أعضاء المنظمات الإسلامية الشبابية وقياداتها

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

يسعدني أن أتحدث معكم باسم الإخوة المشاركين في اللقاء العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي .

ويسرني أن أنقل لكم جميعا تحيات الشباب المسلم المنضوي تحت لواء الندوة في شكل هيئات ومنظمات وجمعيات وجماعات وقيادات وأعضاء ، وشكرنا العميق لما تقدمه الدول الإسلامية عموما والمملكة العربية السعودية خصوصا لدعم العمل الإسلامي .

أقف لأعبر عن حساسية الموضوع الرئيسي الذي يطرحه هذا اللقاء وأهميته لملايين المسلمين ، ولأستحث الهمم والعزم على مزيد من التفاهم وتقديم الدعم والتعاضد للأقليات المسلمة المضطهدة في دينها ودنياها فالمسلمون يقتلون ويشردون ويجبرون حتى على تغيير أسمائهم ودينهم والإقامة في أكثر المناطق تخلفا ولو كانوا في بلاد متقدمة .

أقف بينكم اليوم أيها الحفل الكريم لأدعو الشباب المسلم إلى الجدية في الالتزام والبعد عن الخلافات الفرعية والتعصب المذهبي والمذاهب الهدامة التي تنخر في كيان الأمة وأدعوه إلى العمل بشريعة الله وروح الإسلام السمحة مستمسكا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

أقف بينكم إخواني الكرام لأنقل لهذا الجمع الكريم وصية الشباب المسلم الذي يعتز بالندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ويسعد بإنجازاتها ، ويفخر بتطلعاتها . لقد طاولت الإنجازات

المسافات ، ووصلت من الندوة الكتب والدراسات إلى النجوع والكفور وشتى البقاع ، وارتفعت بفضل الله تعالى راية الإسلام عالية في أرجاء الأرض . باسم الشباب المسلم أمل أن تتفق جهود الشباب المسلم وتطلعاته للوقوف أمام التيارات التي تهددنا جميعا وتهدد أبنائنا . استجابة لدعوة الله تعالى في كتابه حيث يقول : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ، إن مشكلاتنا كثيرة ولكن أخطرها البعد عن الدين ، والتطرف فيه ، أو التفريط في بعض جوانبه ، فتبدو صورة الإسلام مشوهة ، ونكون بذلك قد أسأنا إلى ديننا ودينانا ، ولا شك أننا مسؤولون عن ذلك يوم القيامة .

إننا جميعا مطالبون بأن نترجم الإسلام إلى واقع عملي تنعكس فيه مضامين لا إله إلا الله ، وتطبق فيه أحكام الشريعة كاملة ، فتتحقق العدالة والمساواة ونخرج جميعا إلى عبادة الله الواحد الأحد ، فيعزنا بنصره وما ذلك على الله بيعيد .

وهذا العمل يحتاج إلى مزيد من التخطيط من الهيئات الإسلامية المسؤولة وفي مقدمتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ويحتاج إلى دعم متواصل من الحكومات والدول الإسلامية جميعا ، والمملكة العربية السعودية ودول الخليج بصفة خاصة ، بما أفاء الله تعالى عليها من نعم كثيرة فاعلة .

وختاماً أيها الإخوة أتقدم نيابة عن هذا الحفل الكريم بأسمى آيات الشكر والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز - أمير منطقة الرياض راعي هذا الحفل المبارك ، وإلى حكومة المملكة العربية السعودية بقيادة عاهل البلاد جلالة الملك فهد بن عبد العزيز ، وإلى عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز رئيس الهيئة العليا للدعوة الإسلامية .

والشكر مستحق لمعالي الأخ الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ، ولأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي ومساعديه من الأمناء العاملين المساعدين ، ولإدارة الندوة والعاملين فيها جميعا .

وفقكم الله جميعا إلى ما يحب ويرضى ..
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

القسم الثاني
بحوث المؤتمر

الفصل الأول

المشكلات الثقافية والاجتماعية لدى الأقليات المسلمة

الأقليات الإسلامية المشكلات الثقافية والاجتماعية

للمستشار الدكتور جمال الدين محمد محمود

الأمين العام

للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بمصر

الأقليات الإسلامية المشكلات الثقافية والاجتماعية

د. جمال الدين محمد محمود

مقدمة عامة

يستخدم مصطلح الدول الإسلامية والدول ذات الأقليات المسلمة في المجالات السياسية وفي مجال خدمة الإسلام والدعوة إليه ، وتوجد عدة مقاييس لتحديد ما يطلق عليه دولة إسلامية وما يطلق عليه أقلية إسلامية في دولة من الدول . ومن أدق المقاييس بلا شك المعيار العددي ، إذ تعتبر الدولة التي يزيد عدد المسلمين فيها عن ٥٠٪ من السكان دولة إسلامية فإذا قلت النسبة عن ذلك كان المسلمون أقلية في الدولة المعنية ، ومع ذلك فقد نجد بعض المعايير قابلة للمناقشة مثل رئاسة الدولة وتشكيل النظام الحاكم والنص في الدستور على ما يفيد أن الدولة ليس لها دين معين (علمانية) كما نجد عقبات عملية في تحديد الدول الإسلامية من دول الأقليات المسلمة تتمثل في انعدام الإحصائيات التي يمكن الاعتماد عليها وفي تعدد العقائد غير السماوية وفي صعوبة تحديد عقيدة أو دين لجانب كبير من السكان ونجد أمثال هذه الصعوبات في قارة إفريقيا أو غيرها ، ويكفي أن نذكر أن عدد المسلمين في جمهورية الهند يبلغ تسعين مليوناً - وهو عدد هائل - وأن عدد المسلمين في جمهورية إثيوبيا يبلغ أكثر من خمسين في المائة كما أن المسلمين في دولة مثل (ألبانيا) في أوروبا يشكلون أغلبية كبرى - ولكن كليهما ليستا دولاً إسلامية .

والجدير بالذكر أن أوغندا والجايبون تعتبران من الدول الإسلامية - وهما عضوتان بمنظمة المؤتمر الإسلامي مع أن النسبة العددية للمسلمين فيهما لا تبلغ ٥٠٪ من عدد السكان ، ولذلك يبدو أن أدق المعايير المتاحة هو الأخذ بالنسبة العددية للسكان فهو الذي يمكن أن يتحدد على أساسه اعتبار الدولة إسلامية - وهذا المعيار موضوعي وعملي ويتفق مع الواقع السياسي ففي الأغلبية العظمى من الدول ذات الأقليات الإسلامية . يوجد

المسلمون كأقليات دينية في أنحاء العالم ولا تخلو منطقة في العالم من وجود المسلمين بها ويمكن أن نقرر أن الأقليات الإسلامية التي يعتد بها في قارة أفريقيا توجد في نحو (٢٨) دولة هي اثيوبيا - تنزانيا - بنين - ساحل العاج - توجو - أفريقيا الوسطى - ملاوي - كينيا - غانا - ليبيريا - موزمبيق - غينيا الاستوائية - مدغشقر - بورندي - جزر الرأس الأخضر - موريشيوس - انجولا - زائير - الكونغو الشعبية - ليسوتو - بوتسوانا - سوازيلاند - رواندا - سيشل - زامبيا - ناميبيا - جنوب أفريقيا - زيمبابوي .

أما الأقليات المسلمة في قارة آسيا فتوجد في نحو أربع عشرة دولة هي الهند - الصين الشعبية - سيرلانكا - سنغافورة - الفلبين - قبرص - بورما - تايلاند - نيبال - لاوس - كمبودشيا - كوريا - فيتنام - بوتان - اليابان وتوجد الأقليات الإسلامية في أوروبا في كثير من الدول الشيوعية مثل الاتحاد السوفيتي - يوغوسلافيا - بلغاريا - بولندا - رومانيا كما توجد أقليات إسلامية كبيرة العدد نسبيا في الأمريكتين وأستراليا .

الاهتمام الدولي بالأقليات الإسلامية :

عقدت مؤتمرات دولية بقصد الاهتمام بالأقليات الإسلامية ومشاكلها نذكر منها : مؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامي والمجلس الإسلامي الأوروبي في لندن سنة ١٩٧٨م واشترك فيه أكثر من أربعين وفداً يمثلون أقليات إسلامية وحضره ممثلون عن الأمم المتحدة والجامعة العربية وصدرت عنه قرارات وتوصيات تهدف إلى ضمان الحياة الإنسانية الكريمة لهذه الأقليات ، كما عقد أيضا مؤتمر آخر للأقليات المسلمة في العالم في لندن سنة ١٩٨٠م حضره ممثلون عن هذه الأقليات .

وتهتم كثير من المنظمات في البلاد الإسلامية بشئون الأقليات الإسلامية ، وهناك اهتمام على المستوى العملي عن طريق إقامة العلاقات الثقافية ، والإمداد بالمعونة لا سيما المعونة الثقافية - وأبرز المنظمات التي تقوم بهذا النشاط رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - ومع ذلك فإنه يوجد في المملكة العربية السعودية معهد لدراسة شئون الأقليات المسلمة وهو ما يحقق التكامل في الاهتمام بشئون الأقليات المسلمة في العالم ويجعل الأنشطة العملية قائمة على الدراسة العلمية السليمة .

مشاكل الأقليات الإسلامية :

يواجه المسلمون الذين يعيشون في دول غير إسلامية مشاكل عديدة - وبطبيعة الحال - نقصد المشاكل التي تتعلق بحياتهم باعتبارهم مسلمين وسط مجتمع غير إسلامي - وهذا المجتمع تختلف عقيدته الأساسية عن الإسلام وقد يكون هذا

الخلافاً بذاته سبباً حتمياً في التضييق على الأقلية الإسلامية التي تعيش فيه كما في الدول الماركسية (الشيوعية) حيث تعتبر الدعوة ضد الأديان رسمية والتعليم الإلحادي عاماً ومقرراً - ويكون الاحتفاظ بالإسلام كعقيدة دينية مصدر غنت اجتماعي ورسمي مما يدفع بالكثيرين إلى مساهمة اتجاه الدولة ولو بطريقة شكلية .

وهناك أقليات إسلامية في دول تغلب عليها العقائد البدائية مثل بنين وساحل العاج - وكينيا وأفريقيا الوسطى ، ورغم تزايد النشاط التبشيري في تحويل أصحاب هذه الديانات إلى المسيحية إلا أن المسلمين فيها يتمتعون بقدر من الحرية حيث إن النظرة إليهم باعتبارهم من أصحاب الديانات السماوية فيها جانب كبير من التقدير لعقيدتهم الدينية ويقوم في هذه البلاد جمعيات إسلامية تنجح دون إمكانات كبيرة - في هداية الكثيرين إلى الإسلام وفي بعض البلاد الآسيوية يزداد النشاط التبشيري وتتعاظم إمكاناته المادية بإقامة المستشفيات والمدارس ونشر المفاهيم المسيحية من خلال التعليم والعلاج ومع ذلك فإنه يلاحظ أن الدول في هذه الحالة لا تقوم بمساندة التبشير أو محاربة الإسلام وإنما تتحكم الإمكانات المادية والنفوذ السياسي في تحديد النتيجة وهي تتمثل في إبعاد أهالي هذه البلاد عن معتقداتهم الأصلية وفي نفس الوقت العمل على عدم تأثرهم بأي نشاط إسلامي .

والواقع أن دراسة مشاكل الأقليات الإسلامية تحتاج إلى معاهد متخصصة لأن هذه المشاكل متعددة وتختلف من دولة لأخرى ومن قارة لسواها ومساعدة هذه الأقليات يتم عبر قنوات متعددة ، حكومية وشعبية ودولية كما تتطلب المساعدة إمكانات مادية أو إمكانات ثقافية واستمرار الاتصال بين الدولة الإسلامية والبلاد التي بها أقليات إسلامية يعد ركناً أساسياً في التخفيف من مشكلات الأقليات الإسلامية وعلاجها أو القضاء عليها .

وكملاحظة عامة - يبدو الهدف - وهو مساعدة الأقليات الإسلامية - بعد التعرف على مشكلاتها أمراً ميسوراً بتوفير الجهد والإمكانات في البلاد المسيحية الديمقراطية كأوروبا وأمريكا الشمالية ويبدو أمراً بالغ الصعوبة في البلاد الشيوعية حتى مع توفر الرغبة والإمكانات . ومن الواجب الاستعانة بالمنظمات الدولية في الضغط والمطالبة بتوفير حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر إذا كانت المساعدة متعذرة بالطريق الرسمي أو الشعبي .

الأقليات الإسلامية وإحصاءات لها دلالتها :

مع أننا نطلق تعبير الأقليات الإسلامية على المسلمين الذين يعيشون في بلاد غير إسلامية إلا أننا نلفت النظر إلى حقيقة قد تغيب عن الكثيرين ، وهي أن أتباع الديانات السماوية جميعاً هم أقلية إلى جانب المعتقدات والديانات الأخرى ورغم أننا نجد إحصائيات عديدة بعضها يتحري الدقة والآخر قد لا يلتزم بها لأسباب مختلفة إلا أننا نورد

إحصاء عن الكتاب السنوي لدائرة المعارف البريطانية عامي ٦٨ ، ٧٢ م يمثل توقف الإسلام إلى جانب المعتقدات الأخرى ويظهر فيه عدم الالتزام لأسباب نوردها فيما بعد :

الديانة		١٩٦٨ م		١٩٧٢ م	
	العدد بالملايين	النسبة المئوية	العدد بالملايين	النسبة المئوية	
المسيحية	٩٧٧ر٤	% ٢٨ر٨	٩٨٥ر٤	% ٢٧ر٧	
الإسلام	٤٧٤ر٣	% ١٤	٤٧١ر٣	% ١٣ر٣	
اليهودية	١٣ر٥	% ٤	١٤ر٥	% ٤	
جملة الديانات الثلاث	١٠٤٦٥ر٢	% ٤٣ر٢	١٤٧١ر٢	% ٤١ر٤	
معتقدات ديانات أخرى	١٩٢٦ر٦	% ٥٦ر٨	٢٠٨٠ر٨	% ٥٨ر٦	
	٣٣٩١ر٨	% ١٠٠	٣٥٥٢ر٠	% ١٠٠	

والملاحظة البسيطة تكشف أن الإسلام يقل عدد أتباعه مع ظهور كل المؤشرات التي تدل على عكس ذلك وأن المسيحية يزداد عدد أتباعها مع وجود ظاهرة مناقضة ومسلم بها دوليا وهي تزايد أعداد مواليد المسلمين بنسب أكبر من المواليد في - الدول المسيحية ^(١) ولكن الدلالة التي نستطيع قبولها ، هي أن أتباع العقائد غير السماوية مازالت تسيطر في أجزاء كبيرة من العالم على الديانات البدائية والوضيعة وأكبر الأعداد كما يقول الكتاب السنوي لدائرة المعارف البريطانية (١٩٧٢) للديانة الهندوكية ٤٧٢ر٢ مليون منهم نحو ٤٧٠ مليونا في آسيا ثم يأتي بعد ذلك أتباع كونفوشيوس وعددهم ٣٠٤ر٥ مليون نسمة والبوذيون وعددهم ٣٠١ مليون نسمة ويتركزون في آسيا .

على أن دائرة معارف النيويورك تايمز لعام ٧٠ تقدر عدد المسلمين بما يصل إلى ٤٩٣ر٠١٢ر٠٠ نسمة ^(٢) . مما يكشف تعمد إظهار تناقص عدد المسلمين رغم أن كل المؤشرات الظاهرة تدل على العكس - وهي مسألة لا بد وأن تستلفت النظر .

فإذا انتقلنا إلى المصادر الإسلامية فإن بعضها يقدر عدد المسلمين بنحو ٥٣٠ مليون مسلم منهم ٤٠٠ مليون في آسيا ، ١٢٣ مليون في أفريقيا وستة ملايين في أوروبا وثلاثة أرباع المليون في الأمريكتين واستراليا ^(٣) . وقد قدرت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عدد المسلمين

في العالم سنة ١٩٧٣م بنحو ٧٣٢٩٨٦٠٠ مليون مسلم أي نحو ٢٠٪ من جملة سكان العالم ، وثمة ملاحظة جديرة بالتأمل وهي أن قارة آسيا هي معقل الديانات الوضعية التي يصل أتباعها إلى مئات الملايين مع أن قارة آسيا هي مهبط الديانات السماوية وفيها مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس^(٤). بينما يمثل الإسلام دينا ودولة في كثير من أقطار آسيا يبقى المسلمون في دول الأقليات الإسلامية في هذه القارة معرضين للاضطهاد أحيانا كثيرة .

ويقدر عدد المسلمين في دول الأقليات الإسلامية (الكبيرة الوزن) في آسيا سنة ١٩٧٨م بنحو ٤٥ مليوناً في الصين الشعبية ، ٧٨ مليوناً في الهند وخمسة ملايين في الفلبين^(٥) . كما يبلغون نحو ٣٥ مليوناً في الاتحاد السوفيتي . والملاحظات التي يمكن أن تخرج بها من إيراد بعض الإحصاءات منسوبة إلى مصادرها ما يلي :

- ١ - أن الإحصاءات تختلف فيما بينها وأنها تتعرض لعدم الدقة أحيانا بل والرغبة المتعمدة في تقرير ما يخالف الحقيقة .
- ٢ - أن ما يطلق عليه تعبير الأقليات الإسلامية يشمل تكتلا إسلاميا بالغ الضخامة مثل الهند - الصين - الاتحاد السوفيتي وبعض هذه الأقليات يزيد عددها على عدد السكان في معظم البلاد الإسلامية أو ذات الأغلبية الإسلامية (عدا باكستان واندونيسيا) وهذه الملاحظة جديرة بالاهتمام لأن الأجهزة المختلفة العاملة في خدمة الإسلام ينبغي أن تكون اهتماماتها متوازنة و تحاول بكل الطرق وعبر قنوات متعددة الالتفات إلى هذه الأقليات الكبيرة العدد .
- ٣ - أن قيام الأمة الإسلامية في مجموعها بواجب الدعوة إلى الإسلام ما زال في بدايته وما زالت مئات الملايين من أصحاب الديانات الوضعية والعقائد البدائية في آسيا وأفريقيا تحتاج إلى أنشطة ووسائل وجهود في الدعوة إلى الإسلام لم تتوفر بعد . ونحاول أن نعرض للمشكلات التي تصادف الأقليات الإسلامية في البلاد غير الإسلامية ، ونعرض للمشكلات الثقافية ثم لبعض صور المشكلات الاجتماعية والحياة اليومية ، ونظرا لأن هذه المشكلات في صورها وحدتها تختلف من قارة لأخرى - ومن بلد لآخر ومن نظام حكم لسواه فإننا نذكر بعض الدول غير الإسلامية كأمثلة سواء في قارة أفريقيا أو آسيا بحسب ما يسمح العرض العام وقد نتجنب ذلك قصدا .

مشكلات الثقافة لدى الأقليات الإسلامية :

أن العالم الإسلامي اليوم ومنذ قرون عديدة يتألف من شعوب عديدة تختلف في
لاشك
بيئاتها وقومياتها وثقافتها مع تعدد درجات التحضر والبناء الاجتماعي

ولكن الذي يجمع بين هذه الشعوب كلها هو الإيمان الصادق بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والرغبة الدائمة في التأخى والتعاون مع قيام مثل عليا مشتركة تستند إلى بناء أخلاق واحد وكامل أمه الإسلام .

ومن ناحية أخرى تجمع بين هذه الشعوب والأقليات الإسلامية الكبيرة العدد (كما في الاتحاد السوفيتى والصين والهند وبعض أقطار إفريقيا) قيم ثقافية مشتركة في أصولها أهمها في نظرنا الإيمان العميق بالعلم والعقل والامتزاج بين المعقول والمنقول ذلك أن ثقافة المسلم يشكّلها في أول الأمر كتاب دنياه وآخرته وهو القرآن الكريم وإلى جانبه السنة النبوية ثم ينكشف أمام العقل المسلم بتفكره وتدبره في المنقول اتفاقه مع المعقول ، ومن الواجب أن تكون اللغة العربية محل الاهتمام البالغ لدى الأقليات الإسلامية في العالم إذ هي مفتاح الثقافة التي أسلفنا ذكر بعض مميزاتها وفقدان اللغة العربية في أي مجتمع مسلم معناه الاكتفاء بالأساس الإسلامي دون اكتمال البناء الثقافي المتميز لهذه الأقلية الإسلامية وتظهر أصول هذه الثقافة في أن الأقليات الإسلامية الكبيرة العدد في البلاد غير الإسلامية ساهمت بالعطاء الثقافي الإسلامي في فترات طويلة من التاريخ الإسلامي (كما في الهند وبعض جمهوريات الاتحاد السوفيتى والحالية مثل بخارى وطشقند وسمرقند) .

والاختلاف الثقافي الذي يظهر اليوم بين الشعوب الإسلامية وبين الأقليات الإسلامية التي تعيش في دول غير إسلامية سببه الأساسى اختلاف اللغة أو على وجه أصح افتقاد اللغة العربية منذ زمن طويل ، ومتى اختلفت اللغة وهي وعاء الفكر انفصل العقل والفكر الذي تعيش به هذه الأقليات عن العقل والفكر الإسلامى في المصادر الثقافية ولذلك خطره على العقيدة ذاتها فضلا عن خطره المحقق والمشاهد على الثقافة الإسلامية في تلك البلاد ونعنى بالثقافة الإسلامية على وجه التحديد البناء الفكرى المتكامل الذي شيده الإسلام للنظر في الكون والحياة فهذا النظر يتميز عن الثقافات الأخرى التي لا ترتبط بأية حقائق ثابتة عند النظر في الكون أو الحياة وهنا تبدو مشكلة الأقليات الإسلامية التي تعيش في بلاد غير إسلامية لها ثقافتها المتأصلة والمختلفة اختلافا أساسيا عن الثقافة الإسلامية فالنظر إلى الكون والحياة من منظور إسلامي يختلف تماما عن النظر إليهما بعيدا عن الإسلام ، ولذلك فسوف يظل الخطر قائما على أجيال المسلمين في البلاد غير الإسلامية والذين يتلقون تعليمهم وهم صغار وثقافتهم وهم كبار في جميع المجالات طبقا لنظرة بعيدة عن الإسلام ولا يصح أن تسارع بالغضب حين تكتشف - كما يحدث أحيانا في تجارب عملية - أن شابا مسلما في تلك الأقليات يؤمن بالماركسية أو بعزل الدين عن الدولة أو عن المجتمع أو يعتبر أن الربا نظام طبيعى في المعاملات أو يحاول تعليل التخلف في بعض الدول الإسلامية بأنه ناشئ عن النظرة الإسلامية للكون والحياة ، وبديهي أن مثل ذلك الشخص يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويعرف أن الإسلام

وعباداته ولكنه قد تشكل ثقافيا بعيدا عن الإسلام - وما يحتاجه على وجه التحديد هو الثقافة الإسلامية التي تعينه على نقد أو حتى نقض ما يتلقاه من ثقافة بمختلف وسائلها كالكتاب والإذاعة المسموعة والمرئية والصحف وسائر أجهزة الإعلام . وهي كلها بعيدة في أهدافها عن الإسلام والخطر يأتي متجددا وبصورة أشد عندما تتوالى الأجيال ولا يلحق هذا الخطر الأقليات الإسلامية ذاتها من أهل البلاد بل يلحق الجيل الثاني والثالث من المسلمين المهاجرين إلى تلك البلاد في فترة وجيزة بينما كان الجيل الأول منهم عربي اللسان فحيث تقل العربية في الجيل الثاني وتضمحل في الجيل الثالث يبدأ الجهل الخطير بأحكام الإسلام الأساسية ويبدأ ذوبان تلك الأقلية ثقافيا في ثقافة مختلفة الأصول والأهداف .

نشر اللغة العربية :

نشر اللغة العربية بين الأقليات الإسلامية من أكبر وسائل الدعوة إلى الإسلام **يعتبر** فالعلاقة بين اللغة العربية والإسلام لا تحتاج إلى بيان ، ولكنها تبدو بالنسبة للأقليات الإسلامية في البلاد غير الإسلامية وسيلة هامة للاحتفاظ بكيانها الإسلامي ووسيلة لوقف تدهور الأصالة الثقافية للمسلمين في هذه البلاد .

فاللغة العربية تعد الآن رابع لغة قومية في العالم من حيث عدد المتحدثين بها كما يقرر أحد الباحثين^(١) . إذ يتحدث بها نحو ١٥٠ مليون (بعد اللغة الصينية والانجليزية والاسبانية) غير أن الانجليزية مثلا تعد لغة ثانية في كثير من البلاد مما يزيد عدد المتحدثين بها إلى نحو ٨٠٠ مليون أيضا) .

وتعد اللغة العربية واسعة الانتشار في افريقيا فضلا عن أن اللغات الأخرى القائمة كالسواحيلية والهوساوية بها مفردات عربية كثيرة تصل إلى ٤٠٪ منها وكذلك لغة الولف والفلاتي وهناك لغات أخرى تشكل المفردات العربية أجزاء كبيرة منها ويرجع أن تعتمد تقوية اللغات المحلية في افريقيا بسبب الاستعمار هو الذي أدى إلى انحسار اللغة العربية وكان ذلك غرضا مقصودا .

ولكن الجهود المبذولة لتعليم اللغة العربية للأقليات الإسلامية في بلاد افريقيا ما تزال في بدايتها وتواجه صعوبات عديدة من حيث قلة الإمكانيات المادية فضلا عن انعدام التخطيط المدرس الذي يمكن أن يستمر تنفيذه عشرات السنين والذي يمكن أن تقوم به جهات إسلامية عديدة في العالم الإسلامي سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي ، ومن أجمل ما يقوله المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد : (فإن زوال اللغة العربية لا يبقى للعربي أو للمسلم قواما يميزه في سائر الأقسام ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا معرفة ولا إيمان)^(٢) .

وهذا الذوبان الثقافي هو أشد ما نخشاه على الأقليات الإسلامية في البلاد غير الإسلامية لا سيما تلك البلاد التي تتأصل ثقافتها المخالفة للإسلام مخالفة كاملة عبر قرون طويلة (كالدول الأوروبية)^(٨) وتلك التي تفرض تصورا معيناً للحياة وتوجه ثقافة أبنائها نحوه بكل الطرق (كالدول الشيوعية) وفي هذه الحالة تكون الأقليات الإسلامية فيها معرضة — مع فقد اللغة العربية — إلى الذوبان الكامل ثقافياً مما يهدد كما يقول العقاد رحمه الله إلى ضياع البيان والمعرفة والإيمان .

وفي رأيي أنه إذا أريد المحافظة على الأقليات الإسلامية في البلاد غير الإسلامية وتنميتها دينياً وثقافياً فلا بد من المحافظة على نشر اللغة العربية بين هذه الأقليات ، ومن الغريب أن اللغة العربية استطاعت ذلك في فترة ظهور الإسلام وانتشاره السريع فقد حلت تلك اللغة الكريمة محل لغات الأغلبية وأزالت في فترة قصيرة نسبياً لغة اليونان بردها إلى أهلها^(٩) ثم تضاءلت إلى جانبها لغات أخرى مثل الآرامية والسريانية والقبطية وأصبحت لغات تاريخية إن صح هذا التعبير .

اقتراحات محددة :

وينبغي أن يسارع المختصون في الأجهزة العاملة في الدعوة الإسلامية إلى تكثيف نشاطهم وجهدهم بين الأقليات الإسلامية لاسيما في آسيا وإفريقيا لنشر اللغة العربية . والقارة الأفريقية بالذات قابلة تماماً لهذا النشاط (حتى على المستوى الرسمي) وفي آسيا يمكن أن يتم ذلك على المستوى الشعبي (أو عبر قنوات رسمية إذا اقتضى الأمر) - ولكن هذا الهدف ينبغي ألا يترك لهذه الأقليات وحدها لضعف الإمكانيات في كثير من البلاد وانعدام الخبرة أو التأهيل اللازم لذلك بين هذه الأقليات . إن هذا الهدف يحتاج إلى وضع خطة متكاملة تشترك في وضعها دول - إسلامية وعربية قادرة مادياً وثقافياً وسياسياً ويقتضي ذلك :

- أ - إعداد الكتب التي تعلم اللغة العربية للأجانب بواسطة كبار المتخصصين (مع مراعاة اللغات السائدة بين هذه الأقليات المسلمة) ونشرها بأيسر الطرق بين الأقليات الإسلامية .
- ب - التوسع في عدد المنح الدراسية المخصصة لدراسة اللغة العربية والدراسات الإسلامية (في البلاد العربية بالذات) لأبناء الأقليات الإسلامية .
- ج - مساعدة هذه الأقليات على إنشاء مدارس لتعليم اللغة العربية للصغار والاهتمام بمستوى هذه المدارس مادياً وتربوياً وإيفاد المتخصصين لهذا الغرض مع تحمل كافة نفقاتهم .

د - جعل تعليم اللغة العربية للأجانب جزءاً من البرامج الإسلامية الموجهة إلى هذه الأقليات من إذاعات البلاد الإسلامية واستخدام كافة الوسائل الفنية - كالأشرطة المسموعة والمرئية لهذا الغرض وجعلها في متناول يد أبناء هذه الأقليات .

المشكلات الاجتماعية :

يقصد بتعبير المشكلات الاجتماعية مجموعة المشكلات المعيشية التي تواجه المسلم حين يعيش في مجتمع غير مسلم ، فاختلاف العقيدة لا يعد ضمن هذه المشكلات حيث إن المسلم يستطيع أن يعيش بعقيدته في أي مجتمع يلتزم بالحد الأدنى لحقوق الإنسان وحقه في الاعتقاد والتدين ، وبذلك يخرج من نطاق - البحث في المشكلات الاجتماعية مشكلة الأقليات المسلمة التي تعيش في بلاد تحارب الأديان عامة أو الإسلام خاصة - فهؤلاء مشكلتهم أكبر من أن تكون مشكلات اجتماعية إنها مشكلة (كيان اجتماعي أو سياسي مفقود) ينبغي استعادته بكل الطرق وبجميع الوسائل لا سيما الوسائل السياسية والدولية ، ولا شك أن الأقليات الإسلامية في كثير من بلدان العالم تعاني من الاضطهاد الذي يصل إلى حد القتل ومحاولة القضاء على الذاتية الإسلامية ، وفي ظل هذه النظم التي لا تعترف بأبسط حقوق الإنسان المسلم تكون المشكلة الأولى الاحتفاظ بالكيان الإسلامي سواء كان هذا الكيان سياسياً أو اجتماعياً .

أما المشكلات الاجتماعية التي نقصدها فهي التي تتعلق بحياة الأقليات المسلمة داخل مجتمعات غير إسلامية - وهنا تكون حرية كاملة للمسلم في الاعتقاد والتدين بل وتكوين الجمعيات الإسلامية ونشر ثقافته وممارسة أنشطته الإسلامية كلها ولكن مع ذلك تظل هناك مشكلات اجتماعية عديدة يمكن أن نذكر نماذج منها مع اقتراح ما يخفف من هذه المشكلات أو يقضي عليها في الزمن الطويل .

أولاً - مشكلة التعليم :

تبدو مشكلة التعليم للأجيال الناشئة من الأقليات الإسلامية مشكلة معقدة ، فنظم التعليم الآن في دول العالم تنصف بالعمومية والتخطيط القومي واستهداف غايات معينة في إعداد الفرد وتنشئته ليكون مواطناً - وهنا يكمن الخطر على المسلمين الذين يعيشون في هذه البلاد والذين تتجاوز أعدادهم الملايين أو حتى مئات الألوف ، والخطر الأكبر أن التربية والتعليم في الإسلام لهما أصولهما الذاتية بحيث يستهدف التعليم والتربية تنشئة (مسلم) في عقيدته وقيمه وخلقه وسلوكه في علاقاته بالناس ، وذلك على عكس بعض نظم التربية التي تستهدف تنشئة (مواطن) بكل ما يقتضيه ذلك من التركيز الشديد على النزعة القومية والوطنية - والتاريخية التي تخدم

هذا الغرض وفي ظل هذا النظام من التعليم العام يتلقى الطفل المسلم حقائق الحياة وقيمتها الاجتماعية ويتأثر في صغره بكل ما يلقي إليه وتسود القيم التي يراد غرسها بحكم السن والاتصال والاختلاط ، ولا يمكن للطفل في مرحلة متقدمة - حتى ولو أراد أن يغير من تأثير (التربية) التي تلقاها والتي تؤهله ليكون (مواطناً) فحسب إذ يعد الدين غير مقصود لذاته في معظم نظم التعليم في العالم ، وذلك لاختلاف معنى الحرية الدينية عن معناها لدى المسلم - إذ الحرية الدينية لدى المجتمعات غير الإسلامية تعنى حرية الفرد في الاعتقاد وممارسته أيما كان هذا المعتقد - بينما حرية الدين في الإسلام تعنى إقرار أهل الأديان الكتابية في المجتمع الإسلامي على معتقداتهم وحرمتهم في ممارسة شعائرها .

ولا شك أن نظم التعليم في البلاد غير الإسلامية لا تلتزم - وليست في الحقيقة مطالبة بأن تلتزم - الأصول الإسلامية في التربية والتعليم - وعلى هذا الأساس فالطفل والصبي المسلم لابد وأن يستقبل في مراحل تعليمه الابتدائي والثانوي نظريات لا تتفق مع الأصول الإسلامية مثل نظرية النشوء والارتقاء المعروفة بنظرية داروين والتي تقوم على تطور الإنسان عبر آلاف السنين من كائن أدنى ليصل إلى الخلقة التي سواها الله والتي نراها أمامنا وعرفها التاريخ منذ ظهوره ، وكذلك النظرية الماركسية في تفسير التاريخ تفسيرا ماديا لا مجال فيه لذكر دور الأديان ورسالات السماء ، ولابد أن يستقبل الطفل أو الصبي أيضا نظرية (فرويد) في علم النفس باعتباره من عمالة علم النفس وهذه النظرية تزعم أنها تحلل دوافع الإنسان في حركة حياته وسلوكه بغرائزه الدنيا ورغباته المكبوتة ، كل ذلك لابد أن يستقبله المسلم الصغير وهو في باكورة حياته ويظل تأثير تلك الثقافة في فكره دائما وقد لا يستطيع أن يتصدى لنقد هذا الفكر أبدا بعد ذلك .

لقد شاهدت حلا من الحلول التي لجأ إليها المسلمون في بعض المجتمعات كالمجتمع الأمريكي - مدارس إسلامية قامت بها جمعيات عديدة (في فيلادلفيا على سبيل المثال) وهي تتولى تعليم الأطفال والصبية مبادئ الإسلام وكثيرا من معارفه الأساسية وقد رأيت بنفسني التزام هؤلاء الأطفال والذين يتولون تربيتهم لكننا نجد المشكلة في أمرين :

١ - الوقت اللازم للتعليم إذ يتردد هؤلاء الأطفال على المدرسة في أيام العطلات فقط وفي أيام الأسبوع الأخرى يكون انتظامهم في المدارس الحكومية .

٢ - الحاجة التي تدفع إلى وجوب الحصول على مؤهل دراسي نظامي لإمكان الحصول على عمل أو مستقبل وهي مسألة في غاية الأهمية ويجب التركيز على أهميتها حتى لا يصبح المواطن المسلم أقل شأنًا من غيره مما يؤثر في قدرة الأقلية الإسلامية اجتماعيا - وسياسيا فيما بعد .

ويمكن معالجة هذين الأمرين بمد يد المساعدة إلى تلك المدارس بعد التحقق من جديتها

ومراجعة نتائجها - وذلك بإمدادها بالمال والمدرسين ومحاولة جعلها تقوم على نظام الدورات في الإجازة السنوية وتفضيل من يتعلمون فيها في ميادين العمل والدراسة بالبلاد العربية .

ثانيا - مشكلة الاختلاط :

جميع بلاد العالم غير الإسلامي نزعاً للتحرر من الأحكام الخلقية فيما يتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة وتحاول كثير من الأفكار المنحرفة تأصيل ذلك حتى وصل الأمر إلى محاولة القول بأن ذلك هو من أنواع المجريات فيما يسمى بالحرية الجنسية .

وفي ظل هذا التفكير العام تبدو مشكلة المسلم الاجتماعية - إذا أراد الحفاظ على تفكيره سليماً وعلى قيمه التي يريد نقلها إلى أبنائه وبناته مشكلة جسيمة - وذلك أنه لا يمكن عملاً فصل الأقلية المسلمة عن غيرها في ميادين التعليم والعمل والتجارة وسائر أنشطة الحياة وبذلك يضطر أبناء الأقليات المسلمة إلى الاندماج في مجتمعاتهم غير الإسلامية من حيث الزي والعادات الاجتماعية ، وفي كثير من المجتمعات لا سيما في أوروبا لا يكاد يتميز أبناء المسلمين عن غيرهم إلا داخل نطاق الجمعيات الإسلامية والتي تتخذ في بعض الأحيان إذا لم تجد الإشراف الكافي والسليم شكل النوادي الاجتماعية .

وبالنسبة لهذه المشكلة فإنه ينبغي معالجتها بحذر ولا يمكن أن نقول بوجوب انفصال الرجل عن المرأة في المجتمع وذلك ضرورة لها أكثر من نفع . كما أن محاولة ربط الدين بهذه المشكلة ربطاً محكماً يؤدي إلى بث اليأس في النفوس ، لقد جربت ذلك بنفسى في بعض اللقاءات والأحاديث مع كثير من الأقليات الإسلامية لا سيما في أوساط الشباب ، إن العلاج الذي يؤدي إلى نتيجة ، هو جعل مسألة (الزي) بالنسبة للمسلمة مسألة هامة جداً لكي تتميز عن غيرها ولكي تمتاز أيضاً عن غيرها والارتباط بالزي بالنسبة للفتاة بالذات سيكون بداية للالتزامها في مسألة الاختلاط ذلك أنه لا يمكن بحث مسألة حق المرأة في العمل أو الدراسة أو نحو ذلك من سائر أنشطة الحياة في هذه المجتمعات ، لقد تبين لي أن مسألة الزي بالنسبة للفتاة مسألة هامة تؤثر في سلوكها وتفكيرها بعد ذلك وتحميها من كثير من مهاوى الرذيلة وتقل حدة مشكلة الاختلاط إذا انتشر الزي الإسلامي بين نساء الأقليات الإسلامية (ونقصد به الزي الذي يحقق أحكام الشرع وليس زياً معيناً بالطبع) .

ويمكن مساعدة الجمعيات الإسلامية في الخارج على الاهتمام بهذه المسألة وتقديم كافة التسهيلات لها في نشرها والدعوة إليها باعتبارها فكرة عملية للحد من آثار الاختلاط غير المحكوم والذي يذوب فيه شباب المسلمين باعتبارهم في (مظهرهم وأزيائهم) صورة من الشباب في هذا المجتمع .

ثالثا - مشكلة الإعلام :

إن مشكلة الإعلام تبدو مثل مشكلة التعليم فهما وجهان لعملة واحدة هي حياة المجتمع الفكرية في البلاد غير الإسلامية ، ولا شك أن أجهزة الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية تشكل جانبا كبيرا من فكر المواطن في تلك البلاد وتضع في عقله ليس فقط المفاهيم المطلوبة (قومية) ولكن المفاهيم التي تقوم على وضعها فئات من (المجرمين) لنشر الفساد عمدا تحقيقا لكسب مادي أو سياسي ، ولا يمكن بطبيعة الحال التصدي لأجهزة إعلام قوية وقادرة داخل بلادها - بل وخارجها أيضا - وهنا يكون العلاج في محاولة تحصين شخصية المستمع المسلم (بوسائل مضادة وحتى نقدم فكرة عملية إزاء هذه المشكلة نكتفي بوضع بعض الاقتراحات التي يمكن تطبيقها وتقبل التطوير والتعديل) :

١ - إرسال آلاف النسخ - على الأقل - من المجلات الإسلامية التي تصدر عن هيئات الدعوة القومية كرابطة العالم الإسلامي إلى الجمعيات الإسلامية في بلاد الأقليات الإسلامية .

٢ - التفكير في إصدار مجلة كاملة رفيعة المستوى ذات حجم مناسب وتتضمن موضوعات مختارة في الدين والفكر الإسلامي - باللغات الحية ولو مرة كل ثلاثة أشهر بإحدى اللغات الحية الإنجليزية - الفرنسية - الألمانية - الإسبانية .

٣ - إرسال مجموعة ضخمة من أشرطة الكاسيت التي تنتجها البلاد الإسلامية وتوسيع مجال الثقافة الإسلامية التي تصدر بهدف ، بهذه الوسيلة (السيرة - السنة - التاريخ الإسلامي - فتاوى إسلامية) وغيرها من موضوعات الفكر الإسلامي عموما . وكذلك إرسال أفلام مختارة من بلاد إسلامية إلى الجمعيات الإسلامية لعرضها على أبناء المسلمين لإحداث التوازن ولو بقدر محدود بين ما يسود - هذه البلاد من إعلام ثقافي وبين ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه وتراثه الفكري .

٤ - تكثيف الزيارات الميدانية للأقليات المسلمة واختيار أوقاتها في المناسبات الدينية المختلفة ووضع هدف للزيارة يتضمن الاتصال الثقافي بواسطة الوسائل سالفة الذكر وزيادة تعريف هذه الأقليات بالبلاد الإسلامية - لا سيما البلاد العربية . والواقع أن هذه المقترحات وغيرها ينبغي أن تكون ضمن خطة واضحة ومدرسة تنفذ على مدى سنوات طويلة يمكن بعدها أن نقول : إننا نؤدي بعض الواجب نحو إخوة لنا في الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها .

خاتمة

حاولنا في البحث أن ننهج منهجا عمليا بتقديم ما يتداول فكرة الأقليات الإسلامية وتحديد مضمونها ثم أوردنا بعض الإحصاءات التي نشرت والتي تختلف فيها التقديرات الصادرة من مصادر مختلفة عن الأقليات الإسلامية في العالم ودلالة هذا الاختلاف . وكذلك نبذة عن الاهتمام الدولي بمشكلة الأقليات الإسلامية والذي يصدر عن هيئات إسلامية لها نشاط دولي في هذا المجال .

واخترنا من المشكلات التي تواجه الأقليات الإسلامية ، المشكلة الثقافية وهي تتعلق بالتكوين الفكري داخل المجتمع غير المسلم وسبب اختلافه عن التكوين الفكري للمسلم داخل مجتمع مسلم . وقدمنا اقتراحات محددة بشأن اللغة العربية بالذات وضرورة العمل على نشرها بين الأقليات الإسلامية في البلاد غير الإسلامية حتى تتوازن الثقافة الإسلامية مع الثقافة القومية أو الوطنية في تلك المجتمعات .

واخترنا من المشكلات الاجتماعية مشكلات التعليم والاختلاط والإعلام وهي مشكلات معيشية تواجه المسلم لا سيما الأجيال الناشئة منهم ومن الطبيعي أن يكون العلاج بمحاولة تحصين المسلم في هذا المجتمع عن طريق إجراءات معينة لا تتدخل بالطبع في سياسة التعليم أو الإعلام في المجتمع غير الإسلامي أو تدعو إلى تغيير عاداته الاجتماعية - كما في الاختلاط بين الرجال والنساء مثلا - وإنما باتخاذ وسائل محددة تعتبر مقبولة اجتماعيا داخل كل المجتمعات غير الإسلامية ، ويمكن أن تؤدي إلى نتائجها دون إثارة أية مشاكل سياسية أو - اجتماعية بالنسبة للأقلية المسلمة التي تحرص على نموها المستمر حتى تأخذ دورها في كل البلاد وتستطيع أن تؤدي واجب الدعوة إلى الإسلام لغيرها حتى تضمن هي تقدمها واستمرارها حافظة لذاتيتها الإسلامية .

والله ولي التوفيق .

الهوامش والمراجع

- (١) دكتور أحمد علي إسماعيل : القوى البشرية في العالم الإسلامي بحث مقدم إلى الملتقى الفكري الإسلامي ج.م.ع سنة ١٩٨١ م .
- (٢) دكتور محمود طه أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامي - دار المعارف ، القاهرة ، ص ٥٤ .
- (٣) دكتور بهي مهران : العالم الإسلامي المعاصر ، سنة ١٩٧١ م .
- (٤) دكتور أحمد علي إسماعيل : بحث سبق ذكره .
- (٥) دكتور عبد الرحمن زكي : المسلمون في العالم اليوم ، ج ٤ ، آسيا الإسلامية ، القاهرة ، ص ٥٩ ، ٦٩ .
- (٦) دكتور مجاهد مصطفى بهجت : دراسات إسلامية وعربية ، العدد الثاني ، بغداد ، سنة ١٩٨٢ م .
- (٧) عباس محمود العقاد : في مقالة ، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب .
- (٨) فلا يخفى أن بلاد أوروبا ترجع ثقافتها في الكثير منها إلى الثقافة الإغريقية أو الرومانية وكلاهما ثقافة قديمة وأصيلية ، ويمكن أن تترسخ أصولها المخالفة للإسلام عبر أجيال عديدة في هذه الأقليات .
- (٩) دكتور السيد يعقوب بكر : دراسات في فقه اللغة العربية ، ص ١٨ ، ص ١٩ .
- أحمد حامد : هكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة ، مكتبة الهلال ، لبنان .
- دراسات وأبحاث وإحصاءات ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة .

**أثر الثقافة السوفيتية على
الأقلية المسلمة بالاتحاد السوفيتي
دراسة حالة**

**الدكتور عبدالرحمن عبدالرحمن النقيب
جامعة المنصورة — جمهورية مصر العربية**

تأثير الثقافة السوفيتية على الأقلية المسلمة بالاتحاد السوفيتي

د. عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب

ملخص البحث

يتناول البحث بالتحليل القوى التربوية المختلفة التي استخدمها الحزب الشيوعي منذ قيامه وحتى الآن للتأثير على الثقافة الإسلامية للأقلية المسلمة بالاتحاد السوفيتي . كما يعالج الأساليب التي لجأت إليها الحكومة الشيوعية من خلال أجهزتها المختلفة لفرض فكرها وثقافتها ولغتها على الأقلية المسلمة هناك ، بغرض تدمير العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة ، واقتلاع الأجيال المسلمة وترسيبها إلى أعماق المجتمع ، وتوضيح الدراسة كيف تعاونت كل هذه القوى والعوامل التربوية على نشر الثقافة السوفيتية وتنمية الأيدولوجية الشيوعية باستمرار لدى الصغار والكبار بصورة تهدد بقاء الثقافة الإسلامية للأقلية المسلمة ، ثم تختتم الدراسة بعرض بعض المقترحات والتوصيات العلمية لمواجهة هذا الموقف .

أثر الثقافة السوفيتية على الأقلية المسلمة بالإنحد السوفيتي دراسة حالة

مقدمة الدراسة :

لقد تناول ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) ظاهرة أثر الثقافة الغالبة على الشعوب المغلوبة ، وولع المغلوب بتقليد الغالب في فصلين من مقدمته ، تحت عنوان : (فصل في أن المغلوب مولع دائماً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده) . وفصل في أن الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء^(١) . ويحتوى الفصلان على معالجة ممتعة لتلك الظاهرة بأسلوب العالم الاجتماعي ، ولعل ابن خلدون لم يدر بخلده خطورة (القوى التربوية) التي يمكن أن يستخدمها الغالب بوعي وذكاء لتحقيق هذا الهدف ، ولقد تطورت هذه القوى التربوية في عصرنا الحديث تطورا هائلا واستعانت بالمنهجية العلمية التجريبية بحيث غدت قادرة - إلى حد كبير - على إحداث تغييرات نوعية في شخصية الإنسان . يقول : J. Gardener (إن المنهجية العلمية التجريبية تخرج الآن من فلك دراسة الطبيعة والتحكم فيها والتأثير عليها إلى فلك الإنسان ، فتتحرك في الغرب لتكوين الإنسان الإبداعي ، وتتحرك في الشرق السوفيتي لتكوين الإنسان الجماعي ، وتتحرك في الشرق الصيني لتكوين الإنسان الإيثاري ، وهي تستخدم في هذه التحركات جميع مستجدات التكنولوجيا الطبيعية والنفسية لإحداث تغييرات نوعية في السلوك الإنساني)^(٢) .

وإذا كان الإسلام قد دخل بلاد القوقاز بروسيا منذ عهد عمر بن الخطاب وانتشر في التركستان انتشارا كبيرا منذ عهد الأمويين ، وقدم لنا أعلاما كبارا مثل البخاري والترمذي والنسائي في عالم الحديث ، والزمخشري والنسفي من شيوخ التفسير ، وعبد القادر الجرجاني وسعد الدين التفتازاني ويوسف السكاكي من أئمة التأليف في البلاغة وإعجاز القرآن والفارابي وابن سينا من قادة الفكر الفلسفي ، وأبو زيد البلخي ، وبنو موسى بن شاكر : محمد وأحمد والحسن من علماء الجبر والهندسة والحساب ، وأبو ربحان البيروني المؤلف الكبير في الملل والنحل ، وشمس الدين السرخسي صاحب المبسوط أعظم كتب الفقه في مذهب الأحناف ، والجوهري صاحب الصحاح في علم اللغة وغيرهم كثيرون^(٣) . وإذا كان المسلمون في الاتحاد السوفيتي يقدرّون بحوالي (ستين مليوناً ، وهم يمثلون ٢٥٪ من مجموع

السكان البالغ عددهم حسب إحصاء عام ١٩٧٠ (٢٤١) مليون نسمة^(٤) ، وهي نسبة كبيرة من التعداد العام لسكان روسيا ، ويتزايد المسلمون في الاتحاد السوفيتي بنسبة أعلى من نسبة تزايد السكان^(٥) . مما يجعل السلطات الروسية لا تعطي إحصاءات دقيقة عن أعدادهم الحقيقية^(٦) .

وإذا كانت الجمهوريات الإسلامية بروسيا الحالية وفيرة الخبرات ، بحيث إن معظم ما تستخرجه روسيا من بترول يؤخذ من جمهورية أذربيجان الإسلامية ، فضلا عما هو موجود في تركستان من ثروات معدنية . ففي الجمهورية الأخيرة (٢٥) منجمًا للذهب ، (١٦) للفضة ، (٤٦) للحديد ، (٣٢) للرصاص و (٢٤) للبترول ، (٧٠) للنفط ، (١٣) للكبريت ، (٦٣) للصدويم .

هذا عدا الأورانيوم والغرام والزئبق والنحاس والقصدير والبلاطين ، وتوجد من المعادن الأخيرة مقادير كبيرة^(٧) . وقس على ذلك معظم الجمهوريات الإسلامية بروسيا ، بحيث إذا تصورنا روسيا بغير هذه الجمهوريات ، لهبطت ثروتها وقوتها حتى إنها لتمسي في مستوى دولة من الدرجة الثالثة بين دول العالم^(٨) .

إذا كان هذا هو الماضي البعيد لدخول الإسلام بلاد روسيا الحالية . وهذا هو واقع المسلمين بها من حيث كثرة العدد ووفرة الخيرات ، فكيف استطاع الحكم الشيوعي بأساليبه التربوية المختلفة أن يحجب هذه الأعداد الهائلة عن حقائق الإسلام ؟

حدود الدراسة :

هذه الدراسة على مناقشة الأساليب التربوية المختلفة التي لجأ إليها النظام **نقتصر** الشيوعي لمواجهة الثقافة الإسلامية كأيدولوجية معادية للماركسية ، ومن ثم فلن نتعرض للدراسة لما أصاب المسلمين من اجتياح عسكري لأراضيهم في أذربيجان وقازكستان وأزبكستان وتركستان وغيرها ، ولا كيف استولى الروس على تلك المناطق الإسلامية وقاموا بتشريد شعوبها إلى أماكن نائية ، وكيف قام كل من لينين وستالين بحملات قتل جماعية وتصفيات جسدية للطبقة القائدة الوطنية ولعلماء الدين المسلمين بوصفهم أعداء للثورة وجواسيس لليابان أو لألمانيا الهتلرية^(٩) . وكيف فرضت الهجرة الإلجبارية على المسلمين إلى مجاهل سيبيريا لأقل الأسباب ونقل الروس إلى أراضيهم حتى يقللوا نسبة المسلمين في المنطقة^(١٠) ، وتفقرهم وتشدد قبضتها عليهم من خلال الروس الجدد ثم تدعي أن تلك المناطق روسية خصوصًا إذا كانت أراضي خصبة أو ذات موقع ممتاز إلى غير ذلك من أساليب الاضطهاد والقتل الجماعي والظلم السياسي والاقتصادي

الذي تعرض له المسلمون في ظل الحكم الشيوعي ، وما زالوا يتعرضون له في أوقات كثيرة حتى اليوم^(١١) . ورغم أن دراسة مثل هذه الأوضاع السياسية والاقتصادية للمسلمين في ظل الحكم الشيوعي تعتبر موضوعا هاما وحيويا ، إلا أن الدراسة الحالية ستركز فقط على الأساليب الثقافية أو التربوية التي اتبعتها الحكم الشيوعي لسفينة الأقلية المسلمة .

تعريف المصطلحات :

تستعمل الثقافة بمعان مختلفة ، فهي قد تعنى مستوى عاليا للامتياز العقلي والفني في شخص أو مجموعة ، ومن ذلك تعريف ماثيو أرنولد Mathew Arnold في كتابه Culture and anarchy فإنها : (دراسة الكمال ، أو ثقافة المتعلمين تعليما عاليا أو الجزء ذو الثقافة الخاصة من المجتمع ولكنها ليست ثقافة المجتمع كله)^(١٢) . بينما يختار علماء دراسة ثقافات الإنسان (الانثروبولوجي) وعلماء الاجتماع معنى أكثر شمولاً ، إذ تعني لديهم : (كل ما صنعه أي شعب أو أمة من نظم وحياة اجتماعية وأدوات ومصنوعات وأفكار)^(١٣) . يقول كليترت Kilpatrick : (والثقافة هي كل ما صنعتته يد الإنسان وعقله من أشياء ومن مظاهر في البيئة الاجتماعية ، أي كل ما اخترعه الإنسان أو اكتشفه وكان له دور في العملية الاجتماعية)^(١٤) ويعرفها كلكهون C. Kluckhohn بأنها : (وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ السافر منها والمتضمن ، العقلي واللاعقلي ، التي توجد في وقت معين ، والتي تكون وسائل إرشاد توجه سلوك الأفراد في المجتمع)^(١٥) . والدراسة الحالية تقوم على أن هناك ثقافة سوفيتية غالبية تتمثل في ذلك (النسيج المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير والعمل وأنماط السلوك)^(١٦) ، التي تبنها الحزب الشيوعي منذ قيامه بالثورة حتى الآن . يقابل تلك الثقافة الغالبة ثقافة مغلوقة للأقلية المسلمة تتمثل في الثقافة الإسلامية الخاصة بها والتي تختلف عن الثقافة الشيوعية اختلافات جوهرية .

وتشمل الأقلية المسلمة هنا سكان الجمهوريات الإسلامية الست ذات الأغلبية المسلمة وهي : أذربيجان وأوزبكستان وتركمانيا وكازاخستان وقرغيزيا ، بالإضافة إلى المسلمين الذين يقيمون في تاتاريا وباشكيريا وموردوف وماري وجوقاش والقرم وأرمينية وجورجيا وأوكرانيا وموسكو وغيرها^(١٧) . ورغم أن بعض هؤلاء المسلمين قد انسلخ عن ثقافة الإسلام على كره منه ونشأ أبناءهم على الثقافة الشيوعية الماركسية بعد ما لقنوها ، إلا أنهم ماداموا ينتمون إلى الإسلام انتاء ولو بدون عقيدة ، ويفخرون بهذا الانتاء ، وهو ما أبقاهم يحملون الاسم حتى الآن ، فالأمل كبير بعودتهم إلى أصالتهم الإسلامية عندما تسمح لهم الفرصة أو تخف عنهم الرقابة التي يعانون منها^(١٨) ، ومن ثم ينبغي أن يدخل هؤلاء جميعا في عداد الأقلية المسلمة بالاتحاد السوفيتي ، عند دراسة أحوال هذه الأقلية هناك .

أهمية الدراسة :

أهمية هذه الدراسة من أنها سوف تناقش الأساليب التربوية التي لجأت إليها **لاتاتني** الحكومية الشيوعية لفرض فكرها وثقافتها على الأقلية المسلمة هناك بغرض تدمير العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة واقتلاع الأجيال المسلمة من أصولها التاريخية والعقائدية والجغرافية وسفينة الأجيال المسلمة وترسيبها إلى أعماق المجتمع السوفيتي ، ومناقشة مدى نجاح هذه الأساليب في تحقيق تلك الغاية مع اقتراح بعض الأفكار العملية لمواجهة هذا المخطط المنظم . ويمكن أن تخدم الدراسة أيضا في فهم ديناميكيات تلك القوى التربوية بحيث يمكن استخدامها داخل دول العالم الإسلامي بذكاء وفاعلية لتكون في خدمة الإسلام والأيدولوجية الإسلامية بدلا من أن تكون أداة من أدوات الاغتراب الثقافي كما يحدث داخل عالمنا الإسلامي نفسه^(١٩) .

المسلمون في ظل الحكم الشيوعي :

لقد استطاع لينين من خلال الخلايا السرية المنتشرة للحزب الشيوعي في روسيا من القيام بالثورة البلشفية والاستيلاء على السلطة . ولم يمض شهر واحد على ذلك ، وعلى وجه التحديد في ٧ ديسمبر سنة ١٩١٧ ، حتى أصدر مجلس كوميسيري الشعب البلشفي نداء له مغزاه موجها إلى المسلمين في روسيا وكان من بين من وقعه لينين وستالين جاء فيه : (أيها المسلمون في روسيا .. أيها التتر على شواطئ الفولجا وفي القرم .. أيها الكرغيز والسارتيون في سيبيريا وتركستان .. أيها التتر والأتراك في القوقاز .. أيها التشيشيين .. أيها الجبليون في أنحاء القوقاز . أنتم يا من انتهكت حرمان مساجدكم وقبوركم واعتدي على عقائدكم وعاداتكم وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم : ستكون حرية عقائدكم مكفولة ، ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم ، لا يطغى عليها طاغ ، ولا يعتدي عليها معتد .. هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم فأنتم أحرار لا تحول بينكم وبين ما تشتهون حائل .. إن ذلك من حقكم إن كنتم فاعلين ، واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن حقوق سائر أفراد الشعب الروسي تحميها الثورة بكل ما أوتيت من عزم وقوة ، وبكل ما يتوفر لها من وسائل : جند أشداء ومجالس للعمال ومندوبين عن الفلاحين ، وإذن فشدوا أزر هذه الثورة وخذلوا بساعد حكومتها الشرعية)^(٢٠) .

ولما كان المسلمون قد ذاقوا الكثير من ألوان الظلم في عصر القياصرة ، فقد انعقدت آمالهم على إقامة دولة إسلامية ذات استقلال ذاتي في ظل الحكم الجديد^(٢١) . وتظاهر البلاشفة بتعاطفهم مع تلك الأماني الوطنية والدينية كيما يوطدوا سلطتهم في البلاد .. حتى

إذا مات لهم ذلك ، ظهر الوجه الحقيقي للحكم الشيوعي المعادي للإسلام . في إبريل ١٩١٨ أصدر لينين أمرا بالزحف على البلاد الإسلامية دون سابق إنذار ، وأخذت الدبابات والطائرات تحصد المدن حصدا ، وكانت الجيوش الروسية مدربة تدريباً حسناً ومزودة بأحدث الأسلحة بينما المسلمون أقل عدة وعتادا^(٢٢) ، ولم تمتد يد إسلامية واحدة لمساعدتهم عسكرياً ، فتساقطت مدنتهم وبلادهم في أيدي الغزاة الروس بعد كفاح مرير وبطولات واستشهاد . ومنذ هذا التاريخ بدأ تنفيذ مخطط سفيته هذه الشعوب المسلمة .

مخطط سفيته الشعوب الإسلامية :

لقد كان أمراً منطقياً أن يقف الحكم الشيوعي موقفاً معادياً للإسلام والمسلمين داخل روسيا ، إذ إن الإسلام والشيوعية مذهبان متناقضان لا يمكن التعايش بينهما ، وثقافتان مختلفتان في نظرتهما إلى الكون والإنسان والمجتمع . لذلك قرر الروس أن يقضوا على تلك الثقافة الإسلامية بكل مقوماتها المادية والمعنوية . فالمناطق الإسلامية لا بد أن تغير طبيعتها ويحول تاريخها كله من مجرى إلى مجرى ، لذلك صدرت الأوامر بتهجير المسلمين من مناطقهم إلى براري سيبيريا وأواسط آسيا ، واستقدمت الألوف المؤلفة من الروس والسلاف والأكران وشحنت بهم أذربيجان وتركستان والقرم حتى تضيع هويتها الإسلامية^(٢٣) . وبدلاً من إقامة دولة إسلامية ذات استقلال ذاتي كما سبق أن وعد المسلمون ، أقيمت عدة جمهوريات إسلامية روعي في قيامها عدم التجانس القومي واللغوي . وإخفاء اللغات الإسلامية الأم لتحل محلها لغات مستحدثة تكتب بالحروف الروسية بدلاً من الحروف العربية^(٢٤) . من ذلك مثلاً : إقامة جمهورية بشكيرية في بلاد لا يوجد بها من البشكيرين إلا ٢٥٪ من مجموع السكان ، وخلق لغة بشكيرية وضع العلماء الروس مبادئها سنة ١٩٢٣ على أسس لهجة تترية قديمة بدلاً من استخدام اللغة التترية ذات الأبجدية العربية وفي سنة ١٩٣٠ اعترف لداغستان بإحدى عشرة لغة رسمية فكان من نتيجة إيجاد هذه اللغات الكثيرة أن قضى عليها كلها وحلت اللغة الروسية محلها^(٢٥) وترمي السياسة الروسية من وراء ذلك إلى تحقيق غايتين :

الغاية الأولى :

تقوية هذه اللغات القومية المتعددة بتزويدها بمصطلحات وكلمات جديدة روسية بحيث يزداد الأثر السوفيتي فيها مع الزمن ، وتقطع صلتها بلغتها الأم ، خصوصاً وأن هذه المصطلحات الجديدة تحتفظ بصورتها الأصلية وتجري في نحوها وصرفها مجرى اللغة الروسية . وبذلك تتباعد الصلة بين أصحاب هذه

اللغات المستحدثة وبين أصحاب اللغات الأم الذين يعيشون فيما وراء حدود الاتحاد السوفيتي في تركيا وإيران وأفغانستان . ولقد ازداد أثر اللغة الروسية على تلك اللغات القومية بحيث لا يستطيع المثقف أن يعرف لغته القومية معرفة تامة إذا لم يكن محيطا باللغة الروسية .

الغاية الثانية :

جعل اللغة الروسية لغة قومية ثانية لجميع المسلمين ، آملة أن تصبح على مرور الزمن اللغة الأولى لجميع شعوب روسيا ، تتكلمها كل العناصر المثقفة من كل شعوب الاتحاد السوفيتي . خصوصا وأن اللغة الروسية تدرس في المدارس الابتدائية والثانوية كلغة أولى أو ثانية ، وهي لغة التعليم الوحيدة في أكثر أقسام المدارس العالية . وبذا فإن الشاب المسلم الذي يريد متابعة دراسته العلمية لا بد أن يكون على معرفة كافية باللغة الروسية ، ولا بد له من ذلك أيضا حتى يتسنى له أن يبني مستقبله وينجح في الحياة^(٢٦) .

فإذا قدر لأي فرد أن يفلت من هذا الغزو اللغوي ، أتت فترة الخدمة في القوات المسلحة لتكون آخر وسيلة لترويسه لغويا . فمنذ الثلاثينات لا يوجد في الاتحاد السوفيتي وحدة عسكرية قائمة على أساس المنطقة أو القومية بل يوزع الجنود والضباط على الوحدات النظامية في الجيش فيغرقون في وسط روسي . والخدمة العسكرية بالنسبة إلى بعض الشباب ولا سيما الريفيين منهم قد تكون هي أول مرحلة تصلهم مباشرة بالقومية الروسية ، وهي أيضا الفرصة الوحيدة لبعضهم لكي يتعلموا اللغة الروسية التي كانوا يجهلونها^(٢٧) .

ولم يكتف النظام الجديد بهذا التفتيت السياسي والقومي واللغوي للمسلمين ، وهذا الترويس شبه الإجباري بل عمد إلى هدم جميع المؤسسات الإسلامية التي يمكن أن تساهم في المحافظة على الشخصية الإسلامية وثقافتها الخاصة بها ، ومن أهم تلك المؤسسات : الأوقاف الإسلامية ، والمحاكم الشرعية ، والمدارس والمعاهد الإسلامية ، فقد قامت السلطات بمصادرة جميع الأراضي المملوكة للأوقاف على أنه قوة مادية في يد رجال الدين ، وكانت هذه الأوقاف قد بلغت من الغنى والسعة بحيث وصلت إلى ٥٠٪ من مساحة الأرض في القرم والقفقاس وآسيا الوسطى ، فضلا عن الطواحين والحمامات والأسواق والحانات والفنادق وكل عقار أو ملك يمكن وقفه واستثماره ولقد ظلت هذه الأوقاف عبر العصور مصدرا ثابتا للإنفاق على المستشفيات والمدارس ودور العجزة ومساعدة الفقراء والمحتاجين من المسلمين .

و لم تمض بضع سنوات من قيام الحكم الشيوعي حتى تم القضاء نهائيا على هذه المؤسسة الإسلامية ، وبذلك حرم رجال الدين من أسباب رزقهم ، كما حرمت المدارس الإسلامية من

الوسائل المادية لدوام بقائها ، فكان أن قل عدد المدارس والمساجد ورجال الدين قلة ملحوظة . إذ هبط عدد المساجد من ٢٦٢٧٩ر ٢٦ مسجدا يقوم عليها ٤٥٣٣٩ رجلا من رجال الدين بين واعظ وإمام ومؤذن إلى ١٣١٢ مسجدا يقوم عليها ٨٠٥٢ رجلا ، وذلك خلال سنوات قليلة من قيام النظام الشيوعي^(٢٨) .

كذلك صدر مرسوم في ٣١ ديسمبر ١٩١٧ خاص بالأحوال الشخصية يقضى بإحلال التوثيق المدني للزواج محل التوثيق الديني ، ويقضى بإعدام أي أثر قانوني للعلاقة بين الزوجين أو بين الآباء والأبناء إذا اكفى الزوجان بالتوثيق الشرعي لعقد الزواج ، ثم ألغيت المحاكم الشرعية نهائيا لأنها تعطي المسلمين سلطة على حياتهم اليومية وتقوى كياناتهم كمسلمين^(٢٩) . كذلك وجهت ضربة قاضية إلى مؤسسات التعليم الديني الذي هو أساس حياة المسلمين وبقائهم وبعد أن كان بتركستان وحدها ٧٢٩٠ مدرسة ابتدائية إسلامية يرتادها أكثر من ٧٠٠٠٠ تلميذ ، و ٣٧٥ مدرسة ثانوية يرتادها ٩٠٠٠٠ طالبا ، صدر مرسوم ٢٣ كانون الثاني ١٩١٨ بشأن حرية ضمير المجتمعات الدينية ، وتمنع المادة التاسعة منه التعليم الديني في المدارس . ولم يأت عام ١٩٢٨ إلا وقد صفيت تلك المدارس تماما ، وأُخلى المجال للتعليم العام الروسي الماركسي التوجيه ، ومنذ تلك اللحظة لم يعد التعليم الديني - إذا كان هناك تعليم ديني - يعطى للأطفال الذين هم في سن المدرسة إلا سرا .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل تدخلت السلطة لمنع المسلمين من إقامة شعائر دينهم مخالفة بذلك أبسط حقوق الإنسان إذ منعت فرضين من فروض الإسلام الخمسة وهما الحج إلى مكة المكرمة حتى لا يتصل المسلمون الروس بإخوانهم خارج البلاد ، وفرض أداء الزكاة حتى لا يتحول إلى قوة مالية في يد رجال الدين . وهاجمت الفرض الرابع وهو صيام شهر رمضان على أساس أنه معطل للإنتاج^(٣٠) . وأخيرا شنت حملة منظمة من خلال خلايا الحزب الشيوعي لإغلاق المساجد ، فأغلق أكثرها وتحولت إلى نوادي ودور للسينما وغير ذلك من المؤسسات ذات النفع العام ، وكانت نتيجة هذه الحملة المنظمة اندثار عدد كبير من المساجد ولم يبق سنة ١٩٤٢ من آلاف المساجد التي كانت موجودة بالاتحاد السوفيتي غير ١٣١٢ مسجدا مفتوحا للعبادة كما قالت صحيفة SOVIET War News السوفيتية^(٣١) . ولعل هذه المساجد قد ظلت مفتوحة اسما ، أي أنها لم تهدم لأغراض الدعاية الخارجية ، إذ لا يستطيع أحد أن يصلي فيها بحرية ولا تفتح إلا لزيارة المسلمين الذين يأتون من الخارج .

دور التربية في سفينة الشعوب الإسلامية :

نظرية التربية الماركسية على أساس المبادئ الفلسفية والاجتماعية والسياسية
تقوم للماركسية ونقطة الإنطلاق في هذه الفلسفة هي النظرة المادية إلى

الكون والإنسان والمجتمع^(٣٢) ، وإقصاء الدين جانبا لأنه يتعارض مع تلك الفلسفة المادية الملحدة **Materialistic** . وتطور الإنسان في المنظور الشيوعي لا تحدده العوامل الوراثية كما يدعي مفكرو البرجوازية ، بل يتوقف على البيئة والظروف وتقسيم العمل^(٣٣) . ولذلك فإن التربية قادرة بوسائلها المختلفة على خلق الإنسان الجديد ذي المفاهيم والاتجاهات والعادات الاشتراكية . ولقد اعتمد مفكرو التربية السوفيت في خلق هذا الإنسان الجديد على سيطرة الدولة والحزب سيطرة كاملة على شئون التربية ، وهي سيطرة ليس لها نظير في العالم كله إذ تمتد إلى كل صغيرة وكبيرة تتصل بالعمل المدرسي من حيث المناهج وطرق التدريس والأنشطة المدرسية ، بل وطريقة وقوف الطلاب لأساتذتهم وطريقة تحييتهم لهم برفع غطاء الرأس ثم إعادته ، فضلا عن الزي المدرسي وطريقة ارتدائه .. الخ^(٣٤) .

ولكى تضمن السلطات السوفيتية فرض سيطرتها الكاملة على شئون التعلم فإنها تضع ممثلا للحزب الشيوعي في كل وحدة تعليمية صغيرة كانت أم كبيرة للتأكد من أن سياسة الدولة وسياسة الحزب تنفذان بكل دقة ، ويكلف هؤلاء الممثلون بالتأكد من أن الفلسفة الشيوعية تسود البرامج والتنظيمات المختلفة . كذلك يقوم البوليس السياسي بدور كبير في هذا المجال ليتأكد من ولاء المشتغلين بالإدارة التعليمية والمدرسية وكل المدرسين والتلاميذ وغيرهم ممن يتصل بالتعليم كبيرا كان أم صغيرا للنظام الشيوعي^(٣٥) ، يضاف إلى ذلك جعل برنامج المدارس في الاتحاد السوفيتي برنامجا موحدًا في جميع أنحاء البلاد كذلك الكتب المقررة ، بأن تحتذي كل جمهوريات الاتحاد حذو الجمهورية الروسية الاشتراكية الاتحادية فيما تقررها من برامج وما تختارها من كتب ، حيث تترجم هذه الكتب والبرامج إلى اللغات المحلية بكل جمهورية^(٣٦) .

ولقد حرصت الدولة أو الحزب الشيوعي على التشكيل الأيدولوجي للأطفال منذ الصغر - ومنهم المسلمون - بحيث وقعوا تحت تأثيرها المباشر في الحضانة **Nursery School** ورياض الأطفال **Kindergarten** وخلال مرحلة التعليم الإلزامي والذي يمتد من السابعة إلى السابعة عشر شاملا المرحلة الابتدائية **Primary School** والمرحلة الثانوية **Secondary School** ثم ما يتلو ذلك من مراحل التعليم المختلفة . فإذا تصورنا أن مدرسة الحضانة تقبل الأطفال بعد شهور من مولدهم مباشرة ، ويستمر بها حتى سن الثالثة أو الرابعة ، وأن رياض الأطفال تقبل أطفالها في سن الثالثة أو الرابعة وحتى سن السادسة أو السابعة حيث يبدأ التعليم الإلزامي الموحد ، حيث لا يسمح بأي نوع من أنواع التعليم الأهلي أو الخاص^(٣٧) ، وإذا تذكرنا أيضا أن حوالي ٤٨٪ من عدد النساء اللاتي هن في سن العمل يمارسن عملا خارج المنزل ، لأدركنا كيف تزداد الحاجة إلى ترك الأطفال في دور الحضانة ورياض الأطفال^(٣٨) مما أعطى الدولة الفرصة الكافية لفرض فكرها وفلسفتها على الأفراد منذ مرحلة

الميلاد . ولقد اعتبرت الماركسية اللينينية ، الأساس النظرى التي تقوم عليه كل العلوم والمعارف ، ومن ثم فهي (علم العلوم) أي العلم الذي يفسر كل العلوم الأخرى ، والذي في ضوئه يكون للتاريخ والجغرافيا والأدب واللغة والرياضيات والعلوم وغيرها معنى ، وبدونه تكون هذه العلوم وسيلة تسيطر بها البرجوازية على الجماهير الكادحة كما هو الحال في المجتمعات الرأسمالية ويتحول المجتمع من مجتمع مثالي نظيف إلى مجتمع برجوازي استغلالي^(٣٩) وتعرض العلوم والمعارف في شتى المراحل التعليمية عرضا إلهاديا صرفا من حيث المحتوى وطرق التدريس بحيث أصبحت أداة لتمكين الإلهاد في النفوس ، وقد أجرى قسم الإلهاد العلمي في معهد جريتن للتربية استفتاء مع ١٦١٩ شخصا في العام الدراسي ١٩٦٨/٦٧ وكان السؤال الذي وجه إليهم هو أي العلوم في رأيك أكثر عونا على تكوين النظرة الإلهادية لدى الدارسين ؟ وكانت الإجابات كما يلي : علم الفلك ١٣٣١ ، علم الأحياء ١١٤٢ ، علم الاجتماع ٩٨٠ ، علم الكيمياء ٥٠٩ ، علم الطبيعة ٣٢١ ، علم التاريخ ١٦٠ ، علم الأدب ٩٥ ، علم الرياضة ٣٨^(٤٠) . ويقابل هذا التركيز على عرض الفكر الماركسي من خلال التعليم تركيز آخر على الخط من الأديان عامة والإسلام خاصة كتفسير غيبية وأسطورية للكون والحياة . مع نفي الصفة الإلهية عن الإسلام وكتابه المنزل واتخاذ شخصية الرسول ﷺ وسيرته وتاريخ صحابته محورا للحملات الافتراء والتشكيك وعرض التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ المسلمين في روسيا خاصة من وجهة نظر ماركسية ترمي الإسلام بالطبقية وعدم إنصاف الطبقات الكادحة وظلم المرأة^(٤١) ، بحيث يغدو الإسلام وتاريخه من الذكريات المؤسفة في تاريخ البشرية والتي لم تنقذ منها إلا بثورة أكتوبر المجيدة .

ولكي تتأكد السلطة من نجاح عملية التطبيع الماركسي هذه ، فقد أعطت عناية فائقة لما يسمى (بالسلوك) والذي يقاس بمدى تشرب الفرد لقيم الحزب وأفكاره (وتنال درجات السلوك عادة أهمية بالغة في حياة التلميذ تفوق أهمية الدرجات التي يحصل عليها في النواحي الأكاديمية ، إذ قد يعيد العام الدراسي إذا ما فشل في الحصول على درجة مقبولة في السلوك)^(٤٢) وهناك تمثال للطفل السوفيتي المثالي ممثلا في طفل وشي بوالده الذي يعتنق أفكارا مناهضة للحزب الشيوعي^(٤٣) ، فالوشاية حتى بالآباء والأصدقاء والأقربين هي قمة السلوك الاشتراكي الذي تتطلبه الدولة والحزب من أطفالها وطلابها .

ولم تكف الدولة والحزب بما يقوم به التعليم بمراحله المختلفة من عمليات التطبيع الماركسي ، بل أنشأت بجوار ذلك حلقة من المنظمات الشبابية يمارس فيها الطلاب أنشطة متعددة تستهدف تربيتهم اشتراكيا وأيدولوجيا . فهناك منظمة أبناء أكتوبر Octoberists نسبة إلى ثورة أكتوبر ١٩١٧ وتضم الأطفال حتى سن العاشرة أو الحادية عشر (سن المدرسة الابتدائية) ومنظمة الرواد Pioneers وتضم المراهقين من سن ١٠ - ١٥ (سن المرحلة

الأولى من المدرسة الثانوية) ومنظمة الكومسومول Komsomol وتضم المراهقين في سن التعليم الثانوى والعالى سواء كانوا في التعليم أو الزراعة والصناعة قبل التحاقهم بالمنظمة السياسية الأم (الحزب الشيوعي) في سن الثالثة والعشرين ^(٤٤) . ويشجع الطلاب بوسائل عدة للانضمام إلى تلك المنظمات سواء داخل المؤسسات التعليمية أو خارجها حتى أصبح الانضمام إلى منظمتي أكتوبر والرواد عاما يشمل كل أفراد المجتمع في هذا السن ، بينما يبلغ عدد المنضمين إلى منظمة الكومسومول الأكثر انتقائية أكثر من نصف عدد من هم في هذا السن من مجموع السكان ، مع ازدياد نسبة عدد الطلاب داخل تلك المنظمة على غيرهم من غير الطلاب ^(٤٥) . أما أعضاء الحزب الشيوعي فقد بلغ عددهم سبعة ملايين أو ثمانية أعداوا كلهم خير إعداد من خلال المنظمات الشبابية السابقة ، ودربوا على أساليب الإقناع الشفوية التي نظمت تنظيمًا دقيقًا حتى وصلت آثارهم إلى أبعد القرى وإلى حدود الاتحاد السوفيتى النائية ^(٤٦) . ويعمل الحزب من خلال أعضائه (كقوة قيادية وتوجيهية للمجتمع السوفيتى كله وذلك من خلال سيطرته على كل أجهزة الدولة والمنظمات الجماهيرية كالاتحادات التجارية والتعاونيات وكل منظمات الشباب والرياضة والفنانين والكتاب وغيرها من المنظمات ^(٤٧) .

وتركز تلك المنظمات الشبابية الأربع على بث العقيدة الماركسية والازدراء الكامل للإسلام ، بل لقد تضمن ميثاق الحزب الشيوعي صراحة وميثاق الكومسومول وهما أكثر المنظمات فاعلية على النص بأن من واجبات العضو أن يشن حربا لا هوادة فيها ضد جميع مظاهر الأيدولوجية البورجوازية وضد خرافات الدين ^(٤٨) .

ولم تقتصر عملية التطبيع الماركسي على تلك المؤسسات التعليمية المختلفة ومنظمات الشباب المتعددة السابق ذكرها ، بل امتدت هذه العملية لتشمل المطبوعات بجميع أشكالها ومظاهرها المختلفة الكثيرة العدد من جرائد يومية ومجلات دورية ، والكتب ودورها ومخازنها ولا يستثنى من ذلك التقويم غير ذى الشأن الكبير . وتشمل فوق هذا كله الوسائل الجديدة لإيصال المعارف إلى أذهان الجماهير كالإذاعة والتلفزة . ويدخل تحت لوائها جميع الهيئات التي تعمل للتسلية والترويح كدور التمثيل والصور المتحركة وحلبات الألعاب وميادين اللعب والنوادي والمتاحف وقن التصوير والعلوم الطبيعية والمنح الدراسية والفلسفة . يضاف إلى هذا كله النواحي السياسية والثقافية في جميع المنظمات وخاصة ما يتصل منها بالأطفال والشباب ^(٤٩) .

ويطول بنا الحديث لو ذهبنا نستعرض كيف استخدمت هذه الأساليب المختلفة أو حاولنا أن نحلل المواد التي تتضمنها برامج الإذاعة والتلفزيون والمسرحيات والقصص والأدب الروائي الذي يقوم جميعه على أساس إلحادي فلسفي يهدف إلى غرس الإلحاد في النفوس وتنشئة الأجيال

عليه ويكفي أن نذكر هنا أنه في مجال الكلمة المطبوعة فقط فإن هناك الملايين من النسخ لآلاف الكتب التي أصدرها البلاشفة وأغرقوا بها الاتحاد السوفيتي بجوار الصحف والمجلات الإلحادية التي صدرت باللغة الروسية واللغات القومية المختلفة ، واختصت المناطق الإسلامية بعدد كبير منها وكلها تبث الفكر الماركسي وتتناول الإسلام بالتشويه والتزيف والتحريف^(٥٠) ، لقد تعاونت كل هذه القوى التربوية المختلفة واستخدمت بذكاء شديد لنشر الإلحاد يدل على ذلك إحصائية أوردها بابلاكوف عن ٨١٩ شخصا ارتدوا عن أديانهم وكانت الوسائل كالتالي : - المدرسة ٥٥٣٪ ، الدعاية الشفهية ٥٠١٪ ، برامج الإذاعة ٤٩٣٪ ، قراءة الكتب والمجلات ٣٦١٪ ، السينما ٢٧٦٪ ، النشاط الاجتماعي ١٦٩٪ ، الأقرباء الملحدون ١٣٦٪^(٥١) .

وحيث أن الدولة ترصد أكبر ميزانية في العالم حيث تنفق ١٠٪ من مجموع دخلها القومي على مثل هذه الأغراض التربوية والتعليمية^(٥٢) ، فإن قدرتها على تنمية الأيدولوجية الشيوعية باستمرار لدى الصغار والكبار يمكن أن تهدد بقاء الثقافة الإسلامية للأقلية المسلمة تهديدا خطيرا .

الإسلام في مواجهة هذا المخطط السوفيتي :

تري ماذا بقي من إسلام المسلمين في الاتحاد السوفيتي بعد ثمان وستين عاما من العمل المنظم لمحو ثقافتهم الإسلامية ؟ الواقع أن معلوماتنا عن هذا الموضوع تكاد أن تكون نادرة . فليس لدينا من العلماء من تخصص في دراسة هذه الموضوعات ، وأتقن اللغة الروسية ، واللغات القومية الإسلامية ، وتابع الأدب الشيوعي الموجه ضد الإسلام ، ورصد إحصائيا مدى تمسك المسلمين بإسلامهم . وكل ما بين أيدينا هو مجرد إشارات إلى وجود أربعة مراكز روحية رسمية ترعى الشئون الإسلامية هناك^(٥٣) ولكن أنشطة هذه المراكز الرسمية محدودة التأثير وذلك بسبب خضوعها الكامل للسلطة الشيوعية رغبة أو رهبة وربما حكمة وتديبرا حرصا على مجرد البقاء المادي للأقلية المسلمة هناك . كذلك هناك ما يؤكد - وهو أمر طبيعي - أن المسلمين مضيق عليهم في أداء شعائرتهم الدينية وتعليم أولادهم شئون دينهم^(٥٤) . ومع ذلك فقد استطاع الإسلام كما فعل دائما في مثل هذه الظروف الصعبة أن يحتفظ بالكثير من أتباعه . وحتى هؤلاء الذين يبدو أن أشد بعدا عن الإسلام والذين قبلوا طراز الحياة السوفيتية بما في ذلك الإلحاد الرسمي ، فإنهم مازالوا يشعرون بالانتماء إلى الإسلام ولو اسميا . ويذكر دورجينوف Dorjenov وهو قرغيزي مختص بالدعاية ضد الدين - في تحقيق أجراه حول بقاء الإسلام حيا في الأوساط المثقفة في آسيا الوسطى نشره في مجلة موسكوفيت نوكا في شهر

نيسان ١٩٦٧ : (إن مركز الدراسات النفسية التطبيقية أجرى مؤخرا في جامعة قرغيز تحقيقا مع الطلاب حول موقفهم من الدين فأجاب ٥٢ طالبا من مائة وطالبين أنهم مسلمون ، ولما سألمهم الدليل على إسلامهم كان جواب الجميع واحداً : (لأني قرغيزي) ، (لأن والدي مسلمان) ، (لأني مخنون)^(٥٥) . غير أن مثل هذه الإشارات لا ينبغي أن تضللنا كثيرا بل علينا أن نذكر الوجه الآخر من العملة وهو أن المخطط السوفيتي بوسائله السالفة الذكر يمكن على المدى الطويل أن يهدد مجرد الوجود للإسلام والمسلمين في الاتحاد السوفيتي .

خاتمة الدراسة :

إن محاولات سفينة الأقلية المسلمة والتي أشرنا بإيجاز إلى بعض أبعادها قد تمت وما زالت تتم في الغالب بعيدا عن الاهتمام الحقيقي من دول العالم الإسلامي بتلك الأقلية رغم ضخامة أعدادها واتساع رقعة الأرض التي تحتلها ، وقد يعود هذا لوقوعها خلف ستار حديدي سياسي لا يكاد يخترق ، وللقبض على سكانها بقبضة فولاذية لا يستطيعون معها التفوه بكلمة أو الاتصال مع العالم الخارجي^(٥٦) . ومن ثم فإن المعلومات تكاد أن تكون نادرة عن أحوال تلك الأقلية . يضاف إلى ذلك انشغال معظم دول العالم الإسلامي . ورغم ذلك فإن واجبنا الإسلامي يحتم علينا ضرورة دراسة أحوال تلك الأقليات دراسة وافية تتناول تاريخها ، ووضعها الراهن من النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والعقلية .. إلخ مع وضع برامج ومخططات وبدائل مختلفة للنهوض بها حتى لا تفقد هويتها الإسلامية . إن دراسة اللغة الروسية واللغات القومية الإسلامية مقدمة ضرورية لمتابعة كل ما يكتب ويقال ضد الإسلام هناك ، والرد عليه بتلك اللغات بالكلمة المكتوبة والمسموعة معا . كذلك توجيه إذاعة خاصة للمسلمين بالاتحاد السوفيتي أمر ضروري لتعريفهم بتاريخهم الإسلامي المشرف ، وحقائق دينهم الذي يتعرض للتشويه والمسخ . كذلك فإن إرسال البعثات والوفود إلى هناك للدراسة أحيانا وتوثيق الصلات الثقافية والروحية أحيانا أخرى يمكن أن يخدم في هذا المجال . ولزيادة فاعلية الجهد الإسلامي في خدمة الأقليات المسلمة في العالم وتنظيمه ، فإن الدراسة تقترح ضرورة إنشاء (منظمة إسلامية عالمية) متخصصة في رعاية الشؤون المتعلقة بالأقليات المسلمة في العالم يكون لها من الإمكانات والفاعليات ما يمكنها من إقامة المدارس والجامعات والمستشفيات والمراكز الإسلامية وإعطاء المنح الدراسية وتوجيه البرامج الإذاعية والتلفزيونية والعروض المسرحية وإقامة المتاحف وإرسال الوفود والدارسين .. إلخ أسوة بما يقوم به الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي وغيرها من الإرساليات .

إن الدراسة الحالية وهي تقدر عظم المسؤولية التي تقع على كواهلنا نحو الأقليات

المسلمة في العالم لتؤمن أيضا بأن ما لا نستطيع أن نحققه كله لا ينبغي أن يترك كله . وأن ما لا نستطيع أن نحققه اليوم في هذا المجال فإننا يمكن أن نحقق بعضه آملين أن نحققه كله في غد قريب بإذن الله - إذا صدق العزم وخلصت النية - وما هذا على الله بعزير ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم) (٥٧) .

الهوامش

- (١) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، ص ١٢٣ ، ص ١٢٤ مؤسسة بيروت ، لبنان ١٩٧١ م .
- (٢) حسن صعب : المقاربة المستقبلية للإلناء العربى ، ص ٨٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩ م .
- (٣) محمد الغزالى : الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ، ص ١١٩ ، ص ٢١٠ ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٦ م .
- (٤) محمد السيد غلاب ، حسن عبد القادر صالح ، محمود شاكر : البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية فى العالم المعاصر ، ص ٧٥٢ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، السعودية ، ١٩٧٩ م .
- (٥) محمود رمزى : دراسات فى جغرافية الدول الكبرى ، ص ٣٤ ، دار الفكر ، قطر ١٩٧٧ م .
- (٦) محمود شاكر : العالم الإسلامى ، ص ٣٧ ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠ م .
- (٧) محمد الغزالى : الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ، ص ١٣٣ مرجع سابق .
- (٨) محمد السيد غلاب وآخرون : ص ٣١٢ ، ٣٦٢ ، ص ٧٠٢ ، مرجع سابق .
- (٩) شانتال لمريه كلجكى ، ألكندر بينفسن : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ، ترجمة إحسان حقى ، ص ٣٥ ، ص ٢٣٩ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٧ م .
- (١٠) محمود شاكر : المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، ص ٧ - ص ٩ ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩ م .
- (١١) المرجع السابق ، ص ٥٩ ، ص ٦٠ .
- (١٢) عبد الغنى التورى ، عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية ، ص ٦٥ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، مصر ١٩٧٩ م .
- (١٣) محمد الهادى عفيفى : التربية والتغير الثقافى ، ص ١١٩ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ١٩٧٥ م .
- (١٤) محمد لبيب النجى : الأسس الاجتماعية للتربية ، ص ١٦٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ١٩٧٦ م .
- (١٥) نفس المرجع ، ص ١٦٩ .
- (١٦) عبد الغنى التورى ، عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .
- (١٧) محمد السيد غلاب ، حسن عبد القادر صالح ، محمود شاكر : البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر ، ص ٥٧٨ - ص ٧٥٢ ، مرجع سابق .
- محمود شاكر : العالم الإسلامى ، ص ٣٧ ، ص ٣٨ ، ص ٤٥ ، ص ٤٦ ، مرجع سابق .
- (١٨) محمود شاكر : العالم الإسلامى ، ص ١٢ ، نفس المرجع .
- (١٩) لقد بدأت الفترة الأخيرة تشهد إدراك الباحثين لخطورة التوجيه العلمانى للتربية والإعلام فى عالمنا الإسلامى ويراجع فى ذلك دراسات مثل :

صيداوي ، أحمد : (التربية الإعلامية هي المنهج الأول) من أبحاث مؤتمر التربية الإسلامية المنعقد في الفترة من ١٠ - ١٦ جمادى الأولى ١٤٠١ هـ ، جمعية المقاصد الإسلامية ، بيروت ، لبنان ١٩٨١ م .

- مكتب التربية العربي لدول الخليج : ماذا يريد التربويون من الإعلاميين (ندوة عقدت في الفترة من ٢٩ مايو - ١ يونيو ١٩٨٢ م ، ثلاثة أجزاء ، الرياض ، السعودية ، ١٩٨٢ م) .

Husain S.S. & S.S. Ashraf: Crisis in Muslim Education Hodder and Stoughton London, U.K. 1979.

Khan, Wasiullah: Education and Socaity In The Muslim World Hodder and Stoughton, London, U.K. 1981.

(٢٠) شانتال لمريه كلجكي ، ألكسندر بينفسن : المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، ١٣٩٨ ، مرجع سابق .

(٢١) نفس المرجع ، ص ٤٣ .

(٢٢) محمد الغزالي : الإسلام في وجه الزحف الأحمر ، ص ١٣٠ ، ص ١٣١ ، مرجع سابق .

(٢٣) نفس المرجع ، ص ١٣٢ ، ص ١٣٣ .

(٢٤) سعد عبد العزيز مصلوح : المسلمون بين المطرقة والسندان ، ص ٣١ ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٩٨٠ .

(٢٥) إحسان حقي : المسلمون أمام التحدي العالمي ، ص ٩١ - ٩٣ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨ م .

(٢٦) شانتال لمريه كلجكي ، ألكسندر بينفسن : المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، ص ٣١٧ - ٣١٩ ، مرجع سابق .

(٢٧) نفس المرجع ، ص ٣١٣ .

(٢٨) نفس المرجع ، ص ٢٧٣ ، إحسان حقي : الإسلام أو الشيوعية ، ص ١٦١ ، ص ١٦٢ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع بالسعودية ٧٠ .

(٢٩) سعد عبد العزيز مصلوح : المسلمون بين المطرقة والسندان ، ص ٤٤ ، مرجع سابق .

(٣٠) شانتال لمريه كلجكي ، ألكسندر بينفسن : المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، ص ٢٣٣ - ٢٣٥ ، ص ٢٣٥ ، إحسان حقي : المسلمون أمام التحدي العالمي ، مرجع سابق .

(٣١) شانتال لمريه ، ألكسندر بينفسن : المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، ص ٢٧٨ - ٢٨٩ ، مرجع سابق .

(٣٢) نفس المرجع ، ص ٢٣٩ .

(٣٣) محمد نبيل نوفل ، سعيد إسماعيل علي ، حسان محمد حسان : دراسات في فلسفة التربية ، ص ١٤٦ ، ص ١٤٧ : عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ١٩٨١ .

(٣٤) نفس المرجع ص ١٦٦ Levites Mourice: Markist Perspectives

In the sociology of Education, PP 109, Routledge & Kegan paul, London, U.K.

(٣٥) عبد الغني عبود : الأيدولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة ، ص ٣٥١ ، مرجع سابق .

- (٣٦) نفس المرجع ، ص ٤٠٦ .
- (٣٧) Bronfenbrenner, Urie: The Worlds Childhond, U.S.A. and U.S.S. pp. 5-66, George Allen & Unwin Ltd., London, U.K.
- (٣٨) Ibid., p. 36.
- (٣٩) عبد الغني عبود : الأيدولوجيا والتربية ، ص ٣٥٣ ، مرجع سابق .
- (٤٠) سعد عبد العزيز مصلوح : المسلمون بين المطرقة والسندان ص ٦٣ ، ص ٦٤ ، مرجع سابق .
- (٤١) نفس المرجع ، ص ٦٠ - ٦٢ ، إحسان حقى ، الإسلام أو الشيوعية ، ص ١٧٩ - ص ٢٦٢ ، مرجع سابق .
- (٤٢) وهيب سمعان ، محمد منير مرسى : المدخل فى التربية المقارنة ص ٧٤ ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٧٧ .
- (٤٣) Medlin, W.K. & W.M. Cave: Education and Development In Central Asia, op Cit. pp 195-210.
- (٤٤) عبد الغني عبود : دراسة مقارنة لتاريخ التربية ، ص ٣٨٥ ، ص ٣٨٦ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ١٩٧٨ م .
- (٤٥) Bronfenbrenner, Urie: The Worlds of childhood, op cit., p. 36.
- (٤٦) جورج كاونتس : التعليم فى الاتحاد السوفيتي ، ترجمة محمد بدران ص ١٠ ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، بدون تاريخ .
- (٤٧) عبد الغني عبود : الأيدولوجيا والتربية ، مرجع سابق ، ص ٣٨٣ .
- (٤٨) سعد عبد العزيز مصلوح : المسلمون بين المطرقة والسندان ، ص ٥٨ ، ص ٥٩ ، مرجع سابق .
- (٤٩) جورج كاونتس : التعليم فى الاتحاد السوفيتي ، ص ١٠ ، مرجع سابق .
- (٥٠) سعد عبد العزيز مصلوح : المسلمون بين المطرقة والسندان ، ص ٦٩ ، ص ٨٩ ، مرجع سابق .
- (٥١) نفس المرجع ، ص ٦٥ ، ص ٦٦ .
- (٥٢) جورج كاونتس : التعليم فى الاتحاد السوفيتي ، ص ١١ ، مرجع سابق .
- (٥٣) شانتال لمرييه كلجكى ، ألكسندر بينفسن : المسلمون فى الاتحاد السوفيتي ، ص ٢٦٨ ، ص ٢٧٣ ، مرجع سابق .
- (٥٤) نفس المرجع ، ص ٧ ، ص ٢٧٩ .
- (٥٥) نفس المرجع ، ص ٢٨٥ ، ص ٢٨٦ .
- (٥٦) محمود شاكر : المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، ص ٤ ، مرجع سابق .
- (٥٧) سورة التوبة ، آية ١٠٥ .

أضواء على التربية والتعليم لدى الأقلية المسلمة في الولايات المتحدة الأمريكية

للدكتور كمال كامل عبدالحميد

جامعة الملك سعود

أضواء على التربية والتعليم لدى الأقلية المسلمة في الولايات المتحدة الأمريكية

د . كمال كامل عبدالحميد

ملخص البحث

اقتصرت المحاولات التعليمية الأولى للمهاجرين الأوائل لأمريكا على إصدار بعض الدوريات باللغة العربية ، التي أبقت هؤلاء على صلة بلغتهم وعلى دراية بما يجري في بلادهم أولاً بأول ، ثم إن هذه الدوريات رغم تزايد عددها لم تعد كافية إذ بدأ المسلمون يحسون بالتحديات التي تواجههم وأيقنوا أنه لا بد من إيجاد المعاهد الإسلامية الخاصة بهم ، فبدأوا يعلمون أبناءهم اللغة العربية ، والقرآن الكريم في بيوتهم الخاصة أولاً ، ثم عملوا على تأسيس المساجد التي كانت دورا للعبادة ومعاهد للدراسة في وقت واحد . فأسس أول مسجد في أمريكا سنة ١٩١٩م في مدينة هايلاند برك في ولاية ميتشجان ، وتلاه مسجد في مدينة ميشيغان بولاية انديانا سنة ١٩٢٤م ، واليوم لا تكاد تخلو أية مدينة كبيرة في أمريكا من مسجد أو أكثر ، يستخدم لكافة الأغراض الدينية والتربوية والاجتماعية .

أما الجالية الإسلامية الرائدة في مضمار التربية في أمريكا ، فهي جالية مدينة سידار - رابيدز التي أسست مسجدا سنة ١٩٢٥م وتخرج فيه أول طلاب يقرأون القرآن الكريم في القارة الأمريكية . ومما يدل على نشاط الأقلية المسلمة في ميدان التربية في أمريكا أن الهيئة الإسلامية الأمريكية تمتلك اليوم حوالي مائتي مسجد وأكثر من خمسين مدرسة منتشرة في كافة أرجاء أمريكا .

أما أكثر التنظيمات الإسلامية نشاطاً في مجال الدعوة والتربية معا ، فهي جمعية اتحاد الطلبة المسلمين التي تشرف على العديد من المدارس الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا ، وتوجهها الوجهة الصحيحة عن طريق تزويدها بالكتب والبرامج والنشرات بصورة دائمة .

ولعل آخر الأحداث الهامة التي شهدتها الساحة الأمريكية في ميدان التربية الإسلامية هو إنشاء الجامعة الإسلامية في مدينة شيكاغو سنة ١٩٨٣م والتي يؤمل أن تلعب دوراً بارزاً في مجال التربية والتعليم لدى الأقلية المسلمة في الولايات المتحدة الأمريكية بعونه تعالى .

لمحة تاريخية

بكل فخر واعتزاز ، يذكر المسلمون أن أجدادهم الأوائل كانوا قد اكتشفوا أمريكا قبل أن اكتشفها كولومبس Culombus بفترة طويلة . وذلك عندما قطعوا المحيط الأطلسي من الأندلس سنة ١١٥٠م ، ووصلوا إلى ما يعرف حاليا بالبرازيل^(١) . بل إن المؤرخ المسلم الشريف الإدريسي ، يذكر أن اكتشاف المسلمين لهذه القارة كان قد تم قبيل هذا التاريخ ، وذلك عندما أبحر ثمانية من المسلمين من لشبونة في القرن العاشر الميلادي ، محاولين اكتشاف ما وراء بحر الظلمات ، وهو الاسم الذي كان يطلقه المسلمون على المحيط الأطلسي ، إلى أن نزلوا في أمريكا الجنوبية^(٢) ويؤكد هذا الواقع مستشرقون كبار .

وفي كتابه (العرب في أمريكا The Arabs in America يذكر مهدي Mehdi أنه في سنة ١٥٣٩ اكتشف فراماركوس دي نايز Fra Marcos de Nize المناطق المعروفة اليوم باسم نيومكسيكو New Maxico وأريزونا Arizona وكان مرشده في ذلك مسلم مغربي اسمه أسطفان ، ولقد راح أسطفان ضحية سهم من أحد الهنود الحمر ، سكان أمريكا الأصليين ، الذين لم يكونوا قد رأوا الرجل الأبيض بعد^(٣) .

أما في العصر الحديث ، فقد بدأ المسلمون يهتمون بالهجرة إلى أمريكا كما بدأ الأمريكيان الاهتمام بديار الإسلام ، ولكن شتان ما بين نوايا كل من الطرفين في ارتياد بلد الطرف الآخر ، فالأمريكان كانوا قد بدأوا الاهتمام بالشرق الأوسط سنة ١٨١٩م عندما وصل المبشرون من أتباع الكنيسة المشيخية Presbyterian الذين فشلوا فشلا ذريعا نتيجة المقاومة العنيدة المستمرة من المسلمين الذين عرفوا سوء نواياهم^(٤) ، فما كان من هؤلاء المبشرين إلا أن غيروا من أسلوب تعاملهم مع المسلمين ، فانتقلوا إلى مشاريع أكثر عملية ، مثل إنشاء المدارس والمستشفيات التي استطاعوا أن يتستروا وراءها لنشر سمومهم في ديار المسلمين .

وقبل ذلك وبعده جاء اهتمام المسلمين بأمريكا على المستويين الرسمي والشعبي ، ففي سنة ١٧٨٧م اعترفت المغرب رسميا باستقلال الولايات المتحدة ، فكانت بذلك أول دولة في العالم تفعل ذلك ، كما وقع الملك محمد الثالث اتفاقية صداقة وتعاون مع جورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية وجاء في رسالة جوابية من الملك محمد الثالث إلى جورج واشنطن مايلي :

إلى فخامة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ،
السلام على من اتبع الهدى .

استلمنا رسالتكم مقرونة بمعاهدة السلام التي أرسلتها إلينا وكبنا إلى كل من
تونس وطرابلس بخصوص التماسكم ، وسوف تلبى رغبتكم بمشيئة الله^(٥) .

وفي سنة ١٨٤٠م وصل إلى نيويورك أحمد بن نعمان ممثلا خاصا لسلطان مسقط سيد
سعيد حاملا معه هدية للرئيس الأمريكي مارتن فان بيرن Marten van Burn مكونة من
بهارات وقهوة وعاج وبلح وسجاد فارسي^(٦) .

وفي سنة ١٨٥٦م وصل على ظهر سفينة ثلاثة وثلاثون جملا اشترتها أمريكا من الشرق
لتسهيل مهام التنقل في الولايات الجنوبية الغربية^(٧) . وفي سنة ١٨٧٩م لعب افتتاح قناة
السويس دورا هاما في هجرة أبناء اليمن إلى أمريكا وعلى إثر ثورة عراقى في مصر سنة ١٨٨٢م
أصبح السوريون يهاجرون إلى أمريكا بدلا من مصر ، وقد شهدت هذه السنة أكبر هجرة من
سوريا إلى أمريكا^(٨) .

ومما يميز هجرة هؤلاء المسلمين من هجرات الأوربيين إلى أمريكا في تلك الفترة المبكرة ،
أن المهاجرين من أوروبا قد اضطروا إلى الهجرة إلى أمريكا بسبب ضغوط دينية وسياسية فنزحوا
مع عائلاتهم يغمرهم شعور بالمرارة أما المسلمون فالغالبية العظمى منهم هاجروا بشكل فردى
ويقوا على اتصال دائم وحين لا يجيبو إلى أهلهم وديارهم^(٩) .

ولقد كان تمسك الناس بالإسلام في تلك الأيام سببا رئيسيا في عزوف الكثيرين عن الهجرة
إلى أمريكا ، ففي غضون ثلاثين سنة ، من سنة ١٨٦٩ - ١٨٩٨م لم يهاجر من تركيا على
سبيل المثال ، سوى ٢٠٦٩٠ شخصا^(١٠) روت إحدى السيدات المسنات في ديترويت
Detroit القصة الطريفة التالية ، قالت : (في سنة ١٨٨٥م قرر والدي اصطحاب بعض
أصدقائه إلى أمريكا ، فاشترى تذكرة وصعد إلى القارب ، غير أنه اقترب من الریان فجأة
ليسأله عما إذا كان يوجد مساجد في أمريكا أم لا ، وعندما أخبره الریان أن لا مساجد في
أمريكا على الإطلاق ، خشي أن يهاجر إلى بلاد الكفر تلك ، وأسرع بمغادرة القارب على
الفور^(١١) .

وبالفعل فقد جابهت المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى أمريكا مشاكل صعبة في المحافظة
على دينهم ، فقد عانوا من التمييز ضدهم في الوظائف وفي تشييد أماكن العبادة ، كما وجدوا
أنفسهم غير قادرين على تعليم أبنائهم مبادئ دينهم ولغتهم وتاريخهم . ويكفي أن يعلم
الأمريكان أن هذا أو ذاك مسلم ليصبوا جام غضبهم وحقدهم عليه ، فعلى سبيل المثال خسر

مسلم وظيفته لأنه وجد يتوضأ للصلاة في حمام الرجال^(١٢) ولصعوبة الحصول على إجازة لأداء صلاة الجمعة ، فقد كان معظم المسلمين ، ولا زالوا يقصدون المساجد يوم الأحد . كما أن العيدين الرئيسيين الوحيدين في الإسلام ، عيد الفطر وعيد الأضحى ، غير معترف بهما حتى الآن في أمريكا .

وقد رفضت محكمة أمريكية إعطاء أحد العرب الجنسية الأمريكية لأنه ليس أفريقيا أو قوقازيا ، رغم أن محكمة أخرى رفضت هذا القرار ، إلا أن النزاع حول دور حجم الرأس أو الأنف في تقرير جنس الشخص استمر زمنا في الصحافة الأمريكية^(١٣) وفي حادثة بين مسلمي ونصاري لبنان في مدينة أسبرنج فيلد Springfield سنة ١٩٠٩م وقف محامي النصاري الأمريكي ، لينث بعضا من سومه وأحقاده التي يكنها الأمريكيون ضد المسلمين قائلا : (هؤلاء الأتراك - يعنى المسلمين - كانوا أكثر الأجناس على الأرض تعطشا للدماء)^(١٤) .

وهكذا بدأت وما زالت مستمرة ، هجرة المسلمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى أن بعض الباحثين علق على ذلك بأن المسلمين بطبيعتهم يحبون الهجرة فهم منذ أيامهم الأولى قد هاجروا إلى الحبشة غير أن علينا أن نلاحظ الفرق الجوهرى بين تلك الهجرة وهذه ، فالأولى كانت خالصة في سبيل الله ، ولذلك عندما علم رسول الله ﷺ أن أحد المسلمين كان قد هاجر لغرض دنيوى قال : « من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » ، وغني عن البيان أن هجرة المسلمين إلى أمريكا ما هي إلا من النوع الثاني .

التربية الإسلامية في أمريكا :

منذ السنوات الأولى لوجودهم في أمريكا ، بذل المسلمون جهودا في مجال التربية والتعليم ، غير أن هذه الجهود كانت مقصورة في البداية على بعض النشرات والمطبوعات باللغة العربية ، وكانت تلك المطبوعات قد لعبت دورا هاما في ربط هؤلاء المبشرين هنا وهناك معا عن طريق توثيق صلتهم بلغتهم التي كانت وما زالت ، مهددة بالنسيان من قبل أهلها في تلك البلاد ، على حين نجد الأمريكان أنفسهم يقبلون على دراسة لغتنا وتقاليدينا ليمتكنوا من محاربتنا بشكل أكثر فعالية . كما أن تلك المطبوعات باللغة العربية ، مكنت المغتربين الأوائل من الاطلاع على أخبار بلادهم وأهلهم فيما وراء البحار . ففي سنة ١٨٩٢م صدرت في نيويورك صحيفة (كوكب أمريكا) لتكون الصحيفة الأولى الناطقة بالعربية في أمريكا . وكان لها فضل في المحافظة على إبقاء اللغة العربية حية في نفوس أوائل المهاجرين . وتوالى بعدها صدور الصحف بالعربية ففي سنة ١٨٩٧م صدرت

صحيفة الأيام وفي سنة ١٨٩٨م صدرت في فيلادلفيا جريدة (الهدى) وصدرت (المهاجر) في واشنطن العاصمة سنة ١٩٠٣ م ، وقد توالى صدور هذه الصحف العربية بين فترة وأخرى ومعظمها يهدف بشكل رئيسي إلى إبقاء اللغة العربية حية في أذهان أبنائها .

وقد أصبح تعليم اللغة العربية للجيل الثاني من المهاجرين إلى أمريكا أحد الموضوعات المشوقة في مجلة (العالم السوري) . ففي سنة ١٩٢٨م نشرت تلك المجلة رسالة جاءت من بروكلين في نيويورك تشير إلى التخوف من اضمحلال اللغة العربية لدى الجيل الثاني ، وتحض على وجوب تعلمها جاء فيها : (إنه لو اوجب علينا أن نعطي اللغة العربية العناية التي تستحقها وفي رأي أن معرفة اللغة العربية شيء يجب أن يميزنا في أمريكا عن غيرنا ، ولذلك فإنه لمن الواجب بذل كافة الجهود الممكنة من أجل نشر تلك اللغة ، وإن عدم تعليمها ليعتبر تقصيرا من قبل الآباء تجاه أبنائهم ، ذلك أنه بنفس الحماس الذي نرسل فيه أبنائنا إلى معلم خصوصي ليعلم الموسيقى مثلا ، يمكننا ، بل يجب علينا أن نرسلهم إلى معلم يعلمهم لغتنا العربية ، ويجب أن يكون التحدث في البيت قاعدة عامة لدينا جميعا) .

وبالرغم من تزايد أعداد هذه الدوريات سنة بعد أخرى إلا أنها لم تعد تفي بالحاجات التعليمية المتزايدة للجيل الإسلامي في أمريكا . فأصبح الكثيرون من الآباء المسلمين في قلق بشأن مستقبل أبنائهم إذا ما عجزوا عن تهية الجو التعليمي الذي يتلاءم مع روح الدين الإسلامي الحنيف ، كما أصبحوا في قلق متزايد من احتمال تأثير الثقافة الرأسمالية في المدارس الأمريكية على أبنائهم مما سيؤدي تدريجيا إلى انصهارهم وضياعهم في تلك البيئة . ومما زاد من خوفهم أن الأطفال بدأوا يتأثرون بشكل واضح بالثقافة الأمريكية التي كانوا تحت سيطرتها في المدرسة والمجتمع وحتى في البيت ، حيث لا مناص للطفل من مشاهدة التلفزيون الذي يطفح بالبرامج التي تنقل وجهة النظر الأمريكية ، أو على الأصح ، وجهة النظر اليهودية التي من شأنها تحطيم أخلاق الناس جميعا والتي تحرص دوما على نشر الأساطير عن الإسلام والمسلمين فتصفهم بالعنصرية والهمجية والغش والخداع والزواج والطلاق وما إلى ذلك من أكاذيب متناسبة أن الإسلام أباح الزواج بأربع غير أن للواحد منهم عشرات أو مئات من الخليلات ، كما أن الإسلام أباح الطلاق غير أن نسبة الطلاق لدى المسلمين ما هي إلا نسبة ضئيلة جدا إذا ما قيس بالطلاق في الولايات المتحدة الأمريكية . غير أن الطفل الذي يشاهد التلفزيون الأمريكي لا يمكنه التمييز بين الغث والسمين ، لذلك فإنه تدريجيا يتشرب الأباطيل التي ينشرها هذا التلفزيون عن المسلمين^(١٥) . لذلك فقد غدا المسلمون في أمس الحاجة إلى تربية صحيحة متوازنة خاصة بهم تعمل على وقاية الجيل الناشئ من الانجراف وسط التيار الأمريكي العاني من جهة ، وتعمل على المحافظة على الكبار متمسكين بدينهم متميزين عن سائر أبناء ذلك المجتمع الهابط من جهة أخرى .

وعلى ضوء ذلك ، وأمام هذا التحدي الخطير الذي سيعصف بأبناء المسلمين إن هم اقتصروا على ما تزودهم به البيئة الأمريكية من ثقافة ، سواء أكان ذلك في المدرسة أو في المجتمع أو بقضاء ساعات طوال مع التليفزيون ، أمام كل هذا سارع الكثيرون من المسلمين إلى تزويد أبنائهم بنقسط معقول من الثقافة الإسلامية ، المتمثلة في دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية واللغة العربية ، والعبادات والمعاملات والتاريخ الإسلامي .

فأين كان المسلمون يزودون أبنائهم بهذه الثقافة ماداموا لا يملكون مدارس خاصة بهم ؟ لقد كان ذلك ولا زال يتم في ظلال بيوت الله تعالى ، في المساجد التي بدأت تنتشر في القارة الأمريكية منذ أوائل هذا القرن ، أما قبل ظهور المساجد في أمريكا فكان المسلمون يعلمون أبنائهم ويؤدون صلاتهم في بيوت بعضهم ، وكان يؤمهم أقرأهم لكتاب الله سبحانه وتعالى^(١٦) ففي سنة ١٩٠٠م أقامت جالية بمدينة روس Ross في ولاية نورث داكوتا North Dakota أول صلاة جماعية لهم في أحد المنازل الخاصة^(١٧) . ذلك أن طبيعة العلاقات السلبية بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني لم تكن حتى عهد قريب تفسح المجال أمام المسلمين لإقامة مساجد خاصة بهم ، فالسلطات الحاكمة في بلاد النصراني كانت حريصة إلى حد الإصرار والتزمت بالألا يرتفع في بلادهم منارة ينطلق منها صوت المؤذن بالدعوة إلى عبادة الله تعالى ، وتوحيده ، وفق الشعائر الإسلامية السمحة ، التي نادي بها الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ^(١٨) .

أما أول مسجد أنشئ في أمريكا ، وهو الآن مع الأسف كنيسة - فقد بني في مدينة هايلا ند بارك Hyland Park في ولاية ميشيغان Michigan في سنة ١٩١٩م^(١٩) ثم قامت الجالية الإسلامية في مدينة روس ROSS بولاية نورث داكوتا North Dakota ببناء مسجد لهم سنة ١٩٢٠م وتلاه مسجد ديترويت سنة ١٩٢٢م ، ثم قام اتحاد الشباب المسلمين بتأسيس مسجد في مدينة بروكلين Brooklyn بولاية نيويورك New York سنة ١٩٢٣م^(٢٠) . وفي سنة ١٩٢٤م قامت الجالية الإسلامية في مدينة ميشيغان Michigan بولاية انديانا Indiana ببناء مسجد هناك^(٢١) وفي سنة ١٩٢٥م استأجرت الجالية الإسلامية في مدينة سيدار رابندز Cedar Rapids على بعد ثمانين ميلا غرب نهر الميسيسيبي في ولاية أيوا Iowa بناية لتكون مسجدا يربط أبناء الجالية دينيا واجتماعيا وثقافيا^(٢٢) وفي سنة ١٩٣٤م قامت هذه الجالية ببناء أول مسجد في أمريكا صمم خصيصا ليكون مسجدا ، ولذلك فقد أطلق عليه اسم المسجد الأم ، وقد باشر الإمامان اللذان كان في (المسجد الأم) وأحدهما من دمشق والآخر من نجد ، تدريس اللغة العربية على الفور^(٢٣) . ثم إن هذه الجالية الرائدة شيدت في سنة ١٩٧٢م مسجدا جديدا تبلغ مساحته خمسة أضعاف مساحة (المسجد الأم) ليكون مكانا متسعا للصلاة والمدرسة والمكتبة معا^(٢٤) .

وتسابت الجاليات الإسلامية في مختلف المدن الأمريكية إلى بناء المساجد ، ففي سنة ١٩٣٣م أسس النادي الهاشمي في ديترويت ليكون مسجداً ومدرسة للشريعة^(٢٥) . وفي سنة ١٩٣٩م بدأ المسلمون في مدينة ديرموث في ولاية ميشيغان بناء مسجد لهم^(٢٦) وفي سنة ١٩٥٥م شيد مسجد فاخر في مدينة توليدو (طليطلة) Toledo في ولاية أوهايو Ohio مما حفز الكثيرين على الهجرة إلى تلك المدينة بسبب وجود ذلك المسجد ، وكانت هذه الجالية النموذج الذي يحنى به في النشاط داخل المسجد بين سائر المدن الأمريكية^(٢٧) وقد قامت أخيراً ببناء مسجد رائع يبعث على البهجة في سنة ١٩٨٣م . واليوم يوجد في أمريكا ما يزيد على أربع مائة مسجد وجمعية إسلامية^(٢٨) . هذا بالإضافة إلى المئات من الأشخاص الذين يستأجرون منازل خاصة بهم ويخصصون غرفة أو صالة واسعة منه لتكون مسجداً يؤمه الجيران والأصدقاء لأداء الصلاة في جماعة ، والاستماع إلى محاضرة يلقيها أحدهم في موضوع يهم الجالية الإسلامية في تلك الولاية ، علاوة على اتخاذ ذلك المكان لتعليم أبنائهم القرآن الكريم واللغة العربية والأخلاق الإسلامية .

ولقد كان متوقفاً أن تولي الجاليات الإسلامية المتناثرة في أمريكا موضوع التربية عناية كبرى ، غير أن تطور المعاهد الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية كان بطيئاً ، فمن الناس من جاء لجمع الغروة والعودة إلى البلد الأم ، وهؤلاء لم يكونوا معنيين بمثل تلك المعاهد ، فاهتمامهم بالدرجة الأولى كان مركزاً على دعم أهلهم في البلد الأم مادياً ، ومن الناس من قرر البقاء في أمريكا ، وهؤلاء بدأوا يفكرون في تأسيس معاهد إسلامية خاصة بهم ليحافظوا على دينهم ويعلموا أولادهم ، ومن هؤلاء الرواد الذين قاموا بمبادرات فردية تستحق الثناء والإعجاب الأستاذ (حوى) في واشنطن العاصمة Washington D.C. ، ومحمد عمر في مدينة كوينس Quinc في ولاية مسجيوستس Massachusetts ، وعبد الله انغرام في مدينة سيدار رابدرز في ولاية أيوا ، حيث توجد الجالية الإسلامية الرائدة في تعليم أبنائها في أمريكا كما سنرى ، كما أن عبد الله هذا كان ضابطاً في الجيش الأمريكي وهاله أن يكون في هذا الجيش تحيز ضد المسلمين حيث كان يرمز للمسلم في الجيش الأمريكي بحرف X ، لذلك بادراً إلى الكتابة إلى الرئيس الأمريكي ايزنهاور ، طالباً منه الاعتراف بالمسلمين في الجيش ، وقد لبى طلبه ذلك . كما كان عبد الله هذا رائداً في الدعوة إلى اجتماع إسلامي عام في سنة ١٩٥٢م لكافة المراكز الإسلامية الموجودة في الولايات المتحدة وكندا لتوحيد الجهود لتعليم أبنائهم وللمحافظة على الإسلام والمسلمين في تلك الديار ولتصحيح مفاهيم غير المسلمين عن الإسلام والمسلمين وتزويدهم بالمعلومات الصحيحة عن الإسلام كدين عظيم ، وقد تمخض الاجتماع عن تأسيس الجمعية الإسلامية العالمية International Muslim Society التي غيرت اسمها في اجتماع عقد في شيكاغو بعد سنتين إلى اتحاد الجمعيات الإسلامية (F.I.A. Federation Of)

Islamic Assoations) ، والتي قدمت خدمات للجالية الإسلامية في تلك الديار فأصدرت مجلة النجمة الإسلامية The Muslim Star وعملت دليلا لمسلمي أمريكا ، كما عملت على إنجاز إحصائية للمسلمين هناك وتجهيز مواد تعليمية لمدارس يوم الأحد وما إلى ذلك^(٢٩) .

كذلك كانت جالية سيدار رابندز الإسلامية رائدة في مجال تحفيظ القرآن الكريم لأطفالها فقد جاء في نشرة جالية سيدار رابندز Cebat Rapibz Gazett التي صدرت في مطلع سنة ١٩٣٦ م ، تحت عنوان (أولاد يتقنون القرآن الكريم بالعربية) مايلي :

أتقن اثنان من أولاد سيدار رابندز قراءة القرآن الكريم باللغة العربية ، وقد ابتهج الجمهور الذي استمع إلى ذلك في المعبد الإسلامي Muslim Temple (ظل بعض المسلمين يطلقون اسم معبد على مساجدهم حتى فترة قريبة) وكلا الولدين اللذين أتقنا قراءة القرآن الكريم من مواليد أمريكا عمر أحدهما ١٢ سنة وعمر الآخر ٦ سنوات وبهذا فإنهما سيكونان أول ولدين في الولايات المتحدة الأمريكية يقرآن القرآن الكريم باللغة العربية^(٣٠) .

كان ذلك السبق لهذه الجالية في ميدان التعليم ، في وقت فقد المسلمون فيه استعمال اللغة العربية بسرعة ، ولم يكن قسم منهم يجرؤ على كشف هويته الإسلامية ، فالعديد منهم تزوجوا نصرانيات واتخذوا لأنفسهم أسماء أمريكية^(٣١) ووقف كثيرون من الآباء حيارى أمام استنلاية وعقوق أبنائهم في المهجر ، وعبر كثيرون عن قلقهم بشأن مستقبل أبنائهم قائلين (لقد خسرنا أبنائنا في أمريكا)^(٣٢) ، فغدا الآباء يتكلمون بالعربية في البيت والأبناء يردون عليهم بالإنكليزية ، لأنها أسهل عليهم ، ولأن بعضهم ينظر إليها نظرة احترام أكثر ، حتى رأى ورر Warner أن الآباء يتعلمون الإنكليزية عن طريق أبنائهم^(٣٣) ولقد حاول الآباء مقاومة هذا التيار العاقي الذي سيجرف أبنائهم لا محالة . حاولوا تربيتهم تربية إسلامية ، ولكن بعد فوات الأوان ، لذلك قوبلت المقاومة من الجيل الأول أعنف من قبل الجيل الثاني ، مما أدى إلى فقدان سيطرة الأب على الأسرة ، فأصبح من الشكاوى المألوفة عند الزوجة المسلمة في ديترويت مثلا ، أن تصف زوجها بقولها : (إنه لا يعرف كيف يضبط ويربي الأولاد ، إنهم لا يصغون إلى نصائحنا فهم يقضون معظم أوقاتهم خارج البيت ، ولا يأتون إلى البيت إلا عند الأكل أو النوم)^(٣٤) ، فأية خسارة أفدح من هذه ؟ ولقد كان أكثر جرأة وصراحة ذلك الأب الذي ألقى باللوم على نفسه أولا وأخيرا في ضياع أخلاق أبنائه ونسيانهم اللغة العربية عندما قال : (إنه ذنبي أنا ، لقد أجمرت باحضار أبنائي إلى أمريكا) .

لاشك أن الآباء يتحملون المسؤولية إذا لم يوجهوا أبناءهم الوجهة الصحيحة ، ويوفروا لهم التربية الإسلامية المناسبة ، وهذا شيء يكاد يكون عاما في المهجر ، يقول صاحب (الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية) نتيجة احتكاك أبناء المغتربين المسلمين بأبناء البلاد التي نزلوا إليها وانتسابهم لمدارسهم ، سادت البرتغالية والاسبانية البيت العربي ، وغدا الأبناء يجهلون لغة السلالة التي انحدروا منها ، وتاريخ الأمة التي ينتمي إليها آباؤهم ، وفي هذه الحالة نجد فارقا شاسعا بين المهاجر العربي ، وغيره من المهاجرين الذين يفرضون على أبنائهم في سن معينة تكلم لغة السلالة التي ينتمون إليها ، وبعد أن يلموا بلغتهم كتابة وقراءة وتكلما ، في مدارس خاصة بتلك الجوالي ، يأذن الآباء للأبناء بأن يتعلموا لغة البلاد التي نزلوها ، على عكس حالة الطفل العربي الذي لا يفقه والداه سوى بضع كلمات عربية مشوبة برطانة أعجمية^(٣٥) .

ويورد البدوي الملم حادثة تدل على تمسك أخس شعوب الأرض بلغتهم وتخليها عن لغتنا بما فيها من جمال وروعة ، فيقول : (روى لي مغترب أنه عاش مع أسرة يهودية ، وذات يوم عاد إلى المنزل ليجد رب البيت ينال بالضرب على ابنه ويفرض عليه الوقوف في زاوية البيت رافع اليدين منتصبا على ساق واحدة . فسأله : ما باله يبكي ؟ فأجاب اليهودي : كلب يستحق القصاص إنه ولد عنيد متمرد ، فكلم نصحته ألا يكلم إخوانه إلا بالعبرية ، لكنه يحدثهم بالبرتغالية ، وخشية أن تفقد العبرية مكانتها الأولى في البيت ، نال هذا الجزاء)^(٣٦) .

فهل يأخذ المسلمون المغتربون العبرة من هذا ، أم على قلوب أقفالها ؟ إن الأبناء غير مسئولين بالفعل ، إن المسؤولية كاملة تقع على كواهل الآباء ، الذين يتقاعسون في تهيئة الجو الإسلامي المناسب لتربية أبنائهم ، ومما يبعث على السخرية أن بعض الآباء ، سواء المتبرزل منهم أو المتأمرك ، يحتقرون لغتهم العربية ويحدثون أبنائهم باللغة الأجنبية التي يجهلون قواعدا وأصولها ولا يجيدون لفظها البتة .

في السنوات الأخيرة أصبح المسلمون في أمريكا على وعي بضرورة توفر تعليم إسلامي يؤمن للجيل الناشئ معرفة بتعاليم الإسلام ويضمن محافظتهم على هويتهم وعدم انصهارهم في ذلك المجتمع ، واتباع المسلمون في سبيل ذلك وسائل تعليمية متنوعة تزود الأطفال بالثقافة الضرورية من هذه الوسائل التربية البيئية ، مدارس نهاية الأسبوع ، المدارس العامة ذات الأعضاء المسلمين ، والمدارس الدينية الإسلامية ، وفيما يلي موجز لكل منها :

التربية البيئية Home Education

لسنوات عديدة خلعت قدمت إحدى مدارس ماريلاند برنامجا كاملا للأطفال المتكلمين بالإنكليزية من الروضة حتى الصف الثامن (الثاني الإعدادي) وقد استعمل هذا البرنامج

بشكل كبير من قبل الأمريكيين خارج أمريكا دون التسجيل في مدارس تدرس الإنجليزية . ولقد جذبت هذه المدارس انتباه المسلمين الذين يريدون أن يحافظوا على أبنائهم من السلبات الاجتماعية والفكرية للمدارس الأمريكية ، لذلك فقد اقترحت الجالية الإسلامية في مدينة فورت كولنز Fort Colens بولاية كولورادو Colorado أن يتبع المسلمون نفس الطريقة في تدريس أبنائهم في البيت فرادى أو مجموعات صغيرة ، ولقد نجحوا بالفعل في (أسلمة) هذا النوع من المدارس بأن أضافوا إلى مناهجها موضوعات إسلامية ، وكانت هذه التربية بالفعل حلا لأولئك المسلمين الذين اضطرتهم ظروف سياسية واقتصادية إلى أن يقيموا مع عائلاتهم في أمريكا لمدة طويلة .

مدارس نهاية الأسبوع Suplmental Education The Weekend Schools :

في كثير من الجاليات الإسلامية في أمريكا يتعلم الطلاب في المدارس الأمريكية على مدى خمسة أيام ويتعلمون في المدرسة الإسلامية في نهاية الأسبوع أو في مساء بعض الأيام خلال الأسبوع . ويشتمل مناهج هذه المدارس الإسلامية على تدريس اللغة العربية والقرآن الكريم والتاريخ الإسلامي والعبادات وقصص الأنبياء . ويتعلم الأطفال في هذه المدارس كيفية الوضوء والصلاة كما يلقنون الأخلاق الإسلامية الفاضلة وكيف يتحتم عليهم أن يتعاملوا مع الجميع مسلمين كانوا أم كفارا وكيف يجدر بهم أن يتحلوا دائما وأبدا بالخلق الإسلامي الرفيع مع آبائهم وأمهاتهم وأخواتهم وزملائهم في المدرسة الإسلامية ومعارفهم في المدرسة الأمريكية العامة . وكثيرا ما يوصى المدرسون الآباء بضرورة متابعة ترسيخ المفاهيم الإسلامية التي يتلقاها الأطفال في المدرسة الإسلامية سواء أكانت في مجال العبادات أو السلوك وبهذا التعاون بين المدرسة الإسلامية والبيت تستطيع هذه المدرسة أن تواصل أداء رسالتها .

المدارس العامة ذات الأعضاء المسلمين Community-Minded Fudlir Schools :

في مناطق كثيرة من الولايات المتحدة الأمريكية حيث تتركز أعداد كبيرة من المسلمين ، أبدى هؤلاء رغبتهن للمدارس الأمريكية العامة أن يساهموا معهم في إدارة دفة التعليم في منطقتهم فساهموا مساهمة نشطة في مجالس الآباء والمدرسين واستطاعوا أن ينجحوا في الانتخابات التي جرت لاختيار أعضاء المجالس التعليمية في مناطقهم وبالتالي فقد استطاعوا أن يجعلوا اللغة العربية ضمن مناهج التعليم لأبنائهم في تلك المدارس بأن يحضر مدرس متخصص يقوم بتعليم هؤلاء الطلاب المسلمين اللغة العربية باستمرار ، أما التربية الإسلامية فكما هو معروف عن كافة المدارس الأمريكية العامة فهي ممنوعة من تدريس أي دين في مدارسها بنص القانون الذي يفصل الدين عن الدولة . ويتضح تأثير هؤلاء المسلمين في جعل العربية تدرس لأبنائهم في المدارس العامة في كل من ديترويت وشيكاغو ونيويورك وفيلادلفيا وواشنطن العاصمة وأتلانتا وكاليفورنيا .

المدارس الدينية الإسلامية : The Islamic Parochial Schools

تنظم هذه المدارس بنفس الطريقة التي تنظم بها أية مدرسة دينية في أمريكا ، فالمنهاج الذي يدرس بواسطة معلمين مؤهلين ، ينبع من روح الإسلام وتعاليمه وتدرس في هذه المدارس كافة الموضوعات التي تدرس في المدارس الأمريكية العامة حتى يتمكن الطلاب من متابعة دراستهم في تلك المدارس الأمريكية العامة إذا ما أرادوا ذلك أو إن لم يوجد لهم صفوف في مستواهم في هذه المدارس الدينية ، ويدرس هذه الموضوعات معلمون مختصون مجازون لتدريس تلك المواد ، غير أن معظم هؤلاء المعلمين والإداريين مسلمون .

وفي هذا النوع من المدارس يجد المسلمون حلاً للعديد من مشاكلهم التربوية في أمريكا رغم أن هذه المدارس تحتاج إلى دعم مالي باستمرار حتى تستطيع القيام بواجباتها تجاه الجاليات الإسلامية واستطاعت هذه المدارس أن تكون عوامل توحيد لسائر الجاليات الإسلامية على اختلاف أجناسهم وتباين خلفياتهم . وقد نجحت جاليات عديدة في تأسيس مثل هذا النوع من المدارس خاصة بهم مثل الجالية الإسلامية في فلادلفيا وكاليفورنيا ونيويورك وشيكاغو والعاصمة واشنطن وديترويت وغيرها من المدن الأمريكية التي تشتمل على مسلمين يتميزون بالوعي والنشاط .

معهد الدراسات الإسلامية - لوس أنجلوس Institute Of Islamic Studies Los Angle

تأسس المعهد في أكتوبر سنة ١٩٧٥م لتزويد المسلمين ببرنامج مكثف للدراسات الإسلامية وعمد المعهد إلى إنشاء نظام تعليمي كامل للأطفال لإيجاد البيئة الإسلامية المثل لهم . ثم بلور المعهد دراساته في التربية الإسلامية واللغة العربية بحيث شملت المسلمين وغير المسلمين بحيث يمكن أن يؤدي هذا البرنامج المطور إلى درجة ليسانس في هذه الدراسات . كما أسس المعهد قسماً لتدريس اللغة الإنكليزية للكبار خاصة لمن يعتمرون دخول الجامعات ولم يدرسوا الإنكليزية من قبل . وشبيه بهذا المعهد معهد تابع للجامعة الإسلامية الأمريكية التي أسست في شيكاغو سنة ١٩٨٣م والتي سأفصل عنها فيما بعد .

وبما أن أي شيء لا يمكن أن يتحقق ويتطور بدون دعم مالي فقد قام رئيس المعهد بزيارة لكل من السعودية والكويت على رأس وفد لجمع التبرعات اللازمة لاستمرار هذا المعهد في أداء خدماته على أتم وجه . ونتيجة لمشاركة المعهد في مؤتمر الجمعيات الإسلامية في أمريكا الشمالية الذي عقد في مدينة نيوارك في ولاية نيو جيرسي ، فقد زود المعهد بمكتبة إسلامية كاملة وبراتب أستاذ متفرغ . كذلك نتيجة لجهود بعض الإخوة الغيورين على الإسلام والحريصين على تثبيت دعائم هذا المعهد فقد تبرعت جامعة نورث كاليفورنيا بستائة كتاب قيم لمكتبة المعهد .

اشتمل المتهاج على اللغة العربية ، اللغة الإنكليزية (للمتكلمين بالعربية) القرآن الكريم ، الحديث النبوي الشريف ، الفقه الإسلامي ، الدراسات الاجتماعية كما يقدم المعهد برنامجا خاصا للكبار وهو عبارة عن مدخل للدراسات الإسلامية والعربية ، وقد صمم هذا البرنامج لتزويد المسلمين عامة والدعاة منهم خاصة بالمعلومات الأساسية الضرورية لهم لتعميق منهمجهم للإسلام ، وعلاوة على ذلك فالبرنامج مفيد لأولئك الذين يرغبون في مواصلة دراساتهم الإسلامية على المستوى الجامعي ، وكان من المؤمل أن يطور هذا البرنامج ليكون كلية إسلامية سنة ١٩٨٢ م . غير أن ظروفًا عديدة حالت دون تنفيذ ذلك في موعده المحدد .

وكجزء من الخطة المكثفة لتسهيل المهمة التعليمية للمسلمين في أمريكا فقد خطط المعهد لفتح مركز لتدريس اللغة الإنكليزية . وقد صمم هذا المركز لخدمة المسلمين الوافدين للالتحاق بالجامعة الأمريكية وليس بخاف أن أمريكا تعج بهذا المستوى من المعاهد العريقة التي تدرس الإنكليزية على أحدث المستويات لمن يرغبون في ذلك خاصة لمن يرغبون في الالتحاق بالجامعات ، غير أن هذا المعهد يتميز عنها جميعا بتهيئة الفرص لتعليم اللغة الإنكليزية في جو إسلامي خالص .

إن الخشية من تأثير الثقافة الأمريكية ، والحذر من تأثير النصرانية على الجيل الناشئ ، زادت من الحاجة إلى معاهد التربية الإسلامية ، ليس من أجل أطفال المسلمين المهاجرين وحدهم ، بل من أجل الأمريكيان الذين خرجوا من ظلمات الرأسمالية الأمريكية إلى نور الإسلام ، والذين أصبحوا يتلمسون بكل شغف مختلف الطرق لانتشال أبنائهم من ضلالات المدارس الأمريكية ، ومن هؤلاء من سحب أبنائه من المدارس الأمريكية ليضعهم في مدارس متواضعة ذات صبغة إسلامية ، وفي زيارة قمت بها للمدرسة الإسلامية التابعة لمسجد العصر في مدينة ديترويت سنة ١٩٨١ م ، شاهدت صفوف البنين منفصلة عن صفوف البنات في غرف متواضعة ومقاعد دراسية بسيطة والمعلمات يدرسن القرآن الكريم واللغة العربية ، والجميع ، مديرا ومدرسين ومدرسات وطلابا ، من المسلمين الأمريكيان السود . وتشتمل المدرسة على ستة صفوف ، تمثل المرحلة الابتدائية كاملة ، والجميع يرتدون الزي الإسلامي . ولقد تبادر إلى ذهني أن جهود هؤلاء قد تضيع سدى إن هم أرسلوا أبنائهم وبناتهم مرة ثانية إلى المدارس الأمريكية العامة ، لأن مدرستهم تلك لا يتجاوز مستواها المرحلة الابتدائية . غير أن مدير المدرسة أزال من خاطري ذاك الهاجس ، وأوضح لي ما يبعث على الإعجاب والتقدير هؤلاء الآباء ، وما يصلح أن يكون أنموذجا يحتذى من قبل كل الآباء المسلمين في أمريكا ، فقال : صحيح إن مدرستنا هذه ابتدائية ، ولكن مجموعتنا لها مدارس إعدادية وثانوية في كل من كندا ونيويورك ، وبكل رضى يرتحل أهل الطالب أو الطالبة معه إلى هذه المدارس حتى لا يغرقوا في أحوال المدارس الأمريكية التي خبرناها بأنفسنا سنوات طوال ، ومما يبعث على

الارتياح أن سائر أفراد مجموعتنا متعاونون كالجسد الواحد ، فنحن نشعر أننا أقلية وأن على كل واحد منا أن يمد يد العون للآخرين ولذلك لا نجد أية صعاب عندما نترك ديترويت ونذهب إلى نيويورك أو كندا من أجل تلقين أبنائنا وبناتنا التربية الإسلامية الصحيحة ، ونحن بعملنا هذا نكون قد حققنا هدفين : أحدهما وهو الأهم ، أننا وفرنا لأبنائنا البيئة الصالحة ، وثانيهما أننا جنبناهم مساوئ التمييز العنصري في المدارس الأمريكية .

ولعل الخرص الزائد على الأبناء هو أهم ما يميز الذين اعتنقوا الإسلام من الأمريكيان عن المسلمين الذين هاجروا إلى أمريكا من ديار الإسلام . ذلك أن الأمريكيان الذين هداهم الله لاعتناق الإسلام أدركوا من غيرهم بمساوئ ومحاذير البيئة الأمريكية . ولقد كانوا أنفسهم متورطين في ذلك قبل أن ذاقوا حلاوة الإسلام ، لذلك فهم حريصون على عدم انجراف أبنائهم في تيار ذلك المجتمع الفاسد ، وأسلم طريقة لذلك اختيار المدرسة الإسلامية التي تلقن أبنائهم أسس الأخلاق ، أما المسلمون الذين هاجروا إلى أمريكا فتجدهم أقل إدراكا لخطورة المدارس الأمريكية ، يقول صاحب (السوريون في أمريكا) The Syrians in America : هناك عدد قليل من الأطفال السوريين يؤمنون المدارس الخاصة ، وغالبيتهم تفضل المدارس العامة ، وقد صرح أحد أولياء أمور الطالبات أنه يريد إرسال ابنته إلى المدارس الخاصة لأن المدارس العامة تدرس الرقص (٣٧) .

لا يستويان ، لا يستوي من يريد أن يرسل ابنته إلى المدرسة الإسلامية الخاصة تهربا من حصص الرقص ، بمن يريد أن يفر إلى المدرسة الإسلامية لأنه خبر ما في المدرسة الأمريكية من فسق وفجور ، من زنا ولواط ، ومن شرب للخمور .

نبه إليجا محمد ELIJAH MUHAMMED ، أول زعيم للمسلمين السود من الأمريكيان ، إلى الخطر الذي يحدق باتباعه إن هم ظلوا ينهلون عادات وأخلاق الكفر من المدارس الأمريكية العامة ، فبادر إلى إنشاء جامعة الإسلام المحمدية MUHAMMED'S UNIVERSITY OF ISLAM ١٩٢٢ م ، وكان ذلك في مدينة ديترويت بولاية ميشيغان ، وفي سنة ١٩٣٤ م أنشأ جامعة أخرى من نفس النوع في مدينة شيكاغو بولاية إلينوي ، وكان عدد مدرسيها اثنين فقط أما طلابها فكانوا عشرين ، وكان إليجا محمد يطمع في تأسيس معاهد بالرغم من مضايقات السلطات المستولية آنذاك ، وفي سنة ١٩٤٢ م افتتح معهدا آخر من نفس النوع في واشنطن العاصمة ، وقد واصل إليجا محمد جهوده التربوية تلك حتى نهاية حياته ، واستطاع أن يحقق نجاحا محدودا في إيجاد معاهد كانت تزود أبناء المسلمين السود من أتباعه بالثقافة الإسلامية ما أمكنه ذلك .

وعندما تولى ابنه ولاس محمد (وارث الدين محمد) قيادة تلك الفئة الأمريكية المسلمة

سنة ١٩٧٥ م ، واصل مسيرة والده ، وأجرى بعض التغييرات في هذه الجماعة ، فباشر بتغيير اسم جماعته من (البلالين) Bilalians أو (أمة الإسلام المفقودة الموجودة) LostFound Nation of Islam إلى (الهيئة الإسلامية الأمريكية) The American Muslim Mission ثم أعلن في المؤتمر الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي في مدينة نيوارك Newark بولاية نيو جيرسي New Jersey أنه وأتباعه يشهدون منذ الآن أنهم مسلمون سنيون يطبقون القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وطالب أتباعه بالصلاة والصيام والحج ، وهي الأركان التي لم يطالب بها والده أتباعه من قبل .

أما في مجال التربية والتعليم فقد أكد وارث الدين محمد على أهمية وضرورة الدور الذي يمكن أن تلعبه الأم في تربية أبنائها . فغير اسم المعاهد التي أطلق عليها والده جامعة محمد الإسلامية ، وأعطاها اسما جديدا هو اسم والدته كلارا ، فأصبحت تسمى مدارس الأخت كلارا محمد SISTER CLARA MUHAMMED SCHOOLS وذلك لأن الأخت كلارا كانت قد لعبت دورا بارزا نشطا في مجال تربية أبناء هذه المجموعة تربية إسلامية صافية .

وازداد عدد مدارس الأخت كلارا سنة بعد أخرى ، حتى لا تكاد تخلو أية ولاية أمريكية اليوم من مدرسة أو أكثر تحمل اسم مدرسة الأخت كلارا محمد ، موزعة على المساجد المائتين التابعة لهذه المجموعة الأمريكية المسلمة ، وهذه المدارس مفتوحة للجميع بغض النظر عن الجنس أو الدين أو اللون ، غير أن الأغلبية الساحقة من طلبة ومدرسي ومدرسات هذه المدارس من المسلمين السود الذين ينتمون إلى هذه الجماعة .

وكأية معاهد إسلامية في أمريكا ، لابد من صعوبات تواجه مثل هذه المعاهد خاصة وأنها قد تجاوزت الخمسين هذه الأيام فمدرسة ديترويت ، على سبيل المثال اضطرت إلى إقفال أبوابها ثلاث سنوات متتالية من سنة ١٩٧٦ م - ١٩٧٩ م ، غير أنه أعيد فتح هذه المدرسة ، في مسجد والى محمد سنة ١٩٧٩ م واختيرت لها إدارة جديدة على مستوى من الكفاءة فعملت الإدارة على تحديث وتوسيع المدرسة وتزويدها بالمدرسين الأكفاء والوسائل التعليمية العصرية ، ونتيجة لهذا كله فقد وصل عدد طلاب هذه المدرسة في السنة الدراسية ١٩٨٠ - ١٩٨١ م إلى مائتي طالب وطالبة ، واشتمل المنهاج على الدراسات الإسلامية واللغة العربية بالإضافة إلى الموضوعات الأخرى التي تدرسها المدارس الأمريكية العامة ، وتدرس هذه المدرسة خمسة أيام أسبوعيا من الساعة الثامنة صباحا حتى الساعة الثالثة عصرا ويلتزم المسلمون من طلبتها وطلباتها بالزي الإسلامي .

وبالرغم من اشتغال منطقة ديترويت الكبرى على أكبر جالية عربية في الولايات المتحدة ، إذ وصل عددهم إلى ما يزيد على مائتي ألف في سنة ١٩٧٦ م^(٢٨) إلا أنهم لم يتحركوا لتأسيس مدرسة واحدة مثل الأخت كلارا محمد ، وإذا ما دعوا إلى مظاهرة ليشقوا عنان السماء

بهتافات جوفاء ، لا تسمن ، ولا تغني من جوع هبوا إليها سراعا تاركين أعمالهم ، فعندما اندلعت حرب رمضان (سنة ١٩٧٣ م) دعي إلى مظاهرة عامة شارك فيها من عمال شركة دودج Dodge وحدها حوالي ألفين مما أدى إلى تعطيل العمل في هذه الشركة تماما في فترة ما بعد الظهر^(٣٩) . ويرجع السبب في حماسهم هذا ، وتقاعسهم في مجال تربية أبنائهم إلى ضعف الوازع الديني في نفوسهم ولأنهم ما حضروا إلى أمريكا إلا لدنيا يحبونها بينما نجد المسلم الأمريكي متحمسا لدينه الجديد فخورا به مجاهدا بأداء شعائره داعيا الآخرين إليه ما أمكنه ذلك . وبعد أن أصبح يعيش في سعادة الإسلام الغامرة ، كره أن يعيش أي من أبنائه في متاهات وضلالات المجتمع الأمريكي القذر ، لذلك تجده حريصا أشد الحرص على أن يخلص أبنائه من مدارس هذا المجتمع الموبوء ويدخلهم في المدارس الإسلامية أينما وجدت ، وهذا هو أهم أسباب نجاح الإخوة الأمريكيان السود من المسلمين في تشييد المعاهد الإسلامية في كافة أرجاء أمريكا .

وإذا كان جل المدارس الإسلامية التي يداوم فيها الطلاب دواما كاملا على أيدي أمريكيين سود ممن فروا من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، فإن جل المدارس الإسلامية التي يداوم فيها الطلاب نهاية الأسبوع فقط ، قد أسس على أيدي المسلمين المهاجرين إلى أمريكا . وهذه المدارس مفيدة أيضا ، فهي أفضل من لا شيء ، كما أنها فرصة لالتقاء أبناء المسلمين وتعارفهم ودراستهم للقرآن الكريم واللغة العربية والسيرة النبوية العطرة في ظلال بيوت الله . ذلك أن المسلمين في أمريكا قد دخلوا مرحلة هامة ، أصبح فيها من الضروري لهم أن يؤسسوا معاهد خاصة بهم في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية والتعليمية^(٤٠) واستجابة لهذه الحاجة الملحة ، فإن الجهود الفردية في تقدم مستمر في مجال التربية الإسلامية وذاك بالعمل على تأسيس مدارس يتمكن الطلاب المسلمون وغير المسلمين من تلقي تعليمهم في جو إسلامي لذلك فإن مدارس نهاية الأسبوع تنتشر في معظم المدن التي يوجد فيها مسلمون وهي في ازدياد مستمر ، ومن بعض الأمثلة على ذلك مدرسة الأقصى في نيويورك في مسجد الفاروق بإدارة الأخ أمين عوض ، وتدرس يومي السبت والأحد وتشتمل على حوالي مائتي طالب وسبعة مدرسين ، وهناك سيارة نقل تشجع الكثيرين على الحضور إلى المدرسة ، وهناك مدرسة مشابهة في نيو جيرسي بإشراف المركز الإسلامي هناك ومدرسة أسست سنة ١٩٦٦ م في مدينة روكفيل Rockville في ولاية ماريلاند Maryland^(٤١) وفي ديترويت إلى جانب مدرسة المسجد الإسلامي في ديربورن Dearborn التي نظمها ورعاها الدكتور عبد القادر أبو شريفة لما لديه من خبرة في حقل التربية ، فهناك النادي الهاشمي الذي تنظر إليه الجالية كمعهد شيعي ويوجد فيه مدرستان كبيرتان نشيطتان تدرسان يوم الأحد ، إحداها للتعليم الديني والأخرى لتعليم اللغة العربية^(٤٢) ومدرسة في مدينة بلينفيلد Plainfield بولاية أنديانا ، ومدرسة في مدينة آن آربور Aun Arbor في ولاية ميشيغان Michigan ومدرسة

عريقة في مدينة توليدوا (طليطلة) Toledo في ولاية أوهايو Ohio ومدرسة سكرمنتو Sacraminto في ولاية كاليفورنيا California حيث توجد أكبر جالية إسلامية هندية وفيها أسس أول مسجد في الشاطئ الغربي لأمريكا^(٤٣) ويضيق لي المجال لو مضيت أعدد مدارس نهاية الأسبوع الإسلامية في القارة الأمريكية ، غير أنني سأورد فيما سيأتي فكرة موجزة عن بعض هذه المدارس .

تعتبر مدرسة توليدوا التي تدرس في نهاية كل أسبوع أحد الأمثلة على المدرسة الإسلامية في أمريكا ، ذلك أن الجالية الإسلامية التي يرجع تاريخها في توليدوا إلى سنة ١٩٣٩ م ، استطاعت في سنة ١٩٥٥ م أن تبنى مسجدا وتؤسس مدرسة تابعة له ، وقد كان الهدف من تأسيس مدرسة توليدوا تعليم أعضاء الجالية وأبنائهم روح وفلسفة وثقافة الدين الإسلامي ، والوفاء بحاجات الأعضاء الدينية وتعليم الطلاب اللغة العربية والتاريخ الإسلامي ، كما عملت هذه المدرسة على الإبقاء على وحدة وتعاون وتميز سائر أعضاء الجالية الإسلامية في تلك المدينة التي يفخر مسلموها بأنها تحمل اسما إسلاميا ، هو طليطلة في الأندلس .

وقد بدأت المدرسة بحماس ونشاط كبيرين ، كان حضور الطلاب عاليا في البداية وكان آباؤهم يرسلونهم إلى المدرسة يومي السبت والأحد من كل أسبوع لمدة أربع ساعات كل يوم . وما إن بدأ الطلاب يتفهمون أصول اللغة العربية والدين الإسلامي حتى فوجئ المسئولون بعد عدة أشهر بتسرب مفاجيء لعدد من هؤلاء لأسباب كثيرة منها :

- عدم مقدرة الآباء على الاستمرار في إرسال أبنائهم إلى المدرسة في كلا اليومين الوحيدين اللذين يمكنهم فيها الاستراحة أو قضاء بعض الواجبات البيئية المتركمة لنهاية الأسبوع ، وعدم رغبة الطلاب في دراسة خمسة أيام في المدارس الأمريكية ويومين في المدرسة الإسلامية مما يثقل عليهم ولا يدع لهم أية فرصة للراحة خاصة وأن كافة زملائهم كانوا يستمتعون خلال إجازة نهاية الأسبوع .

- عدم كفاءة المدرسين الذين قدموا من مصر وغيرها من الدول العربية وعدم إلمامهم بطرق تدريس هؤلاء الطلاب الذين يلقون كل عطف وتشجيع من مدرسي المدارس الأمريكية في حين يعاملهم مدرسو المدرسة الإسلامية بالطريقة التقليدية غير المألوفة لدى هؤلاء الذين ولد معظمهم في أمريكا .

- عدم توفير المنهاج الملائم والكتب الضرورية للقراءة في البيت .

كل هذه الأسباب أدت إلى فشل هذه المدرسة وفشل كل الجهود التي بذلها الآباء والمدرسون لتنويع أساليب التدريس واختيار المعلمين ذوي الخبرة لأن الآباء والأبناء يجدون أنهم بحاجة إلى الاستجمام والراحة خلال نهاية الأسبوع كي يستقبلوا أسبوعهم الجديد بهمة ونشاط ، لهذه الأسباب مجتمعة فقد تناقص عدد طلاب المدرسة باستمرار كما اقتصر المنهاج على

تدريس أصول اللغة العربية وبعض قصار السور من القرآن الكريم ، وتلقين أركان الإسلام والإيمان وبقي الأمر كذلك إلى أن استطاعت الجالية إحضار إمام جديد من الأزهر سنة ١٩٦٥م والذي عمل على بعث الحيوية والنشاط في المسجد والمدرسة حقاً ، فوصل عدد الطلاب إلى ١٥٠ طالباً ما بين سن الرابعة والخامسة عشر وكانوا موزعين على خمسة صفوف كالآتي :

الصف	العمر	العدد	المناهج لجميع هذه المراحل
أ	١٥ فما فوق	٨٠	التاريخ الإسلامي والفلسفة الإسلامية
ب	١٠ - ١٤	١٥	
ج	٧ - ٩	١٥	أركان الإسلام والإيمان الأساسية
د	٤ - ٦	٤٠	قصص الأنبياء عليهم السلام
هـ	الكبار	٩٠	الحديث النبوي الشريف

ولقد أعد المناهج بدقة من قبل الإمام الذي ينظم الدروس الأسبوعية ويجتمع بالمدرسات قبل بدء التدريس لإرشادهن لأفضل الأساليب في التعليم ، ومعظم المدرسات من الجيل الثاني وبعضهن من أمهات أمريكيات وآباء مسلمين .

تبدأ الصفوف الأربعة الأولى في الدور السفلي من المسجد من العاشرة حتى الحادية عشرة والنصف ، وهذا التوقيت بدوره يعطي الإمام فرصة الإشراف على الصفوف ومراقبتها ، كما أنه يمكن المدرسين وكبار الطلاب من الاستماع إلى محاضرات عن العقيدة الإسلامية ولغة التدريس في هذه الصفوف والمحاضرات هي اللغة الإنجليزية ، وعند الظهر يؤدي الجميع صلاة الظهر جماعة في المسجد وهذا ما يبعث نوعاً من الارتياح في نفوس التلاميذ الذين لا تتاح لهم فرصة لأداء صلاة الجمعة بسبب دوامهم المدرسي أثناء تلك الصلاة . وعلاوة على ذلك فهناك دروس في اللغة العربية تعقد مساء كل خميس ما بين الساعة السابعة والثامنة والنصف وذلك لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم كما أنها جزء لا يتجزأ من الإسلام ولذلك فإنه لواجب على كل مسلم أن يلم بها أو بشيء منها على الأقل .

بتخطيط من أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة ميشيغان الدكتور راجي رموني ، أسست في آن آربر سنة ١٩٧٢م مدرسة إسلامية ، تداوم يومي السبت والأحد ، ولدى هذه المدرسة برامج إسلامية مشوقة ، استطاعت اجتذاب العديد من الطلاب المسلمين من سائر المدن المجاورة مثل بيلانتي Ypailant سالين Salin أدرين Adrian هدسون Hudson بلفيل Bellvill جاكسون Jackson فلنت Flint بليموث Plymouth وغيرها ويدرس فيها مائة وخمسون

طالباً وطالبة موزعون على خمسة صفوف ، ويتولى التدريس مدرسون ومدرسات تطوعاً في سبيل الله ، ويشتمل المنهاج على اللغة العربية ، القرآن الكريم ، السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ، قصص الأنبياء ، علاوة على تعليم الوضوء والصلاة والأخلاق والآداب الإسلامية . ويتخلل هذه الدروس برامج ترفيهية من ألعاب وأفلام تليفزيونية مناسبة ، ولقد أثبتت هذه البرامج الترفيهية صلاحيتها في وقف تسرب الطلاب ، وبقاء معظمهم في الصفوف حتى نهاية الفصل . ذلك لأن العديد من الطلاب ، يحضرون إلى المدرسة ولديهم شعور أن نهاية الأسبوع من حقهم أن يستمتعوا بها خارج نطاق الجو المدرسي ، لأنهم يقضون خمسة أيام في الأسبوع في المدارس الأمريكية العامة ، ويؤمن في المدرسة الإسلامية ، فإذا لم يكن جو المدرسة الإسلامية محبباً جذاباً فسرعان ما يضيق به الطلاب ويتسربون بشكل ملحوظ .

يتولى الآباء إحصار أبنائهم ، وقد نظمت الجالية الإسلامية في آن آربر برامج خاصة للآباء في اللغة العربية والتربية الإسلامية ، خاصة وأن قسماً كبيراً منهم من مسلمي أمريكا والهند والباكستان ، وفي نهاية كل فصل توزع جوائز رمزية وشهادات تقدير على المدرسين والآباء ، كما توزع الشهادات والجوائز على جميع الطلاب ، وهناك دورة مكثفة خلال عطلة الصيف يشعر الآباء وأبنائهم أنهم يجنون منها فوائد كبيرة ، لأنهم يدرسون خمسة أيام أسبوعياً على مدى شهرين متتابعين .

ولم يقتصر النشاط التعليمي للجالية الإسلامية في آن آربر على مدرسة نهاية الأسبوع والصيف ، بل يتعداها إلى الإسهام في التدريس في المدارس الإسلامية الموجودة في المدن المجاورة ، وإلى إلقاء المحاضرات عن الإسلام والمسلمين في الكنائس بدعوة من رجال الدين فيها ، وإلقاء محاضرات في المدارس الحكومية العامة بدعوة من بعض المدرسين ، يعقب ذلك استفسارات من الطلاب عن الإسلام ، خاصة وأن معلومات الأمريكيين عن الإسلام مشوهة لأنها مستقاة من أعداء الإسلام دون غيرهم . كما يشمل النشاط التعليمي لهذه الجالية على التدريس في مختلف السجون في ولاية ميشيغان التي تشتمل على سجناء مسلمين رجالاً ونساء . فيقوم متطوعون مختصون من أعضاء الجالية بزيارة السجون بشكل منتظم ، وإعطاء دروس في اللغة العربية والتربية الإسلامية ، وإلقاء خطبة الجمعة على السجناء المسلمين ومن هذه السجون سجن هورن Huron واحد للرجال وآخر للنساء ، وسجن مايلان Milan ، وسجن جاكسون Jackson وهو أكبر سجن في العالم ، وكنت أقصده بانتظام للتدريس لحوالي ٣٠٠ نزيل مسلم ، كان قسم منهم يدرس اللغة العربية والثقافة الإسلامية في فرع كلية جاكسون Jackson Community College داخل السجن نفسه .

ونظراً للموقع الهام الذي تتميز به مدينة آن آربر ، لكونها مدينة جامعية ثلث سكانها طلاب في الجامعة ، فقد أخذت الجالية الإسلامية هذه ، تنتهز فرصة وجود أي من المثقفين المسلمين

الزائرين ، ليدلي بدلوه في مجال التربية الإسلامية ، سواء أكان للصغار أو للكبار ، ومن أفادوا الجالية في هذا المجال الدكتور مصطفى الأعظمي عالم الحديث ، من الهند ، الدكتور عمرو النامي من ليبيا ، الدكتور حسن الترابي من السودان ، الدكتور أحمد صقر من لبنان ، الدكتور راجي رموني من فلسطين ، الدكتور سمير فخورو من البحرين ، النائب يوسف العظم من الأردن ، والدكتور عبد الله التركي - مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وغيرهم كثير .

هذا وقد أتمت هذه الجالية الإسلامية بناء مركز إسلامي جديد سنة ١٩٨٤م يشتمل على قاعة للصلاة ومدرسة ومكتبة ، ومن المؤمل أن يصبح الدوام في المدرسة الجديدة كاملا ، خمسة أيام أسبوعيا ، بعون الله .

ومن المؤسسات التي ساهمت في مجال التربية الإسلامية في أمريكا رابطة العالم الإسلامي ، ففي سنة ١٩٦٢م أسست هذه الرابطة في مكة المكرمة ، وأعلنت على الملأ أنها ستعمل على (نشر) الإسلام في كافة أرجاء العالم ، والتصدي للمحاولات المعادية للإسلام ، وتطوير الجمعيات الإسلامية ، خصوصا في المناطق التي يمثل المسلمون فيها أقلية مثل أمريكا ، ومنذ سنة ١٩٧٤م افتتحت لها مكتبا في الأمم المتحدة في نيويورك ، وكانت تتشاور وتتعاون مع منظمة اليونسيف UNICEF واليونسكو UNESCO في عدة أمور ، وكان من خدماتها في نيويورك توزيع نسخ مجانية من ترجمة معاني القرآن الكريم ، وإمداد المراكز الإسلامية بأئمة ومدرسين ، وترأست الرابطة اجتماعا إسلاميا عاما عقد في مدينة نيوارك Newark في ولاية نيو جيرسي New Jersey سنة ١٩٧٧م حضره ممثلون عن أكثر من مائتي مسجد وجمعية في أمريكا . وكان هدف الاجتماع تقوية وتوحيد الجهود الإسلامية في القارة الأمريكية .

أما أكثر الجمعيات الإسلامية نشاطا في مجال التربية الإسلامية ، ومجال الدعوة إلى دين الله الخفيف في أمريكا ، فهي (اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا وكندا) Muslim Student Association (A S M) . وقد تم تأسيس هذا الاتحاد في مطلع سنة ١٩٦٣م ، على يد خمسة وعشرين طالبا مسلما ، ينتمون إلى خمس عشرة جامعة أمريكية ، وكان ذلك في جامعة النوي University of Illinois في مدينة ايربانا Urbana وكان الهدف من تأسيس الاتحاد توحيد الطلبة المسلمين الموجودين في أمريكا ، والذين تزايدت أعدادهم بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة ، إذ بينا اشتمل دليل الطلبة الأجانب الذي صدر في سنة ١٩١٩ ، على أسماء خمسة وثلاثين طالبا سوريا في الكليات والجامعات الأمريكية المختلفة^(٤٤) ، فقد وصل هذا العدد في السنة الدراسية ١٩٨١ - ١٩٨٢م إلى ٩٥٤٠ طالبا من السعودية ، و ١٠٠٠ من مصر ، و ١٠٠٠ من شمال أفريقيا ، وآلاف أخرى من شتى بقاع العالم الإسلامي .

وكان تأسيس ودعم المعاهد الإسلامية في القارة الأمريكية من أهم أهداف هذا الاتحاد ،
ومن الخدمات التي يقدمها الاتحاد :

- خدمات الكتاب الإسلامي Islamic Book Service (I.B.S) إذ يقوم هذا القسم بطباعة واستيراد الكتب الإسلامية بمختلف اللغات وبيعها أو توزيعها على المراكز الإسلامية .
- مساعدة الطلبة المسلمين ماديا وذلك بإعطائهم المنح الضرورية أو إعطائهم قروضا بدون فوائد يقومون بتسديدها بعد سنوات من تخرجهم .
- طباعة ونشر المادة الإسلامية باللغتين العربية والإنكليزية .
- تعليم الإسلام للسجناء مسلمين كانوا أو غير مسلمين .
- تنظيم مؤتمرات إسلامية يحضرها آلاف من مختلف الجاليات الإسلامية ويدعى إليها أفاضل العلماء من شتى ديار الإسلام ليرووا ظمأ المسلمين في أمريكا إلى معرفة المزيد عن الإسلام خلال أيام المؤتمر وبعده أيضا ، هذا وقد تم تشييد مقر جديد فاخر للاتحاد سنة ١٩٨٢م في مدينة بلينفيلد Plainfield في ولاية انديانا Indiana ليكون مركزا إسلاميا يضم مسجدا ومكتبة وقاعة محاضرات وقاعات رياضية وهناك آمال كبار تعقد على هذا الاتحاد في تقديم مزيد من الدعم والتخطيط في مجال التربية الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية .

وأخيرا وليس آخرا ، فهناك حدث عظيم في مجال التربية الإسلامية شهدته مدينة شيكاغو Chicago ثاني أكبر المدن الأمريكية والتي يسكنها نصف مليون مسلم ، ذلك هو قيام أول جامعة إسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٨٣ ، فبعد أن كان المؤلف أن يؤسس الأمريكيان جامعات لهم في بلاد المسلمين ، لتضليل أبناء المسلمين وإبعادهم عن دينهم ، وتخرج جيل لا يخدم إلا المصالح الأمريكية في ديار الإسلام ، بعد هذا بدأ المسلمون يقيمون الجامعات في أمريكا ، ولكن لهدف مختلف تماما ، وهو محاولة إخراج الناس على اختلاف معتقداتهم وأجناسهم من ظلمات المبدأ الرأسمالي الأمريكي الكافر إلى نور الإسلام العظيم .

وكان لهذا الحدث الهام ردود فعل مختلفة في أمريكا وخارجها ، فعلى الصعيد الرسمي اعترفت الحكومة الفيدرالية بالجامعة ، وعبرت وزارة التعليم العالي عن سرورها لافتتاح الجامعة وعن أملها بأن تملأ هذه الجامعة الفراغ الأكاديمي في مجال معرفة الإسلام دينا وحضارة ومدنية وتاريخا . وقد سجل هارولد واشنطن رئيس بلدية شيكاغو زيارة إلى الجامعة ، كما زارها عدد من مسؤولي وزارة التعليم في ولاية إلينوي ومجموعة من أعضاء مجلس الشيوخ . أما الأوساط العلمية فأعلنت ترحيبها بالجامعة ، فاعترفت بها جامعات عديدة وشجعت بعض الجامعات طلابها على دراسة بعض مواد العلوم الإنسانية فيها .

وتحت عنوان (الحياة الإسلامية تبرز في الغرب الأوسط لأمريكا) Islam Life Debuts in Midwest جاء في صحيفة شيكاغو تريبيون Chicago Tribune وهي الصحيفة الأولى في شيكاغو : (إن الجامعة الإسلامية الأمريكية هي الأولى من نوعها ...) أما صحيفة صن تايمز Sun Times إحدى صحف شيكاغو الرئيسية ، فرغم أنها أشارت إلى أن قيام الجامعة سوف يساعد على التقارب الثقافي ، إلا أنها لم تحف حسرتها على ذهاب الراهبات والتماثيل والرهبان والصلبان الذين كانوا يمتلكون المبنى قبل أن تشتريه الجامعة الإسلامية . كتبت هذه الصحيفة مقالين أحدهما بعنوان (كلية إسلامية في موقع شاذ) College of Islam in Ironio Location والآخر بعنوان : (كلية إسلامية تساعد على التقارب الثقافي Islamic College Helps Bridge Cultural Gap فقالت الصحيفة : (ستكون هزة ثقافية وصدمة لدى طلاب مدرسة اماكولاتا الثانوية لو زاروا مدرستهم الأم فالقديسات ذهبن ، وزالت بذهابهن التماثيل والصلبان ، وحل محل اسم المدرسة لائحة مكتوب عليها بالعربية والإنكليزية : الكلية الإسلامية الأمريكية ، أما في الداخل فقد تحولت الكنيسة إلى مسجد) وما تحفي صدورهم أعظم ، فلقد أصبح ذلك الدير كلية إسلامية ، وبذلك جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

ومن أجل ما وصف به الدكتور أحمد صقر هدف الجامعة قوله : (نشأت جامعة فوردهام في نيويورك قبل مئة سنة لنشر الثقافة الكاثوليكية ووضع مساحيق تجميل على وجه النصرانية الشاحب الدابل الذي أعرض عنه المجتمع الأمريكي ، أما المسلمون فقد حاولوا إقامة جامعة لهم في الستينات ثم في السبعينات غير أن الظروف لم تكن مواتية أيامها لأن يرى هذا المشروع التربوي الإسلامي النور ، والآن هانحن قد تمكنا بعون الله سبحانه وتعالى من تحقيق هذا الحلم الذي راود المخلصين من أبناء المسلمين سنوات عديدة ، وستطرح جامعتنا رواية متكاملة للإسلام كتصور حي مستقل للكون والإنسان والحياة ، لانتشال الناس في هذه القارة ، مسلمين وغيرهم ، من التخبط في دياجير الكفر إلى السعادة في ظلال الإسلام العظيم) . وأضاف الدكتور أحمد صقر ، نائب رئيس الجامعة ، والمعروف بدعوته ونشاطه الإسلامي :

(إن واقع الدراسات الإسلامية في أمريكا مؤسف للغاية ، فالصهيونية والصليبية هما اللتان تشرطان وتسيطران على مناهج الدراسة الإسلامية في شتى الجامعات ، سواء أكان الأساتذة من الشرق أو الغرب ، حتى لقد أصبحت الجامعات الأمريكية مصانع لإنتاج وترويج الشبهات والأباطيل والأفكار الخاطئة عن الإسلام والمسلمين ، أما بالنسبة للأجيال الجديدة من المسلمين ، فقد أصبحت الحياة الأمريكية تشكل خطرا حقيقيا عليهم ، وخاضت المؤسسات الأمريكية الثقافية معركة غير متكافئة ضد العائلات المسلمة ، فانتصرت عليها ، وأصبحت حاضنة لأطفالهم شاعوا أم أبوا ، سواء أكان ذلك في المدرسة أو في الشارع أو حتى مع

التليفزيون في عقر دارهم . وبالفعل فقد لوحظ أن بعض المسلمين بدأوا ينسون دينهم وتقاليدهم وأخذوا ينصهرون في بوتقة البيئة الأمريكية ، وينجرفون في تيارهم العاتق ، من أجل ذلك ، ومن أجل أهداف سامية كثيرة ، جاء تأسيس الجامعة الإسلامية في أمريكا) .

وفي لقاء مع الدكتور عبد القادر أبو شريفة ، أستاذ اللغة العربية بالجامعة قال : (بدأت الدراسة في الجامعة في أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٨٣م والمستولون فيها من عشر دول إسلامية فالدكتور إسماعيل الفاروقي هو رئيس الجامعة ، وهو المشهور بنشاطه التربوي الإسلامي في جامعة تمبل Temple University وغيرها ، والدكتور أحمد صقر هو نائب الرئيس وهو دينامو الجامعة الفعلي ، وللكلية مجلس أمناء يرأسه الحبيب الشطي ومعه نخبة من أفاضل الأدباء والعلماء والإداريين والمربين والدبلوماسيين منهم : الشيخ عباس الغزاوي والدكتور عبد الله نصيف والدكتور عبد الله التركي والدكتور أحمد محمد علي والدكتور محمد عبده يماني وجميعهم من السعودية والدكتور عز الدين إبراهيم من الإمارات والدكتور كمال ناجي من قطر والأستاذ دفع الله الحاج يوسف من السودان .

أما طلاب الجامعة فيمثلون أربع عشرة دولة إسلامية هي : السودان ، الصومال ، السعودية ، غامبيا ، باكستان ، الهند ، ماليزيا ، نيجيريا ، فلسطين ، سوريا ، لبنان ، مصر ، ترينيداد ، غيانا البريطانية ، علاوة على الطلاب من أمريكا وكندا) .

وعلاوة على برنامج تدريس اللغة الإنجليزية للطلبة الأجانب وبرنامج تدريس اللغة العربية للأمريكان فإن الجامعة الإسلامية الأمريكية تمنح الشهادات التالية :

- ليسانس في الدراسات الإسلامية .
- ليسانس في الدراسات العربية .
- بكالوريوس في التربية والتعليم الابتدائي .
- ومن مشاريع المستقبل التي تفكر فيها الجامعة وتخطط لتنفيذها :
- منح شهادة الماجستير وشهادة الدكتوراه .
- فتح فروع في مختلف أنحاء أمريكا
- وضع برنامج لمنح شهادة تخصص في البنوك الإسلامية .
- تدريس تمهيدي في الطب والهندسة وطب الأسنان والتكنولوجيا الطبية
- إنشاء دار نشر وإصدار نشرة ومجلة وصحيفة باسم الجامعة .

— مشروع المتحف الإسلامي الذي سيشتمل على الأجنحة التالية :

أ - جناح القرآن الكريم : ستقوم الجامعة بخزن القرآن الكريم في الكمبيوتر لتصنيف الآيات والسور وسيشتمل الجناح على تسجيلات مختلف القراءة وعلى الطبعات المختلفة للقرآن الكريم مع ترجماته ، علما بأن معاني القرآن الكريم قد ترجمت إلى سبع وعشرين لغة منها : الإنجليزية ، الفرنسية ، الألمانية ، البرتغالية ، البلغارية ، البشناقية ، البولونية ، التركية ، الروسية ، البوهيمية ، (التشيكوسلوفاكية) الدانماركية ، الرومانية ، الإيطالية ، اللاتينية ، الفنلندية ، المجرية ، النرويجية ، الإسبانية ، اليونانية^(٤٥) .

ب - جناح السنة النبوية : وفيه تعرض مختلف كتب الحديث النبوي الشريف بمختلف اللغات ، كما سوف تفهرس المتون والأعلام وكل ما يتعلق بالحديث في الكمبيوتر .

ج - جناح المخطوطات الإسلامية .

د - جناح الفن الإسلامي والخط العربي .

— مشروع المكتبة الإسلامية : وقد بوشر بإقامتها غير أنها ما تزال بحاجة ماسة إلى أمهات الكتب الإسلامية بمختلف اللغات ، وقد وعدت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بتقديم آلاف الكتب هدية منها لزميلتها في شيكاغو ، وسوف تشتمل المكتبة على جناح يضم أجهزة الفيديو والأفلام ووسائل الإيضاح العصرية ، وسوف يطلق عليها اسم (مكتبة الإمام البخاري) .

— مشروع الإذاعة الإسلامية : وقد بدأت الاتصالات بالفعل مع رئيس مجلس إذاعة يمتلكها الأمريكيون السود ، وهو معروف بمناصرته للقضايا الإسلامية ، وتحاول الكلية شراء بعض الأسهم وبالتالي فسوف يكون بإمكانها بث برامج علمية وثقافية عن الإسلام ، والأمة الإسلامية ، وكذلك الحال بالنسبة للبيت التلفزيوني .

وقديما قيل : (على قدر أهل العزم تأتي العزائم) فليس بكثير على من عرفوا بمجدهم واجتهادهم في الوسط الإسلامي في أمريكا ، وليس بكثير على مجلس أمناء مكون من صفوة مختارة من عشرين إسلامية ، ليس بكثير على هؤلاء وأولئك ، أن يواصلوا التخطيط والعمل الجاد الدؤوب ، لتحقيق كافة مشاريع هذا الصرح التربوي الإسلامي العظيم الذي سيعود بالنفع العميم على الملايين الستة من مسلمي أمريكا بإذن الله .

الهوامش

- 1- Elian C. Harobian **THE ARAB AMERICANS, STUDIES IN ASSIMILATION** The (Meding University Press International, Wilmett, Illinois, 1969), p.p. 3-4
- 2- فاضل سعيد عقل : رجوه من المغتربين ، منشورات ، البيرق ١٩٥٨ ، ص ٣٣
- 3- Beverlee Turner Mehdi, **THE ARABS IN AMERICA 1492-1977; A CHRONOLOGY AND FACT BOOK.** (Oceana Publication, Inc. N.Y., 1978). p.1
- 4- Philip & Joseph. Kapyal, **THE SYRIAN-LEBANESE IN AMERICA**, (Twayne Publisher, Boston). P. 18
- 5- Mehdi, p.59
- 6- Hagobian, p.103
- 7- Ibid, p.104
- 8- Mehdi, p.4
- 9- Hagobian, p.9
- 10- Ibid, p.9
- 11- Kayal, p.18
- 12- Mehdi, p.5
- 13- Abraham, p.76
- 14- Ibid, p.66
- 15- Hagobian, p.52
- 16- Abraham, **ARABS IN THE NEW WORLD**, p. 78
- 17- Ibid, p.19
- 18- Ibid, p.68
- 19- الشيخ طه الولي : الإسلام والمسلمون في ألمانيا بين الأمس واليوم ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٦م ص ١٢١
- 20- Elkholy, p.25
- 21- Abraham, **ARABS IN THE NEW WORLD**, p. 68
- 22- Elkholy: p.25
- 23- Mehdi: p.15
- 24- Ibid, p.21
- 25- Ibid, p.43
- 26- Abraham: **ARABS IN THE NEW WORLD**, p. 172
- 27- Ibid, p.173
- 28- Mehdi, p.28
- 29- Abraham; **ARABS IN THE NEW WORLD.** p. 19
- 30- Ibid, p.66
- 31- Mehdi; p.93
- 32- Abraham; **ARABS IN THE NEW WORLD**, p. 19
- 33- Elkholy: p.87
- 34- W. Lloyd, Warner: **STRUCTURE OF AMERICAN LIFE**, Edinburg, 1952, p. 89

- 36- البدوي المثلث : الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية ١٩٥٦ ، ص ٢٤٦
- 37- Philip K. Hitti., **THE SYRIANS IN AMERICA**, George H. Doran Company, New York, p. 91
- 38- Abraham, **The Arab World & The Arab Americans**, p.74
- 39- Baha, Abu Laban, **ARABS IN AMERICA**, (The Medina University Press Intr. Wilmette, Illinois, 1975), p. 198
- 40- Muslim Student Association, **A MANUAL FOR ISLAMIC WEEKEND AND SUMMER SCHOOL**, (International Graphic Printer Service, Maryland, 1977), p.i.
- 41- Mehdi, p.32
- 42- Elkholy, p.132
- 43- Ibid, p.25
- 44- Barabara C. Aswad., **ARABIC SPEAKING COMMUNITIES IN AMERICAN CITIES**, Center for Migration Studies of New Yourk Inc.), p. 92
- 45- الشيخ طه الولي : مرجع سابق ، ص ٥٨ - ٥٩

الأقليات المسلمة نحو خطة شاملة لتربية جديدة

خرم جاه مراد

الأقليات المسلمة نحو خطة شاملة لتربية جديدة

خبر جله مراد

ما المستقبل الذي ينتظر الشباب المسلم في بريطانيا ، أو ما وضع هذا الأمر في أي مجتمع علماني مماثل غير مسلم ؟ إن هذه المسألة الحرجة تشغل عقل كل مسلم يعنيه أمر المسلمين ويهتم به . إننا نحاول جادين أن نبحث عن إجابة وعن خطة شاملة عملية لائقة ، أي إننا نبحث عن خطة شاملة تربوية - كما جاء بالعنوان - لنضمن تربية أطفالنا في ظل الإسلام وبقاءهم على دين الإسلام . وهذه مسألة حتمية ملحة وذات أهمية قصوى ، لأن مستقبل الشباب المسلم إن هو إلا الاسم الآخر لمستقبل الأمة هنا ومستقبل عائلتنا وتقاليدها ومؤسساتنا ، ومستقبل المساجد العديدة التي تنتشر في أنحاء هذه البلاد وبعضها تم بناؤه بمبالغ وتكاليف باهظة .

صناعة المستقبل وتشكيله :

باديء ذي بدء ينبغي أن نسقط كلمة « ينتظر » لأنها مصدر من مصادر السلبية والانهزامية ، فليس هناك مجال في الإسلام لأن يكون المرء متلقيا سلبيا لمستقبل مخزون في المصير يواجها بصرف النظر عما نكسبه لأنفسنا ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ . وليس هناك مكان للكشف عن مستقبل تسوقه قوى مادية عمياء . بل الله العليم الحكيم ، خالق الليل والنهار والدرر وهو رب العالمين . ومع ذلك فكل واحد يجد ما يعتقد ويعمل من أجله . وقد أوضح الله لنا الطريق وأناره لنا وبين لنا مرآة

وتكراراً أن الإنسان يحصد ما يزرع وأن الله لا يضل ولا يهدي الناس في مستقبلهم ولا يحاسبهم إلا بما كسبته أيديهم .

ومن المدهش حقاً أننا مستعدون لأن ننسى هذه الرسالة البسيطة جداً وننسى متضمناتها العميقة . ربما لأننا لا نحب تلك المتضمنات ، ولا نريد أن نتخلى عن أنماط حياتنا الكسولة الرتيبة ، ولا نريد أن نتحمل مسؤولية حياتنا نحن أنفسنا . وهكذا - دون أن نخطئ فيه - فليس هناك إشراك لأية قوى بشرية مطلقة ، بعيداً عن قدرة الله ، ونستطيع دائماً أن نختار ماذا نريد أن يكون عليه مستقبلنا في الغد . وعلينا أن نخطط وأن نجاهد من أجل ذلك . ولكن علينا طبعاً أن ندرك طول الوقت اعتمادنا الكامل على الله الذي تجري مشيئته علينا في الزمان والمكان وعلينا ألا ننسى « إن شاء الله » .

وبذلك فليس هناك من مستقبل ينتظر أي شخص ، وأن هذا المستقبل يمكن أن يكون لنا بمشيئة الله تعالى وهذا ما نحلم فيه ونجاهد من أجل تحقيقه في الواقع .

المشكلات التربوية :

إن مفتاح المستقبل هو « التربية » لا بمعناها الضيق في المدارس والمناهج والمقررات ولكن التربية بمعناها الواسع في تغيير القلوب والعقول والحياة وتعبئتها وشحنها بالمثل والأنماط التي توجه وتركز مطامحهم وجهادهم . والمسلمون لا ينبغي أن يحتاجوا إلى أية توجيهات بشأن أهمية التربية والتعليم باعتبارها المفتاح لمستقبلهم أو ضمن إطار التصور الواسع .

وأهمية التعليم بالنسبة للمسلمين تكمن أساساً في الوسيلة التي يضيفها الإسلام عليها في مشروع البعثة النبوية ، فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يبلغكم رسالاته ويظهركم ﴿ وَيَزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوْا تَعْلَمُوْنَ ﴾ سورة البقرة ، آية (١٥١) ، وفي قلب المثل والقيم الإسلامية نجد كلمة القراءة (إقرأ) والكتابة (القلم) والتعليم (علّم وتعليم) (والعلم) (والكتاب) كل ذلك يوجد المسؤولية ويوجد الرغبة في أن يتعلم الإنسان كيف يعيش مسلماً .

وفي الوقت الحاضر فإن لهفة المسلمين وحزنهم كبير على الضرر الذي قد يحدثه التعليم العلماني لأبنائهم . وهذا في الوقت الحاضر يحدد النسق الكامل لفهمهم لما عليه مشكلاتهم التعليمية . ويأتي في المقام الأول وأكثرها أهمية الصراع بين بيئة المدرسة

وعقائد وقيم الإسلام . ومن ثم يصبح الأطفال بعيدين عن الإيمان بالله وبالرسول الأسوة الحسنة ومنهج الحياة الإسلامي وخاصة فيما يتعلق بالجنس والأسرة ، فالمدرس والمنهج والكتب المدرسية والإدارة كل ذلك يسهم في هذه العملية .

ثانياً : الأطفال غير المسموح لهم ولا يتمكنون من تطبيق تعاليم الإسلام في الأمور التي تتعلق بحياتهم اليومية مثل الطعام واللباس والصلاة والصيام والتعليم المختلط .

ثالثاً : لا يتلقى الأطفال تربية إسلامية . ونحن لا نعني بذلك التربية الإسلامية بمعناها الحقيقي ولكنهم لا يتعلمون شيئاً عن الإسلام ولا حتى كيف يقرأون القرآن الكريم .

ونحن نتحدث عادة عن « التربية الإسلامية » ومن المهم هنا أن نميز ذلك عن تعليم الإسلام لأننا نخلط أحياناً بين الاثنين . وإن نقل المعرفة الكاملة في إطار إسلامي وتربية الأشخاص الذين يجاهدون للحياة خضوعاً لمشية الله ، هذه هي : التربية الإسلامية والتربية الإسلامية تعني شيئاً أكثر شمولاً عن مجرد التثقيف الإسلامي في الإيمان وممارسة الإسلام ، وعلى سبيل المثال فإن المساجد في بريطانيا تقوم بتوفير بعض التثقيف عن الإسلام ونفس الشيء هو ما تقدمه الأنظمة التربوية حتى الجامعات الإسلامية والكليات في العالم الإسلامي فضلاً عما يحدث على نطاق أوسع .

وحيث أن التربية هي المفتاح لمستقبلنا ، فإن المستقبل مرتبط ارتباطاً دقيقاً بأحلامنا عن أنفسنا وسوف يتحدد بهذه الطموحات . قد يبدو هذا الكلام شاعرياً ، ولكن الآمال والطموحات الجيدة هي التي لديها القدرة على توليد الخطوات الشاملة المثمرة طويلة الأمد .

وعلى هذا ، فإن أقصى ما نصبوا إليه هو أن نضمن ألا تنسلخ أجيالنا الصاعدة عن إسلامها بفضل المدارس الرسمية ، وأنهم لن يشبوا وهم يجهلون الإسلام . وهذا ما نود أن نحدثه في حياتنا رغم الظروف التي تشدنا في اتجاه مضاد تماماً . فلا المجتمع العلماني الذي نعيش فيه يتلاشى بالتمني ، ولا مدرسه التي لا بد أن يتعلم فيها أبناء المسلمين في غياب أي بديل ملموس .

هل مثل هذه الخطة الشاملة ممكنة وقابلة للتنفيذ ؟ أقول نعم وأكثر من ذلك ، ولكن هذا فقط إذا كنا على استعداد للنظر أبعد من هذه الأهداف المحددة الدفاعية وأن نضع أيدينا على إنجاز العلم الذي نحلم به نحن المسلمين وكذلك علينا أن نفكر في حلول بعيدا عن التنظيمات المنظمة القائمة التي يبدو أن عقولنا - لسوء الحظ - قد التصقت بها .

الهدف والخطة الشاملة

ما الذي ينبغي إذن أن نطمح إليه ؟ من الواضح أننا لسنا مستعدين لأن يستوعبنا الغير وأن نخسر وإلا فإننا لا نكون في بحث عن خطة تربوية شاملة . هل نقبل إذن أن نعيش ثقافة فرعية حاقدة كالأقلية محاصرين دائماً نكافح بصفة دائمة لأن نحفظ بالمكان القليل الذي يسمح لنا به ؟

يبدو أن هذا هو المصير الذي يسير إليه معظمنا . ولكنني لذي شك قليل عما يجب أن تكون عليه طموحاتنا ، أن تجلب للمجتمع الذي نعيش فيه السلام (الإسلام) والعدالة (القسط) التي نعتقد أنها توجد فقط في الخضوع (الاستسلام) للإله الأحد وفي اتباع أنبيائه ورسله .

ليس هناك ما يدعوا إلى أن نتعذر أو نخجل من ذلك ، وهذا لا يعني أن نشرع في بعثة هداية أو أن نسير في طريق حرب ، إننا أعضاء عاملون في مجتمع يدعي الديمقراطية ولنا في مستقبله ضمانات مساوية ، إنه واجب ندين به لإخواننا المواطنين ولأنفسنا ولخالقنا . وإنه حقهم كذلك ، فيجب علينا أن نشارك من خلال أعمالنا الطيبة وأقوالنا الحسنة وبكل الاعتقاد والتأكيد وبخضوع وعاطفة ، ذلك الكنز العظيم ، كنز الهداية المقدسة الذي منحه الله لنا ووهبنا نعمته .

إن خطتنا الشاملة للشباب يجب أن تهدف إلى تحقيق هذا الحلم ، ولنقل ببساطة ، إنهم يعرفون الإسلام ويعرفون أيضاً كيف يفهمون عالمهم في ضوءه ، بينما يعيشون بالإسلام فإنهم مجهزون لدعوة زملائهم من البشر أن يعيشوا مستسلمين لخالقهم .

حيثما فقط فإن أطفالنا وجميع الأطفال سيكونون في مأمن . هذا هو الطريق لنا نحن المسلمين ولا بديل غيره .

أولاً : دعوة الآخرين للاستسلام للخالق جزء مكمل من نفس العملية والغرض في أن نكون أنفسنا مسلمين ملتزمين ، ألسنا مسلمين جيدين عندما نرغب لأطفالنا ما يطمحون إليه ؟ عليهم هنالك أن يتعلموا أنهم لن يكونوا كذلك ما لم يدعوا الآخرين للحاق بهم .

ثانياً : ما لم يكن معظم ما نطمح إليه ونخطط له بنفس القدر المطلوب فإن القليل الذي نحاول تحقيقه الآن قد يخدعنا ويزيغ منا .

الخطة الشاملة الدفاعية : لماذا ؟

أساساً لأن الجزيرة الثقافية الصغيرة جداً في بحر شاسع هائج ، وتحاصرها الأمواج العاتية من كل مكان تأمل بالكاد في أن تستطيع الهروب من التدخل والحصار بمجرد المواقف والإجراءات الدفاعية . واليوم بصفة خاصة تواجه تحديات ثقيلة في الحياة كما لم يكن من قبل . فمن خلال مؤسسات مثل الدولة القادرة والإعلام المتطور الكفء والنظام المدرس الإجباري والخدمات الاجتماعية النافذة الشاملة تصل مكونات الثقافة السائدة كل صمغ وكل منزل وكل قلب وكل عقل .

والأهداف الدفاعية - فوق كل ذلك - توجد أرواحاً خجولة تعيش على استحياء لا تكاد تستطيع أن تهزم قوة الثقافات السائدة وشدة بطشها وإحكام قبضتها وهذه الأهداف تملي فقط تلك الإجراءات التي يمكن أن تصلح في النظام السائد ورغم أنها ضرورية جداً في الكفاح المستمر إلا أن فائدتها محدودة .

وتلخيصاً لذلك ، أقول بأنه من المستحيل أن ننمو ونبقى مسلمين تميزنا الشخصية الإسلامية وأن نكون أقلية مقبولة ما لم نزرع في شبابنا هدف تحويل المجتمع إلى مجتمع مسلم . أساساً ، لأن تلك هي طبيعة الإسلام وكذلك لأن مجرد نقل معرفة عن الإسلام لن يكون كافياً ؟ إننا بحاجة إلى ثقافة مضادة قادرة .

وموارد الروح الداخلية فقط التي تستطيع دخول المواجهة الثقافية بتأكيد الذات وبعقد أن لديها ما تقدمه وما تعطيه ، وليس مجرد ما تأخذ ، وبإحساس المهمة في تغيير المجتمع ، ذلك هو الذي يستطيع أن يوجد مثل هذه الثقافة المضادة . أي إيجاد مجتمع بديل داخل المجتمع القائم حالياً . ربما لا نستطيع النجاح في تغيير المجتمع - برغم أن هذا الهدف ليس بعيد المنال - لكننا نستطيع الحياة الإسلامية بكل تأكيد . إننا بمجرد أن ننجح في أن نجعل التربية عملاً أطفالنا بالقدوة ، فسيحدث تغيير دراماتيكي في نفسياتهم وفي تشكيل شخصيتهم بالكامل ، فبدلاً من أن يكونوا عند طرف التلقي من خط التحول الثقافي فإنهم سينقلون إلى الطرف الذي يعطي . وذلك فقط سوف يعكس كشف التاريخ الذي نهبه كثيراً ونحشاه .

إن خلق ثقافة داخل ثقافة ، ومجتمع داخل مجتمع ، ذلك يجب أن يكون الجزء الأساسي الطويل المدى من خطتنا الشاملة . وعلى أية حال فإن الجزء القصير المدى ليس أقل أهمية ، وهو حماية كل شبر من أرضنا الثقافية ، وأن نشق طريقنا إلى الأمام داخل النظام قدر المستطاع . فالثقافة مثل الإسلام تحتاج إلى هذا الدفع ذى الشقين (الشعبين) .

الخطة الشاملة القصيرة المدى

لنبدأ أولاً بالأخير :

أولاً : المدارس المسائية ومدارس عطلة الأسبوع وهي غالباً تكون في المساجد وتضطلع هذه المدارس بمهمة توفير التعليم الإسلامي في وقت ليس للمسلمين فيه أي حل آخر لمشكلاتهم . والتعرف على إسهاماتهم الهائلة . ودورهم المستمر ذو أهمية قصوى . ولا يزال هناك الكثير المطلوب عمله في هذا الصدد .

١ - إعداد دورات قصيرة المدى وطويلة المدى لتدريب المدرسين وتخريج مدرسين جدد . ويجب أن يكون المدرسون أكثر فعالية وعاطفة وقادرين على التعامل مع المجتمع المعاصر ومزودين ومجهزين للتعليم لتحقيق الأهداف الطويلة المدى التي لخصتها أعلاه . والمدرسون الجدد ينبغي أن يأتوا من مدرسي المدارس الرسمية . وقد يشكل المدرسون المحالون للتقاعد قاعدة جيدة للاختيار والتوظيف فإنهم جميعاً بحاجة إلى حافز ملائم للعمل .

٢ - دح الأطفال يفهمون القرآن الذي يقرأون بمشقة وجهد كبيرين . دعهم يعيشون في صحبة حميمة مع النبي ﷺ ومع التاريخ الإسلامي . فلا شيء يشكل الشخصية والثقافة تشكيلاً حاداً مثل التاريخ .

٣ - إشراك الأطفال في أوجه نشاط الراشدين في الجالية حتى وإن بدت المهام التي تناط بهم بسيطة مثل تنظيف المساجد ودعوة الناس إلى الصلاة .. إلخ .

٤ - المنهج الأساسي المعد إعداداً جيداً ضرورة لا مفر منها ؟ فقد لا يكون ذلك ملموساً في الوقت الحاضر ولكن الجهود يجب أن تستمر .

٥ - تعبئة أقصى الموارد الرسمية ورؤوس الأموال والمباني لهذه المهمة التدريسية التكميلية .

وفي هذا كله يجب أن يترك عبء التنفيذ لأولئك الذين يقومون به حالياً وعلى الآخرين من ذوي النوايا الحسنة أن يساهموا بالأفكار والآراء .

ثانياً : يجب بذل جهود مكثفة وبطريقة أكثر اتساقاً لإقامة مدارس مستقلة للمسلمين وخاصة للبنات على مستوى الروضة . ولنأخذ من الناحية العملية ، ما هو ممكن التحقيق ، وعلينا أن نتابع بلا توقف الشيء المثالي .

ثالثًا : يجب مواصلة الجهود لكسب مكان لتعليم الإسلام في المدارس والكلية الرسمية .
وهناك مجال لكسب حيز أكبر في حياة المدرسة إذا استخدمت الإمكانيات
والتسهيلات التي يمنحها القانون والمجتمع .

رابعًا : يجب تنظيم العمل السياسي لضمان السماح للأطفال المسلمين بتطبيق القواعد
الإسلامية في مسائل مثل الاختلاط واللباس والغذاء والصلاة .
وهذا في ظني أكثر أهمية من درس أو درسين أسبوعيا لتعليم الإسلام . فالمعلومات قد
تتبعثر ، وهي تتبخر فعلا ، ولكن الحياة وفق القواعد والنظم الإسلامية وتطبيقها من
يوم لآخر سوف يحفز الشخصية الإسلامية في الضمير . ولفهم أهمية ذلك عليك أن
تنظر إلى المظاهرة التي حدثت في ديربي ضد حق ارتداء الحجاب ، والتي قامت في
برادفورد ضد حق الطعام الحلال . وجميع الإجراءات المذكورة أعلاه ضرورية ،
ولكن ليس منها ما يقدم الرد النهائي لمشكلاتنا فليس منها ما هو قائم بذاته يستطيع أن
يحقق أحلامنا التي نصبو إليها . وكل منها - على أية حال - قد يسهم بشيء مهم
يصبح جزءًا من خطة شاملة عامة .

المدارس الإسلامية المنفصلة :

دعنا ننظر بشيء من التفصيل إلى واحدة من تلك المدارس الإسلامية
المنفصلة . إن حقنا في هذه المدارس لا ينكره أحد أما أهميتها
وشدة الحاجة إليها فقد برزت بما لا يدع مجالاً للتأكيد عليه من جديد ، وهي
كذلك لن تحل جميع مشكلاتنا التربوية ولن تغطي وحدها احتياجاتنا وأهدافنا
الطويلة المدى .

ما الذي يجب أن تكون عليه المدرسة الإسلامية ؟

يجب أن يديرها مسلمون ، وأن يعمل فيها مدرسون مسلمون (قدر الإمكان) أما
أن تحصل على مساعدة من الحكومة فهذا يخضع لأنظمتهم ولوائحهم ،
ولابد من تطبيق المنهج الرسمي ، رغم تدريس الإسلام وتطبيق قواعده . ويجب أن تفتح
هذه المدارس أبوابها للأطفال من كافة الملل والأديان ويجب أن يكون خريجوها ملائمين
لمواصلة التعليم العالي وسوق العمالة والتوظيف .

دعنا ننظر ماذا تستطيع تلك المدارس أن تفعله وما لا تستطيع أن تفعله ؟

أولاً : في الوقت الحاضر قد لا تكون المدارس الإسلامية أكثر من عدد حسابي من

المدارس الرسمية زائداً موضوعات إسلامية ، زائداً النواحي الإسلامية داخل جدرانها الأربعة ، زائداً إداريون مسلمون وربما بعض المدرسين المسلمين . والنتيجة قد لا تكون مختلفة اختلافاً جذرياً عما يحدث في مجموعة من الدول الإسلامية . أو ما أوضحه تقرير لمنظمة إسلامية حديثة عن المدارس القائمة : « في حالات كثيرة يكون الفرق بين هذه المدارس الإسلامية والمدارس الرسمية هو الاسم .. وبعضها قد أدرج ضمن مقرراته الموضوعات الإسلامية ولكننا لا نزال نشعر بأن المدرسة المسلمة في نوعيتها الضرورية غير موجودة » .

ثانياً : إذا كان المدرس هو أكثر الوسائل فعالية لنقل تلك النوعية الضرورية فهل هناك ما يكفي من المسلمين المؤهلين ولو حتى لمدرسة ثانوية واحدة ؟ فالمدارس الإسلامية لا تستطيع أن تتحاشى استخدام غير المسلمين وتدريب نفس المناهج الدراسية التي تدرس في المدارس الرسمية كما تفعل بعض المدارس التابعة للمساجد . وعلامة على ذلك فقد يختلف كثير من المدرسين المسلمين عن غير المسلمين بالاسم فقط .

ثالثاً : في داخل إطار المجتمع العلماني الكبير هل نستطيع أن نقوم بعمل أحسن لتخريج مسلمين ملتزمين عما تستطيع المدارس النصرانية أو اليهودية تخريجهم لنصارى ويهود متمسكين بدينهم .

إنني في هذا المقام لا أتحدث عن إنشاء المدارس التي قبلناها دون نقد - كوسيلة ملائمة لتخريج مسلمين ملتزمين - وإلا فإنها اختراع اجتماعي من اختراعات الغرب - منذ حوالي ٢٠٠ سنة - تم استكمالها لمواصلة إنجازاتها وقيمها . وهي أساساً تقوم بتدريس المهارات والتعليم من أجل كسب لقمة العيش لا لتحقيق المعنى المطلوب من الحياة ، حيث تأسست استجابة للأدوار الاقتصادية المعتمدة والمتخصصة المعاصرة . وهذه الشعائر نفسها مثل الشهادات لا توفر إلا عمراً سهلاً في عالم موجه نحو العمل .

رابعاً : فقد تكون فعاليتها في تشكيل العقول والشخصيات محدودة . كم يقضي الطفل من الوقت في المدرسة ؟ إنه يقضي وقتاً قليلاً جداً . وطبقاً لما يقوله اس . نعيم الدين (في مجلة أذان الشهرية التي تصدر في برمنجهام عدد نوفمبر ١٩٨٣) إن هذا الوقت هو ١٢٣٥ ساعة في السنة بمعدل (٣٤٥ ساعة يومياً) أي بنسبة

١٤١٪ من حياته (٨٧٠٠ ساعة) أي ٢٥٢٪ من الزمن الذي من المقرر أن يقضيه يقظاً (إذا كان سينام عشر ساعات يوميا وقليل من يفعل ذلك) .

خامساً : هناك بعض المخاوف لا تقوم جميعاً على غير أساس في أن طلبة هذه المدارس سيتعرضون للتمييز العنصري في سوق العمالة . أو أنهم وقد تربوا في عزلة قد لا يكونون مجهزين للتفوق في التعليم العالي أو المجتمع ككل في حياتهم المستقبلية . ولكننا إذا نحينا هذه الاعتبارات الدنيوية في الوقت الحاضر . وهذا ما ينبغي فيجب ألا نهمل جانبيين هما :

١ - أن أولئك سيدرسون في هذه المدارس لا يتلقون تدريجاً اجتماعياً لائقاً للتفاعل إسلامياً مع من سيعيشون ويعملون معهم .

٢ - أنهم سيفقدون فرصة الضغط والتأثير على طلبة المدارس الرسمية ومدرسيها .

وهذه المخاوف لا يمكن أن نتجاهلها باعتبار أنها ذات نتائج طفيفة .

سادساً : وفي الوضع الجزأ القائم حالياً فمن العبث أن نطمح إلى أن يتفق المسلمون على منهج موحد أو إدارة موحدة . والاختلافات الداخلية قد تصل إلى درجة انهيار تلك المدارس . وقد يشاهد المرء نشأة مدرسة بريلوية BARELVI ومدرسة ديوباندية DEOBAVDI أو مدرسة سلفية في نفس المكان . (وقد تعمل ندرة الموارد على تفشي مثل هذا المنظر القبيح) .

سابعاً : وأخيراً حتى مع إمكانية تأسيس مدارس إسلامية مرضية بدرجة معقولة فإن مدى الحاجة الفعلية الكبيرة أبعد من أن نحققه . فلا أحد يعرف كم من الأطفال المسلمين في المدارس ولكن من المقرر تخميناً أن يتراوح العدد ما بين ١٠٠.٠٠٠ إلى ٢٠٠.٠٠٠ طالب ينتشرون في شتى أنحاء الدولة .. هل نستطيع أن نبني المدارس المطلوبة لهم ؟ وحتى إن استطعنا ذلك كم من الوقت يستغرق هذا العمل ؟ هل لدينا الموارد الكافية والوقت اللازم لذلك ؟ أم هل نقنع بتعليم القلة فقط في بعض أماكن قليلة .

إنني لم أذكر ذلك كله لأحول دون بناء المدارس الإسلامية ، ولكن لا بد للمرء أن يتساءل : لماذا ينبغي أن نبني المدارس ثم ننفق طاقاتنا عليها ؟ هل لأن الخطة الشاملة المرنة - كما قيل - يجب أن تستخدم كل وسيلة متاحة في إطار الحدود والتحفظات الميينة وأن تواجه مشكلات ملحة كذلك ؟ ومن ثم فيجب أن تكون

ذات أبعاد متعددة . وكجزء من هذه الخطة الشاملة ، ولكن دون أن تكون بمؤداها - فقد تلعب المدارس الإسلامية دوراً مهماً رغم كل الصعوبات والتحديات وأوجه القصور الموروثة . ويجب أن يكون من الممكن - بالاعتماد المستمرة - التغلب على بعضها .

إنها ستحل بعض المشكلات الملحة وخاصة بالنسبة للبنات . وبنائها تصبح لدينا القاعدة التي تبنى عليها أكثر . وستكون الخبرة المكتسبة من جراء البناء ذات قيمة كبيرة في تنفيذ الخطة الشاملة العامة . وقد تصبح المدارس نواة لمؤسسات أكثر شمولاً ، ولإعداد مواد تعليمية مطلوبة أكثر وتدعو الحاجة إلى استخدامها في المدارس والمنازل . إن الجهود التي تبذل من أجل بناء مدارس مستقلة بذاتها سوف تبقى الاهتمام التربوي حياً وتبقى الاهتمام مركزاً على ما هو مطلوب عمله والاهتمام النشاط والعمل وإيجاد الموارد التي هي قليلة الآن . وفي نفس الوقت فإن إصرارنا على بناء تلك المدارس حتى تضطر السلطات التعليمية بالدولة إلى توفير وتغطية كثير من احتياجات المسلمين المهمة داخل نظامهم ومن المؤمل أن ذلك قد ينتج جيلاً يوفر القيادة المطلوبة جداً للمجتمع .

وجميع الإجراءات القصيرة المدى التي ذكرناها آنفاً رغم أهميتها - إلا أنها توفر جسراً ضيقاً عبر هوة شاسعة . ولا ينبغي أن نعقد كل آمالنا عليها ولا ننظر إليها على أنها العلاج الناجح لكل أدوائنا ولا أن نسمح لها لاستهلاك كمية غير متناسبة أو مناسبة من مواردها . ولا ينبغي أن يجعلنا ذلك ننسى أو نهمل الطبيعة الحقيقية للتحدي الذي يواجهنا والهدف النهائي الذي ننشده .

الخطة الشاملة الطويلة المدى

دعنا الآن ننتقل إلى الخطة الشاملة الطويلة المدى . التي سوف تولد ثقافة داخل ثقافة من خلال مؤسسات تخضع لإشرافنا الكامل وفي حدود مواردها . المؤسسات ثلاثة وهي : المنزل ، مجموعات النظراء والجالية المجاورة .

المنزل :

البيت حتى في المجتمع الحالي يلعب دوراً حرجاً في تنمية الشخصية وحتى سن الخامسة عندما يدرج الطفل في مدرسة رسمية يكون البيت قد بذل جهداً كبيراً . فقد تعلم معظم ما ينبغي أن يتعلمه وكثير من الثقافة قد نقل إليه . وحتى بعد ذلك فإنه ينفق ٨٦٪ من وقته في البيت والبيئة المحيطة .

وعندما تحاط البيوت بثقافة علمانية طاغية ، يجب أن تشكل البيوت المحور والمركز

للخطة الشاملة لتوليد حياة إسلامية وتحقيقها . وهذا يتضح من قول الله تعالى لبني إسرائيل عن طريق موسى عليه السلام ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ (سورة يونس ، آية ٨٧) .

مجموعات النظراء (الأتراب) :

وتأتي في المرتبة الثانية الروابط والعلاقات الاجتماعية أو ما يسمى بمجموعات النظراء . ولهؤلاء قوة للتأثير بدرجة فاعلة أكثر من المدارس حتى داخل المدارس ذاتها .

لذلك ينبغي أن نخطط لتوليد حركة تحول كل منزل إلى مدرسة إسلامية وأن تجرب كل مسلم ناشئ إلى حياة مجموعة تتوجه توجهاً إسلامياً وتحيل المجتمع إلى عملية تربوية مستمرة أساسها العمل .

إنه حلم مستحيل ؟ نعم إذا توقعنا أن ذلك يمكن أن يحدث في القريب العاجل ، ولكنه حلم غير مستحيل إذا بدأنا الآن بالبداية فقط ، وعرفنا كيف نفعل ذلك ؟

الآباء المعنيون :

أولاً : البدء في تنظيم مجموعات من الآباء المعنيين ، كل مجموعة من خمسة إلى سبعة أعضاء أقوياء ، وجمعهم حول الهدف الوحيد ، وهو هدف التربية الإسلامية لا أكثر ولا أقل من ذلك . ولا ينبغي أن تكون الاختلافات المذهبية أو السياسية حاجزاً عائقاً في وجه هذا البرنامج ، لأن الحجم صغير لدرجة لا تكفي حجم الأشخاص المتمثلين فكرياً في مجموعة واحدة ، وبمجرد تكوين المجموعات الأولى فقد تنتشر الفكرة .

وما الذي ستفعله هذه المجموعات من الآباء المعنيين ؟ يتقابلون دورياً ويفضل أن يكون ذلك أسبوعياً وأن يناقشوا فقط قضية واحدة .

ما الذي سيفعلونه في الأسبوع القادم لتعليم أبنائهم وتربيتهم داخل بيوتهم . وقد تتخذ أعمالهم أشكالاً وصيغاً عديدة : قراءة القرآن ، الحديث ، السيرة ، الأدبيات الإسلامية ، القصص ، الاستماع إلى الشرائط ، توجيه بعض الأحاديث ، للأطفال ... الخ وبعد تأسيس تلك الجماعات فقد يرون قضاء بعض الأوقات في دراسة بعض هذه الموضوعات بأنفسهم ، ولكن ليس ذلك في البداية .

مجموعات الشباب المسلم :

ثانيًا : البدء في تأسيس وتنظيم مجموعات من الشباب المسلم على أساس وحيد هو تقديم شيء عملي للجالية الإسلامية والإسلام وتعليم أنفسهم الإسلام ، يجب أن يكون جزءًا من أهدافهم ولكن يكون ذلك في المقام الثاني .. ما الذي ينبغي عليهم عمله ؟

(١) اللقاء أسبوعيًا في المنازل أو المساجد أو في أي مكان ممكن ، ولكن علاقاتهم لا يجب أن تقتصر على اللقاء مرة واحدة أسبوعيًا بل يجب أن يلتصقوا ببعضهم البعض قدر الإمكان في الذهاب إلى المساجد وفي المدارس وفي الملاعب ... إلخ .

(٢) يجب أن يشتركوا اشتراكًا فاعلاً في حياة المجتمع من خلال الأعمال جميعها .

(٣) أن يضطلعوا بالدعوة إلى الإسلام بين الجيران كواجب أولي .

المواد التعليمية :

ثالثًا : يجب أن تضطلع أكثر من منظمة وطنية بواجب إعداد مواد تعليمية مناسبة من كتب وشرائط وفيديو .. إلخ وذلك من أجل التعليم خارج المدرسة مثل القرآن اليومي / الأسبوعي ، قراءات في الحديث والسيرة ، القصص ، مواد لمناقشات المجموعات ، مواد للوالدين ليقروها على أطفالهم في المنازل . إعداد مواد للتدريس داخل المدارس لأن ذلك مهم كذلك .

ولكن الكتب المنهجية سوف تستخدم في مدارس قليلة عندما يتم تأسيسها إن حدث ذلك بينما هذه البنود قد تستخدم في آلاف آلاف المنازل والمجموعات والبيئات المجاورة والأندية .

الحياة الاجتماعية الجديدة :

رابعًا : يجب أن يلتحم الشباب والراشدون سويًا في إقامة حياة اجتماعية بديلة تعتمد على أوجه النشاط الجماعية مثل مساعدة المسنين والمحتاجين والمرضى ، الحملات لجمع الأموال للأغراض التي تخدم الجالية مثل المساجد أو الأندية

أو الحلقات الدراسية أو البحوث عن البيئة المحيطة . مراكز المعلومات والمساعدات والمعارض والرياضة والترويح ... إلخ . ولتوليد حركة تربوية داخل الجالية عن طريق تحويل كل منزل وكل بيئة مجاورة إلى مدرسة وإعادة تشكيل عدد كبير من الرجال والنساء ليصبحوا معلمين تربويين ، هو ما يريده الإسلام أساسا . والخطوات السابقة جميعها ستولد مثل هذه الحركة ، وهذا فقط هو الحل الملائم المناسب لمشكلاتنا العاجلة التي تستطيع أن تقودنا وحدها إلى هدفنا النهائي .

الخاتمة :

لذلك ينبغي أن نستمر في بناء المدارس والمدارس الإسلامية ولا ينبغي أن نتوقف عن ذلك . علينا أن ننظر أبعد من هذه الحدود ، وأن نتحرك وراءها . دعنا ننفذ خطة شاملة تضمن أن تظل أجيالنا الشابة على الإسلام ليس هذا فحسب ، بل أن تعيش كل الأجيال الشابة حياة إسلامية . وأن نحمل جميعاً - لا الشباب وحدهم - على تلك التربية التي كانت مهمة نبوية شريفة ، إننا نفهم عالمنا في ضوء الإسلام . ونعيش بالإسلام . وتدعو جيراننا لنعيش في خضوع واستسلام للإله الواحد الأحد . وهذا معناه أن تصبح حياة الجالية بأسرها تربية حية ، مستمرة وحيوية . وهذا فقط يستطيع أن يضمن مستقبلاً إسلامياً للشباب ومن ثم ضمان مستقبل الأمة الإسلامية في هذه الدولة .

دور المؤسسات التعليمية في رفع المستوى الثقافي للأقلية المسلمة

الدكتور سعيد إسماعيل علي
جامعة عين شمس

دور المؤسسات التعليمية في رفع المستوى الثقافي للأقلية المسلمة

د. سعيد إسماعيل علي

ملخص البحث

لكي نكشف عن الدور الذي ينبغي أن تقوم به المؤسسات التعليمية في رفع المستوى الثقافي للأقلية المسلمة كان لابد أولاً أن نبحت الاحتياجات التربوية لديها ، ثم أهم المشكلات التربوية على أساس أن الاحتياجات والمشكلات هي التي تحدد اتجاه الدور ومضمونه . ومن خلال ذلك تبين لنا اختلاف المشكلات والاحتياجات باختلاف الإطارات الثقافية والحضارية التي يعيش المسلمون في كنفها .

ثم ناقشنا بعد ذلك المؤسسات التي يمكن أن تلعب الدور المطلوب بعد أن وسعنا مفهومها ليصبح (المؤسسات التربوية) لا التعليمية حتى يتسع ليشمل مؤسسات التعليم اللامدرسي واللائنظامي ثم التأكيد على أهمية التكامل بين الفئتين .

ومن هنا انطلقنا لتحديد الأدوار المطلوبة مستنديين في هذا التحديد أيضاً إلى عدد من المواقف والأمثلة الواقعية من حياة الأقلية المسلمة .

مقدمة

إذا كان المسلمون يشكلون الجبهة الكبرى من سكان مناطق عدة من العالم ، مثل المنطقة العربية ، وعدد آخر من البلدان الآسيوية والأفريقية ، فإن بلاداً أخرى كثيرة يشكل المسلمون فيها أقلية تتراوح بين عدة عشرات من الألوف وبين ملايين قليلة معظمهم في أوروبا وأمريكا وبعض البلدان الآسيوية والأفريقية .

وإذا كان المجتمع يسعى عادة إلى إيجاد التجانس والوحدة الفكرية والثقافية بين أبنائه ، فإن الأقلية المسلمة تصبح معرضة لخطر الذوبان في المجتمع الكبير مما يحتم ضرورة السعي الحثيث للحيلولة من هذا الخطر ، ويكون ذلك بانتهاج كافة السبل الممكنة واستنفار كافة النظم والمؤسسات للمشاركة في تحقيق هذا الهدف .

ولا تقتصر المسألة على الحيلولة بين الأقلية المسلمة وبين الذوبان في المجتمع الكبير غير المسلم ، وإنما تعداها إلى ضرورة التنمية الذاتية للمسلمين والتطوير الدائم لأحوالهم الثقافية والاجتماعية .

بل إننا لنزيد على ذلك ضرورة السعي لتوسيع الرقعة الإسلامية وكسب المزيد من الأنصار بجذب من يمكن جذبه إلى الانضواء تحت المظلة الإسلامية بحسن عرض الفكرة الإسلامية والدعوة إليها بالتي هي أحسن ، وتقديم النماذج الطيبة التي تؤكد للآخرين بطريق عملي أن النهج الإسلامي كفيل بأن يويئ صاحبه مكانة عالية في الحياة الدنيا والحياة الآخرة .

ولاشك أن مثل هذه المهمة لها جوانبها المتعددة اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً مما يحتم تضافر قوى كل المؤسسات القائمة واستحداث ما نحن بحاجة إليه للقيام بهذه المهام الرئيسية .

ومن بين هذه المؤسسات التي تلعب دوراً خطيراً في هذا الشأن المؤسسات التعليمية نظراً لطبيعة مهمتها الأساسية وهي بناء البشرية مما يتيح لها الفرصة أن تكون ذات أثر لا في المجال التعليمي فحسب ، بل في سائر المجالات الأخرى .

ولعل هذا يبرز لنا أهمية البحث في الدور الذي يمكن أن تقوم به المؤسسات التعليمية سعياً لرفع المستوى الثقافي للأقلية المسلمة في المجتمعات غير المسلمة . ذلك أن مثل هذا البحث يوفر للعمل الإسلامي قاعدة علمية متينة الأسس قوية الأركان بحيث يبعد عن الارتجال والعشوائية التي تؤدي بالعمل إلى الفشل عادة .

ومن الخطأ أن نظن أن المؤسسات التعليمية تقتصر على تلك المعاهد النظامية التي تقدم أطراف المعرفة في صورة مقررات في أوقات محددة على أيدي معلمين متخصصين ومحترفين ، إنها تشمل أيضا نوعا آخر نطلق عليه (مؤسسات التعليم اللامدرسي) ، وذلك مثل دور العبادة ووسائل الإعلام والأسرة والنوادي ، وغير ذلك من مؤسسات اجتماعية ، وذلك لأن عملية بناء الإنسان عملية متكاملة يضرها أن تقتصر على جانب منها ، تختص به المدرسة أو الجامعة .

مشكلة البحث :

يمكن تحديد المشكلة التي يحاول هذا البحث التصدي لها من خلال طرح التساؤل الرئيسي التالي :

(ما الدور الذي يمكن للمؤسسات التعليمية أن تقوم به من أجل رفع المستوى الثقافي للأقلية المسلمة) ؟

ويقضي هذا محاولة الإجابة على الأسئلة الفرعية التالية :

- أ - ما الاحتياجات التربوية للأقلية المسلمة ؟
- ب - ما المشكلات التربوية التي تواجه الأقلية المسلمة ؟
- ج - إلى أي حد تختلف الاحتياجات والمشكلات التربوية باختلاف أوضاع المجتمعات غير المسلمة ؟
- د - ما أهم المؤسسات التعليمية التي يمكن أن تسد هذه الاحتياجات ؟
- هـ - كيف يمكن تحقيق التكامل بين مؤسسات التعليم المدرسي ومؤسسات التعليم اللا مدرسي ؟ ... إلى غير ذلك من تساؤلات .

خطة البحث : بناء على ما سبق يقتضينا الأمر أن نعالج النقاط التالية :

- ١ - الاحتياجات التربوية للأقلية المسلمة .
- ٢ - المشكلات التربوية التي تواجه الأقلية المسلمة .
- ٣ - اختلاف الاحتياجات والمشكلات التربوية باختلاف المجتمعات غير المسلمة .
- ٤ - المؤسسات التعليمية التي يمكن أن تسد الاحتياجات التربوية للأقلية المسلمة .
- ٥ - التكامل بين مؤسسات التعليم المدرسي ومؤسسات التعليم اللامدرسي .
- ٦ - الدور الذي لابد من القيام به لرفع المستوى الثقافي للأقلية المسلمة .
- ٧ - مراجع مختارة .

وفيما يلي من صفحات ، تفصيل لهذه الخطوات ...

الاحتياجات التربوية :

لسنا في حاجة ملحة في هذا المقام لأن نغوص في تفاصيل تلك الفروق الدقيقة التي يحاول الباحثون أن يشيروا إليها بين عدد من المصطلحات التي تكاد أن تنتهي إلى نطاق واحد مثل (الحاجات) و (الاحتياجات) و (المتطلبات) و (الدوافع) وما إلى ذلك ، وإنما يسمح المقام لنا بإشارة عاجلة موجزة إلى فرق دقيق بين (الحاجات) و (الاحتياجات) يكمن في أن الأولى أقرب إلى الجانب البيولوجي ، أما الثانية فهي أقرب إلى الجانب الاجتماعي^(١) . ومن ثم فإن (الإحتياجات) تكون أقرب تطابقاً - مع بعض التجاوز - مع (المتطلبات) وتكاد (الدوافع) بدورها - مع بعض التجاوز - تتطابق مع (الحاجات) .

وعلى الرغم من تلك التفرقة الدقيقة التي أشرنا إليها بين (الحاجات) وبين (الاحتياجات) . إلا أن هذا لا يمنعنا من استخدام الأولى كمثال لشرح الثانية خاصة ونحن نعلم أن المستوى (البيولوجي) أبسط دراسة وملاحظة من المستوى (الاجتماعي)^(٢) .

إن للإنسان مستوى معيناً من التوازن في (وجود) العناصر التي تدخل في تكوينه ، فإذا أخذنا الماء على سبيل المثال ، سنجد أن جسم الإنسان لا يقوم إلا بقدر معين كحد أدنى منه ، فإذا نقص هذا القدر عن الحد الأدنى يوشك التوازن في (وجود) عناصر الجسم أن يختل ويدخله في دائرة الاضطراب فيشعر بـ (حاجة) إلى الماء و (دافع) إلى الشرب^(٣) .

كذلك فإن للإنسان شخصيته الخاصة الاجتماعية المكونة من عدد من الخصائص والعناصر . لكننا هنا نكون أمام صورة (مثالية) لا (واقعية) لكنها غير (مفارقة) أو (متعالية) .. إنها تدخل في دائرة (الأهمية الاجتماعية) و (الضرورة الدينية) .. وبدون تحققها تصبح حياة المواطن مضطربة .. قلقه .. غير موفقة .. ومن هنا تمثل هذه الصورة مجموعة (احتياجات) المواطن .. وهي بطبيعة الحال تختلف من مجتمع إلى آخر باختلاف الثقافة ، كما أنها تختلف من عصر إلى آخر لنفس السبب^(٤) .

فإذا جئنا إلى مجال التطبيق بالنسبة لموضوعنا ، فنجد أن الأقليات المسلمة تعيش في مجتمعات لها معاييرها وقيمها ومثلها وطموحاتها وأساليبها الفكرية وعاداتها وتقاليدها مما لا بد منه كي تتوفر للمواطن (الكتابة الاجتماعية) الضرورية لحسن معيشته وتعامله . وبحكم كون المسلمين في مثل هذه المجتمعات (أقلية) فإن هذا يعني - باحتمال غالب وترجيح واضح - أن مثل هذه المكونات اللازمة لكفاية المواطن الاجتماعية قد لا تتماثل

مع المكونات اللازمة للشخصية المسلمة التي يتطلبها الدين من الإنسان المسلم . ومن ثم يكون المواطن المسلم في هذه المجتمعات أمام فئة أخرى من المكونات التي لا بد من توفرها لديه .

إن هذه العناصر اللازمة لشخصية المواطن ليرتفع إلى مستوى (الكفاية الاجتماعية) اللازمة للمجتمع الذي يعيش فيه تمثل (احتياجات) تتعدد وتختلف بتعدد واختلاف المجالات والميادين ، من سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية ... إلخ^(٥) .

وكذلك فإن العناصر اللازمة لشخصية المسلم تمثل (احتياجات) ضرورية لهذا المواطن أيضا .

وإذا كانت الاحتياجات لها مضمونها الذي يجعلها اقتصادية أو اجتماعية (سياسية) فإن (الطريقة) التي نلجأ إليها لسد هذه الاحتياجات هي مما ينتمي إلى عالم التربية والتعليم ، فإذا كان المواطن في احتياج إلى اكتساب عدد من المهارات التي تمكنه من أن يكون عاملا فنياً ، فإن (طريقة) اكتساب هذه المهارات مما تختص به التربية ويختص به التعليم ، أما المحتوى ، فهو مما يختص به كل من عالم (الهندسة) و (الاقتصاد)^(٦) .

لكن هذا لا ينفي وجود احتياجات لها مضمونها التربوي الخاص مثل الاحتياج إلى اكتساب القيم الأخلاقية اللازمة .

ومن ثم فإن الاحتياجات التربوية يتسع مداها ليشمل فئة خاصة بها ، بالإضافة إلى أهميتها وضرورتها كـ (جسر) وكـ (أداة) لاكتساب الاحتياجات الأخرى .

وعندما ننتقل إلى محاولة تحديد الاحتياجات التربوية للأقلية المسلمة فإن المحاولة ليست سهلة يسيرة .. إن المنهجية العلمية تقتضي دراسة ميدانية يقوم بها فريق من الباحثين في عدد من المجتمعات التي توجد فيها هذه الأقلية ، وهو عمل يستغرق شهوراً طويلة . وبالطبع فإن هدفاً مثل هذا تنوء به قدرة هذه (الورقة) مما يجعلنا أمام سبيل آخر ينحو بالكاتب إلى (تصور) تقريبي لا نستطيع أن نزعم أن له الإحاطة والدقة . وليس معنى أنه (تصور) أنه يقوم على (التخيل) وإنما قد توفر له - بحمد الله - قدر من الملاحظة الشخصية والقراءات المتعددة .

- إن الإنسان المسلم - كعضو في أقلية اجتماعية - يكون بالدرجة الأولى في حاجة ملحة إلى أن يفهم أساسيات الدين الإسلامي وأن يقوم هذا الفهم على قواعد راسخة ومفاهيم واضحة ، بدرجة تجعله واعياً إسلامياً .

- والمسلم هنا لا يقتصر احتياجه على مجرد (الفهم) و (الوعي) ، وإنما هو أيضاً بحاجة إلى (ممارسة) شعائر الدين وخاصة في الصلاة والصيام ..

- وهو بحاجة إلى (التكافل الاجتماعي) بين أقرانه من المسلمين ، ومن ثم إلى ضرورة القيام بواجب (الزكاة) كسبيل أساسي لتحقيق التكافل المطلوب .

- وهو لكي يفهم دينه ويعيه لابد له من امتلاك الأداة الرئيسية لذلك ألا وهي اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم .
- والمسلم في هذه المجتمعات يكون بحاجة إلى التسلح بقدر من الوعي والتفكير الناقد الذي يجعله يكشف (الدسائس) الفكرية التي قد يدسها أعداء الأمة الإسلامية على الفكر الإسلامي ، فتكون مثل هذه الأقليات أولى ضحاياه عادة .
- والتوعية الإسلامية عملية لا بد أن تكون (مستمرة) غير مرتبطة بفترة زمنية محددة في مرحلة تعليمية معينة ، ذلك أن المسلم هنا يظل طوال حياته معرضا لزعيم لا ينقطع من الأفكار والمذاهب والآراء التي قد تتناقض أو تتضاد مع العقيدة الإسلامية .
- وإذا كانت ظروف المسلم في هذه المجتمعات قد فرضت عليه أن يعيش في محيط كبير لا يشاركه الملة والعقيدة ، إلا أنه يظل منتشيا إلى إخوانه المسلمين في مجتمعات الكثرة المسلمة ، ومن ثم فهو يكون بحاجة ملحة إلى الارتباط بها إعلاميا خاصة وأن وسائل الإعلام في المجتمعات غير الإسلامية تهمل عادة كل ما يتصل بالعالم الإسلامي إلا ما يسيء إليه فقط ، فإنها تلح عليه وتنشره وتذيعه وتبالغ فيه مثل ما يتصل بالمنازعات والمعارك المؤسفة التي تقع أحيانا بين بعض البلاد الإسلامية .
- والمسلم يحتاج إلى تحصيل العلم ، كل في الفرع الذي يميل إليه ويرغب حيث إن العلم هو أهم مظاهر (القوة) في عصرنا الراهن حيث لا تقتصر القوة على مجرد امتلاك القدرة (الاقتصادية والعدة العسكرية) بل لابد أيضا من (القدرة العلمية) التي هي وسيلة الوصول إلى المقدرة الاقتصادية العالية والمقدرة العسكرية المتقدمة (٧) .
- والمسلم بأمس الحاجة إلى أن يقدم في مثل هذه المجتمعات (مثلا أخلاقيا) رفيع (المستوى) فهو فضلا عما يؤدي إليه تقديمه لهذا المثل الأخلاقي من تحقيق لأهداف العقيدة الإسلامية وسلامة بنية المجتمع الإسلامي ، فإنه يقدم لغير المسلمين صورة مشرفة للشخصية المسلمة قد يكون لها تأثيرها في جذب البعض إلى ديننا الخفيف .
- والمسلم الذي حصل وعيا طيبا بأساسيات دينه لا يستطيع أن يقتنع بذلك متصورا أن الهدف تم الحصول عليه .. كلا ، فهناك بالضرورة مسلمون آخرون لم تتيسر الظروف اللازمة لهم لكي يحصلوا ما حصله ، ومن هنا فالإسلام يحتم دائما على من يعلم أن يعلم ما تعلمه في المجال الديني للآخرين .. ليس بالضرورة أن يكون مطالبا بأن يتحول إلى داعية ، وإن كان هذا مطالبا هاما ، ولكن على أقل تقدير يسهم في واجب (توعية) الآخرين ونقل الرسالة الإسلامية لإخوانه .

- ومما يكمل هذا أيضا أن تمتد المسؤولية إلى (إعلام) غير المسلمين بالصورة الحقيقية للإسلام عقيدة وشرعة .

المشكلات التربوية التي تواجه الأقلية المسلمة :

لعل من أخطر المشكلات التربوية التي تواجه الأقليات الإسلامية هي أن المسلم لا يعيش مجتمعا إسلاميا : نقول هذا من منطلق أن المجتمع هو الوسيط المرئي الأساسي ، إذ مهما تعددت وسائل التربية وأجهزتها ومؤسساتها فسوف يظل المجتمع هو (الرحم) الذي تنبت فيه شخصية المواطن إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ومن هنا فإن وجود المسلم جزءا من أقلية وسط كثرة غير مسلمة يجعله يضع أبناءه في (رحم) مختلف تماما يغذيه آناء الليل وأطراف النهار بالمثل والقيم والطموحات غير الإسلامية .

إن شأنا مثل هذا له خطره المزدوج ، فهو أولا يعيق ما قد يتم من تربية إسلامية لأبناء المسلمين سواء عن طريق الأسرة أو عن طريق مؤسسات أخرى ، ذلك أن فعل التربية لا يؤتي ثمره كاملا إذا كان هناك ما يفعل فعلا معاكسا . وهو من ناحية ثانية يوقع الأبناء في صراع حاد بين (تربية) يطمح إليها ويسعى نحوها يتطلبها دينه ، وبين (واقع) اجتماعي يسير به في اتجاه آخر ، وهو إن أخلص تماما لتربيته الإسلامية خاف أن يبدو في الوسط الأكبر غريبا مغتربا ، وهو إن تجاهل هذه التربية وانغمس في الوسط الأكبر بما فيه ، عاش تحت سيطرة ضمير يلهب فكره ووجدانه بضربات مؤلمة لأنه قد تنكب طريق الإسلام .

إن هذا ينقلنا إلى مشكلة أخرى نواجهها نحن أيضا في المجتمعات المسلمة ، ألا وهي ما اصطلاح على تسميته بـ (الأصالة والمعاصرة) ، إنها بالنسبة للمسلم الذي يعيش في مجتمعات غربية تكون أشد وطأة وأكثر إلحاحا إن المسلم هنا يكون أمام تحد كبير لتحقيق هذه المعادلة .. كيف يصبح الإنسان مسلما حقا ، ومعاصرا يعيش أصداء العصر ومطالبه .

إن الدراسة المتأنية لهذه القضية ربما تكشف عن عدم وجود تعارض وتناقض ، وهو ما نؤمن به شخصيا ، ولكننا نتحدث هنا عن حقيقة قائمة في التكوينات الشخصية تجعل من كثيرين وكأنهم يقفون أمام طريقين ، إما هذا وإما ذاك .

وإذا كانت التربية لا تقف عند حد (الفهم) و (العلم) و (الوعي) وإنما تتطلب (عملا) و (ممارسة) ، فإن الأقلية المسلمة قد لا تجد صعوبة في توفير (الوقت) و (المكان) ، المناسبين لدراسة ما يتصل بالصلاة ، ولكنها قد تجد صعوبة (عملية) في هذا الشأن وخاصة في المجتمعات الغربية بحكم ظروف العمل ونظامه ونظام العطلات الأسبوعية والموسمية . ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة للقيام بفريضة الصيام وفريضة الحج .

وبالطبع فإن من أهم المشكلات أيضاً أن أبناءهم وبناتهم يتعلمون في مؤسسات تربوية لا إسلامية على أيدي معلمين غير مسلمين في أغلب الأحوال مما يعرضهم لخطر الذوبان في المجتمع الكبير وإضعاف الهوية الإسلامية ، ولعل ما يمكن الإشارة إليه هنا ما تكون عليه المدارس من اختلاط بين البنين والبنات في تلك المرحلة الدقيقة من عمر الأبناء ألا وهي مرحلة المراهقة بصفة خاصة ، فضلاً عن المرحلة السابقة واللاحقة . والمسألة لا تقف عند حد معلمي هذه المدارس وعلومها وكتبها وإدارتها . وإنما تكمن المشكلة كذلك في جماعات الرفاق التي تلعب دوراً خطيراً في التأثير على شخصية الطالب ربما يفوق في بعض الأحوال دور المعلمين أنفسهم .

كذلك فإن غياب اللغة العربية يجعل السبل وعرة والطرق عسيرة أمام المسلم في هذه المجتمعات كي يدرس دينه ويقرأ القرآن الكريم والأحاديث النبوية . صحيح أن هناك ترجمات ، لكنها مهما أوتيت من دقة ، إلا أن الإحاطة الدقيقة والوعي السليم والبصر العميق بأصول الإسلام يتأتى بدرجة أكثر فاعلية عن طريق الدراسة الكافية باللغة العربية .

وإذا كان البعض قد جاء مهاجراً من بلد عربية مما يجعله مالكا لخاصية (اللغة) إلا أن أبنائه ينسونها بالتدرج لأنها لا تمارس في المجتمع الخارجي . بل إن الكبار أنفسهم قد يتعرضون لمثل هذا النسيان لنفس السبب .

ومن المسلم به افتقار الأقلية المسلمة للعدد الكافي من المعلمين والمربين وعلماء الدين الذين يمكنهم أن يقوموا بواجب التربية الإسلامية ، وتعليم اللغة العربية خاصة بالنسبة لغير الناطقين بها . صحيح أن بعض البلدان الإسلامية توفد مبعوثين لهم ، إلا أن عدد هؤلاء غير كاف ، ونخشى أن نقول : إن نوعيات بعضهم قد لا تكون بالمستوى المطلوب بسبب ما قد يتم من (وساطات) في اختيارهم إذا كانت الجهة التي يبتعثون إليها هي أحد البلدان الغربية المتقدمة . ولا نستطيع أن نفرض الطرف عما تتعرض له بعض الأقليات المسلمة من صور (غسيل المخ) والحرب الفكرية وخاصة في المجتمعات الشيوعية ، حيث يتعلم الأبناء غالباً ما تهاجم به الأديان بصفة عامة ، والدين الإسلامي بصفة خاصة ، ويمنع الجميع من ممارسة شعائر الدين ، أو توضع أمام الممارسة العقبات والصعاب . هذا فضلاً عما يتعرضون له من إرهاب فكري يجعل تداول الكتب الإسلامية عسيراً ، ونشر الأفكار والآراء الإسلامية محجوراً عليه .

ويتعرض أبناء الأقليات المسلمة وخاصة في البلدان المتقدمة صناعياً سواء في المجتمعات الماركسية أو المجتمعات الأوروبية والأمريكية لصور متعددة من الحياة الجنسية بلا حياء مما قد يغري البعض بالانخراط في علاقات مماثلة ، والذين يستطيعون الصمود ، فإنهم قد يعانون من مشاعر ضاغطة من الكبت الجنسي حيث عوامل الإثارة متعددة وكثيرة وقوية تكاد تحيط به في كل مكان .

والتعليم يحتاج دائما إلى قاعدة اقتصادية يقوم عليها ، وهنا نجد عددا غير قليل من الأقليات المسلمة تعيش أوضاعا اقتصادية متدنية مما يجعل الهم الأكبر للآباء هو توفير لقمة العيش والكساء والمأوى وغير ذلك من الاحتياجات الأساسية التي يجدها بصعوبة بالغة ، وقد لا يجدها . ومن هنا يصبح من العسير عليهم أن يعنوا بتعليم أبنائهم فضلا عن أنفسهم . ومن المعروف أن تردي الوضع الاقتصادي يجلب معه نوعا آخر من التردّي ، ألا وهو الوضع الصحي لاقتقاد التغذية اللازمة وصعوبة النظافة والوقوع في برائن الحشرات المتعددة ، وهذا وذاك مما يشكل عقبة رئيسية أمام التعليم ، بل إن بعض الأقليات المسلمة ذات الوضع الاقتصادي المعقول تقف أحيانا عاجزة أمام التكاليف الباهظة اللازمة لتوفير مسجد مثلا أو لتوفير مدرسة خاصة لما قد يحدث من (فتور) لدى بعض الأفراد من حيث المساهمة المالية .

وقد يؤدي (تجربة) الجهود التعليمية وتفرقها بين هيئات وجمعيات مختلفة إلى ضعف هذه الجهود أو إلى صعوبة صمودها أمام ما تواجهه من مشكلات ومن صعاب ، بل وأحيانا من تضاد وتناقض تكون فيه بعض النظم السياسية الخارجية مسئولة عن إذكائه في كثير من الأحوال وتعميقه وتوسيع نطاقه .

أما الكتب الدينية والكتب الدراسية ، فهي مع الأسف الشديد ، ليست بالوفرة التي تمكن أبناء الأقليات المسلمة من الاستعانة بها من أجل التثقيف فضلا عن تعليم وتعلم الأساسيات . ولا بد هنا من الإشارة بكل تقدير إلى الجهود الواضحة التي بذلتها رابطة العالم الإسلامي في هذا الشأن .

اختلاف الاحتياجات والمشكلات التربوية باختلاف المجتمعات غير المسلمة :

ترتيب الاحتياجات والمشكلات التربوية ارتباطا رئيسيا بالبنية الأساسية التي يكون عليها المجتمع ، ذلك أن النظام التربوي عادة ما يكون نظاما فرعيا ضمن مجموعة من النظم مثل النظام الاقتصادي والنظام السياسي والنظام الاجتماعي إلى غير ذلك من نظم يتكون منها المجتمع . وسبل التأثير والتأثر تحكم علاقات هذه النظم بعضها ببعض الآخر^(٨)

ومن هنا كان من الطبيعي أن يحدث تباين واختلاف بين احتياجات ومشكلات تعانها أقلية مسلمة في مجتمع عن تلك التي يواجهها مسلمون آخرون في مجتمعات أخرى . وإن كان هذا لا ينفي وجود قدر من التماثل والتشابه التقريبي بين بعض وآخر . إن هذا لا ينفي القاعدة التي نقيم عليها حديثنا بل تدعمه وتؤكد ، ويبان ذلك أن هناك بطبيعة الحال

سياسات متماثلة بين بعض المجتمعات تجاه الأقليات المسلمة مما يماثل بين مشكلاتهم بنفس القدر. وعلى سبيل المثال فهناك سياسة موحدة على وجه التقريب في المجتمعات الماركسية تجاه المسلمين ، ومن ثم فمن المتوقع وجود تشابه بين مسلمي بلد مثل المجر مع احتياجات ومشكلات مسلمي تشيكوسلوفاكيا ، وغيرهما من البلاد ذات نفس النظام .. وهكذا .

ويمكن اقتراح ثلاث فئات تنقسم إليها - على وجه التقريب - المجتمعات ذات الأقلية المسلمة وهي :

١ - المجتمعات الغربية مثل الدول الأوروبية والأمريكية ، وهي مجتمعات تسير بصفة عامة على الطريق الرأسمالي إذا تغاضينا عن بعض اللمسات أو النزعات الاشتراكية في بعض البلدان مثل السويد وإنجلترا ، والدين الغالب فيها هو الدين المسيحي مع تفاوت في المذاهب من بروتستانتية إلى كاثوليكية إلى إنجيلية .. وهكذا .

والحركة الاستعمارية التي تعرض لها العالم الإسلامي طوال القرن التاسع عشر وجزء كبير من القرن العشرين ، إنما حملت لواءها كبريات هذه الدول وفي مقدمتها إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا . وكان من آثار ذلك نزوح عدد غير قليل من أبناء المجتمعات الإسلامية المستعمرة إليها وهؤلاء بحكم هذا التراث وهذه الوضعية يواجهون مشكلات ذات نوعية خاصة ويحتاجون إلى أمور معينة لحل هذه المشكلات .

٢ - المجتمعات الماركسية ، وفي مقدمتها بطبيعة الحال الاتحاد السوفيتي والصين ثم عدد من البلدان الأوروبية مثل تشيكوسلوفاكيا ورومانيا ويوغسلافيا والمجر .

فالمسلمون هنا يتعاملون مع اقتصاد تحكمه الدولة وتسيطر عليه مما يجعل من المستحيل بالنسبة إليهم افتتاح مدارس خاصة وبناء أو شراء أماكن لتأدية الصلاة ، بينما لا يمنع القانون مثل هذا بالنسبة لمسلمي الدول الغربية .

كذلك نشير إلى ما سبق أن ذكرناه من تعرض الأبناء إلى تعليم مضاد للدين في المدارس بصورة علنية غير مستورة ، فالفلسفة الماركسية بتوجهاتها مقرر أساسي في مختلف مراحل التعليم ولا توجد أدنى فرصة للطلاب المسلمين أن يدرسوا شيئا يتصل بدينهم ، بينما يجد المسلمون في المجتمعات الغربية من سياسة (الحرية الدينية) ما يمكنهم من الحصول على القدر الذي يستطيعونه من التثقيف الديني وممارسة الشعائر الإسلامية . ولا أنسى في هذا المقام تلك الصورة المشرفة التي رأيتها لمسلمي مدينة بوسطن الأمريكية عندما أقاموا صلاة عيد الفطر كعادتهم كل عام ، وكان ذلك في أضخم معهد في العالم للتكنولوجيا وهو المسمى بـ (M.I.T) ، وكان صوت التكبيرات يجلجل بحرية دون اعتراض من أحد .

كذلك من المعروف أن لأي مجموعة من الطلاب أن تكون جماعة خاصة - ومنهم المسلمون - بطبيعة الحال - لتمارس النشاط العقدي الذي تريده .

٣ - مجتمعات العالم الثالث ، ويقع معظمها في قارتي آسيا بدرجة بسيطة وأفريقيا بدرجة أوضح ، أما بلدان أمريكا الجنوبية وأستراليا ، فالعدد قليل للغاية وهنا نجد أن مظلة التخلف مع الأسف الشديد تظل هذه المجموعة بحيث تنصدر الاحتياجات والمشكلات الاقتصادية والصحية غيرها من الاحتياجات .

وربما لا نجد لدى بعضها حجرا من الدولة على النشاط الديني الإسلامي في المجال التربوي ، لكن سوء الأوضاع الاقتصادية - كما سبق أن أسلفنا - يجعل الأقليات هناك (مهمومة) بلقمة العيش بالدرجة الأولى ، ويكفي التذكير بذلك الصور بالغة البؤس والمرارة للآلاف في إثيوبيا مثلا والهند ممن عانوا الجفاف والموت جوعا . وإن كان يمكن أن يفتح سبلا أمام أبنائها لتلافي هذه المشكلات الطاحنة الطاغية . بيد أنه يضعف من هذا الاحتمال أن التعليم القادر على تكوين الكفايات العلمية والفنية مكلف وليس سهلا ، وفئات المسلمين هناك لا تستطيع تحمل نفقاته ، إلا أن يكون تعليمًا بسيطًا لا يتعدى حدود القراءة والكتابة . وتعليم بهذا القدر من البساطة تكون قدرته ضعيفة على تفجير طاقات أبناء المسلمين وتحويلهم إلى ثروة بشرية ذات تأثير فعال وقوة اقتصادية ذات بال.

كذلك فإن (الجذب الثقافي) العام الذي تعيشه كثير من هذه البلاد ، وهو ما لا يوجد مثله في المجتمعات الغربية أو الماركسية ، يكون له دوره المخيف في استمرار حالة (السبات) الفكري والاسترخاء الثقافي لدى جماعات المسلمين على الأقل بحكم (العنوى) .

المؤسسات التعليمية التي يمكن أن تسد الاحتياجات التربوية :

نقف على المؤسسات التعليمية التي يمكن أن تسد الاحتياجات التربوية **لكي** للأقلية المسلمة ، لا بد أن نحدد أولاً ما نقصده بالمؤسسة التعليمية بل إننا حتى قبل أن نحدد ما نقصده بالمؤسسة التعليمية ، لا بد أن نحدد ما نقصده بالتعليم إن البعض قد يعتبر ذلك (ترديداً) في الكلام على اعتبار أن أمر (التعليم) واضح للناس لا يكتفه غموض . لكن هذا غير صحيح .

إن لغتنا العربية بها من الدقة في تحديد المفاهيم والمعاني ، ما ينبغي استثماره من أجل الوضوح الفكري والتحديد السليم لمجال العمل . ففي اللغة الانجليزية نجد أن

كلمة Education يترجمها البعض مناب (التعليم) ، والبعض الآخر ب (التربية) لكننا إذا أردنا الدقة فليس هناك ترادف بين الكلمتين إذ أن المقصود بكلمة (التعليم) يمكن أن يتدرج تحت كلمة (التربية) ، لكن العكس غير صحيح .

إن التعليم ، هو ذلك الجهد المنظم المقصود الذي يبذله فريق من المتخصصين المؤهلين لتزويد الطلاب بكم من المعرفة والقيم والاتجاهات والمهارات وفق برامج محددة موضوعيا وزمنيا في مؤسسات خاصة أقيمت لهذا الغرض . أما التربية فهي ذلك الجهد الواعي القائم على بصر من أجل إحداث تغييرات مرغوب فيها في شخصية المواطن تكسبه (الكفاية الشخصية والكفاية الاجتماعية) ، وتسعى دائما إلى المحافظة على ثقافة الجماعة وكذلك إلى تجديدها وتطويرها^(٩) .

الأول لابد أن يتم على أيدي متخصصين محترفين ، وهم المعلمون ، أما الثاني فليس ذلك ضروريا .

الأول لابد أن يتم في مؤسسات متخصصة أقيمت لذلك ، أما الثاني فليس ضروريا .

الأول لابد أن يتم وفق برامج محددة زمنيا وموضوعيا ، أما الثاني فليس ذلك ضروريا .
إن مثالا واحدا يمكن أن يزيد الصورة إيضاحا ..

ف (المدرسة) مؤسسة تعليمية تنطبق عليها كافة الشروط التي ذكرناها واصفين بها التعليم ... أما (النادي) - مثلا - فليس كذلك .. إنه مكان مفتوح لكل الأعمار ، نستطيع أن ندخله اليوم ولا ندخله بعد ذلك لعدة أسابيع أو حتى شهور ... وهو متعدد الوظائف والأغراض بحيث لا نستطيع القول بضرورة قيامه على يد عدد من المتخصصين المتفرغين لوظيفة (التعليم) فقط . إنها يمكن أن تكون إحدى وظائفه ، لكنها ليست وحدها ، وهذا ما يجعلنا ندخله في تلك الدائرة الأوسع .. دائرة (التربية) .

ومن هنا ، فإذا وضعنا الاحتياجات والمشكلات التربوية للأقلية المسلمة أمام نظرنا فسوف نجد أن (المؤسسات التعليمية) وحدها يستحيل عليها أن تفي بالغرض إذ لا نجد أمامنا إلا المدارس والمعاهد والجامعات مما يمكن تسميته بالمؤسسات التعليمية ، ومثل هذه المؤسسات هي غالبا ما تقع في يد الدولة أو الهيئات الاجتماعية التي تديرها وتضع لها من البرامج ما يجعلها تسير في اتجاه الأكثرية .

صحيح أن هناك مجتمعات تسمح للأقلية بافتتاح مدارس خاصة بها ، إلا أن قيام الأقلية بافتتاح (جامعة) أمر جد عسير وأخشى أن أقول إنه شبه مستحيل في أغلب الأحوال .
كذلك - فكما أسلفنا - هناك مجتمعات لا تسمح بذلك سواء بالنسبة للجامعات أو

المدارس ، كذلك فإن فرص العمل في مجتمع الأكثرية غير المسلمة لا تفتح عادة إلا لخرجي معاهد تسيير برامجها في دائرة الإطار العام لهذا المجتمع .

إن هذا يجعلنا نقترح ألا يتجه جهدنا الأساسي إلى ما نسميه بـ (المؤسسات التعليمية) وحدها ، وإنما إلى (المؤسسات التربوية) ، إذ أن هذا يفتح أمامنا آفاقاً واسعة ، فنستثمر كل وسيلة ونستغل كل مؤسسة يكون لها دور في تشكيل شخصية المواطن وذلك مثل (الإذاعة) و (التلفزيون) و (النادي) و (الصحافة) ، وأهم من كل هذا وذاك (الأسرة) ... ذلك الوسيط التربوي الأساسي الذي يفوق دوره ، دور سائر الوسائط التربوية .

ويمكن أن نطلق على المؤسسات المتخصصة في التعليم اسم (مؤسسات التعليم المدرسي) دون أن يعني هذا ربطها بـ (المدرسة) وحدها ، وإنما كذلك المعاهد والجامعات ، أما تلك المؤسسات ذات الآثار التربوية العامة فيمكن أن نطلق عليها اسم (مؤسسات التعليم اللامدرسي) . وكذلك يمكن أن نطلق على الأولى اسم (مؤسسات التعليم النظامي) .

إن خروجنا من دائرة التعليم النظامي (المدرسي) - دون إهماله طبعاً - واستغلالنا لطاقت التعليم اللانظامي (اللامدرسي) يجعلنا نتلافي الكثير من الأخطاء والثغرات التي أصبح كثيرون يلحقونها في الأول ، مثال ذلك :

- عجز التعليم النظامي عن مسيطرة التغير ، فضلاً عن قيادته والتحكم فيه .
- التركيز على الحفظ والاستظهار في وقت أصبح الاتجاه فيه يركز على (الكيفية) و (الطريقة) ، أو بمعنى آخر على (تعويد) الإنسان على المواجهة الذاتية للمواقف والمشكلات بعقل مفتوح وفكر ناقد .
- سيادة بعض المفاهيم الخاطئة عن التعليم مثل : (التعليم يعني التعليم المدرسي - التعليم هو نقل المعرفة - الحياة مقسمة إلى فترتين : فترة التعليم والإعداد للحياة ، وفترة العمل - إن التدريس هو العنصر الأساسي في التعليم - المعلمون لهم حق احتكار نقل المعرفة) ... وهكذا .

التكامل بين مؤسسات التعليم المدرسي ومؤسسات التعليم اللامدرسي :

كما قد أكدنا على ضرورة الاستعانة بمؤسسات التعليم اللامدرسي مثل الإذاعة والصحافة والتلفزيون والأسرة والمسجد والنادي وغيرها ، إلا أنه من الضروري أن نضع في الاعتبار ضرورة أخرى لا تقل عن ذلك أهمية ، ألا وهي ضرورة التنسيق والتكامل والاتساق بين جهود مؤسسات التعليم المدرسي ومؤسسات التعليم اللامدرسي .

فإذا كان أبناء الأقلية المسلمة يتلقون في المدرسة قيما ينكرها ديننا الإسلامي فلا بد أن تسرع الأسرة - مثلا - بتصحيح ذلك الأمر ، أما إذا كانت المدرسة تابعة للمسلمين ، فلن نجد بطبيعة الحال تناقضا ، لكننا نكون أيضا بحاجة إلى عدم اختلاط المعاني والأفكار ، فقد تقدم المدرسة مفهوما ، ويسمع الطفل مفهوما آخر في الأسرة . وهنا تكمن الخطورة حيث إن المصدرين إسلاميان ، فقد يؤدي هذا بالطفل إلى عدم الثقة في أيهما أو في كليهما .

إنه لمن العيب الفصل بين التعليم النظامي والتعليم اللانظامي في أي مجتمع من المجتمعات ذلك لأنه قد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن أيا منهما مهما توفرت له فرص وإمكانات التجديد والإصلاح والتطوير وتنوع المؤسسات وتوفر النماذج ، لا يمكن أن يعمل بنجاح في منأى عن الآخر حتى وإن ادعى كل منهما الاستقلالية عن الآخر ، فهذه العلاقة مصيرية متأصلة في طبيعة العملية وجذورها ، عالقة في مفهوم التعليم الإنساني ، وهما متكاملتان متساندتان على نحو مقصود أحيانا وعلى نحو عفوي في أغلب الأحيان .

إننا لو تأملنا في وظيفة واحدة - مثلا - من وظائف أجهزة ووسائل الاتصال الحديثة ، فسوف نلمس الخطورة الكبيرة التي تتعرض لها الأقلية المسلمة مما يحتم عملية التكامل والتآزر بين كافة الوسائط التربوية لدرء مثل هذا الخطر . فلو سائل الاتصال دور هام في خلق الدوافع لدى الأفراد ، وتلك الدوافع هي التي تلعب الدور الأساسي في تحريك المواطن نحو هذا العمل أو ذاك . إن وسائل الاتصال والإعلام في مجتمع مثل الولايات المتحدة الأمريكية (مجتمع الوفرة والاستهلاك) أصبحت تمثل سلطة قوية ومنظمة ، بحيث أفقدت الأفراد حرياتهم وقدراتهم على التفكير الناقد .

وفي ذلك الشأن يصف (ميلز) C.W.P. Mills المجتمع الجماهيري في Mass Society في الولايات المتحدة فيقول :^(١٠)

- نجد جماعة قليلة من الناس تعبر عن آرائها أكثر مما تتلقى آراء الآخرين ، ذلك لأن مجتمع الجماهير قد أصبح مجرد تجمع للذين يحصلون على انطباعاتهم من وسائل الاتصال .
- إن وسائل الاتصال منظمة إلى أبعد حد بحيث يصعب إن لم يستحل على الفرد - أي فرد - أن يستجيب مباشرة إلى أي شيء يتعلق بالجماهير دون أن يخضع لأي نوع من التأثير .
- إن عملية تحويل الآراء إلى أفعال ، خاضعة لتحكم السلطات التي تنظم وتضبط قنوات هذه الأفعال .

- إن الجماهير لا تتمتع باستقلال ذاتي عن المنظمات ، بل على العكس من ذلك ، فتمثلو هذه المنظمات تنفذ إلى الجماهير مفقدة إياها أي ضرب من الاستقلال قد يتشكل نتيجة للمناقشة .

وللدلالة على خطورة وسائل الإعلام من خلال الأرقام ، نضرب المثال التالي :

فقد وجد أن الشخص البالغ العاشرة من العمر في أوربا يمضي نحو (٢٤) أربع وعشرين ساعة أسبوعيا في مشاهدة التلفزيون ، أي ما يعادل الوقت الذي يقضيه في المدرسة ، أما في الولايات المتحدة ، فيكون الشخص البالغ السادسة عشر من عمره ، قد أمضى (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألف ساعة على الأقل من حياته يشاهد التلفزيون .

فإلى هذا الحد ، أصبح نظام الإعلام والاتصال في أي مجتمع من المجتمعات ، متقدما وناميا مؤثرا فعالا في مجريات أمور هذا المجتمع ، وعليه ، إذا اعتبرنا أن ثقافة المجتمع تعتبر كيانا ديناميكيا في عمليات الخلق والمحافظة والنشر ، فإن من المنطقي أن يكون هناك كيان آخران يكمنان فيهما من خلال وثائق العملية التي يتمتعان بها بالنسبة لعملية التنمية وهما التعليم والاتصال ، التعليم لكيان يحافظ على الثقافة ويضع أسس الخلق الذي يراه ، والاتصال ينقل التعليم ويتيح الفرصة للمشاركة في الوحدة الثقافية^(١) .

دور المؤسسات التربوية :

بعد استقراء الاحتياجات والمشكلات التربوية الخاصة بالأقليات المسلمة **لعلنا** نستطيع أن نقف وعلى الفور على الدور الذي يمكن أن تقوم به المؤسسات التربوية من أجل سد هذه الاحتياجات وسعيًا نحو مواجهة هذه المشكلات ، لكننا بالإضافة إلى ما سبق ، نريد أن نستند إلى عدد من (التقارير) الواقعية في التأكيد على بعض المهام الضرورية في هذا الشأن :

١ - فنحن نؤكد هنا على أهمية توفير قاعدة مناسبة من الظروف الاجتماعية والاقتصادية للأقليات المسلمة لما لهذه الظروف من أهمية قصوى في رفع المستوى الثقافي وعلى سبيل المثال ففي الإحصائيات الرسمية الفرنسية والتي نشرتها منظمة العمل العربية جاء أن أكثر من ٥٦٠ ألف عامل مهاجر - معظمهم من المسلمين - يعيشون في بيوت من القصدير والأحياء المتهرمة . واعترف تقرير المعهد العالي للإحصاء بأن هذه المساكن هي من أحقر وأقذر المساكن البشرية .. ويؤكد أن ٢٥٠ ألف عامل مهاجر يعيشون مزدحمين في بيوت لا تحتوي على الماء ، وفي ظروف سكنية صعبة جدا .

وأكدت إحصاءات سنة ١٩٧٥م أن أكثر من ٣٢٪ من العمال العرب بفرنسا يعيشون الظروف نفسها ، وتذكر إحصاءات المعهد العالي للدراسات الاقتصادية والاجتماعية الفرنسية - كما جاء أيضا في نشرة منظمة العمل العربية أن ٣٠٪ من

الجزائريين لا يملكون الماء في بيوتهم و ٦٨٪ من بيوتهم خالية من التدفئة المركزية و ٨٥٦٪ يعيشون في بيوت مزدحمة أكثر من اللازم .

وتمضي النشرة في دراستها قائلة : (إن الذي ضاعف من حدة هذه الأزمة ظهور فئة جديدة من التجار المستغلين أطلق عليهم اسم (تجار النوم) ، فقد قام هؤلاء التجار بتأجير المباني والمخازن القديمة وغير الصحية للعمال المهاجرين ليسكنوها وغالبا ما تكون قاعات النوم على شكل عتابر كئيبة تتنافى مع أدنى الشروط الصحية أو الإنسانية^(١٢) .

ولكى نقف على الآثار الثقافية لمثل هذه الظروف ، ينبهنا مسئول جزائري في تلك الفترة (إن هذا ينعكس على العلاقات بين الأفراد وبخاصة على الأطفال ، فهناك ٢٢٥ ألف جزائري تقل أعمارهم عن الـ ١٦ سنة ، وبين هؤلاء ترتفع نسبة الجانحين ، إذ إنهم يضطرون إلى هجر دراستهم^(١٣) .

لكننا نحمل المؤسسات التربوية فوق طاقتها إذا قلنا : إنها تستطيع مواجهة هذه الأوضاع وحدها ، ذلك أن مواجهة هذا إنما يدخل في نطاق (الدول العربية والإسلامية وكذلك المنظمات العربية والإسلامية في وطننا الكبير) .

٢ - وهناك فئات من الشباب تذهب إلى الدول الغربية ، من أجل الدراسة ثم لا تعود إلى أوطانها . وإذا كان هؤلاء في تصرفهم هذا يخطئون في حق بلدهم إلا أننا نخطيء خطأ أفدح عندما نهمل شأنهم ونعاملهم كأبناء عاقين . ذلك أن أطفالهم يقعون فريسة مشكلات ثقافية تؤدي في النهاية إلى قطع أية صلة بينهم وبين الوطن الأم . ويروى أحد الصحفيين أن زوجة مبعوث عربي مسلم إلى فرنسا تحدثت إليه تشرح لماذا يلعب طفلها وحده في ركن من أركان المكان المخصص للأطفال في حديقة (التويلري) بباريس :

(لقد جئنا إلى باريس ، و (محرم) في الرابعة من عمره ، أدخلناه مدرسة الأمومة بالحي ، وهي المدرسة التي تلي في الترتيب (روضة الأطفال) ، وتسبق المدرسة الابتدائية قبل أن نغترب ، كان (محرم) دائما بين أبناء عمومته وأبناء أحواله وخالاته . لقد افقد الطفل هذه الصلابة بعد وصولنا إلى باريس ، ولهذا فقد كان مقبلا على مدرسة الأمومة بفرحة الطفل العائد إلى رفاق اللعب ، لكنه لم يجد هناك بالطبع رفاقه القدامى . وجد أطفالا لا يفهمون لغته ، وكان يظنهم يرفضون اللعب معه ، لكنهم لم يفهموه فحسب ..) .

- لكن أعتقد أن الأطفال لديهم قدرة على خلق شكل من أشكال التفاهم التلقائي الذي قد يتجاوز حاجز اللغة .

- غير صحيح أن الطفل لا تربطه بالعالم إلا الكلمات ، الألفاظ . عندما كان يتقدم من رفاقه ماذا إليهم يديه محدثا إليهم بالعربية ، كانوا أحيانا يقابلونه بالتجاهل وأحيانا بالعنف العدواني .. هو بالنسبة إليهم طفل غامض ما دام من أرض عربية .

- كيف كان رد الفعل لدى طفلك ؟

- كان في البداية يحاول أن يشدهم إليه ، يشدهم من ملابسهم أو من أيديهم ، أحيانا كان يكفني بأن يسير وراءهم من مكان إلى مكان عبر حديقة المدرسة بعد ذلك بدأ يتشاجر معهم ، ويعتدي عليهم بدون مبرر .

- هل تمت لديه وتأصلت هذه النزعات العدوانية ؟

- لقد بلغت حدا مزعجا أدى بإدارة المدرسة أن تتصل بي - الأم - وبزوجي لنتناقش معهم الموضوع ، قالوا لنا : إن (محرم) يعتدي على زملائه وزميلاته . هناك فترة نوم إجبارية في مدرسة الأمومة كل يوم عند الظهر .. لكنه يرفض النوم بل يخلع حذاءه ويبدأ في ضرب الأطفال النائمين الذين يصرخون من ألم الضربات أو من مجرد الفزع .

- كيف كان التصرف ؟

- قررنا ألا نتركه في المدرسة إلا نصف الوقت فقط ، إلى أن يتعود على الجو الجديد .. وتعود ، واختفت النزعات العدوانية ، لكن حل محلها ميل واضح إلى الانطواء والعزلة^(١٤) .

إن هذه الصورة (الميكروسكوبية) المفصلة توقفنا على ما يجب القيام به من قيام (مكاتب) خاصة للخدمة الاجتماعية والنفسية تابعة للمؤسسات التربوية أو السفارات والقنصليات الإسلامية ، ذلك أن ترك هؤلاء يغوصون في المشكلات لابد أن يؤدي إلى فقدهم دينيا وثقافيا ويكونوا صيدا سهلا للمؤسسات الصهيونية والإلحادية وما أشبه .

٣ - وفي دولة إفريقية مثل (ليبيريا) كان ٩٠٪ من سكانها مسلمين ، ولكن حين قدم زنوج الولايات المتحدة إليها في منتصف القرن الماضي كانوا جميعهم قد اعتنقوا المسيحية وانفرد هؤلاء بالسلطة والنفوذ السياسي والاقتصادي والثقافي في البلاد ، بل إنهم أحالوا أهالي البلاد الأصليين من المسلمين إلى غرباء وهم أصحاب الأرض الشرعيين^(١٥) .

فلقد قاموا بأكبر حركة اضطهاد للمسلمين من سكان البلاد الأصليين ، وصادروا حقوقهم ، ومارسوا ضدهم التفرقة العنصرية ، بل إن أخطر ما يمكن قوله : إنه قد تم تحويل عدد من القبائل المسلمة إلى اعتناق المسيحية ، وذلك لأن النشاط التبشيري اعتمد على أن السلطة الفعلية في البلاد في يد قيادة مسيحية ، بالإضافة إلى الوسائل المادية الهائلة التي تمتلكها وسائل التبشير ، ومن هنا فقد وقف النمو الإسلامي في تلك البلاد وظهرت الكنائس التي لم يكن يسمع عنها من قبل وشاهد القوم رجال الكهنوت من المسيحيين في طول البلاد وعرضها ، بل إن الأنجيل توزع مجاناً على طبقات الشعب المختلفة^(١٦) .

ولابد من الإشارة إلى أن الصحوة الإسلامية الحالية قد عرفت طريقها إلى هذه البلاد ، فقام نشاط تعليمي إسلامي عظيم ، لكن الواجب الإسلامي وحق الأخوة الإسلامية في السراء والضراء يضع أمام المسلمين في عالمنا العربي والإسلامي ، بل المسؤولين في رابطة العالم الإسلامي والأزهر والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية ووزارات الأوقاف في البلاد العربية والإسلامية مسؤولية خاصة نحو أبناء الإسلام في ليبيريا وغيرها من المناطق التي تعيش ظروفاً مماثلة ، من أجل مد يد العون المادي والروحي والمعنوي من أجل النهضة الإسلامية المرجوة .

كذلك فإن الجامعات العربية والإسلامية مدعوة بتخصيص المنح الدراسية لأبناء ليبيريا وإرسال العديد من الكتب الإسلامية باللغة العربية والإنجليزية إلى مسلمي تلك الأنحاء وتقديم المساعدات للمشاركة في بناء المساجد والمدارس الإسلامية ، وإرسال الدعاة والمدرسين والأطباء والمهندسين^(١٧) .

٤ - أما بالنسبة للمسلمين في الاتحاد السوفيتي ، فإنهم يحتاجون إلى نوعية أخرى من الجهود نظراً لظروفهم الخاصة .

ففي مجتمع الشباب يلقنون منذ دخولهم روضة الأطفال مناهج تعليمية مبنية على إنكار الله تطبيقاً لنص الدستور ، حتى إذا ما وصلوا إلى المرحلة الجامعية ، فإنهم يدرسون تاريخ الحزب الشيوعي بعمق وتفصيل ، ويختتمون تعليمهم في السنة الرابعة بدراسة علم الإلحاد المبني أساساً على نقض الأديان وإنكار وجود الله .

ولابد أن يؤدي استمرار هذا المنهج على مدى ستين عاماً ، مدعوماً بكافة وسائل الإعلام والتثقيف إلى إحداث تغيير شامل في البناء الفكري والنفسي لدى أجيال الشباب في مجتمعات المسلمين . وقد تحقق ذلك بقدر لا ينكر بتأثير هذه المناهج أولاً ، ثم نتيجة للإغراءات والامتيازات التي يحصل عليها الطلاب إذا ما انخرطوا في سلك

الحزب فأعضاء الكومسومول ومنظمة الشبيبة الشيوعية لهم الأولوية في الالتحاق بالجامعات والمعاهد والوظائف الرفيعة أما غير الأعضاء الذين يدخلون الجامعات والمعاهد ، فليس لهم الحق في الاشتراك في النشاطات الطلابية المختلفة ، ولا مجال أمامهم بعد التخرج إلا في نطاق الوظائف العادية .

لكن ثمة قطاعاً آخر من المسلمين لا يزال أشد حرصاً على دينهم ، معتمداً به في مواجهة كافة العواصف والأنواء ، وهؤلاء الذين يصدق فيهم الوصف الذي ورد في الحديث الشريف : « القابضون على الجمر »^(١٨) . هؤلاء هم الذين يرسلون أبناءهم إلى بلدة (نمانجن) الأوزبكية ليقيموا عند حفظة القرآن هناك ، يحفظون ويتلقون منهم القدر الممكن من الثقافة الدينية ، وأمثالهم هم الذين نذروا أنفسهم لهذه الرسالة ، أن يظل القرآن الكريم على الأقل محفوظاً في قلوب المسلمين وعلى ألسنتهم ، وليس فقط في المصاحف المخطوطة التي تحتفظ بها الأسر القديمة .

وهؤلاء هم الذين يوفدون أبناءهم إلى معهد بخارى الديني بعد مرحلة التعليم الابتدائي ليقضوا هناك سبع سنوات ينتقلون بعده إلى معهد طشقند العالي في دراسة لمدة أربع سنوات أخرى وليتخرجوا بعد ذلك خطباء ووعاظاً وقراء ، وهم صابرون على ذلك رغم أنه من غير المعقول أن يكون عدد المسلمين ٤٠ مليون وأن تخصص لتعليم الدين لأبنائهم مدرستان فقط لا تستوعبان أكثر من ١٠٠ طالب في كل صفوف الدراسة .

وهؤلاء هم الذين يمولون كافة صور النشاط الديني التي لا تقدم لها الحكومة أي عون مالي ، رغم أنها وضعت يدها على الأوقاف التي كانت تؤدي هذه المهمة ، هؤلاء يقدمون تبرعاتهم ويعتبرونها زكاة - إلى المساجد ، وتجمع حصيلة التبرعات ثم توزع على خمسة مصارف : نفقات المسجد ، والصيانة وراتب الإمام - نفقات الإدارة الدينية بموظفيها ونشاطاتها المحلية ، مثل : إدارة المعهدين الدينيين ودفع رواتب شهرية لطلابها - العلاقات الخارجية للمسلمين السوفييت ، المؤتمرات والوفود وغيرها - ثم يقتطع من هذه التبرعات أيضاً (سهم) يرسل إلى الحكومة يضم إلى ميزانية الآثار القديمة ، وسهم خامس وأخير تحصل عليه الحكومة يوضع تحت بند : أمن وسلام العالم ..^(١٩)

والطلاب الذين يصرون على دراسة الدين في معهدي بخارى وطشقند يدفعون من رواتبهم (ضرائب) للدولة ، يسمونها (نالوج) أي عقوبة أو جرime باللغة الروسية ، وبواقع راتب شهرين في السنة . والمبرر الذي تبرر السلطات به هذه الضريبة هو أن الفرد في المجتمع السوفيتي لا بد أن يؤدي عملاً منتجاً لأنه في مقابل ذلك

يتلقى خدمات مجانية في التعليم والعلاج ، ويدفع أجراء مزيلا للسكن ، والذين يتعاطون (مهنة الدين) ، طلابا كانوا أم خطباء ووعاظا ، هؤلاء يصنفون باعتبارهم أعضاء غير منتجين في المجتمع ، وعليهم أن يدفعوا للدولة ما يشبه التعويض لأنهم باختيارهم هذا أصبحوا يستفيدون ولا يفيدون .

وبالطبع فإن مد يد المساعدة لهؤلاء المسلمين بطريق مباشر قد يكون أمرا عسيرا في الاتحاد السوفيتي ولا سبيل هنا إلا عن طريق الإذاعات الإسلامية بأن توجه إليهم برامج خاصة لتدعيم ثقافتهم الدينية .

وهناك سبيل آخر يمكن لمثل هذه البرامج أن تقوم به غير التثقيف الديني واللغوي ، وهو التأكيد دائما على أهمية (تكثير النسل) حيث يتوفر والحمد لله لدى المسلمين هناك إحساس بأن تلك وسيلة ضرورية في سبيل المقاومة ، بدلنا على ذلك ما نشرته مجلة (أبناء موسكو) في يونيو ١٩٧٩م من أن عدد سكان روسيا الاتحادية زادوا بنسبة ٦٪ من عام ١٩٧٠ - ١٩٧٩م ، بينما زادت نسبة السكان المسلمين في جمهورية طاجيكستان ٣١٪ ، وكانت نسبة الزيادة في أوزبكستان ٣٠٪ وتركمانيا ٢٨٪ ، أي أن نسبة زيادة السكان المسلمين كانت خمسة أضعاف الزيادة بين الروس^(٢٠) .

٥ - وإن المسابقة الدولية التي تقيمها المملكة العربية السعودية لتلاوة القرآن الكريم وتجويده ، وتفسيره لمثل طيب لابد أن تحتذي به الدول الإسلامية الأخرى وتتوسع فيه وتشرك فيه أبناء الأقليات الإسلامية ، ومما يؤكد لنا ذلك ما نقرؤه ، في السطور التالية لطالب مسلم في الحادية والعشرين من عمره ، يدرس في كلية الهندسة في كوبنهاجن بالدانمرك اشترك في المسابقة الدولية السابعة : (إن إمكانياتي قليلة بالنسبة لمعرفة اللغة العربية والتكلم بها .. ولكن حبي للإسلام ورغبتي الملحة في تلاوة القرآن هما من الدوافع التي تدفعني لدراسة اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم .

وقد أعانني الله على تلاوة القرآن الكريم وحفظت جزءا منه بالإضافة إلى تجويد الجزء الآخر .

وروى ذلك الشاب أن الحياة في الدانمرك حياة مادية بحتة خالية من مبادئ الإسلام ، ولا يوجد من المدارس الدينية سوى مدرسة واحدة لتعليم المسلمين ، وأكد أن ثلاثمائة وأربعين دائريا قد أشهروا إسلامهم^(٢١) .

وإذا كان هذا الشاب قد استطاع بظروفه الأسرية أن ينجح في ذلك إلا أنه من العسير الاعتماد على هذا السبيل بالنسبة للجميع ، إن المراكز الإسلامية ، وخاصة في أمريكا

تفتقر إلى الموجهين الإسلاميين ومعلمين لحفظ القرآن وتجويده ، يقول هذا الشاب :
(ولذلك فنحن نشعر بصعوبة المسابقة السنوية الدولية .. التي تقام في المملكة ..
والمسابقات المحلية التي تقام في بعض الدول الإسلامية الأخرى .. ولذلك أرجو أن
ترسل الدول الإسلامية الأساتذة والموجهين ومعلمي القرآن الكريم لتحفيظ القرآن
الكريم وتجويده ، وتفسره إلى المراكز الإسلامية في الخارج) (٢٣) .

٦ - إن الإخوة المسلمين في الأقطار العربية وغير العربية لا يعرفون الكثير عن مسلمي
يوغسلافيا ، فجامعة (بلغراد) تهتم بدراسة اللغة العربية ، وبها قسم للدراسات
الشرقية ، إلا أنها فقيرة في الكتب والمراجع العربية ، بل إن المسلمين هناك لا يحصلون
على أية صحيفة أو مجلة عربية مما يجعلهم تواقين إلى ذلك ويرجون المؤسسات
والمنظمات الإسلامية أن تسعفهم ببعضها حتى يكونوا على اتصال دائم بإخوانهم
المسلمين في الأقطار الأخرى .

لقد قال طالب يوغسلافي مسلم يدرس العربية وآدابها لبعثة صحيفة كويتية : (أليس
غريبا أن تصل الكتب العربية إلى أثينا عاصمة اليونان ، وتقف عندها؟ إذ المسافة بين
أثينا وبلغراد - العاصمة - لا تزيد عن نصف ساعة) .

ويعلق أحد أعضاء البعثة بأن كلام الطالب صادق ، فقد جئنا إلى بلغراد عن طريق
اليونان ، وفي ميدان سينتاجا ، أكبر ميادين العاصمة اليونانية كانت الكتب والمؤلفات
والصحف العربية تحتل مكانا بارزا في أكشاك بيع الصحف والمكتبات وعلى مدى
أسبوعين كاملين بين بلغراد وسرايفوا ، لم نجد صحيفة عربية واحدة في أي
مكان (٢٤) .

هل نحن في حاجة إذن إلى التأكيد على المكاتب الثقافية والإعلامية للدول العربية أن تقوم
بهذا الواجب البسيط ؟

٧ - تمتاز الثقافة الإسلامية أينما كانت وحيثما وجدت ، بوحدة الجذور والنباتات واتفاق
المقاصد والغايات . ولكن هذه الثقافة الواحدة اتسمت بتعدد خصوصياتها وتلون
أشكالها كنتيجة طبيعية لاتساع رقعة العالم الإسلامي جغرافيا ، وتنوع مجتمعاته بيشيا ،
وتباين أنظمتها السياسية والاقتصادية ، فضلا عن تباينه عن المجتمعات الأخرى غير
الإسلامية والتي تعيش بها أقليات إسلامية (٢٥) .

وهكذا فإن أية استراتيجية ترمي إلى توثيق عرى الوحدة بين المسلمين وتحقيق
تلاحمهم ، لا بد أن تتخذ الوسائل الكفيلة بإطلاع شعوبهم على الخصوصيات الثقافية

التي تميز بعضهم عن بعض والسبل اللازمة لتنشيط التفاعل الثقافي بينهم ، وبذلك تبني وحدة الأمة الإسلامية على أسس نوعية من التعارف والتفاهم والتشاقف عملاً بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ ﴾ .

وتلعب اللغة دوراً رئيسياً في عمليتي التنمية الحضارية والتبادل الثقافي لا لكونها أداة اتصال وثيق تعبر بواسطتها عن المفاهيم والأفكار والقيم ، وتحفظ بها التراث الثقافي والعلمي فحسب ، وإنما كذلك بوصفها عنصراً جوهرياً من العناصر المكونة للثقافة والفكر تتجاوز أهميتها التعبير إلى التغيير بحيث تؤثر القوالب اللغوية في البنيات الفكرية ، والأنظمة المفهومة والأنماط السلوكية للجماعة الناطقة باللغة . ولهذا أولت المجتمعات المعاصرة المتطورة تخطيط السياسة اللغوية اهتماماً بالغاً وعناية خاصة فشجعت البحوث المتعلقة بها ، وغما نتيجة لذلك علم جديد مشترك بين علوم الاجتماع والسياسة واللغة وأطلق عليه اسم (علم اللغة الاجتماعي) ، موضوعه التنوع اللغوي في المجتمع الواحد ، وهدفه تخطيط السياسة اللغوية بصورة موضوعية وطريقة علمية^(٢٦) .

وقد أفرز الوضع اللغوي للمسلمين في الأقطار غير العربية نتائج خطيرة على توجهات الأمة الإسلامية مما يستوجب استنفار جهود كافة المؤسسات والمنظمات والجامعات الإسلامية لتقديم خبرتها ومشورتها في هذا الشأن وضرورة تشجيع تعلم لغة إسلامية عالمية لعموم المسلمين تكون لغة تفاهم مشتركة بينهم ووسيلة اتصال بينهم وبين سائر البلدان الإسلامية . ولا حاجة بنا إلى القول بأن اللغة التي توفرت لها مقومات تأدية هذه الرسالة هي لغة القرآن الكريم التي يصلي بها المسلمون ويؤدون بها شعائر دينهم ، والتي غدت بفضل الرسالة الإسلامية التي تحملها لغة عمل في المنظمات الدولية والمحافل العلمية^(٢٧) .

وإنه ليحضرنا في هذا المجال الإشارة إلى بعض البلاد التي تدخل في نطاق الدول العربية الإسلامية ، ومع ذلك توجد بها مناطق واسعة لا يشكل المسلمون بها أغلبية ويحيط بهم مناخ ثقافي يبعدهم كثيراً عن المناخ الإسلامي ، ونسوق مثلاً على ذلك (جنوب السودان) ، ففي بحث خاص بهذا الشأن يشير إلى أن في المديريتين الاستوائيتين ٤٣ مدرسة ابتدائية تسير فيها الدراسة باللغة الإنجليزية مقابل ٢٠ مدرسة فقط تسير فيها الدراسة باللغة العربية (ومثل هذا الأمر في المرحلة المتوسطة)^(٢٨) .

وفي كامل الإقليم يسير التعليم الثانوي باللغة الإنجليزية باستثناء أربع مدارس فقط تعلم باللغة العربية .

إن هذا الوضع قد شكل بيئة مناسبة للجهود التبشيرية والغربية أن تبث عقائدها وقيمتها واتجاهاتها وأفكارها مما يجعل الحاجة ماسة إلى أن تمد الدول الإسلامية الأخرى القادرة يد المعونة لتوفير وسائل الثقيف والتعليم العربي لمسلمي مثل هذه المناطق .

٨ - وأخيرا فإنه مما يرتبط بما سبق هو توجيه الانتباه إلى فئات أخرى تذهب إلى الإقامة والمهجرة إلى الخارج - خارج العالم الإسلامي - وتكون على علم باللغة العربية ، حتى إذا جئنا إلى جيلهم الثالث من الأبناء ، نجد نسيانا كاملا للغة العربية ، ومثالثا هنا هو ما حدث بالنسبة لمسلمي استراليا^(٢٩) .

إذ يسعى العرب إلى فتح المدارس العربية هنا وهناك .. وفي عام ١٩٧٧م كانت توجد ثلاث مدارس عربية تديرها أربع راهبات لبنانيات يتعلم بها ٤٢٠ طفلا من المسلمين والمسيحيين اللغة العربية والإنجليزية والفرنسية . وفي كل عام ترفض إدارة المدرسة أكثر من مائة تلميذ جديد لعدم توفر الأماكن .

وفي مسجد (لاكنبه) بدأ تعليم العربية في فصول مكشوفة حتى تم بناء المسجد فهل يمكن المحافظة - على تعليم اللغة العربية بصفة مستمرة ومستديمة في أستراليا ؟ إنها أمنية الجميع ، ولكن الواقع شيء آخر ، والذوبان اللغوي أمر يصعب تداركه إلا بافتتاح مدارس خاصة عربية استرالية رسمية معترف بها لأن مقررات المدارس النظامية الاسترالية الحالية وواجباتها ترهق الطفل إرهاقا كبيرا ، فما بالك لو أضفنا له لغة جديدة ، عليه أن يدرسها في إجازاته وعطلاته ؟ ..

إنه إرهاق كبير .

وبعد ..

إن الاحتياجات كثيرة .. والمشكلات متعددة .. والثقافة متغيرة ومتطورة تحتاج من المؤسسات التعليمية أن تلهث وراءها حتى تستوعبها وتستجيب لمعطياتها وتجتهد في تطويرها وتوجيهها ..

الهوامش

Edwin K. Townsend Claes: **ADULT EDUCATION IN DEVELOPING COUNTRIES**, (١)
(Pergman Press, Oxford, 1977), p.18.

- (٢) أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي . القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٦٥ م ، ص ٢٣٠ .
- (٣) المرجع السابق . ص ٢٣١ .
- (٤) سعد مرسي أحمد : التربية والتقدم ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٠ ، ص ٣٠ .
- (٥) المرجع السابق . ص ٣١ .
- (٦) جون ديوى : التربية في العصر الحديث ، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ومحمد حسين الخرنجى ، القاهرة ، النهضة العربية ، ١٩٤٩ ، ص ١٤٧ .
- (٧) فيليب . هـ . فينكس : التربية والصالح العام ، ترجمة محمد العزاوى ، ويوسف خليل القاهرة ، مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٦٥ ، ص ١٥٤ .
- (٨) Tom Lovett: **ADULT EDUCATION COMMUNITY DEVELOPMENT AND THE WORKING CLASS**. (Ward Lock Educational, London 1975), p. 9.
- (٩) Ivor Morrish: **Aspects of Educational Change**, (George Allen, Unwin, London, 1876.) P. 20.
- (١٠) بوتومور : الصفوة والمجتمع ، دراسة في الاجتماع السياسي ، ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ ، ص ١٤٩ .
- (١١) عبد الله أبو طيانة : تكامل التعليم المدرسي والتعليم خارج المدرسة مجلة التربية الجديدة ، العدد الثلاثون ، (عدد خاص) ، بيروت ، مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في البلاد العربية ، سبتمبر / ديسمبر .
- (١٢) مجلة الوطن العربي ، باريس العدد ١٦ الصادر في يونية ١٩٧٧ .
- (١٣) المرجع السابق .
- (١٤) الوطن العربي العدد ٤٦ ، يناير ١٩٧٨ .
- (١٥) عبد الفتاح مقلد الغنيمي : الإسلام والمسلمون في ليبيا ، مجلة التضامن الإسلامي ، تصدرها وزارة الحج والأوقاف بمكة المكرمة ، السنة الأربعون ، الجزء الأول ، رجب ١٤٠٥ هـ - إبريل ١٩٨٥ م ، ص ٥٨ .
- (١٦) المرجع السابق - ص ٥٩ .
- (١٧) المرجع السابق - ص ٦٢ .
- (١٨) فهمي هويدي : استطلاع مصور عن (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) ، مجلة العربي الكويتية ، يناير ١٩٨٠ ، العدد ٢٥٤ ، ص ١٠٣ .
- (١٩) المرجع السابق - ص ١٠٤ .
- (٢٠) المرجع السابق - ص ٩٠ .
- (٢١) مجلة التضامن الإسلامي ، السنة التاسعة والثلاثون ، الجزء الثاني عشر ، جمادى الثانية ١٤٠٥ هـ - مارس ١٩٨٥ ، ص ٥٠ .
- (٢٢) المرجع السابق - ص ٥٩ .

- (٢٣) المرجع السابق - ص ٦٠ .
- (٢٤) مجلة العربي الكويتية ، العدد ٣٣ ، إبريل ١٩٧٨ .
- (٢٥) علي القاسمي : تنمية اللغات الإسلامية وأثرها في وحدة الفكر الإسلامي ، مجلة معهد اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، العدد الثاني ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ ، ص ١٧ .
- (٢٦) المرجع السابق - ص ١٨ .
- (٢٧) المرجع السابق - ص ١٩ .
- (٢٨) عبد العزيز الجلال : التعليم واللغة العربية في جنوب السودان ، المرجع السابق ، ص ٣٨١ .
- (٢٩) مجلة العربي الكويتية ، العدد ٢٢٩ ، ديسمبر ١٩٧٧ م .

ورقة عمل
مقدمة إلى المؤتمر العالمي السادس
للندوة العالمية للشباب الإسلامي

الدكتور حمد إبراهيم الصليحي
عضو الأمانة العامة للندوة العالمية للشباب الإسلامي
وأمين علم التوعية الإسلامية بوزارة المعارف

ورقة عمل

مقدمة إلى المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي

د. حمد إبراهيم الصليفيح

نحو منهج تربوي وتعليمي موحد لأبناء الأقليات الإسلامية

١ - تمهيد :

١ - ١ إن ما يقرب من ٤٠٪ من تعداد المسلمين في العالم يعيشون كأقليات في بلاد أكثرية سكانها من غير المسلمين ، وهؤلاء يعيشون كجزر منفصلة ومتباعدة ، تحيط بها مجتمعات غريبة عنها عقديا وفكريا وسلوكيا .. بل غالبا ما تعمل الأكثرية بما في يدها من نفوذ وقوة على سحق الأقليات المسلمة وتحطيم هويتها المتميزة وطمس شخصيتها وثقافتها وإخضاعهم في كثير من الأحيان والمكان إلى الاضطهاد البدني والفكري والسلوكي لدفعهم بكل قسوة وحقد إلى التخلي عن معتقداتهم وتقاليدهم وثقافتهم الإسلامية .

١ - ٢ ومن ثم فإن الحفاظ على الهوية الإسلامية للأقليات الإسلامية عقديا وفكريا وسلوكيا يقتضي من المؤسسات التعليمية والتربوية القيام بعبء مضاعف . فضلا عما يجب توفره في المناهج التربوية والتعليمية من عناصر تحقق الأهداف والصبغة الإسلامية - مثلها في ذلك مثل

مناهج الأغلبية المسلمة - فإن هناك عناصر أخرى خاصة يجب أن يشتمل عليها مناهج الأقليات تحفظهم من الذوبان في مجتمع الأغلبية والتصدي بإيمان - وثقة - وعلم و يقين لهجمات التشويه والتضليل والشبهات والتشكيك والحملات التكفير والتنصير بل يجب أن تجعل منهم مجتمعا متساميا الثقافة معتزاً برفعتها مما ينقله من طور المدافع إلى طور لا أقول المهاجم بل الهادي الداعية بثبات و يقين وعلم وحكمة ..

١ - ٣ وهناك أمر آخر يجب مراعاته في المناهج التربوية والتعليمية للأقليات الإسلامية ألا وهو انفتاح الأقليات الإسلامية على المذاهب والمبادئ المنتشرة والمهيمنة على مجتمعات الأغلبية غير الإسلامية ، وغالبا ما يزينها أصحابها ويروجون لها كالشيوعية والرأسمالية والاشتراكية ومثل الوجودية والإباحية والإلحادية وغيرها . ومن ثم كان على المؤسسات التربوية والتعليمية عبء آخر يتمثل في التصدي لهذه المذاهب والأفكار حفاظاً على مبادئ وقيم الجماعات الإسلامية .

١ - ٤ هناك أكثرية مسلمة ولكنها تخضع تحت حكم وعسف الأقلية غير المسلمة (أثيوبيا مثلاً) . وهؤلاء لا يختلف حالهم عن أحوال غيرهم من الأقليات المسلمة بل ربما يكون أسوأ وأكثر بؤساً وتخلفاً . ومن ثم فإن ما يؤمل تطبيقه من نظم ومناهج تربوية وتعليمية على الأقليات ينسحب - بحكم الواقع - عليهم أيضا .

١ - ٥ وحرصاً على سلامة أوضاع الأقلية المسلمة وحسن تفاعلها مع المجتمع ، يتحتم أن لا ينفصل التعليم الديني عن العلوم الإنسانية المكتسبة التي تدرس في بلدانها فيجب أن تتضمن مناهج الأقليات الإسلامية نفس المناهج الكونية المكتسبة (مع مراعاة تناوّلها بالمنظور والتقويم الإسلامي) بالإضافة إلى العلوم الدينية مما لا يعزّهم عن مجتمعاتهم ويتيح لهم المشاركة الفعالة في مختلف مناحي النشاط في الحياة العامة ، ويتيح لهم الالتحاق بالمعاهد والجامعات الحكومية في مختلف المراحل .

١ - ٦ يجب أن تبعد المناهج التعليمية والتربوية عن مواطن الفرقة والنزاع فلا تتناول الموضوعات الخلافية وذلك حرصاً على وحدة الجماعة المسلمة وتآلفها . والاعتماد أساساً على كتاب الله والسنة النبوية الصحيحة والبعد عما ألصق بالإسلام من بدع وخزعبلات وأباطيل .

٢ - أهداف المنهج المقترح

١ - ٢ في البداية نحب أن نذكر بأن لكل عمر من أعمار الإنسان خصائصه العقلية والنفسية . وعلى ذلك فيجب أن تكون المناهج ملائمة لكل مرحلة من مراحل الدارسين فالدارس في

المرحلة الابتدائية الأولى غيره في المراحل التي تليها . وعلى واضعي المناهج مراعاة ذلك حتى تسيل الأودية بقدرها دونما عنت أو حرج أو افتعال ، وتعرض بأسلوب يتلاءم مع مختلف المراحل ، فما هو في مستوى التخصصين لا يجب أن يعرض على الناشئين .

٢ - ٢ إن هدف التربية الإسلامية هو تكوين الفرد المسلم الصالح المتكامل روحاً وجسداً وعقلاً في تعادل وانسجام . وإذا كان القرآن الكريم يحدد الغاية من خلق الإنسان بأن يكون عبداً لله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات - آية ٥٦] .. فإن مفهوم العبادة في الإسلام مفهوم واسع شامل ، فكما تكون العبادة بعبادة الإنسان لربه اعتقاداً بوجدانيته وبإداء شعائر عبادته وتطبيق شريعته والالتزام بمنهجها فهي أيضاً تكون بالتعرف على سنن وقوانين الله في الكون وتسخيرها والاستفادة منها وعمارة الأرض بالخير والنفع والإصلاح والعمل على رفعة شأن المسلمين وتقديمهم ورفيتهم حتى يمكنهم التمكن لدين الله في الأرض . وعلى ذلك فإن التربية والتعليم الإسلاميين يهدفان إلى تحقيق التوازن بين الروح والعقل والجسد من ناحية وتحقيق هذا المفهوم الشامل الكامل لمعنى العبادة في الإسلام من ناحية أخرى ، ومن ثم توثي ثمارها في تكوين الفرد الصالح في مفهوم الإسلام الذي يتعبد لله بإصلاح وعمارة الدنيا كما يتعبد به الآخرة والفوز بها وإحياء الضمائر والشعور بمراقبة الله الدائمة .

٢ - ٣ من أهداف المنهج أيضاً تعميق معاني الأخوة الإسلامية بين دارسيه وبين المسلمين جميعاً والشعور بوحدة الأمة الإسلامية مهما اختلفت البقاع واللغات والأجناس ، والتعريف بالعالم الإسلامي وتحقيق وحدة المشاعر والأفكار بين الدارسين وبينهم وبين الأمم المسلمة عامة . وتحقيق تربية اجتماعية تقيم مجتمعاً تسوده العدالة الاجتماعية والمحبة والتسامح والشورى وحرية الفكر والطهارة .

٢ - ٤ دراسة وتعليم اللغة العربية وصولاً إلى تحقيق درجة من الكفاءة اللغوية التي تمكن الدارسين من استعمال اللغة العربية فهماً وقراءة وكتابة بما يتيح لهم تلاوة القرآن الكريم وفهمه وكذلك السنة المطهرة والتعبد باللغة العربية والاطلاع على مصادر الثقافة الإسلامية عامة ، مع ملاحظة الاقتصاد على المبادئ الأساسية لقواعد النحو العربي .

وحبذا لو استخدمت اللغة العربية في تدريس مواد التربية الإسلامية وإذا لم يمكن ذلك فيجب أن تعلم الآيات القرآنية باللغة العربية تلاوة وكتابة وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة ، مع الاستعانة في ذلك بالترجمات المعتمدة .

٢ - ٥ تحصيل الدارسين ضد مختلف ألوان الغزو الفكري وحملات التشكيك والشبهات

والتصدي بإيمان و يقين وعلم للمبديء الوضعية من علمنة أو شيوعية أو مادية أو إلحاد أو تنصير ..

٢ - المرتكزات الأساسية لهذا المنهج تتمثل فيما يلي :

- أ - غرس العقيدة الصحيحة بتوحيد الله في ذاته وأسمائه وصفاته وتعميق الإيمان به بلا شرك .. والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .. وتعميق الولاء لله ولرسوله ولدينه وللمؤمنين .
- ب - إعطاء قدر مناسب من الفقه ، يكفي لكي يلتزم الفرد والمجتمع بشريعة الإسلام وسلوكياته والتعرف على أحكام الإسلام في المواقف والقضايا التي تهم الفرد المسلم . مع التركيز على أهمية التطبيق العملي لمثل الإسلام وقيمه ومبادئه وأخلاقياته .
- ج - ثقافة إسلامية عامة تعرف الدراسين بسير الرسول ﷺ وصحابته الكرام وتاريخ الإسلام والتعريف بالعالم الإسلامي وقضايا المسلمين المعاصرة ورد دعاوى أعداء الإسلام والمتآمرين عليه وشبهاتهم وسمو الإسلام ومبادئه .
- د - دراسة اللغة العربية قواعد وآداباً بما يحقق للدارسين القدرة على قيامهم بواجباتهم الدينية باللغة العربية .

٣ - وحدات المنهج (للمرحلة الابتدائية)

٣ - ١ في البداية نحب أن نذكر بما سبق أن قلناه من أن هذا المنهج هو إضافة إلى المناهج الحكومية المقررة في البلد الذي تعيش فيه الأقلية ... ومن ثم فهو يحتاج إلى قدر كبير من التركيز والتبسيط .

٣ - ٢ يعتمد المنهج على الوحدات الآتية وتوزع على المراحل الست كما يلي :

أ - القرآن الكريم (وتفسيره) : تلاوة وحفظ مع الشرح والتفسير المبسط كالتالي : نصف جزء عم - باقي جزء عم - النصف الأول من جزء تبارك - باقي جزء تبارك - آيات مختارة - سورة مختارة .

ب - الحديث الشريف : سبعون حديثاً تختار من الصحاح أو من رياض الصالحين بحيث يكون منها الأربعون النووية وتوزع كالتالي ١٠ - ١٠ - ١٠ - ١٠ - ١٠ - ١٥ حديثاً .

ج - العبادات في الإسلام : وتوزع كما يلي :- الوضوء والصلاة - الصوم والحج - الأخلاق في الإسلام (الفضائل والردائل) - الزكاة والصدقات - الجهاد في الإسلام وعناية الإسلام بقوة أبنائه وصحة أبدانهم مع التعريف بالمحرمات من المطاعم والمشروبات والملابس والأمر بالتريض والفروسية - التسامح في الإسلام مع التأكيد على مشاعر العزة والاستعلاء ، مع العناية العملية بالشعائر الإسلامية بحيث تعمق في وجدانهم الحب والالتزام بها .

د - القصص الإسلامي : تهدف هذه المادة إلى غرس الفضائل في نفوس الناشئة وتحييهم في مثل الإسلام العليا ومبادئه السامية وقيمه وأخلاقياته وسلوكياته والتأسي بعظمائه وذلك من خلال سيرة الرسول ﷺ والصحابية الكرام والتابعين والنماذج المثالية الرائدة من الصالحين خلال التاريخ الإسلامي .. ومن أمثلة ذلك « قصص النبيين » للشيخ أبي الحسن الندوي .

هـ - العقيدة : تعميق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، بأسلوب حديث يتوخى السهولة واليسر ويراعي الحداثة والعصرية .. ومن أمثلة ذلك ما وضعه الشيخ عبد المجيد الزنداني لمناهج البن مع الحرص على البرهنة الواضحة والساطعة على العقيدة الإسلامية يرسخها في عقول التلاميذ وقلوبهم ويحصنهم ضد محاولات الغزو الفكري والتشكيك .

و - اللغة العربية : اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ولا يمكن فهمهما حق الفهم إلا عن طريق اللغة العربية . لذا وجب العناية بها وحذا الوأصبحت هي اللغة الأولى لكل شعب مسلم فهي لغة الإسلام . وعلى الأقل محاولة جعل الحروف العربية هي الحروف المستعملة لكتابة اللغات المحلية لتوثيق الصلة بالقرآن الكريم . وتدرس في هذه المرحلة مبادئ القراءة والكتابة مع بعض القواعد الأساسية للغة العربية بطريقة مبسطة ميسرة ... ومن خيرة الكتب في ذلك كتاب « النحو الواضح » للأستاذ علي الجارم .

٤ - اقتراحات إجرائية

٤ - ١ نظر الأهمية الموضوع وجيل قدره وكبر حجمه فأقترح أن يتكون فريق عمل دائم لمدة محدودة تكفي لإتمام المشروع وتنفيذه على الوجه الأكمل ، وتتولى الندوة العالمية للشباب الإسلامي تمويله والإشراف عليه بالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة الملك سعود بالرياض والمركز العالمي للتعليم الإسلامي بمكة المكرمة ويتكون فريق العمل من :

- أ - متخصصين في علوم التربية والثقافة الإسلامية .
- ب - متخصصين تربويين .
- ج - متخصصين في علوم اللغة العربية وآدابها .
- د - مندوبين من العلماء والتربويين من الهند واندونيسيا والفلبين وجنوب أفريقيا ونيجيريا وبريطانيا والولايات المتحدة .
- ويختار لهذه اللجنة فريق كفاء يعمل كسكرتارية دائمة يكون مقرها الندوة .
- ٤ - ٢ يعرض مشروع المنهج على الجاليات الإسلامية لإبداء وجهات نظرها وملاحظاتهما وإبلاغ السكرتارية بمرئياتها خلال مدة محدودة لا تتجاوز الشهرين مثلاً .
- ٤ - ٣ تعيد اللجنة صياغة المناهج مع إجراء التعديلات التي تراها ضرورية بناء على الملاحظات الواردة إليها من الجاليات الإسلامية .
- ٤ - ٤ تقوم الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالاتصال بالجهات الرسمية (كالوزارات والجامعات ...) والمؤسسات التربوية والمؤسسات التجارية والصناعية والأفراد المؤسرين الخريين وذلك سواء في المملكة أو في دول الخليج العربي أو الدول العربية والإسلامية وكذلك المؤسسات الدولية العربية والإسلامية كجامعة الدول العربية واليونسكو العربية وحث كل هؤلاء للتبرع ومد يد العون للمشروع بعد تعريفهم به وبأهدافه وما تم إنجازه .
- ٤ - ٥ تقوم الندوة بتكليف شركات أو مؤسسات طباعة في بلدان الأقليات أو مراكز قريبة منها لطبع الكتب وتقديمها هدية للمدارس الإسلامية بها .
- وللوصول إلى تأمين قدر أكبر من النجاح للمشروع نرى ضرورة تحقق بعض الأمور التي نوصي بها .

٥ - توصيات عامة

- ٥ - ١ حث الدول الإسلامية سواء عن طريق منظمة الدول الإسلامية أو الحكومات أو المؤسسات التربوية بها على التوسط بشدة لدى الدول التي بها أقليات إسلامية بمنح المسلمين بها حق إنشاء مدارس إسلامية خاصة بها تلتزم بمناهجها الرسمية وتزيد عليها المناهج الإسلامية لأبناء المسلمين .
- ٥ - ٢ تكوين اتحاد عالمي للأقليات الإسلامية يدرس شؤون الأقليات ويطلع على أحوالهم وأوضاعهم ومشاكلهم واحتياجاتهم ويربط بينهم وبين باقي العالم الإسلامي ويعرف بهم

وبأوضاعهم ويطالب بحقوقهم على المستوى الدولي وفي المحافل الرسمية والعالمية ويرسم السياسة والخطط التي تحافظ عليهم وتقويهم وتعصمهم من الذوبان في مجتمع الأغلبية ومكائدها ومؤامراتها .

٥ - ٣ إنشاء « الصندوق الدولي للأقليات الإسلامية » تسهم فيه الدول الإسلامية ومنظمات الدول العربية والإسلامية والموسرون والخيريون من المسلمين . وتكون مهمة الصندوق رعاية الأقليات ودعمهم ومن ذلك إنشاء المدارس والمعاهد والكتاتيب أو مدارس تحفيظ القرآن الكريم والتي نوصي بالإكثار منها .

٥ - ٤ دعم الأقليات بالمدرسين والمدرسات المتخصصين في اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، مع حسن اختيار العناصر بحيث تكون على مستوى إسلامي جيد من حيث العقيدة والسلوك والخلق وعلى مستوى علمي رفيع ثم تكون مناسبة للجهة المبتعثة إليها .

٥ - ٥ الإكثار من المنح الدراسية للأقليات بالمعاهد الإسلامية والعربية في البلاد الإسلامية لتكوين كوادر علمية وتربوية ودعاة تستطيع أن تقوم بدورها في أوطانها وتحل محل المبتعثين ، وحذا لوقامت بعض الدول الإسلامية بإنشاء مدارس ومعاهد إسلامية نموذجية راقية في بلاد الأقليات .

٥ - ٦ على ضوء النتائج والتقييم للمرحلة الابتدائية يمكن البدء في إعداد مناهج مرحلة ما فوق الابتدائي ، والتي نأمل أن تحقق ما ذكرناه سابقا من آراء حول أسس وغايات وأهداف منهج التربية الإسلامية للأقليات مع العناية بما يلي :

أ - زيادة العناية باللغة العربية فهي ترجمان القرآن والذي هو أساس الإسلام وشرائعه وروحه ولا يمكن فهمه إلا بفهمها وهي ضمان يحفظ من الزيغ في تأويله ومن المخاطر الاعتماد على تراجم القرآن بدلا من الاعتماد عليه باللغة العربية . وحذا لو درست كل المواد الإسلامية باللغة العربية ولو تدريجيا ، خاصة في المراحل النهائية .. وذلك كله كخطوة للوصول إلى أن تكون اللغة العربية هي لغة التفاهم بين المسلمين جميعا .

ب - تكوين الشخصية المسلمة الملتزمة أمام الله والعاملة بما أمر وشرع والداعية بعقلية مؤمنة تنظر إلى الكون والحياة والإنسان بمنظار الإسلام الشمولي وبالحكمة والموعظة الحسنة ومدعمة في نفس الوقت بسلاح العلم والمعرفة المعاصرة .

ج - بعض التوسع في الأحكام العقائدية والفقهية وأصول الفقه ومصطلح الحديث وبيان حكمة التشريع في العبادات والمعاملات وأثره في رقي المجتمع وسلامة بنائه وصلاحيته لكل زمان ومكان وفضل التشريع الإسلامي وسموه وصلاحه على باقي التشريعات الوضعية .

- د - دراسة بعض النظريات الإسلامية مثل التكافل الاجتماعي وغيرها مع دراسة مقارنة توضح
ببطلان علمي وعقلي ووجداني فساد النظم الوضعية وسمو الإسلام وصلاحيته ومن ثم التأكيد
على أن الإسلام ضرورة للحياة كما أن الإسلام دين ودولة .
- هـ - التركيز على القضايا المعاصرة خاصة التيارات الإلحادية والتنصيرية والعلمانية والشيوعية
وغيرها .
- و - وأخيراً يجب البيان والتنبيه على ما قد يكون في المواد والمناهج الأخرى - التي تضطر الأقليات
الإسلامية إلى دراستها - من أمور تتنافى مع الإسلام أو مع مفهوم الإسلام ونظيرته إليها .

الفصل الثاني

الأقليات المسلمة والدعوة إلى الإسلام

**الإسلام لغير المسلمين
برنامج مقترح للدعوة بين الأقليات المسلمة**

للدكتور مانع حماد الجهنى

الإسلام لغير المسلمين برنامج مقترح للدعوة بين الأقليات المسلمة

د. مانع حماد الجهني

إن الدعوة إلى الإسلام واجب على كل مسلم ، وهي واجبة على الفرد وعلى المجتمع . ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ « سورة آل عمران - آية ١٠٤ » .

وهكذا ففي كل مجتمع مسلم يجب توجيه الدعوة إلى المسلمين وإلى غير المسلمين على حد سواء .

ويعتقد بعض المسلمين أن أوجه نشاط الدعوة يجب أن تقتصر على المجتمع المسلم حتى يصبح هذا المجتمع صورة حقيقية للإسلام ، ثم يبدأون بعد ذلك في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ويقول معتقو هذا الرأي حينئذ تكون الدعوة لغير المسلمين مفيدة ومعبرة . وأعتقد أن هذا الرأي بجانب الصواب وينبغي توجيه أوجه نشاط الدعوة للمسلمين وغير المسلمين على حد سواء وذلك للأسباب التالية :

١ - إننا قد نتظر طويلاً قبل أن يصبح المجتمع المسلم ملتزماً التزاماً عاماً فضلاً عن الالتزام الكامل بالإسلام .

٢ - إن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام واجب يجب تنفيذه دون تأخير .

٣ - الدعوة هي الشرايين التي قد تجري خلالها الدماء وتسري في جسم المجتمع المسلم .

٤ - دعوة غير المسلمين للإسلام هو دفاع ذاتي غير مباشر عن المجتمع المسلم من ناحيتين
هما :

أ) كسب أعضاء جدد للمجتمع الإسلامي وهذا في حد ذاته دعم معنوي
للمسلمين بالوراثة .

ب) ما لم يشغل الأفراد المسلمون والمجتمع المسلم نفسه بدعوة الآخرين إلى الإسلام ،
فإنهم سيجدون من يدعونهم إلى العقائد الأخرى .

وبكل تأكيد فإن هذا هو الوقت المناسب - لا لتقديم الإسلام إلى غير المسلمين فحسب
على نطاق واسع وبكل وسيلة ممكنة - بل كذلك لدراسة الثقافات والمجتمعات المتعددة
وتطوير أحسن الوسائل الممكنة للدعوة بينهم . ولو ألقينا نظرة فاحصة على كتب وأدبيات
الدعوة المتوفرة باللغة العربية واللغة الإنجليزية يتضح لنا وجود حاجة ماسة فعليه للمواد الملائمة
التي تتعلق بكيفية تقديم الإسلام لغير المسلمين ، ويستطيع المرء أن يقف على مدى عمقنا في
هذا المجال عندما يرى كثرة المادة التي كتبها النصاري عن كيفية تنصير المسلمين . ومن أحدث
إصداراتهم في هذا الميدان كتاب « الإنجيل والإسلام » وهو خلاصة وقائع مؤتمر عقد عام
١٩٧٨م به البيانات والنظريات والوسائل والاقتراحات بشأن كيفية المشاركة في « أخبار
يسوع المسيح الطيبة » من جانب كل دولة مسلمة أو أقلية من الأقليات المسلمة في العالم . ليس
هذا فحسب ولكن الكتاب به تقارير إخبارية عن حالة الإسلام والنصرانية في هذه الدول ،
الوضع الحالي للأدبيات النصرانية الموجهة للمسلمين ، والوضع الحالي لترجمات الإنجيل إلى
اللغات الإسلامية « الوضع القائم للإذاعات الموجهة إلى الشعوب المسلمة » ، وبالكتاب
موضوعات أخرى كثيرة تتصل بهذا الموضوع .

وأود أن أقترح على المشاركين في هذا المؤتمر والمنظمات الإسلامية والهيئات المعنية تنظيم
مؤتمر عالمي عن « كيفية تقديم الإسلام للعالم » حيث يلتقي فيه الخبراء ويناقشون أحسن
الوسائل للدعوة الإسلامية وكيف يمكن الاستفادة من تجربة كل فرد في هذا المجال . ويجب أن
يسبق هذا المؤتمر تقارير عديدة عن أوضاع الفاعليات الإسلامية الموجهة لغير المسلمين في كل
مكان . وإنني على ثقة من أن مثل هذا المؤتمر - في حالة تنفيذه كما ينبغي له - سوف يفتح أمام
الدعوة الإسلامية طرقاً عديدة تؤدي إلى شعوب في حاجة ماسة إلى نور الإسلام وهدى القرآن
الكريم .

وهذا البحث إن هو إلا تقرير مختصر عن فعاليات لجنة الدعوة في حرم إحدى الجامعات
الأمريكية . وأظن أنه سيساعد أولئك الذين يخططون لعمل الدعوة بين غير المسلمين
والنصاري منهم خاصة .

كيف تدعو غير المسلمين إلى الإسلام :

يعتقد كل مسلم ويؤمن بأننا تلقينا آخر نسخة من الوحي الإلهي وهذا هو الطريق الوحيد لنجاة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة . وهذا الاعتقاد يتطلب منا أن نقدم الإسلام لغير المسلمين بأحسن الطرق الممكنة ﴿ آذِغْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَتَى هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . (سورة النحل ، آية ١٢٥) .

وتقديم الإسلام للآخرين ينبغي أن يتم على مستويين هما :

- ١ - المستوى الفردي .
- ٢ - المستوى التنظيمي .

١ - الدعوة الفردية :

يجب على الفرد المسلم - لكي يؤدي واجبه في الدعوة بنجاح بين أصدقائه وجيرانه ومدرسه وغيرهم - أن يكون لديه القدر الكافي من المعرفة عن الإسلام وأن يكون لديه بعض المواد التي قد يقدمها لمن يدعوهم إلى الإسلام . ومن المفيد جدًا (ولكنه من غير الضروري في الدعوة الفردية) أن يكون لدى الفرد الداعي معرفة بأركان الإسلام والأسئلة التي تثار بصفة متكررة (وبعض هذه الأسئلة موجودة في كتاب محمد قطب : « شبهات حول الإسلام » كما ينبغي أن يكون الداعي ملماً بعقائد النصرانية الأساسية) . ويجب أن يكون معه بعض الكتيبات والنشرات التعريفية عن الإسلام ، وحتى إن كان الأخ أو الأخت لا يعرفون كثيرًا عن الإسلام ولا يشعرون بالثقة التامة عندما يتكلمون عنه للآخرين ، فيجب على الداعي أو الداعية أن يقدم بعض المواد عن الإسلام لأصدقائه وللآخرين . ويمكن أن تتم الدعوة الفردية على المستويات التالية :

أ) الاتصال الشخصي :

عادة لكل فرد بعض العلاقة مع غير المسلمين في أماكن النوم والفصول الدراسية . . وغيرها . ويمكن أن يكون الإسلام موضوعًا للنقاش في مناسبات عدة . ويجب أن يكون المسلم على أهبة الاستعداد لانتهاز أية فرصة لتقديم الإسلام في مناقشاته وحديثه . وعلى سبيل المثال يستطيع أن يشرح بوضوح لماذا لا يأكل لحم الخنزير ، أو لماذا لا يستحم في الحمامات العامة ، ولماذا يستخدم في حديثه بعض التعبيرات الإسلامية مثل « إن شاء الله » ويستفيد من شرحها كنقطة بداية لشرح بعض جوانب الإسلام .

ب (النشاط في حجرة الدراسة :

في بعض المقررات يمكن تقديم الإسلام للطلبة في الفصل في شكل مشروع أو بحث عن جانب من جوانب الإسلام . وهذه المقررات يمكن أن تشمل أي موضوع من موضوعات الاجتماع أو علم النفس أو التاريخ أو الاقتصاد أو حتى الموضوعات العلمية . فعلى سبيل المثال يستطيع المرء أن يكتب عن إسهامات المسلمين في الرياضيات والطب والكيمياء ، أو وجهة النظر الإسلامية في حياة الأسرة ، والبنوك اللاربوية ، والمفهوم القرآني للعدالة والإنسان .. الخ . وما هذه إلا أمثلة يمكن أن تستخدم في تقديم الإسلام لغير المسلمين ، والقيام بمثل هذه المشروعات يحقق المميزات التالية :

- ١ - زيادة معلومات الفرد ومعارفه عن الإسلام .
- ٢ - إتاحة الفرصة له لتقديم الإسلام للغير .
- ٣ - معالجة موضوع يعرفه أحسن من معرفة المدرس نفسه .

٢ - الدعوة التنظيمية :

يجب أن يكون من أهداف أي منظمة إسلامية أن تدعو للإسلام بين غير المسلمين . ويمكن أن يتم ذلك بتشكيل لجنة دعوة تقوم بالتخطيط لأوجه النشاط التي يجب القيام بها في المجتمع . وهذه اللجنة يمكن أن ينبثق عنها ثلاث لجان فرعية للقيام بالدعوة بين :

- ١ - المسلمين بالوراثة .
- ٢ - المسلمين الجدد .
- ٣ - غير المسلمين .

وسأحصر مناقشتي هنا على لجنة دعوة غير المسلمين ، إذ يجب أن يكون بعض أعضاء هذه اللجنة من المسلمين من أهل البلد الذين يعرفون ثقافة غير المسلمين وأحوالهم النفسية . أما أوجه النشاط التي ينبغي أن توجهها المنظمة الإسلامية تجاه غير المسلمين فيجب أن تشمل الآتي :

- ١ - إرسال خطابات إلى المدارس المحلية والكنائس وأقسام الجامعات تبين استعداد اتحاد الطلبة المسلمين أو المركز لإلقاء المحاضرات والمعلومات والدراسات عن الإسلام والدول الإسلامية وقد لا يكون ذلك مفيداً جداً في البداية ولكن نتيجته طيبة على المدى البعيد .

٢ - المشاركة في المعارض وأوجه النشاط الطلابية في الحرم الجامعي حيث يجب عرض بعض الكتب والنشرات وتوزيعها لتوعية الناس بوجود الإسلام والمسلمين في المنطقة .

٣ - تجهيز مناظير عرض في الأماكن المزدحمة ، ومنطقة التسجيل ، مثل المكتبة واتحاد الطلبة .. الخ حيث يجب أن توزع الأدبيات الإسلامية ويتم مخاطبة المارة واجتذابهم واستمالتهم للاستفسار وطرح بعض الأسئلة عن الإسلام .

وينبغي إعداد هذه المعارض إعداداً ماهراً لجذب انتباه الناس واستثارة حب الاستطلاع فيهم . ويمكن أن يتم ذلك باستخدام بعض اللوحات الجميلة والملصقات والألواح واللوحات الفنية .. الخ كما ينبغي الاستفادة من هذه المعارض للإعلان عن أوجه النشاط الأخرى في المنظمة التي توجه لغير المسلمين .

٤ - عقد ندوة أسبوعية مفتوحة لإجراء مناقشات حول الإسلام وإعداد مكان للإجابة على أسئلة أولئك الذين يودون أن يعرفوا المزيد عن الإسلام . ويجب أن تكون هذه الندوات لمدة ساعة تقريباً يتم فيها احتساء القهوة مع شيء آخر بسيط ونقل مثلاً بسكويت أو كعك أو خلافة . ومن الأفضل أن يكون هناك بعض الأخوة العارفين الذين يقومون بإدارة المناقشات على التوالي ، وإن لم يكن هناك ذلك فيمكن التحدث مع الناس والانخراط معهم اجتماعياً . ويجب أن تكون هناك منضدة لتوزيع النشرات المجانية وإعارة الكتب الإسلامية التي يمكن تقديمها لمن يعينهم الأمر .

٥ - تخطيط سلسلة محاضرات شهرية منتظمة عن الإسلام ، ويختار موضوع المحاضرات من بين تلك الموضوعات التي تجذب وتعني عدداً كبيراً من الناس . فإن كان لديك بعض الإخوة والأخوات العارفين فإنهم قد يقومون بإلقاء المحاضرات ، وإلا فينبغي دعوة بعض الضيوف للمحاضرة ، وهذه المحاضرات يجب أن تنظم تنظيماً حسناً وأن يتم الإعلان عنها والدعاية لها والإعداد لها إعداداً جيداً . وحتى إن لم يحضرها غير المسلمين فإنها تستحق أن يشهدها المسلمون أنفسهم . وأحسن طريقة لضمان عدد كبير من المستمعين هي الاتصالات الشخصية والدعوات الشخصية من قبل الأعضاء المسلمين لأصدقائهم ومدرسيهم . وفيما يلي قائمة ببعض الموضوعات التي

يمكن أن تعالجها هذه المحاضرات :

- أ (مفهوم الإله في الإسلام .
- ب (هل كل دين دين : الرد الإسلامي ؟
- ج (لماذا نحن هنا ؟ ما الهدف من حياتنا ؟
- د (عيسى في القرآن .
- هـ (محمد في الإنجيل .
- و (ظهور المسيح مرة ثانية ، المنظور الإسلامي .
- ز (الإسلام : الرسالة الأولى والدين الخاتم .
- ح (هل هناك حياة بعد الموت ؟ ... الخ .

٦ - الاستفادة من بعض المناسبات مثل شهر رمضان والأعياد لدعوة مراسلي الصحف المحلية ومحطات الإذاعة والتلفاز وإخبارهم عن المناسبة وأهميتها وضرورتها للعالم الإسلامي . وهناك طريقة أخرى لعمل ذلك تتمثل في إرسال نشرة إعلامية إلى وسائل الإعلام تلك في كل مناسبة .

٧ - حاول أن تكون يقطاً منتبها لما ينشر في الصحف المحلية عن الإسلام والدول الإسلامية . كما ينبغي الاستفادة من كل فرصة تتاح لتصحيح الشبهات التي تثار حول الإعلام أو لتقديم معلومات عن الإسلام وكذلك المشاركة في مناقشة القضايا المعاصرة وعرض وجهة النظر الإسلامية في تلك القضايا وكيف تحل مشكلات الرجل المعاصر .

٨ - انتقاء بعض الكتب القليلة عن الإسلام (القرآن - إسلام إن فوكس ، الإنجيل ، القرآن والعلم ، عيسى من أنبياء الإسلام ، ... الخ) وتقديمهم للمكتبات العامة المحلية (إن لم تكن متوفرة لدى المكتبات) ومكتبات المدارس .

٩ - الاتصال بالمدارس المحلية (وخاصة عن طريق بعض الآباء المسلمين) وإبداء الرغبة في تحسين فهم وشرح برامج الدراسات الإسلامية في المدارس وخاصة الموضوعات التي تعالج الإسلام والدول الإسلامية . ويصبح هذا واجباً لازماً إذا اكتشفت - كما هي العادة - سوء تقديم أو تشويه الحقائق عن الإسلام والمسلمين في كتب الدراسات الاجتماعية المقررة .

١٠ - عقد بعض أوجه النشاط في جو مفتوح أو في مكان حيث يمكن أن يراه الناس فيهتمون للأمر أو تشد رغبتهم وحب استطلاعهم . وهذا شيء مرغوب

وخاصة في صلاة العيدين والرحلات (حيث يتم فيها صلاة الجماعة) وأية مناسبة أخرى قد تفرض نفسها .

١١ - عقد « سوق » سنوياً أو نحو ذلك يعرض فيه وتباع الكتب الإسلامية والملصقات والطعام وبعض البنود الأخرى عن العالم الإسلامي كما يمكن التخطيط أثناء المعرض لبعض الأحاديث وعرض الشرائح ومصادر المعلومات الأخرى .

١٢ - ينبغي على المنظمة أن تعلن في إصداراتها وصحفها المحلية بأنها مستعدة لتوفير المعلومات وإرسال بعض الأدبيات المجانية لأولئك الذين يودون أن يعرفوا شيئاً عن الإسلام . ويمكن تصميم بعض النماذج لهذا الغرض ، ولدى « جمعية معتنقي الإسلام » في سنغافورة بطاقات باسم « اعمل معروفاً في أصدفائك غير المسلمين » وقد وجدت ذلك مدخلا جديداً ومفيداً لشغل كل فرد في الدعوة .

المواد اللازمة للدعوة :

ينبغي أن تكون المنظمة الإسلامية المحلية أو الجالية قادرة على توفير المعلومات والمصادر الضرورية عن الإسلام وعن الدول الإسلامية . ويتم ذلك عادة في شكل مكتبة صغيرة تحتوي بعض الكتب والمواد الإسلامية ، على أية حال يجب أن يكون لدى لجنة الدعوة مجموعة متقاة من الكتب والنشرات الجاهزة دائماً لإعطائها لأي شخص يريد أية معلومات عن الإسلام . وهذا يعني أنه ينبغي توفير مجموعة من الكتب دائماً بحد أدنى لتوزيعها هدايا مجانية لأولئك الراغبين في أن يعرفوا عن الإسلام شيئاً . ورغم أن المركز الإسلامي أو المسجد في المجتمع يجب أن يوفر معلومات عن أي جانب من جوانب الإسلام الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية . الخ وفق رغبة واهتمام السائلين فينبغي أن تتوفر الكتب والنشرات والكتيبات التالية في المنظمات الإسلامية كمصادر سريعة عن الإسلام (ويمكن الحصول عليها من العديد من ناشري الكتب الإسلامية) وهي :

- ١ - ترجمة معاني القرآن الكريم لبكتهول أو يوسف علي
- ٢ - إسلام إن فوكس (أي الإسلام مركزاً) لعمودة عبد العاطي
- ٣ - التعريف بالإسلام لحمد الله
- ٤ - كيف نفهم الإسلام للمودودي
- ٥ - القرآن الكريم والإنجيل والتوراة والعلم لموريس بوكاي

- ٦ - ماذا يجب أن يوفر كل فرد عن الإسلام والمسلمين لحنيف
- ٧ - شبهات حول الإسلام لمحمد قطب
- ٨ - سيرة مالكولم إكس الذاتية
- ٩ - إسهامات المسلمين في العلوم
- ١٠ - تنظيم الأسرة في الإسلام لعبد العاطي

والكتب المذكورة أعلاه ينبغي أن تتوفر للاستعارة إن لم تستطع المنظمة إهداء بعضها ،
ولكن الكتيبات والنشرات التعريفية التالية ينبغي أن تتوفر كلها للتوزيع المجاني أو على الأقل
النشرات التعريفية :

- ١ - الإسلام في لمحة .
- ٢ - كيف حدث ذلك .
- ٣ - العقيدة التي أسيء فهمها .
- ٤ - ماذا يقولون عن القرآن .
- ٥ - ماذا يقولون عن الإسلام .
- ٦ - ماذا يقولون عن محمد ﷺ .
- ٧ - حياة ما بعد الموت .
- ٨ - النبوة في الإسلام .
- ٩ - مفهوم العبادة في الإسلام .
- ١٠ - مفهوم الإله في الإسلام .
- ١١ - النظام الأخلاقي في الإسلام .
- ١٢ - عيسى في القرآن .
- ١٣ - مكانة المرأة في الإسلام .
- ١٤ - تعدد الزوجات في نظر الشريعة الإسلامية .
- ١٥ - حقوق الإنسان في الإسلام .
- ١٦ - عيسى من أنبياء الإسلام .
- ١٧ - الإسلام والغرب .
- ١٨ - نبوة محمد ﷺ . نظرة تحليلية .. الخ .

إن هذه الكتب والكتيبات والنشرات هي الأدوات التي نستطيع أن نقدم بها الإسلام لغير
المسلمين . ومن ثم فينبغي أن تتوفر هذه الكتب ، وعلى الإخوة والأخوات في المجالية أن يكونوا
على علم بمحتوياتها حتى يمكن الاستفادة منها أو إعطائها للأصدقاء والمعارف .

كما ينبغي أن يكون لدى مقر المنظمة الإسلامية المحلية بعض الشرائح والملصقات والصور عن بعض الأماكن الإسلامية الممتعة ومنها المساجد والمواقع التاريخية والبنود الأخرى لاستخدامها في عمل عروض أو تقديم عن الإسلام . وهذه الأدوات مهمة جدًا عند التعامل مع الأطفال في المدارس حيث يقدرون جيدًا الوسائل والمساعدات المرئية . ويمكن الحصول على هذه الخامات من الهيئات والمنظمات الإسلامية أو دور بيع الكتب ويمكن أن يقوم بعض الأعضاء بإنتاجها محليًا .

تدريب الدعاة العاملين المسلمين :

ينبغي على الإخوة والأخوات الذين يقومون بواجب الدعوة أن يعرفوا الإسلام جيدًا . وينبغي أن تشتمل معارفهم الأسس العقدية في الإسلام ومعرفة أركان الإسلام ، كما ينبغي عليهم أن يألفوا وأن يتعرفوا على الكتب الأساسية للمفكرين المسلمين المعاصرين مثل المودودي وسيد قطب ومحمد قطب وبعض الأعمال الأخرى المهمة عن الإسلام . وهذا النوع من المعرفة متوفر عادة لدى غالبية الإخوة والأخوات الذين يعملون في حقل الدعوة الإسلامية .

وعلى أية حال يوجد نوع آخر من المعرفة التي ينبغي على الدعاة معرفتها إذا أرادوا تقديم الإسلام لغير المسلمين (وخاصة النصارى) على أساس دوري ومنظم . وهذه هي بعض المعارف عن المسيحية ما مقوماتها الرئيسية ؟ كيف تبدو في العالم ؟ وما نقاط الضعف فيها ؟ إن معرفة شيء عن المسيحية ضروري لأي شخص يقدم الإسلام للنصارى وأهمية ذلك تتضح من خلال الأسباب التالية :

١ - استخدام المفاهيم المسيحية للمقارنة والتناقض وذلك لتبسيط بعض الآراء والمفاهيم الإسلامية وتوضيحها .

٢ - على المرء من حين لآخر أن يدافع عن الإسلام وأن يبدي كيف أنه يفوق كل عقيدة أخرى . ويمكن أن يتم ذلك بمقارنة وجهات النظر الإسلامية عن الإله والنبوة والعبادة والمسئولية .. الخ مع العقائد الأخرى التي يتعامل معها الإنسان أو القائمة في العالم اليوم .

وأحسن وسيلة للتعرف على المسيحية ومعرفتها هي أن تقرأ مقدمة مبسطة عنها تبين الجوانب الرئيسية فيها ثم قراءة ما كتبه العلماء والدارسون المسلمون عنها في العصر الحديث (وهناك قليل من الكتب والمقالات متوفرة باللغات الإسلامية المعاصرة) . وهناك بعض الكتب والمؤلفات كتبها مؤلفون مسيحيون وهذه الكتب تعين الدعاة على فهم جوانب

الضعف في المسيحية إذإنها توضح كثيراً من نقاط الضعف القائمة في الأناجيل وتوضح أنه ليس بالضرورة « وحياً » وليس كلمة الله كما يزعم معظم النصارى المتعصبين . وأن معرفة هذه الكتب تساعد الدعاة على تقديم الإسلام بقوة وبمنطق فكري سليم ، ليس هذا فحسب ولكنها تساعد الأعضاء الجدد في الجالية الإسلامية على أن يبينوا قضاياهم بوضوح وأن يواجهوا نقد أصدقائهم وعائلاتهم من النصارى .

وقائمة المراجع المختصرة التالية تضم أسماء بعض الكتب عن النصرانية كتبها مسلمون وغير مسلمين . وهذه الكتب تشكل جزءاً فحسب مما هو متوفر ومما سيظهر في المستقبل مما ينبغي على الداعية أن يضمه قراءاته العادية وبرنامج تربيته ليظل على علم بالمكتشفات (بالنتائج) الجديدة وإلقاء ضوء جديد على اليهودية والمسيحية بمعرفة علماء معاصرين ، وهي تدعم ما ذكره القرآن منذ أربعة عشر قرناً مضت . وهي :

١ - جونسون ستيف : الدعوة للأمريكيين : نظرياً وتطبيقياً

وهي كتب من إصدارات الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية . وهذه الورقة بها معلومات مفيدة قدمها نصراني سابق عن ثلاثة موضوعات رئيسية هي :

- السيكولوجية الأساسية للتغيير الاتجاهي .
- القيم الرئيسية وعقائد الأمريكيين .
- أسس العقيدة المسيحية .

٢ - اجيجولا أ . دى : خرافة الصليب

صادر عن دار المنشورات الإسلامية لاهور في سنة ١٩٧٥ م . وهذا كتاب قيم يقدم المبادئ المعاصرة للنصرانية ويفند العهد الجديد بنظرة فاحصة ناقدة . كما يوضح المؤلف بعض مزاعم النصرانية الخاطئة ويقارن بينها وبين بعض وجهات النظر الإسلامية .

٣ - عطاء الرحيم ، محمد : عيسى من أنبياء الإسلام

الطبعة الثانية ، لندن ، من منشورات دار الرعاية الإسلامية سنة ١٩٧٩ م ويوضح عطاء الرحيم في هذا الكتاب الممتاز كيف حرفت تعاليم المسيحية وكيف تم تقديم مبدأ التثليث وتمت ممارسته على أجساد كثير من النصارى المخلصين على مر تاريخ النصرانية . وقد اعتمد المؤلف على مصادر مسيحية عدا ما كتبه في الفصلين الأخيرين حيث يقدم ما ورد في القرآن والحديث عن عيسى .

٤ - عزيز الصمد ألقت : دراسة مقارنة عن المسيحية والإسلام

الطبعة الثالثة لاهور - السيد محمد أشرف ١٩٧٦ م
ويعقد هذا الكتاب مقارنة بين الأنجيل والقرآن وعيسى ومحمد والمعتقدات والتعاليم
الأخلاقية في المسيحية والإسلام .

- ٥ - أوغستين ، رودولف : عيسى بن الإنسان
نيويورك ، من إصدارات أوريزون بوكس ١٩٧٧ م .
ويتعقب هذا الكتاب تاريخ عيسى ويخلص من ذلك بأن « الكنيسة المسيحية » تنجراً
على أن تعتقد في عيسى الذي لم يكن إلهاً أبداً . وتعاليمه التي لم يعلمها ، وعهود لم
تصدر عنه ، ودعوى أنه ابن الله وهو ما لم يزعمه لنفسه أبداً .
- ٦ - بوكاي - موريس : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم
بلين فيلد - دار الثقافة للنشر بأمريكا الشمالية سنة ١٩٧٨ م .
وفي هذا الكتاب يفحص المؤلف الكتب المقدسة في ضوء العلم ويقدم نبذة مختصرة
عن جميع هذه الكتب المقدسة ويخلص من ذلك بأن القرآن هو الكتاب المقدس
الوحيد الذي لم يدخله التحريف ولا يتعارض مع أية حقيقة علمية ثابتة . وعلى أية
حال فينبغي فحص وتقنين آراء المؤلف التي أوردتها عن السنة فحصاً دقيقاً وبناية
كاملة .
- ٧ - داود عبد الأحد : محمد في الإنجيل
سراواك . انجكاثان ، دار نهضة الإسلام ١٩٧٨ م .
ولقد استخدم الأستاذ عبد الأحد معرفته الشاسعة باللغات الشرقية القديمة وبحوثه
الدراسية العظيمة عن الإنجيل أثناء حياته الدراسية عندما كان يدرس العقيدة وعندما
كان قسيساً كاثوليكياً معمداً ليوضح أن المرء يستطيع أن يكتشف من الإنجيل الحالى
أن محمداً ﷺ ورد ذكره في الإنجيل بأنه النبي العظيم الذي سيوحى إليه الوحي الإلهي
الخاتم للبشرية .

- ٨ - ديدات أحمد : هل الإنجيل كلمة الله ؟
إن أربور ، صادر عن دار كريستانت امبورتس اند بيليكشنز ، ديترويت بأمريكا
الشمالية .
وفي هذه النشرة يبين الأستاذ أحمد ديدات أن الإنجيل يحوي مجموعة من المتناقضات
والعيوب التي لا تجعله كلمة الله ولا الكتب المقدسة الموحاة التي يزعمها

المسيحيون . وينقل الأستاذ ديدات كذلك عن بعض السلطات والهيئات النصرانية الذين توصلوا إلى نفس النتيجة .

٩ - ديدات أحمد : ماذا يقول الإنجيل عن محمد ؟

جارى ، جماعة مسجد الأمين ديترويت .

وهذه محاضرة تفحص نصًا من نصوص الإنجيل التي تتحدث عن محمد ﷺ .
ولقد كتب الأستاذ ديدات بعض الكتيبات الأخرى التي عالجت جانبًا أو أكثر من المسيحية . وهو مصدر ثقة في قضايا الإنجيل ، وكتاباته مفيدة جدًا وموثقة توثيقًا جيدًا .

١٠ - هيك جون : خرافة تجسيد الإله

فليلا دلفيا دى وستمنشر برس ١٩٧٧ م .

١١ - مفسر سليمان شهيد : دراسات إنجيلية من منظور إسلامي

واشنطن دي سي - المركز الإسلامي ١٩٧٣ م .

وهذا الكتيب يحوي ثلاث محاضرات أُلقيت أساسًا في المركز الإسلامي في واشنطن دي . سي ، ويشير الكاتب إلى بعض النصوص في التوراة والإنجيل تلك التي تشير إلى محمد ﷺ .

١٢ - مفسر سليمان شهيد - عيسى من أنبياء الإسلام

بلينفيلد - الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية ١٩٨٠ م .

وهذا العنوان اختاره المحرر لمقالات ثلاث كتبها الأستاذ مفسر وهي :

- عيسى في القرآن .

- فكرة الإنجيل القديمة عن محمد ﷺ .

- بنوة عيسى .

ورغم أن هذه المقالات قصيرة إلا أنها معدة إعدادًا منهجيًا جيدًا .

١٣ - راج لوزنديل آند لورا : إنجيل برنابا

الطبعة الرابعة - كراتشي - أبناء فاضلى سنة ١٩٧٥ م .

وهذا إنجيل اكتشفه المترجمون في بداية هذا القرن ، وكان باللغة الإيطالية وكان مخبأ في مكتبة الفاتيكان ، وقد اكتشفه شخص ما بالصدفة ثم سرقه خارج المقر . وقد ترجم بعد ذلك إلى الإنجليزية ونشر سنة ١٩٠٧ م ورغم أن النصارى لا يعترفون به

ككتاب موثق ، إلا أنه وثيقة مفيدة تتفق محتوياتها مع التصور الإسلامي عن المسيحية وعيسى .

ونود أن نعرض على الإخوة والأخوات قراءة الكتب والكتيبات التالية وهي باللغة العربية - وتعرض المناقشات بين اليهود والنصارى من ناحية والمسلمين من ناحية أخرى ، وهي كتب قليلة تعالج هذا الموضوع وهي أمثلة فقط أوردتها على سبيل المثال :

١٤ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (لابن تيمية) .

١٥ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (لابن القيم) .

١٦ - محاضرات في النصرانية (لمحمد أبو زهرة) .

١٧ - إظهار الحق (لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي) .

١٨ - محمد في التوراة والإنجيل (لعبد الأحد داود) .

١٩ - القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (لموريس بوكاي) .

ويمكن الحصول على معظم الكتب المذكورة أعلاه من العديد من المكتبات ودور النشر الإسلامية.

وإن المقترحات الواردة أعلاه عن الدعوة وكذلك الكتب المقترحة قراءتها ، إن هي إلا مجرد لمحات يجب على الداعية أن يأخذها نقطة للانطلاق نحو مدخل أكثر إتقاناً وإبداعية لعمل الدعوة في منطقة الداعية دون أن نقصد بها أنها هي القائمة النهائية أو أن تقتصر عليها القراءة . ندعو الله أن يعيننا للعمل في سبيل دعوته وأن نقوم بالدعوة وفق شريعته وأن يستخدمنا في هداية الآخرين .

استراتيجية الدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية

للأستاذ محمد عبدالله السمان

استراتيجية الدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية

محمد عبدالله السمان

(ملخص الدراسة)

هذه الدراسة تتضمن مقدمة وتمهيدا ، ومبحثين ، وخاتمة :

أولاً : في المقدمة : تقديم رؤية واضحة وموجزة عن حقيقة وجود استراتيجية الدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية .

ثانياً : في التمهيد : تساؤلات ثلاثة ، عن نشر الدعوة الإسلامية خارج ديار المسلمين ، وعما إذا كان لها استراتيجية واضحة ، وعن نتيجة المقارنة بينها وبين غيرها المناهض للإسلام .

ثالثاً : المبحث الأول : عوامل النجاح لهذه الاستراتيجية وتتركز في التخطيط القائم على الدراسة المتأنية والموضوعية معا - توافر الإمكانيات المادية والأدبية والعلمية ، بل والسياسية ، ثم التأهيل الشامل للقائمين على الدعوة الإسلامية .

رابعاً : معوقات النجاح : وتتركز في معوقات ثلاثة رئيسية : الارتجال الذي يتجاهل التخطيط الشامل - ضعف الإمكانيات وعدم ترشيدها ، ثم التقلبات السياسية ، المحلية أو الدولية .

خامساً : خاتمة : تعرض لمشكلات تنبع من داخلنا ، وأخرى ، تأتينا من خارجنا ، وكيف نواجه مثل هذه ، وتلك ، لنضمن مسيرة الدعوة بلا معوقات .

مقدمة

- ماذا تعني كلمة : (استراتيجية) ؟
- وأقول بادئ ذي بدء : إنها لفظ غير عربي ، وهي تعني (الخطة) الخاصة بالحروب ، يضعها القادة العسكريون .. والكلمة قديمة قدم الحروب ذاتها .. ويتوقف الانتصار في الحرب على نجاح الاستراتيجية ، وإذا كانت القوة المادية والقوة المعنوية ، همار كيرتا كل معركة ، فإن الاستراتيجية العسكرية لا تقل شأنًا عنهما ، بل إن هاتين القوتين - بدونها - لا تحققان نصرا ..

ولا جدال في أن الإسلام في معاركه ابتداء من غزوات الرسول ﷺ قد اهتم بإبراز عناصر الحرب الناجحة الثلاثة : القوة المادية ، والقوة المعنوية ، ثم خطة المعركة ، وبالنسبة للقوة المادية ، يقول الله في محكم كتابه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (الأنفال — آية ٦٠)

وبالنسبة للقوة المعنوية ، يقول الله سبحانه :

﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة — آية ٢٤٩)

وبالنسبة لاستراتيجية المعركة ، يقول الحق سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ، وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الأنفال — آية ١٥ - ١٦)

أصف إلى ذلك : أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - كان يستشير أصحابه قبيل كل معركة في خطة القتال ، ليرسي قاعدة ، يجب أن يلتزم بها المسلمون من بعده : (لا فردية في شئون الحرب) .

لكن مفهوم (الاستراتيجية) لم يعد مقصورا على شئون المعارك الحربية ، لأن هذا المفهوم قد امتد إلى الشئون المدنية في ظروف السلام ، حيث يحتاجها نشر المذهب

السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية ، وما إن يبدأ التفكير في أحد هذه المذاهب إلا وتكون هناك استراتيجية مدروسة ومرسومة معا ، لكيفية مسار هذا المذهب .

(ولا جدال في أن الدعوة الإسلامية ، كان لها استراتيجية في المرحلة المكية ، حيث لا مجال للحرب فيها ، وهي خطة تقوم على أساسين ، هما : الهدم والبناء معا ، هدم عقيدة الجاهلية ، ليقوم على أنقاضها بناء عقيدة الإسلام الصحيحة ، أما أسلوب الاستراتيجية في هذه المرحلة ، فيتمثل في قوله تعالى : ﴿ آذَعْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل - آية ١٢٥)

وبعد أن استقر الإسلام في يثرب - بعد الهجرة - وقامت دولته ، وبدأت المواجهة العسكرية بين الإسلام وأعدائه ، سارت جنبا إلى جنب ، استراتيجية الحرب واستراتيجية السلام ، بتوجيهات القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة .

ولكن .. كيف يمكن لاستراتيجية الدعوة الإسلامية المعاصرة في الدول غير الإسلامية ، أن تلعب دورا في الوقت الحاضر ، توطد به وجودها أولا ، وتكسب أرضا جديدة ثانيا ؟

هذا هو السؤال الذي يفرض نفسه علينا ، مع افتراض وجود استراتيجية للدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية .

إن الاستراتيجية تقوم على خطة ومنهج خطة ترسم الطريق ، ومنهج يباشر التنفيذ وهذه نفس استراتيجية الدعوة الإسلامية في المرحلة المكية : إزالة وبناء ، إزالة المعوقات لمسار الدعوة ، ومنها الارتجال ، وضعف الإمكانيات المادية وغيرها ، ثم مواجهة التقلبات السياسية بحذر ورشد معا ، أما البناء فيتطلب أولا - التخطيط السليم القائم على الدراسة الموضوعية المتأنية ، وثانيا - توافر الإمكانيات بشتى أنواعها ، وثالثا - التأهيل الشامل للقائمين على الدعوة ، ولا أعني بهذا التأهيل : أن يكون الداعية مجرد حامل لمؤهل عال من الأزهر أو الجامعات الإسلامية الأخرى - فحسب - بل ما هو أهم ؛ الثقافة الواسعة لدى الداعية ، تلك التي تتصل بالدعوة الإسلامية من ناحية وتتصل بالبيئة التي يعمل فيها الداعية من ناحية أخرى .

والذي قدر له أن يطلع على حقائق التبشير المسيحي في الدول الإسلامية ، يصاب بصدمة إذا قورن الداعية المسلم بالمبشر المسيحي ..

تمهيد :

- إن هذا التمهيد تطرح فيه أسئلة ثلاثة وتتولى الإجابة - في إيجاز عنها :
- هل قضية نشر الدعوة الإسلامية خارج ديار الإسلام - كفرض كفاية - ما تزال تبض بقدر من الحياة في ضمير العالم الإسلامي : أنظمة وهيئات وشعوباً ؟
- وهل في حياتنا المعاصرة ما يمكن أن يطلق عليه .. استراتيجية الدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية ؟
- وبالمقارنة بين استراتيجية الدعوة الإسلامية المعاصرة - على افتراض وجودها - وبين استراتيجيات الدعوات المناهضة للإسلام وبخاصة في ديار الإسلام - فماذا تكون نتيجة المقارنة ؟

ونحن نحبب بإيجاز عن هذه الأسئلة الثلاثة :

بالنسبة للسؤال الأول : لا جدال في أن نشر الدعوة الإسلامية خارج نطاق الديار الإسلامية هو فرض كفاية - إذا قام به البعض سقط عن الآخرين ، وإلا فالأمة كلها آتمة .. ولكن الذي يعيننا : هل هذا المعنى وارد لدى عالمنا المسلم المعاصر ؟

والحقيقة - وإن كانت مريرة - إن الشعوب المسلمة ، وأنظمتها - إلا واحداً منها أو اثنين على الأكثر - لا تفكير لديها - على الإطلاق - في مسألة نشر الدعوة الإسلامية ، وبقيت الهياكل الإسلامية .. وهي في هذا المجال تبذل جهد المقل ، حسب إمكانياتها المادية في المقام الأول ، وهي أنشطة متفرقة ، لا تجمعها رابطة ، ولا تعمل وفق خطة ومنهج .

وبالنسبة للسؤال الثاني :

لا أظن أن لدينا اليوم ما يمكن أن نطلق عليه (استراتيجية) الدعوة الإسلامية ، بالمعنى الدقيق لكلمة (استراتيجية) أي التي تقوم بالتخطيط لمسار الدعوة .

إلا أن هناك بصيصاً من الأمل في الحركات الإسلامية التي أصبح لها نشاط ملموس في أوروبا وأمريكا وهذه الحركات استراتيجيات متنوعة تفتقد الوحدة العضوية ، بل الوحدة الموضوعية ، وقد يقال : إن السبب راجع إلى اختلاف البيئات التي تعمل بها هذه الحركات ، وتفاوت الإمكانيات المتاحة لكل منها ، وأقول : لكن هناك خطوطاً عامة ورئيسية لما يجب أن تكون عليه استراتيجية الدعوة الإسلامية في أي مكان وجدت ، وقد يتيسر لهذه الحركات أن تحقق ذلك من خلال المؤتمرات العامة ، من آن إلى آخر .

أما بالنسبة للسؤال الثالث والأخير :

إن المقارنة بين استراتيجية الدعوة الإسلامية المعاصرة - على افتراض وجودها - وبين استراتيجية الدعات المناهضة للإسلام - وبخاصة في ديارنا - لن تكون نتيجة هذه المقارنة سارة ، وهذه حقيقة وإن كانت مريرة ، لأن استراتيجيتنا - ما تزال مرتجلة ، ولأن مؤسساتنا الإسلامية - وفي مقدمتها الأزهر - ما تزال تهتم بالكم دون الكيف ، على عكس المؤسسات التبشيرية - على سبيل المثال - وفي مقدمتها (هيئة الكنائس العالمية) تلك التي تهتم بالكيف أكثر مما تهتم بالكم .

المبحث الأول

الاستراتيجية وعوامل النجاح

لقد اخترت عوامل ثلاثة من عوامل النجاح ، التي تعتبر ضرورية لكل استراتيجية ، وهذه العوامل الثلاثة ليست كل عوامل النجاح للاستراتيجية ، إلا أنها تمثل الخطوط العامة لكل عوامل النجاح .

أولاً : التخطيط القائم على الدراسة المتأنية ، والموضوعية معاً ، والمعرفة الواسعة بظروف الزمان المعاصر ، وظروف المكان الذي نتحرك فيه .

ثانياً : توافر الإمكانيات الضرورية للدعوة كي تتمكن من ممارسة نشاطها

ثالثاً : التأهيل الشامل للدعاة ، بتزويدهم بشتى الثقافات والمعارف .

لنبداً بالعامل الأول : التخطيط .

والتخطيط : أساس أية استراتيجية ، عسكرية كانت أم سياسية ، ولا ريب في أن استراتيجية الدعوة الإسلامية في الدول غير المسلمة هي في المقام الأول استراتيجية سياسية ، شأنها شأن استراتيجية الدعوة الإسلامية في المرحلة المكية .

والفرق بين هذه وتلك .. ان استراتيجية الدعوة في مكة هي من وضع الله عز وجل ، ولذلك أدت دورها بنجاح ، إلا أن معالم هذه الاستراتيجية ، ظلت باقية للأمة المسلمة تسترشد بها ، مع اعتبار قارق البيئة زماناً ومكاناً .

وقلت : التخطيط السليم هو القائم على أساسين :

الدراسة المتأنية والموضوعية ، والآخر امتداد للأول : أعني المعرفة الشاملة بظروف البيئة ..

إذن فالدراسة المتأنية والموضوعية معاً ، هي التي تقدم لنا مركزاً للمعلومات عن النوعية البشرية أديانها ، مذاهبها ، اتجاهاتها ، والاحصائية الدقيقة عن كل نوعية ، ثم عن ايدولوجية النظام القائم ، ومذهبه : الاقتصادي والاجتماعي ، وعن ظروف القلة المسلمة الموجودة .

ويجب أن تعنى الدراسة عناية خاصة بالقلة المسلمة وتطمئن إلى أن إسلامهم صحيح لا دخل ولا دخن فيه ، لأن هذه القلة ستكون منطلق الدعوة الإسلامية إلى بقية النوعيات ..

كذلك فإن هذه الدراسة يجب أن تقدم لنا أنجح الأساليب في نشر الدعوة، بشرط مراعاة كل ظروف البيئة ، ولا شك أن مركز الدائرة الممثلة للأسلوب الناجح ، هي الآية الكريمة : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .. وجادلهم بالتي هي أحسن ..) .

وتطبيق هذا المنهج كفيل بأن يؤلف القلوب ولا ينفرها .

وإذا كان ترويض القلوب إنما يأتي عن طريق منهج الآية الكريمة السابقة فإن ترويض العقول يحتاج إلى عرض الدعوة بمنطق سليم . تتجاوب معه العقول ولا تجفوه ، لا غموض فيه ولا تعقيد ، ولا تفریط فيه ولا إفراط ، وأهم من ذلك : ألا يجبر هذا المنطق إلى خلاقات في الفروع .

إن أية بيئة لا تخلو من أمراض اجتماعية ، لذلك كان لزاماً أن تشمل الدراسة هذه الأمراض ، وأن يكون لدى معطيات الإسلام علاج لها ، يجتذب الناس إلى الإسلام نفسه .

بالنسبة للعامل الثاني : توافر الإمكانيات :

إن الدعوة الإسلامية في الديار غير الإسلامية ، لا يمكن أن تشق طريقها ، وتؤدي رسالتها - كما ينبغي - إلا إذا توافرت لها الإمكانيات الضرورية المادية ، الأدبية ، الثقافية ثم السياسية .

صحيح أن الدعوة الإسلامية هي مبادئ ومنهج لغرس هذه المبادئ ، ولكن توظيف المبادئ إنما يحتاج إلى إمكانيات ، إن هذا الدين كما يقول الشهيد سيد قطب : منهج

إلهي للحياة البشرية .. ولكن .. يتم تحقيقه بجهد البشر أنفسهم ، في حدود طاقتهم البشرية ، وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية في كل بيئة .. ولكن الخطأ كله ينشأ من عدم إدراك طبيعة هذا الدين ، أو من نسيانها ، ومن انتظار الخوارق المجهولة الأسباب على يديه ، تلك الخوارق التي تبدل فطرة الإنسان ، ولا تبالي طاقاته المحدودة ، ولا تحفل واقعه المادي البيئي ^(١) .

ولا شك أن الإمكانيات المادية لها الاعتبار الأول ، والبذل للدعوة في مثل هذه الظروف يدخل ضمن مصرفين من مصارف الزكاة الثمانية أعني .. (المؤلفة قلوبهم) (وفي سبيل الله) .

والإمكانيات : الأدبية والثقافية ، لا تحتاج إلى شرح ، ولكن الإمكانيات السياسية هي التي تحتاج إلى توضيح ، ونحن نعلم - على سبيل المثال : أن التبشير المسيحي ، لا ينفصل عن دوله التابع لها ، وأن الدول الشيوعية وفي مقدمتها روسيا ، وثيقة الصلة بالحركات الماركسية في كل مكان .. وعلى العكس تماما ، بالنسبة للدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية .

وبالنسبة للعامل الثالث : التأهيل الشامل للدعاة :

كانت المبادئ هي عصب الدعوة الإسلامية ، فإن الدعاة هم الذين يوظفون إذا هذه المبادئ حتى تؤتي ثمارها ، والتأهيل الشامل للدعاة عام وخاص .

وأعني بالتأهيل العام : أن يكون الداعية مثقفا ثقافة إسلامية ، تستوعب كل ألوان المعرفة في العقائد ، وفي التشريع ، وفي الاجتماع ، وفي الأدب ، ملما بتاريخ الحركات الإسلامية السالفة ، والمعاصرة ، وبالملل والنحل المناهضة للإسلام ، وبالاتجاهات الفكرية المعاصرة التي تعادي الإسلام ، وقد فتن بها عدد من الشباب المسلم الذي ليس لديه حصانة من الفكر الإسلامي الأصيل ، كالماركسية والماوسونية والوجودية ، وما إليها .

أعني بالتأهيل العام : أن يكون الداعية على قدر لا بأس به من الإلمام بظروف البيئة التي يعمل بها ، بكل ظروفها السياسية والاجتماعية والفكرية ، وهذا يمثل التخصص المطلوب في الداعية ، وقد سبقنا إلى هذا المبشرون الصليبيون .. فالمبشر يقضي معظم عمره في دولة ما ، ثم يضع مؤلفات عنها لمن سيجيء بعده .

حسبنا أن نقرأ كتاب .. داخل آسيا .. أو كتاب .. داخل أفريقيا (للكاتب الأمريكي)

(جون جنتز) والحق أن هذا الكاتب اعتمد في كتبه العديدة على أبحاث كتبها غيره أمريكيين كانوا أم أوروبيين ، ومن خلال هذه الدراسات يتضح لنا الجهود غير العادية التي يبذلها المبشرون المسيحيون في داخل أفريقيا أو في داخل آسيا ، وأن هؤلاء المبشرين كانوا على مستوى من التأهيل الخاص والعام .. وهذا ما نفتقده نحن ^(١) .

المبحث الثاني

معوقات النجاح :

إذا كان الاهتمام بعوامل النجاح ضروريا ، فإن ما هو ضروري أيضا ، الاهتمام بدراسة معوقات هذا النجاح ، وإذا كنا هنا قد وقفنا عند ثلاثة معوقات هي :

الارتجال في الاستراتيجية ، وضعف الإمكانيات ، ثم التقلبات السياسية المحلية بوجه أخص ، والعالمية بوجه أعم ، فإن هذا لا يعني التعداد على سبيل الحصر ، وإلا فإن القوى المعادية للإسلام ، التي تتحدها في دياره ، والتي هي أقوى شراسة حين تتحدها في غير دياره .. هذه القوى يتمثل فيها أقوى معوق لمسار الدعوة الإسلامية في أي مكان .

ومن السذاجة أن لا نقيم وزنا للفكر الاستشراقي أو الفكر التبشيري ، وهما اللذان تعاونوا وتجاوبا معا ومهدا للاستعمار في ديار المسلمين .. كذلك من السذاجة أن القوى المعادية للإسلام تتركز في الثالوث التقليدي : الصليبية والماركسية والصهيونية ، وننسى أن الماسونية والعلمانية ، ومشتقاتهما تقعد كل مرصد للحركة الإسلامية .

حسبنا أن نقرأ : التبشير والاستعمار ^(٢) - الغارة على العالم الإسلامي ^(٣) - الأفعى اليهودية في معازل الإسلام ^(٤) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا ^(٥) الغزو الفكري ^(٦) ثم نتاج المستشرقين ^(٧) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ^(٨) الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ^(٩) .. لنذكر أن المسألة أخطر مما نتصور ، وأن الدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية ، تحتاج إلى جهود مبذولة ، وإلى صبر واحتمال ومعاناة ، ثم إلى مناهج سليمة تحرك مسار الدعوة في الطريق الصحيح .

المعوق الأول : الارتجال :

الارتجال الساذج الذي يتجاهل التخطيط بمفهومه الشامل ، كما يتجاهل المنهج بمفهومه الدقيق ، ثم الأسلوب الذي ينبغي أن يكون الأداة السليمة الصحيحة للتطبيق .

لقد دخل الإسلام في الماضي إلى بعض البلاد الآسيوية والافريقية بلا أي استراتيجية ،
عن طريقين :

الأول : عن طريق بعض التجار العرب ، بدافع من العقيدة والغيرة الإسلامية .

الثاني : عن طريق بعض الطرق الصوفية بدافع من الرغبة في ترويج التصوف .

وكانت النتيجة وجود إسلام مهيب ، يهتم بالشكل أكثر من اهتمامه بالجواهر ، والحق أن
الذي ساعد على بقاء الإسلام وانتشاره بخطى متأنية ، هو عنصر المقارنة بين الإسلام بمبادئه
السليمة ، وبين الوثنية أو الأديان الأخرى في تزمته وجهالتها .

ولو أن الأمة المسلمة كانت تعيش في صحوة وإرادة حرة ، لأمكن لها أن تضع استراتيجية
تتولى رعاية الإسلام في تلك البلاد .

ونحن مضطرون - آسفين - إلى أن نشير في إيجاز إلى استراتيجية الصهيونية العالمية ،
ونكتفي بذكر مؤتمرها الأول في مدينة (بال) بسويسرا سنة ١٨٩٧ م ، وبعد أيام من اختتام
المؤتمر ، صرح رئيسه (هرتزل) بقوله :

(لو أردت أن ألخص أعمال مؤتمر بال في كلمة واحدة ، لقلت : في مدينة بال أوجدت
الدولة اليهودية ، ولو جاهرت بذلك اليوم لقابطني العالم بالسخرية ، في غضون خمس
سنوات - ربما - وفي غضون خمسين عاما - بالتأكيد - سيرها الجميع .. إن الدولة قد
تجسدت في إرادة الشعب لإقامتها ^(١١) .

ولك أن تتصور ما يقوله هرتزل بعد ذلك في مذكراته : (المساحة من نيل مصر إلى
الفرات) لا بد من فترة انتقالية ، لتثبيت مؤسساتنا يكون الحاكم فيها يهوديا .. وما أن تصل
نسبة السكان من يهود إلى الثلثين ، حتى تفرض الإرادة اليهودية نفسها سياسيا ^(١٢) .

والأمر في غنى عن التعقيب ..

ونحن لا نكر أن للدعوة الإسلامية وجودا في كثير من الدول غير الإسلامية ، ولكن الذي
نشك فيه أن تكون هناك استراتيجية تمارس الدعوة نشاطها من خلاله ، ربما كان للحركة
الإسلامية الناشئة في أوروبا وأمريكا استراتيجية متواضعة ؛ لأن المهيمنين عليها من خيرة
الشباب المسلم المثقف ثقافة إسلامية واعية ، ولكن الدعوة الإسلامية في آسيا وفي أفريقيا - في
الدول غير الإسلامية - تعتمد على الارتجال ، وتهتم بالكم دون الكيف ، برغم أن مؤسساتها

العديدة تحت إشراف هيئات إسلامية كبرى ، لها وزنها السياسي والمالي والأدبي .

إن بناء المساجد والمعاهد ، وأحيانا دور الحضارة والمستشفيات ، قد يكون عاملا مساعدا على نشر الدعوة الإسلامية ، ولكن تحقيق الوجود الثابت لهذه الدعوة لا يتم بالارتجال ، بدون استراتيجية تعتمد على الدراسة والتخطيط .

المعوق الثاني : ضعف الإمكانيات :

إذا كان توافر الإمكانيات : المادية والأدبية ، والثقافية والسياسية ، عاملا من عوامل نجاح استراتيجية الدعوة ، فإن عدم توافرها ، أو حتى ضعفها ، معوق لمسار الدعوة ، وهذا شيء بدهي ..

ولا شك أن المادة عامل مهم ، ولكن يجب ألا ننسى أن ترشيد الإنفاق له أهميته أيضا ، فبناء مسجد أو مدرسة ليس مشكلة ، ولكن المشكلة تتركز في أننا لا نجيد في كثير من الأحيان توظيف المسجد والمدرسة ليؤديا دورهما في خدمة الدعوة .

والحديث عن الإمكانيات المادية ذو أهمية خاصة ، ونحن نرى في الدول الصليبية ميزات خاصة بالتبشير وأرقامها تثير الدهشة ، وقد قرأت في بعض الصحف الهندية الإسلامية ، أن الإرساليات المسيحية هناك تلقت مائة وعشرين مليوناً من الدولارات ٦٠٪ منها من أمريكا ، بينما تلقت المؤسسات الإسلامية هناك زهاء خمسة ملايين دولار من الدول العربية المنتجة للنفط .

إن كثيرا من أغنيائنا يتبارون في تشييد المساجد على أحدث الطرق ، في عواصم ديارنا الإسلامية ، ولو أن للدعوة الإسلامية مركزا دائما ، ولها وسائلها الإعلامية ، لأمكن الاستفادة من تبرعات المحسنين في تنشيط الدعوة في أفريقيا بوجه أخص ، لأن أفريقيا اليوم لم تعد مركزا عالميا مدعما للتبشير المسيحي - فحسب - بل لقد بدأ التسلسل الصهيوني يأخذ مكانا له في أفريقيا . أضف إلى ذلك : أن القاديانية والبهاية والصوفية المدمرة لعقيدة التوحيد ، تلعب دورا سافرا .

المعوق الثالث : التقلبات السياسية :

هذه التقلبات السياسية : الدولية أو المحلية ، قد لا تعوق مسار الدعوة الإسلامية - فحسب - بل قد لا تسمح لها بالوجود ، لا شكلا ولا موضوعا ، وما يقال عن التقلبات السياسية يمكن أن يقال عن الأيديولوجيات المناهضة للإسلام ، أو على الأقل تلك التي يقلقها أن يكون للإسلام دعوة متحركة .

وعلى سبيل المثال :

لا يمكن الزعم بأن للدعوة الإسلامية وجودا يذكر في البلاد التي تعيش خلف الستار الحديدي ، وقد يسمح في بعض هذه البلاد بظهور الإسلام الشكل ، وفي المناسبات ، بل مما يثير الضحك أن هناك مساجد تظل مغلقة على الدوام ، ولا تفتح إلا عند زيارة رئيس دولة مسلم ، ولساعات محدودة ، وذلك من مقتضيات السياسة الإعلامية .

ولكي نكون واقعيين : يجب أن نعترف بأن الدعوة الإسلامية وحدها لا تستطيع التغلب على هذا المعوق ، ما لم يكن لها سند سياسي من الدول الإسلامية لقد ظلت إيطاليا - لوجود الفاتيكان بها - مستعصية زمنا طويلا ، ولم تسمح للدعوة الإسلامية أن تنفخ فيها ، إلا أخيراً ، وأعتقد أن ضغوط بعض الدول المسلمة كانت وراء هذا الكسب للدعوة الإسلامية .

وأعتقد أننا لو أخذنا مبدأ معترف به في القانون الدولي ، هو مبدأ (المعاملة بالمثل) لتيسر لنا التغلب على هذا المعوق العنيد ، لن نسمح بأي اتجاه يساري في بلادنا - ولو إعلاميا - إذا أصرت دول الكتلة الشيوعية على رفض أي وجود للدعوة الإسلامية في بلادها .

(خاتمة)

في الختام أقول :

إن (استراتيجية) الدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية هي الأساس ، لكن إذا شئنا أن تكون لهذه الدعوة استراتيجية ناجحة ، يجب أن نوفر لها عوامل النجاح الثلاثة الرئيسية : التخطيط القائم على الدراسة الموضوعية ، والإمكانيات المادية وغيرها ، ثم التأهيل الشامل العام أو الخاص للدعاة القائمين عليها .

كذلك يجب أن نزيل من طريق الدعوة المعوقات الثلاثة الرئيسية أيضا : الارتجال ، وضعف الإمكانيات ، ثم التقلبات السياسية الدولية والمحلية معا .

إلا أن هناك مشكلات تنبع من داخلنا - نحن المسلمين - فاليهيات والمؤسسات التي تعمل تحت لافتة الدعوة الإسلامية لا حصر لها ، وكل هيئة تخضع لسياسة الدولة التابعة لها ، وإزاء هذا تكاد تنعدم فكرة استراتيجية موحدة ومنظمة .

كما أن هناك مشكلات تأتينا من خارجنا ، وهذا شيء لا يحتاج إلى بيان ، فالقوى المعادية للإسلام ما تزال تترصد به الدوائر .. لم تلق السلاح بعد ، وليست مستعدة لأن تلقي السلاح ، ولم يعد غائبا عن الأذهان أن الحركة الإسلامية المعاصرة في ديار الإسلام أو

في خارجها أصبحت مصدر توتر وقلق لدى مخابرات الغرب والشرق ، ولدى الصهيونية والماسونية العالميتين ، وعلى الأخص ، دولة الفاتيكان ، وهيئة الكنائس العالمية . .

وإذا كان من اليسير أن نجد حلا للمشكلة الأولى فإن المشكلة الأخرى ليس حلها من السهولة بمكان ، وبخاصة أن القوتين الكبيرين ما يزال لهما نفوذهما في ديارنا .

أقول : إن استراتيجية الدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية ، تقتضي توحيد الجهود في شكل مركز عام للدعوة ، منفصل تماما عن السياسات المحلية مستقل التفكير والإرادة معا ، وأن توفر له الإمكانات المادية ، حتى تكون له وسائل إعلام مجدية ، ثم أيضا الإمكانيات العلمية المخلصة ، فيعمل الدعاة من واقع العقيدة لا من واقع الوظيفة .

وأقول ثانيا : لا بد من السعي حتى يكون لمركز الدعوة المنشود شخصيته القانونية - على الأقل - كهيئة الصليب الأحمر .

وبعد : فيقول العقاد - رحمه الله - :

(ولقد علمنا نحن المسلمين - آسفين - أننا لم نكثرث زمنا طويلا من الأزمان قط ، بتنظيم دعوات التبشير لنشر الدعوة الإسلامية وعقيدتها ، فلنعلم الآن : أن المسألة قد جاوزت أن تكون إهمالا لنشر الدين وصارت إلى ما هو أسوأ وأدهى .. الآن هي مسألة الإهمال في الدفاع والتسليم بالهزيمة في إبان فرصة الدفاع ، وقد تذهب هذه الفرصة ولا تعود)^(١٣)

وفقني الله وإياكم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

الهوامش

- ١ - سيد قطب : هذا الدين ، طبعة ١٩٧٨ م
- ٢ - جون جنتر : داخل أفريقيا ، مؤسسة فرنكلين ١٩٥٣ م
- ٣ - الدكتوران خالد وفروخ : التبشير والاستعمار ، ١٩٧٠ م
- ٤ - أ . ل . شاتليه : الغارة على العالم الإسلامي ، ١٣٥٠ هـ
- ٥ - عبد الله التل : الأنبياء اليهودية في معازل الإسلام
- ٦ - أبو هلال الاندوني : غارة تبشيرية جديدة على اندونيسيا
- ٧ - دكتور على حريشة : الغزو الفكري
- ٨ - مالك بن نبي : إنتاج المستشرقين ، ١٩٧٠ م .
- ٩ - محمد الغزالي : مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، ١٩٨٢ م
- ١٠ - دكتور نبيل صبحي : الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، ١٩٨٤ م
- ١١ - محمود شيت خطاب : العسكرية الإسرائيلية ، ١٩٧٠ م
- ١٢ - مذكرات هرتزل ، نيويورك ١٩٦٠ م
- ١٣ - عباس محمود العقاد : ما يقال عن الإسلام ، ١٩٥٨ م

الدعوة بين غير المسلمين في الغرب بعض الجوانب الفكرية والمنهجية

خيرم جاه مراد

الدعوة بين غير المسلمين في الغرب بعض الجوانب الفكرية والمنهجية

خرم جاء مراد

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه ورسله
محمد بن عبد الله ﷺ .

أسئلة ثلاثة :

أولاً : لنبدأ بذكر حقيقة واضحة ولكنها مؤلمة :

إننا في الواقع لا نقوم بأية دعوة تذكر بين المسلمين في الغرب ولا في أي مكان
في العالم إذا أردنا الحقيقة .. لماذا ؟ هذا هو السؤال المهم الأول الذي ينبغي
أن نجيب عليه . فعلى المستوى الكبير فنحن أمة البليون مسلم أو الدول الإسلامية العديدة
فإن هدف الدعوة ليس له مكان بين أهدافنا وأولوياتنا . وفي الغالب لا ننفق أياً من مواردنا
الوطنية على هذا الواجب العظيم الهائل . وبالمثل ففي المستوى البيئي (المتوسط) في
الجزائريات المسلمة التي تعيش بين الدول غير الإسلامية فإننا نعيش حالة إهمال تام لهذا
الواجب المبدئي لجيراننا . فلا نحن نقوم بضغط أو ممارسة تأثير إسلامي عليهم سواء كنا
أكثر من مليون نسمة في بعض الدول الغربية (أو أن عددنا يصل إلى ١٣٠ مليون كما في
الهند) . وعلى المستوى الصغير للجماعات الإسلامية الصغيرة وبعض الأفراد مع
استثناءات قليلة ، فإن الدعوة بين غير المسلمين لا تستأثر إلا بجزء قليل من اهتماماتنا سواء
في الوقت أم الموارد .

ثانيًا : إن القليل الذي نقوم به ليس له تأثير كبير ، لماذا ؟ هذا هو السؤال المهم الثاني أماننا .

ثالثًا : السؤال الثالث يجب أن يكون ، هل تصوراتنا الحالية ومداخلنا ووسائلنا ملائمة وصحيحة للدعوة بين غير المسلمين ؟ هل يجب أن تتعدل أو تتغير ؟ إذا كان كذلك ، ففي أي السبل ؟

الإطار الأساسي :

قبل أن أحاول الإجابة على هذه الأسئلة دعني أذكر اعتقادات ثلاثة تكون أساس مناقشتي الكاملة .

أولاً : إن الدعوة بين غير المسلمين لا يمكن ولا ينبغي أن تعالج كظاهرة مستقلة ، إننا لن نضطلع بها بشكل حسن ما لم نعرف بمكانتها اللاتقة في قلب الحياة الإسلامية التي يجب أن نعيشها كمسلمين . إننا لن نكرس لها ما ينبغي أن نكرسه لها ما لم تشكل جزءًا مكملًا من محاولاتنا وجهادنا الكامل الذي يجب أن نقوم به اعترافًا بمهمتنا في مشاهدة الحقيقة والعدالة (الشهادة والقسط) ، ولكي أوضح الأمور بشكل أفضل أقول : إن الدعوة بين غير المسلمين يجب ألا تكون مجرد حاشية لوجودنا الإسلامي . ولا يمكن متابعتها كنشاط عرضي طارئ ، ولا يجب أن تكون عرضية وفق الظروف ولا تكون نشاطًا يحدث مصادفة . أقول ، على سبيل المثال : إنها لا يمكن أن تكون استجابة أو رد فعل لأوجه النشاط التبشيري التي تقوم بها الديانات الأخرى ، لأننا إن عاجلناها في هذا الإطار فإنها ستعاني من نفس المصير الذي تعانيه الآن .

ثانيًا : إننا لن ننجح هنالك في التعرف على مشكلات الدعوة الفكرية والمنهجية بين غير المسلمين وحلولها ومناقشتها بدقة وفائدة مرجوة ما لم نضعها في مكانتها اللاتقة في الإسلام وما لم تقيم المسألة كلها من منظور الوضع الإسلامي الشامل .

ثالثًا : إن القرآن وحياة الدعوة التي عاشها النبي محمد ﷺ وجميع الرسل عليهم السلام يجب أن توفر أحسن هدي لنا لكي نشكل تصوراتنا ومداخلنا ووسائلنا .

الوضع الإسلامي العام :

هناك بعض الحقائق عن الوضع الإسلامي العام التي ستظل عاملاً حرجاً في أي نشاط للدعوة . وبفهم تلك العوامل ووضعها في إطارها الصحيح نستطيع أن

نحزر بعض التقدم في فهم طبيعة مشكلاتنا وكذلك الحلول لها . إننا نستطيع التعرف على خمسة عوامل منها مهمة جدًا على الفور . ومعظم المشكلات الرئيسة التي نواجهها في الدعوة بين غير المسلمين تنتج عن تلك العوامل الخمسة وهي :

الأول : حالة العقل المسلم وموقفه الفردي والجماعي تجاه الإسلام ، تجاه مهمة الشهادة ، تجاه الدعوة لجميع البشر في إنجاز تلك المهمة ، ما هي وما ينبغي لها أن تكون ؟

لا شك في أنها حالة عدم إدراك ولا مبالاة أو إهمال . أليس السبب في فشلنا الدائم في أن نوجه أنفسنا توجيهًا صحيحًا لواجب الدعوة بين غير المسلمين ، هو ببساطة أن حالة العقل وموقفه على غير صواب أو يشوبها الضباب أو أنها غير واضحة . وبدون أن نحاول وضع ذلك في المكان الصحيح - أنيا - فمشكلاتنا بصدد الدعوة ستظل قائمة .

الثاني : حالة واقع المسلم المعاصر وشهادته على الإسلام بالكلمات والأفعال : ما مدى اتفاق هذه الشهادة مع واقعية الإسلام . إن المسافة الشاسعة والفرق الكبير بين الإسلام كما هو وبين الإسلام كما نشاهده في حياة المسلم ، قائم لكل من يريد أن يراه ، إننا لا نحتاج إلى الدخول في تفاصيل هنا ، فعلى كل مستوى سواء مستوى الأمة أو مستوى الجماعات المسلمة أو المؤسسات والهياكل الاجتماعية أو المستوى الفردي ، وفي كل مكان سواء داخل الدولة الإسلامية أو داخل الدول غير الإسلامية فإن الشهادة التي يقدمها المسلمون ذات علاقة قليلة بالإسلام . بل إنها في الواقع ضد الإسلام . وبهذا التناقض بين الإسلام وبين المثل الذي يضر به المسلمون وفي هذه الحالة التي تقرب من النفاق كيف يمكن أن يشعر غير المسلم المتوسط بأي جذب نحو الإسلام قبل أن نقول : أن يختار اتباعه ؟ كيف يمكن أن يحدث ذلك بمجرد الاستماع إلى المواعظ وقراءة الكتب ؟ (هذا الكلام يستثنى منه بعض الأرواح الجيدة القليلة) .

الثالث : عبء التاريخ الإسلامي وغير الإسلامي ، وإن اشتقاق الدعوة منه عمل شاق عسير ، فهناك أعباء المغالطات ، وأعباء التشويه ، وسوء الفهم ، وسوء التمثيل ، وانعدام الثقة ، والعداوات ، وأعباء الصور الخادعة ، والحقيقة التي يبدو أنها قد استقرت بصفة دائمة في القلوب والعقول ، وبعضها قد يكون حقيقيًا أصيلًا ، وبعضها قام على غير أسس ، وبعضها قد زرع وتم الاعتقاد فيه عن قصد وعمد ، والبعض قد يكون نتيجة أخطائنا وسخافاتنا ، وبعضه مما فعله لنا أولئك الذين نود

لهم اعتناق الإسلام ، والبعض قد يكون نتاج العناد ، مما نتج عن الزهو الإنساني العام والشراسة والاهتمام بالذات والحسد ، والبعض قد يعود إلى أيام التوسع الإسلامي الأولى ، والبعض قد يكون حديثا مثل الاستعمار الغربي في أيامنا وزماننا هذا ، والدعوة يجب أن تضرب رأسا ضد هذه الجدران من الجهل والتحيز والعداوة فإما أن تجد الطريق مغلقة أو أن تجد طريقا خلاها ، ومهما كانت النتيجة فإنها لا يمكن تماشيها أو تجنبها ، وتحتاج جميعها إلى أن تكون في المنظار ، وتحتاج جميعها إلى الرعاية بطريقة أو بأخرى .

الرابع : هو التوتر الخطير بين هدفين مهمين جدًا ، يجب أن نتابعهما وهما نتاج التاريخ ، فمن ناحية أولى هناك حاجة دائمة إلى بناء وتدعيم إحساس المسلم بشخصيته وتأكيد هذا الذاتي والثقة فيها ، ولابد من عمل ذلك في وجه الروح الغائرة التي خلفتها ثلاثة قرون من العدوان والإذلال ، واستغلال الأمة المسلمة من جانب الغرب وعداوته المستمرة للأمة المسلمة . ومن الناحية الأخرى هناك هدف التغريب ، أي إحضار نفس الغرب إلى الإسلام وهذا يعني بالضرورة أن يصبح جزءا من الأمة الإسلامية . وهذا سوف يتطلب إنقاص العداءات والتوترات لا زيادتها . وهكذا فإننا نحتاج إلى أن نعمل شيئين مختلفين وربما متعارضين في آن واحد .

الخامس : هو الوضع المعاصر : فالمسلمون وغير المسلمين وخاصة الغرب يعيشون في صراع بسبب المصالح السياسية والاقتصادية والعقيدية المتعددة وبسبب السيطرة الغربية على العالم سواء السياسية منها أو العقيدية . والنتائج لها تأثير مهم على الدعوة بين غير المسلمين ، فكيف تعوق التفاعلات المستمرة والمعارك أو كيف تساعد القضية ؟ أليست تدعم أو تعدل أو تشوه صورنا عن أنفسنا وعن الآخرين ، وكذا مداخلنا ووسائلنا ؟ أليست تصلح كهوائك تسد طريق الاتصال والنفوذ إلى قلوب وعقول من نخاطبهم ؟ كيف يمكن أن نهتم أكثر بهذه الصعوبات بدون التفريط في قضايانا العقيدية والسياسية والاقتصادية أو بدون المساومة على مصالحنا .

أوجه القصور :

من المفيد في هذه المرحلة أن نذكر بعض أوجه القصور التي علينا أن نسير في ظلها لكي نتقدم إلى عملنا وواجبنا .

أولاً : مشكلات الدعوة بين غير المسلمين :

سواء أكانت جزءاً أم نتيجة مشكلات أكبر ذكرناها آنفاً ، أو أنها ذات صلة نوعية بالقضية ، فمن الواضح أنها موجودة على مستويات عديدة ، ولقد ذكرنا بالفعل ثلاثة مستويات نلخصها مرة أخرى فيما يلي :

١ - على مستوى الأمة بأسرها والجمعيات الإسلامية والدول أو ما نسميه بالمستوى الكبير .

٢ - على مستوى المجموعات الكبيرة جداً والمؤسسات والتنظيمات أو ما نسميه بالمستوى البيني أو المتوسط . ولنقل ، مثلاً : جالية إسلامية ، مسجد ، البيئة المحيطة ، المدرسة ، العمل .

٣ - على مستوى الفرد الشخصي والمنظمات الصغيرة ، أو ما نسميه بالمستوى الصغير . (وإنني أدرج الجماعات الإسلامية القائمة والمنظمات تحت هذه الفئة) وأعني بالمجموعات الإسلامية المجموعات المنظمة الملتزمة بمهمة الإسلام والقضايا والمشكلات على مختلف المستويات وينبغي التعرف عليها لمعالجتها علاجاً دقيقاً وبإحساس كبير .

وليس هناك من ضرر في أن نعترف بصراحة بأن معظم مشكلاتنا وخاصة تلك المشكلات على المستوى الكبير والمتوسط سوف تبقى لمدة طويلة بعيداً عن متناول أيدينا وقدرتنا في أن نعمل شيئاً حيالها . وعلى سبيل المثال فإننا قد لا نستطيع تغيير السلوك العريض للأمة ككل إلى سلوك إسلامي ، وقد لا نستطيع تعيين مكان واحد يمارس فيه الإسلام بشموله وكأله ، وقد لا يكون لدينا القدرة على منع دولة مسلمة من أن تعمل شيئاً ضد الإسلام سواء أكانت أندونيسيا أو باكستان أو إيران أو المملكة العربية السعودية ، فقد لا نستطيع أن نجبر المشايخ الزائرين على التصرف وفق المنهج الإسلامي الصحيح ، وقد لا يتسنى لنا تحويل الأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية إلى أمثلة حية عن الإسلام . كل هذه الأمور ، نجدها ببساطة بعيدة عن متناول أيدينا وخارج نطاق قدرتنا .

ولكي نكون واقعيين ، فحتى على المستوى الصغير ، فإن هذه النقطة تبدو في بعض الأوقات بعيدة عندما يصبح عدد كبير من الأفراد المسلمين شهوداً ودعاة أو عندما تعطي المجموعات الإسلامية عمل الدعوة بين غير المسلمين الأولوية القصوى . وعلى أية حال فعلى المستوى الصغير ، وإلى حد محدود على المستوى البيني (المتوسط) فإننا نستطيع أن نأمل إلى حد ما أن نحقق شيئاً ما .

هل يعني ذلك أننا يجب أن نترك جانباً أو أن ننمي العمل الدعوى بين غير المسلمين حتى نستطيع تحقيق بعض أو كل ما ذكرناه أعلاه . لا ، على الإطلاق ، إن الدعوة لا تزال تجد طريقها بشرط أن نأخذها بطريقة صحيحة ، وما هو أهم من ذلك هو أننا ينبغي أن نتعرف على هذه المشكلات الكبيرة التي لا حل لها وأن ندرك مضامينها وأن نظل على إدراك تام بها ، ويجب أن نضع نصب أعيننا أوجه القصور التي فرضتها . وعمل مثل ذلك مهم لأنه سيساعدنا على أن نتبع المداخل والمنهجيات المناسبة بما يتيح التعرف على كل هذه المشكلات والوصول إليها إن لم يكن لحلها .

وفي هذه الورقة المقترضة سوف أقتصر على « الشخص » و « الجماعة المسلمة » وهذا شيء أعتقد أنه يمكن وسوف يكون قابلاً للتغيير . وكذلك سوف أركز أساساً على الطراز الفكري (العقلي) والموقف الصحيح اللازم للدعوة وكذلك بعض الأسس والمبادئ العريضة لإعادة تحديد مفاهيمنا ومنهجياتنا . هذه يجب أن تكون الخطوة الأولى . وليس من الممكن أن نذهب وراء هذه النقطة في هذه المرحلة وأن نضع خطة محددة أكثر تفصيلاً .

ثانياً : في ظني أن معظم المشكلات توجد أو تتضخم لأننا نأخذ قضية الدعوة بمعزل عن الوضع الإسلامي . فإن وضعنا في منظورها الصحيح فسوف تنزل إلى حجمها الحقيقي أو تتلاشى . فبعض المشكلات ليست من المشكلات الحقيقية ، إلا أنها تصبح مشكلات فقط لأننا ننظر إليها بمنظار خاطئ . وإنني أعتقد أن نقص الموارد المناسبة أدنى من هذه المشكلات أهمية . كما أن النقص في الدعاة المحترفين المتفرغين وغير المتفرغين والنقص في الأدبيات المناسبة والأساليب النفسية الملائمة قد لا تستحق تلك الأهمية الكبيرة التي نضفيها عليها ، ومن ثم فإنني سوف أعالج فقط النواحي الفكرية والمنهجية .

ثالثاً : تختلف المشكلات كذلك من موقف لآخر ومن دولة لأخرى ، فغير المسلمين ليسوا كياناً متسقاً متجانساً . وهم ليسوا متماثلين في كل الأماكن . ولم يحدث أن أتخذ تاريخ تفاعلهم مع الإسلام طريقاً متماثلاً في جميع الأوقات والبلدان . فالنصراني في الغرب والنصراني في نيجيريا والنصراني في مصر والهندوكي في الهند والزنجي في جنوب أفريقيا والصيني في ماليزيا والياباني ، كل منهم يختلف عن الآخر اختلافاً كبيراً وقد يفرض كل منهم تحدياً متبايناً ، وقد يتطلب كل منها مداخلًا مختلفاً . وفي الواقع يجب أن ننظر إلى كل فرد لحكمة مختلفة وخاصة وفي هذا المجال الضيق - أقول مرة أخرى - إنني لا أستطيع أن أعالج كل موقف محدد ولست كفتاً لعمل ذلك إلا أن معظم ما أطمح إليه وأقترح عمله هو :

- ١ - أن ندرس الجوانب التي تستلزم تطبيقاً عالمياً .
- ٢ - حيث كان الأمر فعلينا أن نحول اهتمامنا إلى النوعيات ، أن نحدد أنفسنا إلى الغرب .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن بعض الإشارات النوعية المحددة إلى الوضع الغربي قد يكون من الممكن تطبيقها على نطاق أوسع .

رؤية الدعوة وإدراكنا :

إن أهم سؤال جوهري هو نظرنا إلى الدعوة . فكثير من المشكلات تنجم عن ذلك ، وكثير من الأمور تتحول إلى مشكلات بسبب ذلك ، فالدعوة في الإسلام - على عكس التبشير المسيحي - ليست حرفة أو مهنة . وليست وظيفة هامشية قد يضطلع بها الإنسان أو ينسلخ عنها ، ولا يستطيع الدعاة والعاملون المتفرغون أن يحيطوا بمشكلاتنا ويجدوا لها الحل ، ولا يستطيع ذلك كمية المطبوعات والإصدارات والمعدات الحديثة ، ولا الخطب والمواعظ ما لم ننظر إلى الدعوة من منظارها الصحيح .

والدعوة ، قبل أي شيء - حالة فكرية عقلية ونظرة عالمية وموقف من الحياة ، وحقاً إنها نوع من الحياة . والمتطلب الأساسي الحاسم للدعوة هو الإدراك والوعي الشخصي والجماعي مزوداً بنظرة حقيقية للدعوة في الإسلام . فبمجرد أن نفهم ما هو الإسلام وماذا يطلب منا ، ونذكر المكانة التي يجب أن تحتلها الدعوة في حياتنا الإسلامية نكون قد خطونا الخطوة الأساسية اللازمة تجاه فهم مشكلاتنا وإيجاد الحلول المناسبة لها . قد يبدو هذا شيئاً يسيراً ولكنني أقول لكم : إن الحلول الحقيقية للمشكلات المعقدة حلول سهلة دائماً .

ما هو الإسلام ؟ قد يكون من السذاجة أن أطرح مثل هذا السؤال في هذا المقام . ولكنه سؤال مهم جداً حيث إن الإجابة الصحيحة سوف تحدد المنظور الحق بأكمله . إن الإسلام يعني الحياة بتسليم كامل لله سبحانه وتعالى في السر والعلن داخلياً وخارجياً . ولهذا متضمنان اثنان واضحان هما :

١ - إن الحياة في خضوع وتسليم كامل لله لا يمكن أن تتحقق تحققاً كاملاً ما لم ينضم إلينا الناس الآخرون في محاولتنا ، وما لم يعيش المجتمع بأسره حالة هذا الخضوع والتسليم المطلق لله تعالى وذلك نظراً لأن معظم الحياة البشرية تتكون من علاقات مع الآخرين . ومن ثم كانت دعوة الآخرين للالتحاق بالدعوة جزءاً ضرورياً من إسلام المرء .

٢ - الإسلام ليس قراراً يتخذه المرء في العمر مرة ، ولكنه عملية مستمرة استمرار الحياة ذاتها . وكون الإنسان مسلماً يعني جهاده الذي لا يتوقف لأن يكون مسلماً . ومن ثم كان لزاماً علينا أن ندعو أنفسنا وغيرنا بصفة مستمرة للاستمرار في هذه العملية .

وهكذا فإن الدعوة جزء مكمل للإسلام . فكون المرء مسلماً يعني أن يجاهد بصفة

مستمرة ليظل مسلمًا وهذا معناه القيام بالدعوة . وليس هناك من طريق آخر - في ظني المتواضع - لأن يكون المرء مسلمًا .

والدعوة مهمة لتحقيق نفس الغرض الذي قامت هذه الأمة من أجله وهو الهدف من وجودها ، إنها مهمة الشهادة :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (سورة البقرة آية ١٤٣) .

ومهمة الشهادة هي نفسها في طبيعتها وأهميتها شأن الشهادة التي ألقيت على جميع رسل الله عليهم السلام والدعوة جزء أساسي من تلك المهمة .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب آية ٤٥ - ٤٦) .

ويجب توجيه الدعوة إلى النفس والذات مثلما توجه إلى الآخرين ، وأن توجه إلى الفرد مثلما توجه إلى المجتمع ، وأن توجه للأبيض والأبيض على حد سواء ، وإلى المسلم وإلى غير المسلم ، ولا يمكن حصرها في جنس أو لون أو جالية أو أهل عقيدة دون غيرهم .

وهذه المهمة والواجب لا نستطيع أن نهمله أو نتجنبه أو نتحاشاه أو نؤجله لأي سبب مهما كان وتحت أي من الظروف . إننا لا نستطيع أن ننتظر أن « نتطهر » أو أن نصل درجة « الكمال » حيث لا نستطيع في المقام الأول أن ندعي الكمال والطهارة في وقت من الأوقات فإن فعلنا ذلك كان عملاً من أعمال الكبر والزهو وهو عمل غير خالص ويبدأ في تلك اللحظة الانحدار والدمار . ونقول في المقام الثاني : إن الدعوة نفسها - كما قلت - ضرورية لأن يكون المرء مسلماً جيداً . وثالثاً : إننا إذا اعتبرنا أنفسنا في وضع جيد وأفضل من الآخرين يكون ذلك مخالفاً لروح الدعوة وطبيعتها ومنهجيتها .

إن الدعوة هي أهم وأوضح سنة من سنن النبي عليه الصلاة والسلام .

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (سورة المائدة آية ٦٧) .

ومن ثم فإن كل مسلم داعية ، فلا يمكن التخلي عن الدعوة أو أن تكون مهمة في بعض الوقت وغير مهمة في وقت آخر ، إنها يجب أن تكون الحياة التي نعيشها .

وقبل أن أبدأ في التفكير في المداخل والوسائل والمهارات والأساليب يجب علينا أن نوجد هذا الإدراك . ويبدو أننا فقدنا هذا البعد . إن إدراكنا الجماعي بعيد عن ذلك ، وكذلك

إدراكنا لمهمة الدعوة على المستوى الشخصي - وهذا هو السبب في أننا - نحن المسلمين - بليون من البشر على هذه الأرض وما لنا من تأثير على غير المسلمين . وهذا هو السبب في أن لدينا أقليات غير مسلمة لم يلمسها الإسلام أو تتأثر به وهي تعيش وسط أكثريات إسلامية . وهذا هو السبب في أن الأقلية المسلمة المهمة في بريطانيا والتي قد يبلغ عددها ٢ مليون نسمة قد فشلوا في أن يكون لهم أدنى أثر على جيرانهم ومجتمعاتهم . وهذا هو السبب في أننا ننبي مسجداً وراء آخر في أماكن ليس فيها مساجد من قبل ويظل الأمر كما هو دون تأثير على البيئات المجاورة . هل من الممكن أن يكون في القلب نار لا يصل وهجها ودقوها إلى البيئات المجاورة ؟

فينبغي على الأقل أن يقوم بعض الأشخاص بتبني هذه الدعوة وأن تكون هي حالتهم الفكرية ، فالفرد أو الشخص الذي يحمل رسالة وبعثة ومهمة قد يبدو كياناً غير مهم وغير فاعل . ولكن ألم يكن في مكة داع واحد فقط ؟ قد نقول نعم ولكنه كان رسولاً نبياً . وأقول نعم ولكنه هو الأسوة الحسنة وهو القدوة والمثال الذي يجب أن نتخذه . ونعلم أن الحبة الصغيرة يمكن أن تنمو فتصبح شجرة مورقة طويلة .

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَذَكَّرُونَ فَضُلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ فَأُزْزِرَهُ فَأَسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الفتح آية ٢٩) .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (سورة إبراهيم الآيات ٢٤ - ٢٥) .

وقد لا نستطيع أن نغير - في المستقبل القريب - إدراك الأمة الجماعي كما أننا قد لا نستطيع أن نعدل موقف المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات غير الإسلامية . ولكن على الأقل فإن أولئك الذين التزموا بالإسلام مهمة حياتية يجب أن يكونوا قدوة في تلك المجتمعات . هل يمكن تحقيق غرضهم في إيجاد الإنسان والمجتمع الجديد إذا لم تلحق بهم في هذه المهمة نسبة مهمة من غير المسلمين ولكن ما الأولوية التي يضيفونها على هذا الواجب بأفكارهم وبرامجهم ؟ ما نسبة الوقت والاهتمام والموارد وأوجه النشاط التي يكرسونها لهذا الواجب ؟ ألم يقتنعوا بمجرد الحفاظ على شخصيتهم الثقافية كأقلية ؟ وفي ضوء هذا لماذا ينبغي على أي شخص غير مسلم أن يعتبر إمكانية أن يصبح جزءاً من ثقافة الأقلية ؟ ما الذي يجذبه إلى هذه الثقافة ؟ هل وجد أي

مسلم جديد مكانًا في أي منظمة إسلامية أو منبرًا طوال الخمس والعشرين سنة الماضية ؟ هل هناك أي شيء في برامجهم لغة أو محتوى - يكون جاذبًا لهم؟

هذه أسئلة بسيطة نعم ، ولكن الإجابة عليها سوف تكشف عن درجة فتورنا وإهمالنا . ويجب على المجموعات المسلمة على الأقل أن تعيد التفكير في أولوياتها وأن تصحح مسارها . والمجموعات الإسلامية الأخرى حتى إن لم يقرؤوا بولائهم للإسلام كمهمة حياة ، فقد يكون من المناسب الاتصال بهم وإقناعهم لإعادة ، تشكيل تفكيرهم ومواقفهم . وهناك أسباب وأسس جيدة تدعو لعمل ذلك . فمثل هذا المنحى والإقناع في حد ذاته جزء مهم من الدعوة .

الدعوة بالأسوة الحسنة :

لا تستطيع الدعوة أن تتقدم بنجاح بصرف النظر عن حقيقة ما إذا كان السلوك الإسلامي يقدم أسوة حسنة للإسلام أم لا ، ولا تستطيع الدعوة أن تستبدل الحاجة لمثل هذه الشهادة . إن صورة المسلمين التي تبرز من خلال سلوكنا كأمة وجماليات لا يمكن أن تنفصل عن صورة الإسلام . وكما قلت سابقًا فإن هذه الشهادة على مستوى الأمة ككل ضد الإسلام . إنها توجد صورة خادعة عن الإسلام ، فالسلوك الإسلامي اليوم عائق في طريق الدعوة .

وعلى المستوى الجماعي فإن هذا الجانب في الوقت الحاضر - وكما قلت آنفا - ليس في متناول أيدينا ، ولكن علينا أن نحاول عمل شيء ما على مستويين هما :

أولاً : يجب على كل فرد أن يفحص حالة شهادته الشخصية الخاصة ، كما يمثل هذا السلوك الإسلام في البيئة المحيطة وفي مكان العمل وفي الجالية ؟

إننا نعمل إلى أن ننسى أن القدوة الشخصية لا تزال أكثر المصادر المطلوبة قوة على طريق الدعوة .

ثانيًا : يجب علينا - قولًا وعملاً - أن نكون رواد العدالة وحقوق الإنسان وكرامة الإنسان وحرية . وسوف أشرح هذا بشيء من التفصيل بعد قليل .

المفاهيم الأساسية وإطار العمل :

إذا ما تعرفنا على المكانة الوسيطة التي يجب أن تشغلها الدعوة في الإسلام وما تعنيه الأعمال التي يجب أن تصدر عن المسلمين والذين يدخلون في دين

الله فيجب علينا أن نحدد المفاهيم والمنهجيات التي ينبغي أن تحدد وأن ترشد عملنا في الدعوة .

وأود أن أعين ثلاثة مفاهيم أساسية ، تشكل في نظري الإطار الضروري للمواقف والاتجاهات المهمة التي يجب أن تتبعها .

أولاً : من الحقائق الجوهرية عن الإسلام كما جاء به الرسول محمد ﷺ أن الإسلام ليس ديناً جديداً إنه الرسالة الأبدية من عند الله تعالى . فالرسالة الأساسية للإسلام التي أنزلها الله تعالى على النبي الأول وهو أبو البشر كانت هي نفس الرسالة التي نزلت على النبي الخاتم . ويؤكد القرآن مرارا وتكرارا أنه جاء بنفس الحقيقة التي جاء بها الرسل السابقون . فقد جاء ليؤكد فحوى الرسالات السابقة لا أن يحدسها ، وأن ينقيها من الشوائب والتشويبات والشبهات لا أن يتخلص منها ، فالدخول في الإسلام يمثل العودة إلى الأصول طبيعة وتاريخا .

وهذه الحقيقة معروفة لنا جميعا فنحن دائما نؤكدها ونزعمها ولكننا نادرا ما نفر أو نتبع المتضمنات العميقة التي لهذه الحقيقة من أجل الدعوة بين غير المسلمين .

ثانياً : لم تقم الأمة الإسلامية لكي تكون مجرد أمة أخرى بين الأمم وأن تتنافس مع الآخرين لتحقيق مصالحها . إنها جاءت للبشرية بأسرها إنها خير أمة تحقق النفع والخير للعباد متمثلاً في هدايتهم للطريق المستقيم . والهدف النهائي من جميع العبادات والجهاد هو أن المسلمين يجب أن يكونوا شهداء على الناس وشهداء على الحقيقة التي من الله تعالى عليهم بها شهداء بالقسط وبهذا يؤدون نفس مهمة رسول الله ﷺ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا بَيْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿

(سورة الحج الآيات ٧٧ - ٧٨)

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

(سورة النساء الآيات من ١٣١ - ١٣٩)

الْجَحِيمِ ﴿ (سورة المائدة الآيات من ٧ - ١٠)

ثالثاً : ليس هدف الدعوة كسب الحجة أو تسجيل نصر أو إسكات خصم ، إنها لكسب القلوب وتنشيطها وكذا القول ، إنها حقاً حياة في سبيل الله ، ومن المهم بدرجة مساوية أن نعترف أنه ليس في مقدورنا وليس في مقدور أي من رسل الله هداية أي فرد إلى الطريق المستقيم ، فالدعوة لذلك تتطلب المثابرة والصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ويتضح ذلك من الآية ٣٥ من سورة الأحقاف .

وقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة فيها التوجيه الإلهي للرسول الكريم ﷺ بهذا الشأن ولكننا ننسأها في خضم حماسنا لهزيمة الأعداء وتأسيس « فوينة » أو كسب أكبر عدد ممكن من الناس إلى صفوفنا .

الأسس العامة للمنهجية :

ينبغي أن تكون المفاهيم الجوهرية الثلاثة المذكورة أعلاه كافية لمساعدتنا على تشكيل معظم الأسس العامة للمنهجية التي تبرز حاجتنا لها في هذا الوضع الحالي . دعنا ننظر إلى بعض منها . وفي نفس الوقت نقص مفاهيمنا السائدة ومواقفنا ، ونغفل ما لا يتسق مع أو ضد الخطوط الإرشادية التي وردت في القرآن الكريم والتوجيهات النبوية الكريمة للنبي ﷺ ونحل محلها ما كان أكثر ملاءمة وصحة .

(١) إننا لا ندعو الناس إلى دين جديد بل ندعوهم إلى أقدم الأديان إلى دينهم إلى دين يعيشون فيه مستسلمين وخاضعين خضوعاً كاملاً لخالقهم وفق الهداية التي جاء بها كل رسله . وإذا أسيء فهمي وقصدي فقد أتجراً لأن أقول : إننا لا ندعو أحداً لتغيير دينه لينقل ولاه إلى دين آخر منافس . حيث إننا اعترفنا أن الإسلام ليس ديناً جديداً أو منافساً بين المنافسين العديدين من أجل الولاء الإنساني ، فإنه الدين الطبيعي ، والدين الحق ، لأن الطبيعة جميعاً تعيش في خضوع لخالقها ولأن جميع الرسل من آدم إلى محمد جاءوا بنفس الدين .

وهذا لا يعني أي تغيير في المركز الأساسي للإسلام ولا يعني أن جميع الأديان كما هي متساوية في الحقيقة ولا يزال الحق في أن ندعو الناس إلى اتباع النبي محمد ﷺ باعتباره خاتم الأنبياء والرسل ، وندعوهم لأن يقبلوا القرآن كأمر وحى من الله سبحانه وتعالى . ولكنني المتقدم انطلاقاً من الوضع الذي أوضحته أعلاه - يتضمن تغييراً جذرياً في المنهج والنهج والأسلوب في الدعوة وكذلك التسلسل الذي تقدم فيه تعاليم الإسلام .

(٢) يجب أن تكون نقطة البدء ولب دعوتنا وأساسها هو الخضوع الكامل لله سبحانه وتعالى خالق كل شيء كما يوضح ذلك القرآن جيداً وكذا الحساب بعد الموت في حياة ما بعد الموت ، وطاعة الرسل وبناء عالم جديد على هذه الأسس تسوده العدالة وينتشر فيه القسط ، هذا الأمر لا بد لنا من أن نؤكد أنه دون الدخول في متاهات التثبت

والتحقيق وهو لب كل دين ، ولهذا فإننا ندعو الجميع ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا نُوْحِيْ اِلَيْهِ اِنَّهُ لَا اِلَهَ اِلَّا اَنَا فَاعْبُدُوْنِ ﴾ (سورة الأنبياء آية ٢٥) ﴿ اِنْ اَلَّذِيْنَ عِنْدَ اللّٰهِ اِلَّا سَلْمٌ ﴾ (آل عمران آية ١٩) .

(٣) وعلينا حينئذ ألا نبداً بتوبيخ كل ما هو خطأ ولكن بالدعوة إلى التفكير فيما هو مشترك . فعلياً أن ندعو غير المسلمين أن يأتوا إلى شيء يقبلونه أو يتبعونه مما يقبلون : عبادة إله واحد فقط . وقد اتبع نفس المنهج مع عبدة الأصنام والمشركين حيث سألوا : ﴿ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ ﴾ ونفس الشيء حدث مع أهل الكتاب ﴿ قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ تَعَالَوْا اِلٰى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اَلَّا تَعْبُدَ اِلَّا اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهٖ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا اَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ ﴾ (آل عمران آية ٦٤) .

مرة ثانية فهذا لا يتضمن أي تغيير في الموقف ، فالاعتقاد في وحدانية الله يجب أن يكون وفق ما أخبر به سبحانه جميع رسله الذين من بينهم محمد ﷺ وهو خاتمهم . ومرة ثانية فإننا باتباع هذا التسلسل في الأولويات فإن ذلك يعني تغييراً جذرياً في المدخل والموقف .

(٤) إن إبلاغ الناس أننا لا نسألهم أن يغيروا دينهم إلى دين منافس لدينهم ومعتقدهم ، ولكننا ندعوهم إلى توحيد الله وإلى اتباع رسله مثلما جاء في دينهم ، وكان آخر وحي أوحاه الله للنبي محمد ﷺ فإن هذا ليس مجرد تمرين « على دلالات الألفاظ ، ونتيجة مهمة نخلص إليها تتمثل في أننا لن نكره أحداً على الإسلام ، ولم يحدث ذلك على مر التاريخ كما هو واضح من تاريخ المسلمين طوال القرون الأربعة عشر الماضية حتى وإن انحرفوا عن هداية الله وبعضهم ينحرف بالفعل .

(٥) إننا لسنا بحاجة لأن نبرر كل شيء ثم أو قيل في الماضي أو في عصرنا الحاضر ، وليس ذلك ضرورة علينا . فقد لا نكون قادرين على تغيير صيغ السلوك غير الإسلامي للمسلمين عامة أو للمسلمين داخل المجتمعات غير المسلمة ، ولكننا نستطيع بكل تأكيد أن نتجنب العمل في التيار الذي يقول : « أمتي هي أمتي إن كانت على الحق أو على الباطل » . ولعلني أذهب خطوة أخرى إلى الأمام فأقول : إننا لا ينبغي أن نتردد في أن نعري أو ندين أي شيء في ماضينا أو سلوكنا المعاصر لا يتفق مع الضوابط والمعايير الموضحة في القرآن والسنة . أليست هذه هي روح الاستغفار ؟ وفي هذا الصدد ينبغي علينا أن نشكل سلوكنا وفق الآيات القرآنية التالية :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنِ اللّٰهُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمْلَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ (سورة الانعام الآيات من ١٥١ ، ١٥٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ نَعِرْضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (سورة النساء الآية ١٣٥) .

(٦) إن مسئولية هداية الناس جميعاً إلى طريق الحق تقع على عاتقنا - نحن المسلمين - باعتبارنا خلقاً للهداية الربانية التي جاء بها النبي الخاتم رحمة الله للعالمين وباعتبارنا أتباع النبي الخاتم صلوات الله وسلامه عليه . واليوم إذا كان الناس يضلون ، ألسنا نحن مسئولون عن ذلك بدرجة كبيرة ؟ واليوم إذا كان الناس كفاراً فكم هم مسئولون عن كفرهم مسئولية أولئك الذين يهملون ويقصرون في واجبهـم لأن يكونوا شهداء على الحق . نعم هناك مسلمون وهناك كافرون . ولا ينبغي أن يكون هناك نية أو جهد لإغفال أو تناسي الخطوط الفاصلة بينهما أو أن نغير معانيهما . ولكن هل من المناسب ومن العدل ومن الإسلام أن نبدأ دعوتنا من هذه التحديات ؟ إن كان كل المسلمين اليوم ليسوا حقاً هم المسلمين الذين هم قدوة حسنة ومثالاً صحيحاً للإسلام حتى أحسن ما فيهم ، والكافرين اليوم ليسوا هم الكافرين الذين سمعوا الحق ورفضوه بعد ما تبين لهم أنه الحق وليسوا الذين شرعوا عن قصد في سياسة العداوة تجاه الإسلام .

وليس هناك مبرر لنا في ظني في أن نبدأ عمل الدعوة بأن ننظر إلى العالم مقسماً إلى معسكرين كل منهما عدو للآخر : الكافرون والمسلمون حيث كل كافر عدو للمسلمين ومن ثم فهو عدو للإسلام يريد أن يخرجهم منه . إننا مستعدون لعمل ذلك فقط بسبب التاريخ الطويل من الصراع وبسبب العداوات المعاصرة وبسبب تربيتنا ومواقفنا واتجاهاتنا .

ويجب علينا أن نفكر كيف تعامل رسل الله مع هذه الدنيا ، لقد كانت كلماتهم دائماً :

« يا قومي ، يا أيها الناس » ففي البداية لم يوجهوا أبدا الحديث إليهم باعتبارهم كفارا ما لم يقدّم الدليل على أن الكفر كان محفورا في نفوسهم ومارسوه عن قصد ، وبالمثل فقد عامل القرآن أهل الكتاب كفتة مستقلة وخاطبهم بذلك رغم بروز كل كفرهم وشركهم . أنظر كذلك كيف يميز القرآن بين أولئك الذين هم أعداء الإسلام ومن هم فقط من غير المؤمنين . ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿

(سورة الممتحنة الآيات ٧ ، ٨) .

إن التاريخ الطويل للصراع بين الإسلام والغرب الذي امتد طوال أربعة عشر قرنا هو تاريخ صراع على جميع المستويات من إيمان وأخلاقيات وفكر وسياسة واقتصاد إلى آخره . وفي السنوات الثلاثمائة الأخيرة استغل الغرب المسلمين واضطهدوهم ومن ثم كان للمسلمين من الأسباب الأصيلة ما يدفع الغرب لعداوته وعداء الغرب للإسلام والمسلمين قديم تاريخيا كما هو معاصر حاليا « رغم أن المراتب الغربية عن سيطرة المسلمين كذلك ، ولنقل مثلا في صقلية أو أوروبا الشرقية ليست سارة جدًا » وعلينا أيضا أن نواجه أخطار الفكر والآراء الغربية العلمانية .

ولكن هل يسمح لنا ذلك أن ننغمس في الخطب اللاذعة والهجوم العنيف القاسي ضد الغرب أو الرجل الأبيض أو الهندوكي ؟ لا أعتقد ذلك فلا أحد شرير لأنه في تمرّد وثورة ضد خالقه وضد رسله . ومع ذلك فإن سوء الفهم هذا يتخلل مواقفنا ويتسرب في لغتنا .

ولا يعني ذلك أننا لا يجب أن نقدم نقدًا موضوعيًا قويًا لكفر الغرب وفكر المجتمع الغربي . فهذا واجبنا (رغم أن هذا الواجب لا يلقي إلا اهتماما قليلا من جانبنا) ولا يعني ذلك أننا ينبغي ألا نعرض مساوئ القوى الغربية في التاريخ أو جرائمهم الحالية الآن . ولكنني أرى أن يتم ذلك بمبضع جراح بما فيه من رحمة وليس بقسوة سكين الجزار .

ولدينا بعض التوجيهات والخطوط الإرشادية في هذا الصدد من القرآن الكريم :

أ) فالقرآن يمنعنا حتى عن سب الأصنام .

ب) لم يلعن القرآن أحدا باسمه فيما عدا أباه .

ج) القرآن لا يلعن الناس ولا يدينهم بل يدين أفعالهم .

(٨) ينبغي أن ننظر إلى غير المسلم على أنه من المحتمل أن يكون مسلما وليس عدواً ، ما لم نقيم بواجبنا في الدعوة وما لم يرفضها غير المسلم . هذا طبعاً باستثناء أولئك الذين يتغمسون في عدوان صريح أو عداوات واضحة ، وهذا المبدأ قد يكون له أثر جذري على إخلاصنا للدعوة وعلى منهجنا ومدخلنا ومنهجيتنا .

(٩) يجب أن تخلو لغتنا ومنهجنا من تلك العناصر التي تعد خصيصاً أو تفصل تفصيلاً مجتمع يولد على الإسلام ، فعلى سبيل المثال فإن لغة الدولة الإسلامية قد لا تكون لغة مناسبة لمجتمع غربي وبدلاً من ذلك قد نقول إن نظاماً عالمياً عادلاً يعتمد على التسليم لله الواحد الأحد وطاعة رسله من المحتمل أن يأتي بنتائج أكثر إيجابية .

(١٠) ينبغي علينا أن نكون شهداء للإسلام وأن نكون سفراء الرحمة للعالمين بسلوكنا الشفوق العطوف في كل مكان ، في المجتمع ولكل فرد بغض النظر عن إيمانه ولونه . والانغماس الشديد في رفاهية البشر ورعايتهم هو مفتاح الدعوة يضع القرآن ذلك على تساو مع جميع الواجبات والقيم الرئيسة :

- ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ آية ٢٧ سورة القلم .
- ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ آية ٣٧ سورة القلم .
- ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ آية ٤٢ سورة المدثر .
- ﴿ وَكُنَّا نَكَذِّبُ الَّذِينَ ﴾ آية ٤٦ سورة المدثر .

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يُحِصْ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ قَوْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ (سورة الماعون) .

وينبغي علينا ذلك .

(١١) يجب علينا أن نجعل دعوتنا الأساسية متمثلة في رسالة التوحيد والرسالة والآخرة - على صلة باهتمامات وخبرات الغربي العادي وكذلك اهتمامات وخبرات مجتمعاتهم .

فعلى سبيل المثال لماذا يجب أن تظل الدعوة الإسلامية غير معنية بقضية الأسلحة الذرية والبطالة والشيخوخة إلى آخره؟ أو لماذا يجب على المسلم أن يهمل أولئك الذين لا يجدون رعاية من المسنين والمنعزلين والجوعى الذين يعيشون في مجتمعاتهم؟

الخاتمة :

وختاماً أود أن أقول : إن العمل هائل ومعقد ولكنه مهم وضروري ، وليس هناك من حلول عاجلة للمشكلات على النطاق الكبير . ولكن في مجال مثل الدعوة يجب أن يبدأ كل شيء بالفرد والمجموعة الصغيرة فهناك لدينا حلول بسيطة يمكن تنفيذها والاستفادة منها .

أولاً : على كثير منا - قدر المستطاع - أن يتجهوا شخصياً إلى الدعوة وأن يتحولوا إلى دعاة ملتزمين بمهمة الشهادة ومتضامنين فيها يعيشون حياتهم سفراء لله ورسوله يتبعون نفس المنهج ونفس السبيل كما فعل رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ثانياً : إيجاد مجموعة إسلامية تركز نفسها للدعوة باعتبارها الأولوية الأولى والهدف الأسمى لهم .

ثالثاً : على أولئك الذين يدخلون الإسلام ألا يقتنعوا بمجرد تغيير دينهم واتضح الحق أمامهم ، بل عليهم أن يتحركوا من بعد ذلك ، فالحقيقة تحتاج إلى تعريف وتقديمها وعليهم أن يكونوا رسلاً لشعوبهم ، وعندئذ فقط فإنهم حقاً فاعلون ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ ﴾ (سورة إبراهيم آية ٤) .

مسئولية المسلمين المواطنين في دول غير إسلامية

م. راشد دويرياو

مسئولية المسلمين المواطنين في دول غير إسلامية

م . راشد دورياو

وضع الأقليات المسلمة :

في البداية ، أعتقد أنه يتعين علينا أن نضع « موضوع » المؤتمر في منظوره الحقيقي وال سليم ، لذا يلزم أن نسأل أولاً عما نقصده باصطلاح « الأقلية المسلمة » . وفي رأيي ، أن هذا اصطلاح يقصد به أساسا الإشارة إلى جماعة إسلامية تشكل العدد الأقل من مجموع السكان والتي تخضع لمعاملة مختلفة وذلك نتيجة خصائصها المختلفة .

أيضا ، يمكن أن ينشأ وضع الأقلية هذا حتى في الأحوال التي تشكل فيها « الجماعة المسلمة » العدد الأكبر من مجموع السكان ولكن في ظروف تكون فيها هي الجماعة الأدنى سياسيا أو الجماعة المجردة من القلوب ، ولدينا أمثلة على ذلك في تانزانيا وألبانيا ولبنان وأثيوبيا .

والعكس صحيح طبعاً ، فالجماعة الأقل عددا يجب ألا ينظر إليها على أنها أقلية إذا كانت هي المسيطرة سياسيا واجتماعيا . ولدينا مثال على ذلك في الفترة التي كانت الهند فيها تحت حكم الأقلية المسلمة التي حكمت معظم أجزاء الهند لمدة ٧٠٠ عام قبل مقدم البريطانيين .

و الواقع أن كل أقلية مسلمة في العالم لها خلفية تاريخية ذات خصوصية شديدة ، إما في مرحلة إنهاء الاستعمار أو مرحلة التحول إلى الإسلام سواء كان ذلك عن طريق الفتح ، أو عن طريق المستوطنات التجارية أو البعثات الدينية .

وبالرغم من أن هذه الأقليات قد تختلف الواحدة منها عن الأخرى في طريقة معالجاتها لمشكلاتها ، إلا أن تطلعاتها وآمالها المشروعة هي نفسها في كل أرجاء المعمورة . وفي الحقيقة فإن المسلمين هم حملة الرسالة وهم خلفاء الله في الأرض . وقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (سورة الحجرات ، آية ١٠) .

قول يتبعه مسؤوليات وأعباء شديدة . ولقد وهب الله بنى آدم القدرة على تحقيق مجتمع عادل ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر و يقيم الشخصية الإنسانية والمجتمع الإنساني على العدل ، قائما بالإسلام في شكله الكامل التام .

ويمكن تقسيم الأقليات المسلمة على أسامين . أحدهما يقوم على الكم ، والآخر يقوم على الكيف أو النوع .

(١) التقسيم النوعي :

أ - الأقلية المستضعفة أو المقهورة :

بنا بداية أن نقول إن القمع ، هو مفهوم يختلف من شخص لآخر ، ونحن هنا **يجدر** نعنى « بالأقلية المستضعفة » ذلك الموقف الرسمي والمعاملة العامة تجاه الجماعة الإسلامية بما يؤدي إلى إعاقة نموها الطبيعي وسلوكها الصحيح . وهي أقليات تخضع لأيديولوجيات وسياسات معادية للإسلام ، إما بأن تتخذ شكل حركات تصفية للمؤسسات الدينية أو أن تعمل على إضعاف تأثير العقائد الدينية . والاتحاد السوفيتي مثال على ذلك ، حيث يمر الإسلام فيه بمرحلة عصيبة ، والمادة ٥٢ من دستور الاتحاد السوفيتي تنص على التالي : « يضمن الدستور لجميع مواطني الاتحاد السوفيتي حرية الضمير ، أي حقهم في أن يؤمنوا بأي دين أو لا يؤمنوا بأي دين ، وأن يقوموا بأداء شعائرتهم الدينية ، أو أن يقوموا بالدعوة للإلحاد » . ومع ذلك ، فإن الدعوة للدين ممنوعة في الاتحاد السوفيتي ، وأبناء المسلمين السوفييات لا يمكنهم أن يتلقوا تعليما دينيا في مدارس الدولة ويتلقون ، على العكس من ذلك ، تعليما منظما معاديا للعقيدة الإسلامية ، وهناك أمثلة أخرى في كامبوديا (٩٥٠٠٠ مسلم أي ١٢٪) والصين (١٢ مليوناً ٤٥٪)

وتاييلاند (مليونان = ٤ ٪) . وحقيقة الأمر أن الأقليات الإسلامية تحتاج إلى مساندة الأمة الإسلامية حيث إنها تواجه حربا مستمرة في مجال أو أكثر من المجالات التالية :

- أ - منع التعليم الإسلامي .
- ب - قمع التضامن الإسلامي .
- ج - منع المنشورات الإسلامية .
- د - قمع اللغة العربية (لغة الإسلام) .
- هـ - قمع التقاليد والمثل الإسلامية .
- و - منع حرية القيام بالواجبات والمتطلبات الإسلامية .
- ز - قمع الاتصال الثقافي بالأمة الإسلامية .
- ح - منع إقامة المساجد والمدارس .
- ط - قمع مواجهة الاعتداءات على الإسلام .

ب - الأقليات الكائنة :

بقاء هذه الأقليات إلى الكفاح المستمر في وجه الظروف المعاكسة . وهي **يعود** مجموعات حافظت على دينها مع بعض الدعم الحكومي المحدود ، وذلك بفضل إيمانها وقناعاتها الدينية الراسخة . وهي أيضاً أقليات تكافح في سبيل البقاء .. والهند مثال على ذلك ، ففيها يكافح المسلمون للمحافظة على قيمهم الإسلامية . وبالرغم من كونهم ضحايا التمييز فيما يتعلق بمجالات التوظيف ، وبالرغم من الاضطهاد السياسي الذي تمارسه الأغلبية ، فقد نجحوا في الحفاظ على هويتهم الإسلامية . وفي أمريكا مثلاً ، ينبغي إقامة منشآت ومستلزمات أداء فريضة الصلاة خمس مرات في اليوم ، ومراعاة شعائر الدين فيما يتعلق بالأكل الحلال . ويعمل الآباء ما في وسعهم لمواجهة الاتجاهات غير الإسلامية التي يتعرض لها أطفالهم ، حيث يتعرضون لقيم مختلفة هي من سمات البلد الذي ولدوا فيه . وهناك أقليات عديدة في هذا الوضع .

- بورما حيث يوجد مليون مسلم ١٩ ٪
- سري لانكا حيث يوجد مليون مسلم ٨ ٪
- كارشا حيث يوجد ٤ ملايين مسلم ٢٠ ٪

الأقليات المكافحة :

دولة غير إسلامية ، متعددة الثقافات ومتعددة الأجناس ، فإن الأقلية **في** المكافحة هي تلك الأقلية ذات النفوذ السياسي والاقتصادي ، التي تتمتع

بضمانات وحرية دينية فيما يتعلق بحقوقها في ممارسة الإسلام والدعوة إليه . فإن ساد احترام الإسلام أو عدم اتباعه فلا يعزى ذلك إلى خطأ تلك الدولة بل إلى الأقلية ذاتها التي قد تكون منقسمة على نفسها أو غير منتظمة أو مفككة الأوصال .

وفي حالة مثل هذه الأقليات ، فإن هناك الكثير الذي يتطلب عمله لإعطاء المجتمع الصبغة الإسلامية . وحقيقة الأمر أن الأرض مهيأة لمثل هذه العملية . والأمثلة على ذلك عديدة : ماليزيا (٦ مليون - ٤٩ ٪) ، سنغافوره (٣٤٥٠٠٠ - ١٥ ٪) ، الفلبين (٢ مليون - ٥ ٪) ، وفي دستور موريشيوس ليس هناك تمييز على أساس الجنس ، أو الأصل ، أو اللون . والحقوق الدينية مكفولة بضمانات كاملة نذكر منها :

- ١ - حرية المسلمين في ممارسة دينهم والدعوة إليه .
- ٢ - إقامة المؤسسات الإسلامية .
- ٣ - تأسيس الأعمال واتخاذ الممتلكات .
- ٤ - اختيار الوظائف على أساس الكفاءة .
- ٥ - التمتع بالحرية الدينية ، كالذهاب إلى الحج ، وسماع أذان الصلاة خمس مرات يوميا ، والاحتفال بأعيادهم الدينية .
- ٦ - التقدم لأي منصب انتخابي .
- ٧ - عمل التنظيمات التي تعمل على دعم تضامن الأقلية .
- ٨ - حرية اختيار قانون الأحوال الشخصية الإسلامي . وقرىبا جدا سوف ينتشر هذا التشريع عن طريق هيئة من رجال القانون المسلمين .
- ٩ - عدم وجود مؤتمرات منظمة لتصفية الإسلام أو القضاء على هويته الثقافية .
- ١٠ - اشتراك المسلمين في العمل السياسي ، هناك ضمانات للتمثيل الإسلامي ، حيث إن نظام الانتخابات السائد في موريشيوس يضمن تمثيلا عادلا في البرلمان .
- ١١ - تعدد الثقافات هو المنهج الرسمي .
- ١٢ - وجود ضمانات لحقوق الأقلية المسلمة في الرد على الدعايات المضادة للإسلام .

(٢) التقسيم الكمي :

لا يوجد حتى الآن إحصاء رسمي على أساس علمي للأقليات المسلمة في العالم ولقد وضع معهد شتون الأقليات بجدة حصرا بالصفات الديموجرافية والطوبوغرافية للأقليات المسلمة . ولا يهمنا هنا هذا الأمر النظري ، الذي يقع في حقيقة

الأمر خارج إطار هذا البحث ، وليس بضرورة بل يكفي أن نقول إن تعداد الأقليات المسلمة في العالم يمثل قوة عددية لا يستهان بها وتتطلب اهتماما خاصاً بالضرورة .

وبالرغم من أن هذه الأقليات تتوزع على العالم طوله وعرضه ، فهم أيضا موجودون في مناطق متعددة في المجتمعات التي يعيشون فيها . وحقيقة الأمر أنهم يمثلون ٣٠٠ مليون من أصل ١٠٠٠ مليون مسلم على نطاق العالم هو رقم لا يستهان به ، وتوجد :

- أ - أقليات ضخمة في الهند والصين وروسيا .
- ب - أقليات صغيرة ، على سبيل المثال في موريشيوس وكندا .

(٣) محور عقدة الأقلية :

الوصف القرآن للمسلمين على أنهم بنیان مرصوص يشكل أمة واحدة ، يمنع تقسيم الأمة الإسلامية إلى « أقليات » و « أغليات » .

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (صدق الله العظيم)
(سورة الأنبياء ، آية ٩٢)

وللحق ، فإنه يجب على أية مجموعة من المسلمين تجد نفسها في وضع أقلية نتيجة ظروف تاريخية ، يجب عليها أن تشعر أنها جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية الأكبر . ومع أنها قد لا تكون في وضع اقتصادي قوي ، إلا أن المهن التي تحتلها في المجتمع كالأطباء والمدرسين والمحاسبين والكتبة هي وظائف مهمة .

ومع الأقلية المسلمة في مجتمع غير إسلامي لها دورها الوطني الذي تلعبه في التنمية القومية إلا أنه يجب ألا تساعد على أن تقوم الأغلبية بتصفية الأقلية المسلمة أو امتصاصها . ويجب ألا تشعر بعقدة الأقلية ، فهذا مرض يصيب بالشلل جاءت به حركات أوربية أو غربية معادية للإسلام . فالأقليات المسلمة يجب أن تكون ناجحة وخالية من العقد .

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾
(صدق الله العظيم)
(سورة آل عمران آية ١١٠)

والمسلمون يستمدون إلهامهم من القيم الإسلامية وقوة الحق والفضيلة التي تدفعهم نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفي المجتمعات غير المسلمة ، يجب ألا تقوم الأقليات المسلمة بدور المتفرج السلبي على القمع والإرهاب للإنسان . والجالية هي عماد تستند عليه

الدولة غير الإسلامية ويجب أن يشاركوا في كل النشاطات التي تتفق مع القيم الإسلامية .
وعليهم ألا يعزلوا أنفسهم بتفكير مثل تفكير « الجيتو » حتى لا يعانون من عقدة الأقلية .

المسئولية الفردية تجاه الفرد نفسه :

« حياة المؤمن الصادق هي حياة منظمة »

« والمسلمون الصادقون هم أولئك الذين يواجهون المحن والمصاعب بشجاعة »

﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ (صدق الله العظيم)
(سورة البقرة ، آية ١٧٧)

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (صدق الله العظيم) (سورة البقرة ، آية ١٧٠)

وعليه فإنها لمسئوليتك أن تكون متواضعا ، وعفيفا ، وحكيما في كل أمورك .

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (صدق الله العظيم) (سورة الممتحنة ، آية ٤)

كان الرسول لين القلب . وكل الفضائل المحبوبة ، مثل الصبر ، والتحمل ، والثبات ،
والنظرة الإنسانية يجب أن تكون تقديمية حيث إن الإنسان كائن متغير .

والتفاؤل (أي أن يكون هناك دائما في حياة المسلم تمسك بالأمل) هو صفة من صفات
الحياة الإسلامية ، والنجاح والإنتاج في الحياة يتطلب عزماً في مجهوداتنا وإخلاصاً
لواجباتنا الذاتية .

القرآن يأمر المسلم بالمحافظة على المواعيد والانتظام في كل شئون الحياة .

والفرد هو محور اهتمام الإسلام ، وبإلهام الفرد وتزويده بالوعي الجديد (الإيمان) ،
يحدث التطور والتقدم .

وعن طريق تكوين الفرد على الصدق والأمانة والتقوى ، تكون عنده المقدرة على تغيير
العالم نحو الأفضل .

وعليه فعلى المواطن المسلم في أية أقلية أن يكون نموذجا يحتذى به للسلوك البشري ،
ملهما بالمثالية الإسلامية القائمة على مسئوليات روحية أخلاقية وخلقية دينية . كما يجب
أن يكون قادرا على مساعدة الضعيف ، والمحتاج والمظلوم وأيضا أن يمد يد العون إلى
المضطهدين .

والإسلام ينهى المسلم عن أن ينضم طوعية إلى الأقلية إذا لم يكن بمقدوره أن يمارس حقه في العبادة .

وكل نظام من أنظمة الحياة وكل بناء اجتماعي له سماته وخصائصه المميزة . والتقوى والخوف من الله هما الملاحم الأساسية للمجتمع الإسلامي ونظام الحياة فيه .

أ - مسئولية النقد الذاتي والإصلاح الذاتي :

مسئولية المسلم وواجبه أن يكف عن تبني أو اتخاذ المواقف التي تمنعه من إنها محاسبة النفس فيما يتعلق بأخطائه ونقائصه .

والإسلام ينكر اللامبالاة وعدم الاهتمام بالنقد الذاتي أو امتحان الذات أو إصلاحها ، والقرآن الكريم يحذر المسلمين من عواقبها الوخيمة ويفرض وجود ذلك المرض بين المؤمنين .

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ ثُلُونَ الْكِتَابِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم) (سورة البقرة ، آية ٤٤) .

والمسلم الحق يجب أن ينمي في نفسه موقفا للنقد الذاتي المستمر وأن يجاهد الشر في نفسه وخارجها .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم) (سورة الممتحنة ، آية ١٨) .

ب - مسئولية تطهير النفس وكمالها النفسي :

والحقيقيون هم أولئك الذين يسعون دائما نحو الكمال في أداء الفضيلة والمسلمون والتطهير الذاتي وتنمية الكمال الذاتي وهي واجبات نص عليها القرآن الكريم .

وهذه الواجبات والمسئوليات تجاه الذات قد تتحقق عن طريق :

أ - الاتصال بالله وذكره دائما وتمجيده .

ب - إقامة صلاة الجماعة ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (صدق الله العظيم) (سورة البقرة ، آية ١١٠) .

ج - الصيام تدريب روحي هام على التحكم في النفس . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (صدق الله العظيم) (سورة البقرة ، آية ١٨٣) .

د - الزكاة أو الإحسان وإعطاء الفقير حقه كما أشارت إلى ذلك الآية ١١٠ من سورة البقرة .

هـ - المحافظة على النفس ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ .

و - إنها مسئولية كل مسلم أن يجاهد لتحقيق الكمال .

ج - مسئولية المسلم في الجهاد :

كل مسلم صادق يجب أن يضحي بمصالحه وراحته من أجل المسلمين الآخرين . وحياته يجب أن تكون قدوة للناس فيما يتعلق بالطريقة الإسلامية في الحياة .

واحترام الذات يجعل الدفاع عن النفس ضرورياً وقت الحاجة . والدفاع عن النفس مسئولية تجاه الفرد . ويحضن القرآن الكريم على ذلك في (سورة الشورى ، آية ٣٩) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ .

د - مسئولية الالتزام الإيجابي :

أ - المسئولية الدينية للفوز برضاء الله ورحمته ، يقول القرآن ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الفتح ، آية ٢٩) .

ب - الخوف من إغضاب الله ومن يوم الحساب . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (صدق الله العظيم)

(سورة آل عمران ، آية ١٠٢)

ج - الإيمان برحمة الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة ٢١٨) .

د - لقد وضعت المبادئ الخلقية وعلى المسلم مسئولية أمام نفسه بالتعفف عن اتخاذ مواقف منافقة في أي امر على الإطلاق

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف ، آية ٢ ، ٣)

هـ - مسئولية احترام الذات :

ينهى القرآن الكريم عن الغرور وحب المال والتظاهر ، وإنها لمسئولية أن نسعى لتحقيق الفضيلة والصدق (سورة التوبة ، آية ١١٩) في الفكر ، والكلام ، والعمل على التمسك بمبادئ الإسلام .

١ - التواضع والعفة ﴿يُنَبِّئُ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ بَعْثِكُمْ وَرِيثًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ عَآيَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يُنَبِّئُ عَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَعْثِهِمَا إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ (الأعراف ٢٦ ، ٢٧) .

٢ - الثبات ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف ٢٠٠) .

٣ - الزواج لحماية الأخلاق من الحياة ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور ٣٢) .

٤ - التعفف في الفكر والكلام والعمل ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ..﴾ (سورة النور ٣٣) .

٥ - المصدر الشريف للرزق من خلال وسائل نظيفة .

٦ - فضيلة العمل لتحقيق الأهداف العليا ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (سورة النجم ٣٩ ، ٤٠) .

٧ - تخطيط حياة الفرد ونشاطه .

٨ - استهداف الإنتاج العالي والجيد في عمل الفرد .

المسئولية العالمية تجاه الأمة الإسلامية

مسئولية المسلم في الإسلام هي النتيجة المنطقية لواجب كل فرد يقوم بمسئولته كاملة تجاه المجتمع الإسلامي فكل شخص مزود بالإيمان والمعتقدات الدينية . والثقة المتبادلة هي أساس التعامل الإنساني الذي يولد التضامن والوحدة . ودعوة الإسلام هي دعوة للعمل . ورخاء المجتمع الإسلامي ونموه يعتمد على مسؤوليات المواطنين المسلمين .

والقرآن الكريم يحثنا على التضامن الإسلامي ويؤكد الشخصية الإسلامية . وهناك تكامل مثالي بين الفرد والمجتمع إلى درجة أن المسؤولية تجاه المسلم الآخر من الأساسيات والواجبات.

أ - المسؤولية الاجتماعية :

ضمان وتنمية الرفاهية الروحية هي الهدف الصريح لكل مسلم ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (سورة آل عمران ١١٠) وكل مسلم يجب أن يحترم حرمة المسلمين الآخرين في عرضهم وماله ودمائهم . وهناك مسؤولية المساس بشرف المسلمين الآخرين أو اغتيالهم .

ب - المسؤولية الدينية تجاه الفقير والمحتاج :

لقد أكد القرآن الكريم تأكيداً عظيماً على الاتصال بالآخرين لضمان رفاهيتهم وسعادتهم في كل النواحي ، وفيما يتعلق بالحاجة المادية للبشر ، يعد الإطعام فضيلة من الفضائل الحيوية .

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (سورة الإنسان آية ٩) .

ج - المسؤولية الاقتصادية لمساعدة الفقير والغني :

١ - قام الإسلام بفرض واجبات ومسؤوليات اقتصادية بصورة واضحة عن طريق نظام الزكاة (وهي ضريبة سنوية انظر الآية ١١٠ ، سورة البقرة) وصدقة الفطر . كما أن الاقتصاد الإسلامي يجعل على عاتق المسلم أن ينفق من مدخراته على رفاهية الآخرين . وكل مساعدة تعطى بهذا الشكل يجب أن تنطلق من رضا الله والخوف من غضبه .

إذ أن للفقراء حقاً لا مرأى فيه من مال إخوانهم المسلمين الذين يملكون أكثر من حاجتهم .

٢ - المساعدة الاقتصادية الطوعية للآخرين منصوص عليها في القرآن الكريم (سورة المزمل ، آية ٢٠) وذلك على شكل مساعدة وقتية طارئة أو مساعدة دائمة .

٣ - يعتبر الأفراد المتضررون اقتصادياً أصحاب أولوية في المعاملة ويستحقون المساعدات الإجبارية كواجب على جماعة المسلمين ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۖ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (سورة المعارج ٢٤ ، ٢٥) ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ (سورة التوبة ، آية ٦٠) والقرآن الكريم لا يقف عند هذا الحد بل يذهب أبعد من ذلك

في عمل الخير للمحتاجين من جميع النواحي يقول تعالى ﴿وَبِأَلْوَدِّينِ إِحْسَانًا ..﴾
(سورة النساء ، آية ٣٦) .

د - المسؤولية تجاه دعم الكرامة والشرف :

الواجب نحو الأسرة والأقارب والجيران له وضع خاص في القرآن الكريم .

أ - الأقارب :

يحثنا القرآن الكريم على أن نعتني بأقاربنا وأن نعطيهم كل مساعدة ممكنة مع إخلاص
النية ، وهذا واجب من أسمى الواجبات الاجتماعية تجاه الأقربين .

ب - المسؤولية تجاه الجار :

الجيران الأقارب في المسافة والصلوات وهؤلاء لهم حق مضاعف على المسلم .

المسؤولية تجاه الجيران من غير الأقارب :

إن المسؤولية تجاه الجيران من غير الأقارب والذين لا تربطهم صلة قرابة بعيدة وينتمون
إلى دين مختلف ، منصوص عليهم في القرآن (سورة النساء ، آية ٣٦) . ولقد حذرنا
رسول الله ﷺ بقوله « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ج - المسؤولية الأساسية للمحافظة على السلام ، والحق ، والثقة والأمن للأمة الإسلامية (مسؤولية صنع السلام) :

الإسلام دين سلام يعمل على ضمان السلام والعدل بين المسلمين ، وفي حالة حدوث
نزاع أو شجار بين طائفتين مسلمتين ، يجب بذل كل جهد ممكن لإحلال سلام عادل
بينهما (سورة فصلت ، آية ٩) .

د - مسؤولية المساعدة والمشورة المتبادلة (المسؤولية الثقافية) :

إن العمل على تنمية وصيانة العلاقات الأخوية منصوص عليها ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
إِخْوَةٌ ﴾ (سورة الحجرات ، آية ١٠) وهي أخوة خلت تماما من أي تمييز يقوم على
أساس الطائفة ، أو اللون ، أو القبيلة ، أو الجنس ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (سورة الحجرات ، آية ١٣) .

حتى أسوأ أعداء الإسلام يتم قبوله كأخ في الله ، إذا اختار حقاً أن يكون مسلماً . وإنها مسئولية أساسية على الفرد أن يعمل على استمرار تكامل هذه الأخوة العالمية .

هـ - المسئولية العادلة :

المسئوليات بشأن حفظ حياة الفرد ، وشرفه ، ورفاهيته ، والإنجازات الأخلاقية ، والمادية ، وحرياته وكرامته ، طبقاً لسنة النبي الكريم . فالاجتماع الإسلامي قائم على العدالة الاجتماعية - العدالة تجاه أسرته ، العدالة في الكلام ، العدالة نحو الغرباء ، والعدل في السلوك ، والعدل في السلام ، والأمن ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل ، آية ٩٠)

مسئولية المحافظة على الأمانة : يدعونا الإسلام إلى حماية أموال الآخرين التي هي في عهدتنا وإذا اتئمن أحدكم الآخر فليؤد الأمانة ... ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ (سورة البقرة - آية ٢٨٣) .

مسئولية القيام على التعليم الإسلامي :

يجب توجيه النظام التعليمي للجماعة بمواضيعه الدراسية ومقرراته توجيهها إسلامياً كاملاً بحيث يمكن تربية جيل جديد نموذجاً لما يريد الإسلام أن يكونوا عليه .

مسئولية المواطن المسلم تجاه الدولة غير المسلمة :

السياسة جزء من الدين ، والمسلم يجب أن يؤدي شئونه السياسية طبقاً لتعليمات الدين التي تنظم كل شئون الحياة - علاقة الإنسان بالإنسان ، علاقة الإنسان بالحكومة ، وعلاقة الإنسان تجاه ربه . ولا يمكن إنكار وجود الفكر والفلسفة الإسلامية السياسية .

منهاج الأقلية نحو السياسة يجب أن يتأثر بنظام الأخلاق الإسلامية وقيم الإسلام المجتمع على أسس مثالية سامية تعكس خير ما في الإنسان . ويطمح لترسيخ رابطة السلام الإنساني على الأسس الإلهية للإخاء ، والسلام والعدل والمساواة .

وكما يقول حميد الله ، « يتساوى المسلمون وغير المسلمين في المعاناة في هذا العالم ، ولا يستطيع الفرد أن يخالف القانون والعدالة والضمير بحجة أن الطرف الآخر غير مسلم » .

والمنهاج السياسي العالمي للأقلية هو أن المواطن أيضا يخضع لتعليمات القرآن حيث يأمره الإسلام بطاعة أولي الأمر . وفي الدولة غير المسلمة ، يجب سيادة الاحترام وتعاون الأقليات في كل مجالات الحياة كي تسود العدالة الاجتماعية : الحاكمة لله ، ونعم الله يجب ألا تصبح أداة للقمع والاستغلال والطغيان بواسطة الفرد أو الدولة .

أ - مسؤولية الحياة الجماعية المشتركة :

الأقليات المسلمة التي تعيش في دول غير مسلمة عليها التزام ومسؤولية تجاه حياتهم الجماعية . والإسلام يصر على الواجبات الجماعية إلى درجة أنه يلزم المسلمين ، حتى وهم لا دولة لهم ، أن ينظموا أنفسهم في جماعة متماسكة عليها أن تعمل تحت زعامة أمير واحد .

أ - وهذا الأمر يجب أن يختاره المسلمون على أساس تقواه وعلمه وميزاته الزعامة الأخرى .

ب - وتحت زعامته ، يجب أن يستخدموا كل وسيلة للكفاح بكل طريقة ليثبتوا حياتهم ، أفرادا وجماعات ، بحيث يتمكنوا من تشرب وامتصاص نعم الإسلام الروحية والأخلاقية والاجتماعية بأوسع السبل وأعلى المستويات بقدر الإمكان . ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (سورة آل عمران ، آية ١٠٣) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (سورة النساء - آية ٥٩) .

الحاكمية لله - بالإضافة إلى ذلك فالحاكمة الإلهية ، الحق للتشريع يرتبط أساسه بما عند الله . وعليه ، حيث إننا أعطينا القانون الإلهي ، لا يسمح للمسلمين ، عندما تكون لهم دولتهم ، بتبني أي قانون يخالف هذه الشريعة .

وعلى حين أن الجماعة يجب أن تكافح على خطة سياسية لتصفية الفساد والتمييز والحصول على نصيب عادل من فرص الوظائف والتعليم العالي . في حالة المنع التعسفي والفاضح لمثل هذه التسهيلات ، على الجالية أن تجمع مواردها لتساعد وتنمي نفسها .

ب - الحرية الكاملة للممارسة الدينية :

الفهم الأساسي لدين الآخرين وثقافتهم ، أمر حيوي في مجتمع متعدد الثقافات . ومن المهم أن ندرك الفرق الحيوي للمفهوم الإسلامي للدين وبين ما لدى غير المسلمين . وهذا عمل

يجب أن يتم بدون هجوم أو انتقاد لأي دين موجود . وللحق ، فإن الدين الإسلامي هو دين منزل يتفق مع المنطق والفكر قادر على فهمه كل رجال الإسلام والعلم . ولا يمكن قبول حلول الوسط أو التساهل فيما يتعلق بالمبادئ الأزلية . القرآن الكريم هو الوثيقة الأساسية التي تشكل القانون وهو دستورنا .

أما واجب نقل رسالة الإسلام إلى غير المسلمين فمنصوص عليه .

وواجب دعوة البشر للإسلام واجب نبيل ومسئولية ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة فصلت ، آية ٢٣) .

ومن هنا تأتي ضرورة تكوين منظمة دعوة ذات مستوى رفيع ﴿ آذَعْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (سورة النحل ، آية ١٢٥) .

ويبحث الإسلام على :

- أ - التعاون على عمل الفضيلة .
 - ب - عدم إكراه غير المسلمين على الإسلام (لا إكراه في الدين) .
 - ج - مراعاة مشاعر الآخرين الدينية .
 - د - التواصل الاجتماعي وعمل الخير بما يتناسب مع القيم الروحية والحلقية الإسلامية .
 - هـ - جهاد أعداء الإسلام والمسلمين والرد عليهم .
 - و - الإسلام يدعو إلى السلام والعدل وحسن النية .
- ويحق للمواطنين كل الحقوق التي كفلها القانون الإسلامي ، وكذلك كافة الضمانات ، في حدود القانون ، للأمن الكامل في الحياة ، والممتلكات ، والشرف ، وحرية الدين والعقيدة ، وحرية العبادة ، وحرية الفرد ، وحرية التعبير ، وحرية الحركة ، وحرية الاجتماع ، وحرية المهن ، وتكافؤ الفرص ، وحق التمتع بالخدمات العامة .

جـ - مسؤولية التعايش السلمي :

- ١ - يأمر القرآن بأن العدل في القيام بالسلطة مطلق .
- ٢ - لا يقر الإسلام التمييز على أساس الجنس ، أو اللون ، أو القرابة أو الدين .
- ٣ - القوة القضائية يجب أن تنسجم مع المبادئ العادلة حتى ولو لمصلحة العدو وضرر الأقارب .
- ٤ - العدالة لن تقوم بالتمييز بين البشر .
- ٥ - الإسلام ينص على أن كل البشر ، من نفس الأب والأم ، يشكلون أسرة واحدة .

- ٦ - ينص الإسلام على كرامة البشر ، لكل الناس بدون تفرقة إلا على أساس التقوى .
- ٧ - يمنع الإسلام أى نوع من العداء بين البشر ، وأي نوع من الكراهية ، والاحتقار والقمع .
- ٨ - هذه المبادئ يجب أن ترشد الرجال والنساء نحو معرفة أفضل بينهم ، وتعاون أكثر تأثيراً ، لخير الجميع ، على أساس المساواة غير المحدودة والتعايش المنسجم .
- ٩ - الإسلام يدعو إلى التعايش السلمي ، والاحترام المتبادل للعمل الديني الآخر .
- ١٠ - المبادئ الأساسية لمسئولية المواطنين المسلمين تقع في كرامة الإنسان ، وحرية وتعايشه وسط كل البشر .

د - مسئولية التعاون مع الحفاظ على التراث الثقافي :

- عقيدة مسلمي الأقلية تشكل جزءاً أساسياً لمجتمع إسلامي واحد ، ويجب أن تحترم كل القوانين ، غير المتنافية للمبادئ الإسلامية والقواعد الأساسية للدين الإسلامي ، مع المحافظة على تراثها الثقافي وبعد أن تكون قد حكمت بواسطة القوانين الإسلامية .
- ١ - ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (سورة الأسراء ، آية ٧٠) تعكس كرامة الإنسان . ولا يوجد تمييز في الكرامة والحق الأساسي بين رجل وآخر بسبب الجنس ، وروابط الدم والثروة ، في ضوء ما قاله رسول الله ﷺ . « لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » .
 - ٢ - هناك نداء لوحدة الجنس البشري - الأشخاص الذين فضلهم الله هم أولئك الذين يفيدون البشرية أكثر من غيرهم .
 - ٣ - مسئولية الدعوة للتعارف والتعاون لخير الجميع ولأداء كل الأعمال الفاضلة تجاه البشر منصوص عليه في سورة الحجرات ، آية ١٣ ، وفي سورة الممتحنة ، آية ٨ .
 - ٤ - الحرية الدينية مضمونة للجميع وهناك منع صريح للإكراه . ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (سورة البقرة ، آية ٢٥٦ ، وسورة يونس ، آية ٩٩) .
 - ٥ - منع الاعتداء على ممتلكات أو حياة الإنسان عبر عنه الرسول « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

هـ - المسئولية الوطنية :

يهدف الإسلام إلى تربية مواطنين صالحين ووطنيين ويفرس حب الوطن ويدعو إلى وحدة البشر . ويحث الإسلام على كفاح لا يتوقف ضد الطغيان والظلم (الجهاد) ، وفي

موريشيوس توجد الضمانات الدستورية لحماية الحرية .

أ - يقر الإسلام بحق كل مخلوق بشري في الكرامة ، والحرية والمساواة ، والثقافة ، والتملك بدون أي نوع من التمييز . ويؤكد الإسلام على حق الحرية من الخوف ، والجوع ، والمرض ، ويؤيد الضمان الاجتماعي الكامل .

ب - القوانين الدينية الإسلامية متعددة في حماية الحقوق الإنسانية الأساسية الأمنية والاقتصادية والاجتماعية ، والثقافية . هناك مساواة كاملة لكرامة النساء وحقوقهم .

ج - على أية حال يوجد تقييد على زواج المرأة المسلمة بغير المسلم ، مثلما هناك نهي للمسلم أن يغير اسمه . أما زواج الرجل المسلم بالمرأة المسيحية أو اليهودية فغير محرم في الإسلام . على حين أن زواج غير المسلم سواء أكان مسيحيا أم يهوديا بالمرأة المسلمة حرام في الإسلام .

د - فرض التعليم على كل مسلم للتخلص من الجهل .

هـ - على المسلمين أن يساعدوا في حل مشكلة البطالة للتخلص من الفقر والحاجة .

و - من الناحية الإسلامية ، لن يضر الجماعة الإسلامية أن تتبنى خصائص لا تناقض الصفات الإسلامية ، مثلا يستطيعون أن يتعلموا اللغة طالما أن لغة القرآن يتم تعليمها كذلك .

ز - ارتداء الملابس الوطنية حيث إن هذا يتفق مع الحشمة التي يدعو إليها الإسلام .
- استيعاب العادات الاجتماعية التي لا يعترض عليها الإسلام .

ز - موقف المواطنين المسلمين يجب أن يلتزم بالحفاظ على حسن النية تجاه الآخرين . فالقرآن الكريم يأمر المسلم أن يكون صادقا مستقيما وأن يكون رحيما متعاطفا تجاه الآخرين ليعملوا معا من أجل خلق الوئام والسلام بين الآخرين .

والإسلام يدعو إلى تأخي الجنس البشري ويجعل من واجب كل البشر حماية الحقوق الإنسانية .

الاستنتاج :

بعض المشكلات التي تواجه الأقليات المسلمة :

الأقليات المسلمة في أي تصنيف يجدون أنفسهم فيه ، يعتمد أساسا على مستقبل وحدة الجماعة الإسلامية وتضامنها : وحقيقة الأمر أنهم في معركة مستمرة

من أجل البقاء . دعنا نعدد بعضاً من المشكلات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تواجه معظم الأقليات :

- ١ - يوجد في بعض الأقليات محاولات تأمرية لتصفية الإسلام تقوم بهادول غير مسلمة . فأكثر من مليوني مسلم يعيشون في خوف مستمر من أن يفقدوا هويتهم الثقافية والدينية في بلغاريا . في عام ١٩٦١م أرغمت الحكومة البلغارية المسلمين على تغيير أسمائهم . ولا تقبل أية مراسلة رسمية أو خطاب باسم مسلم . ولا يوجد احتفال رسمي بالعطل الإسلامية ولا يصرح للمسلمين بالدفن في المقابر الإسلامية . الهوية الدينية مهددة تهديداً خطيراً ، وهكذا فإن المسلمين يقيمون الصلوات سراً .
- ٢ - التعليم الديني متخلف بسبب نقص الامكانيات . أكثر من ٥٠ مليون مسلم سوفيتي محرومون من التعليم الإسلامي وحرية الالتزامات الإسلامية والعادات ولكن الإسلام يواجه حرباً متواصلة . ولقد فقد المسلمون السوفييت اتصالهم الثقافي مع الدول الإسلامية . وهناك عملية غسيل مخ مركزة ضد الإسلام في المدارس ، فالمعرفة الحقيقية بالإسلام في تناقص .
- ٣ - يتناقص دور المؤسسات الدينية مثل المدارس بل تكاد تختفي . وهذا التآكل ناتج عن نقص التنظيم لهذه الأقليات .
- ٤ - بعض الأقليات يواجه مشكلات سياسية خطيرة حيث تقوم الأغلبية أو الحكومة باضطهاد منظم لأفراد الجالية الإسلامية مما يؤدي إلى استيعابهم الحتمي . والغرض من هذه العملية كلها هو القضاء على الوجود والهوية الإسلامية . والمثال الصارخ على ذلك هو السويد وبورما ، حيث يعتبر المسلمون من مواطني الدرجة الثالثة بدون حقوق سياسية أو تمثيل .
- ٥ - من الوجهة الثقافية لم تحرر المجتمعات الإسلامية من الاستعمار بعد ، فحيثما وجد التعليم والنفوذ الغربي ، تقوم حكومات بعض البلدان بتأكيد وتشجيع سياسة الدولة للمحافظة على هذا النفوذ .
- ٦ - يواجه شباب الجماعة الإسلامية التلقين الغربي المنظم عن طريق كل وسائل الاتصال بالجماهر ، بما يعدهم عن حظيرة الإسلام ويقربهم إلى أسلوب الحياة الغربي .
- ٧ - بالنظر إلى سوء الفهم الأساسي والشديد للإسلام ولأسلوب الحياة الإسلامي ، تبطل الأقليات دائماً بالشعور بعقدة الأقلية ، فالإسلام يستهزأ به ويجري التمييز بين أهله .
- ٨ - إنكار الحقوق الإنسانية الأساسية : مما يؤسف له أشد الأسف أن الإنكار الأثيم الذي

يتعرض له الفلسطينيون في وطنهم ، وما يتعرضون له يوميا بانتهاك حقوقهم الإنسانية وقتل الشيوخ ، وفتح بطون النساء ، وذبح الأطفال ، وتدنيس أماكن العبادة وإفراغ أراضيهم .

وإنكار الحقوق الإنسانية والمدنية شائع في بعض الدول الشيوعية وغير الشيوعية . فالمسلمون في أثيوبيا ، ارتيريا ، والفلبين ، وتايلاند ، وبورما وكمبوديا هم ضحايا الأضطهاد الوحشي .

توصيات أساسية :

ضعف الأقلية المسلمة يعكس قوة الأغلبية وسيطرتها على الدول الحاكمة .
إن المشكلات موجودة وتوجد حلول لها . هل يكفي أن نكون مسلمين « جدين » لكي تعيش الأقلية . من المهم أن نكون مسلمين جيدين وأن نفعل الخير . ومن المهم أيضا :

- أ - أن ينظم المسلمون أنفسهم .
 - ب - أن يتحدوا .
 - ج - أن يكونوا مؤمنين أقوياء .
 - د - أن يكونوا شجعانا .
 - هـ - أن يكونوا صابرين .
 - ١ - يجب أن تدرك الأقليات أنها جزء من الأمة الإسلامية التي لا تعرف حدودا سياسية وعنصرية .
 - ٢ - يجب أن يؤكدوا مسؤولياتهم للقيم الإسلامية ويؤمنوا بحقوق الإنسان الأساسية التي تقبل التغيير .
 - ٣ - إن إنكار الحقوق الإنسانية والمدنية للأقليات المسلمة ، مع إدانة الاضطهاد ، والانتهاكات ، وقمع القيم الإسلامية ، شيء يؤسف له .
- وأرى أن يوصي هذا المؤتمر بما يلي :

- ١ - دعوة كل الدول غير الإسلامية حيث توجد أقليات مسلمة ، بأن تعترف ، وتسهل وتوفر حقوقهم الأساسية ليطبقوا أسلوب الحياة الإسلامي وأن توفر لهم الفرصة للتعبير عن هويتهم الإسلامية في كل جوانبها المتعددة الأبعاد بما فيها زيادة قوة نشاطات الدعوة الإسلامية على كل المستويات وبجميع الوسائل الممكنة .

- ٢ - دعوة قسم الأقليات الإسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي وصندوق التضامن الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي والندوة العالمية للشباب الإسلامي والمعهد الإسلامي لشئون الأقليات لأن تقوم بدور مؤثر كمنظمات حيوية ، قادرة على إعطاء المساعدة الملزمة ، للدفاع عن كرامة وإيمان الجماعة الإسلامية ، ضد التمييز ، والظلم وانتهاك الحقوق الإنسانية والمدنية . ويجب أن تقدم منظمة المؤتمر الإسلامي دعماً مالياً مضطرباً للمشروعات ذات الجدوى التابعة للأقليات ، خاصة فيما يتعلق بالمدارس ، ودور اليتامي والمكتبات .
- ٣ - القيام بمجهودات لتقوية الأواصر الأخوية بين الأمة الإسلامية وفي نفس الوقت المشاركة بالكامل في التيار الكبير للأمة بغرض الحفاظ على الهوية الدينية الثقافية .
- ٤ - افتتاح البعثات الدبلوماسية في الدول غير الإسلامية التي بها أقليات كبيرة ذات نشاطات دينية ثقافية مركزة . لمساعدة المؤسسات الاجتماعية ، ودور الأيتام ، ومدارس القرآن وبرمجة التبادل الثقافي والاتصال الاجتماعي .
- ٥ - تنشيط وحدة الأمة بتعليم اللغة العربية - وهي اللغة السائدة في العالم الإسلامي والإسراع في نشرها ، وإمكانيات التدريب للمدرسين العرب وتوفير منح دراسية وتنظيم برنامج من التبادل التعليمي .
- ٦ - تأكيد تدريس اللغة العربية كجزء من المقررات التعليمية ، كأولوية للجالية .
- ٧ - الاهتمام بترقية النشاط التعليمي للنساء وتأكيد مشاركتهم المتزايدة لكل النشاطات المسموح بها للشئون الإسلامية .
- ٨ - الأخذ بعين الاعتبار عالمية الدين الإسلامي الذي يحتم توحيد البشرية ، ويجب على الأقلية أن تظهر هذا البعد الدولي بصب الخدمات الاجتماعية والإنسانية لكل السكان في الدولة غير المسلمة .
- ٩ - الاتصال بحكومات الدول غير الإسلامية عن طريق سفاراتها المعتمدة لاقناعها بكبح حملاتها والابتعاد عن نشر الدعاية المضادة للإسلام عن طريق وسائل الاتصال بالجماهير حيث إن ذلك يسيئ للتعاون المتناسق .
- ١٠ - دعوة الدول غير المسلمة حيث توجد أقليات مسلمة لتعترف بحقوقهم في اتباع أسلوب الحياة الإسلامي وتمكنهم من إظهار هويتهم ومحاربة القوى والدعاية المعادية للإسلام بكل الوسائل الداخلية السلمية .

- ١١ - البحث عن التعاون ومساعدة الدول الإسلامية لتوفير دعم كامل في التنفيذ التدريجي لقانون الأحوال الشخصية للجانبايات الإسلامية لضمان عدم انتهاك هذا القانون .
- ١٢ - دعوة الأقليات لتحافظ على كفاح أبدي للبقاء وللحرية الاقتصادية والممارسة الدينية بإعطاء تسهيلات للقيام بالحج والالتزامات الدينية الأخرى .

FOOTNOTES

1. **Journal of Muslim Minority Affairs**, especially Vol. 5, No. 1, Jan. 1984, pp 145-151.
2. **The Muslim Minorities** by ALi Ketanni (as reproduced in Rabita Journal Vol. 6, No. 8, June 1979, pp 32—33.
3. **Research work into Journal of Rabita**, (MWL Publications, Makkah.)
4. **Islamic Horizons Magazine**, Nov. 1984, Vol. XIII NO. 11, pp 21.
5. Dr. Muhammad Fazl-Ur-Rehman Ansari, **The Quranic Foundations & Structure of Muslim Soceity**
6. **Instruction Islamique**, published by Ministere de l'Education Nationale (4eme Anne — Edition Librairie Al-MAARIF RABAT), 1984.
7. Abdulla Yusuf Ali, **Translation & Commentary of the Holy Quran** (Dar al-Arabia in Lebanon 1968).
8. Conference of 1974 of Vatican City on **Muslim Doctrine & Human Rights in Islam**, (Dar-Al-Kitab Allubnani, Beirut.)

استراتيجية الدعوة الإسلامية في الأندلس

للدكتور عبدالسلام الهراس

استراتيجية الدعوة الإسلامية في الأندلس

د. عبدالسلام المراس

من المعلوم أن الإسلام كان قد اكتسح شبه الجزيرة الأيبيرية واجتاز حدودها إلى الأرض الكبيرة ، أرض الفرنجة ، وقد أطلق على هذه الجزيرة اسم (الأندلس) وهو اسم شعب حكم هذه البلاد قبل الرومان وبعد الفينيقيين .

تم فتح الأندلس في مدة وجيزة وبجيش قليل العدد والعدة ، وقد شارك فيه إلى جانب العرب شعوب أخرى دخلت قبل في الإسلام ، أبرزها الأمازيغ أو البربر ، والسودانيون والموالي الذين ينتسبون إلى عدة شعوب كالروم والفرس ، وغيرهما ، كما أن كثيراً من أهل البلاد الذين قاسوا الشدائد على يد الرومان والقوط دخلوا في الدين الجديد ، ورحبوا بالفتح الإسلامي .

بدأ الفتح يتراجع شيئاً فشيئاً مهماً أول الأمر بعض الجيوب الثغرية الخطيرة وقد شهدت بعض المراحل تراوحاً بين المد والجزر حتى طغى الجزر وتنامي المد النصراني بسبب التنازع الذي نشب بين المسلمين وانشغالهم بالفتن الداخلية التي كان بعضها طاحناً ومهولاً ، وهكذا بدأت الرقعة الإسلامية بهذه الديار تنقلص ، والمسلمون يحلون من أطرافها ، ومن بقي منهم فالموت مصيره ، ومنهم من اضطر للردة عن دينه حراً أو مستعبداً ليصبح هو وذووه من المجتمع النصراني ، وقد نشأت ممالك نصرانية في هذه الأطراف استطاعت أن تستفيد من الفتن المدلهمة ، وضعف القيادة الإسلامية ، وانشغال المخلص

منها برأب الصدع ، ورتق الفتق ومدافعة الأخطار .. وكادت تنتهي مرحلة الولاة التابعين لدمشق (مباشرة ، أو عبر القيروان ومصر) ، بخروج المسلمين من الأندلس بالسرعة التي فتحوها ، لأن الحوادث الفظيعة والفتن المتلاحقة والحروب الداخلية الطاحنة وسيادة النزعات القبلية المنتنة كل ذلك جعل الأندلس طعمة سائغة أمام القوة النصرانية الوليدة ، غير أن الله سلم ؛ لأن تلك القوة لم تكن إذ ذاك في مستوى السيطرة والنصر رغم صمودها واستردادها كثيرا من الأنحاء ، ولأن الأقدار ساقطت إلى الأندلس (عبد الرحمن الداخل) الذي أسس دولة قوية استطاعت أن تنقذ الإسلام في تلك البلاد .

ورغم ما بذله الخلفاء الأمويون بالأندلس ثم حاجبهم ابن أبي عامر فإن هذه البلاد عانت ويالات مختلفة في بعض المراحل ، غير أنه بموت ابن أبي عامر ثم ولده عبد الملك دخلت الأندلس في دوامة جديدة من الصراع الداخلي حتى أن انهيار الدولة الأموية كان مؤذنا بانهار الأندلس المسلمة غير أن بقايا القوة الإسلامية استطاعت أن تصمد كما أن الممالك النصرانية كانت تعاني عاهات سياسية واجتماعية حالت دون اجتياحها بلاد المسلمين ومع ذلك فقد تمخض عن انهيار الدولة الأموية ظهور ملوك الطوائف الذين كانت سياستهم تقود الأندلس إلى الضياع المحقق لولا أن المعتمد بن عباد أثر أن يكون راعي جمال على أن يكون راعي خنازير ، فاستنجد بالبرابطين الذين هزموا النصارى في موقعة الزلاقة في رمضان (٤٧٩ هـ) ثم في مواقع أخرى ، وقد أنقذ هؤلاء الأندلس بتوحيدها مع المغرب ثم ورثهم الموحدون الذين انتصروا في معركة (الارك) (LES NAVASDE TOLOSA) سنة (٦٠٩ هـ) استردت الأندلس أنفاسها على يد الدولة النصرانية أو بني الأحمر الذين ختموا هذه الدولة بالمعارك الطاحنة بين العم في الحمراء وابن أخيه تجاهه في البيازين يفصل بينهما وادي) (ويتربص بهما الدوائر بقرية (الإيمان المقدس) الملكان الكاثوليكيان سان فرناندو وإيزابيلا ، وقد بقيت فلول وبقايا إسلامية مستعصمة ومستعصية في بعض الجيوب والجبال أو مستترة بدينها خلال مدة قد تصل إلى قرن ونصف ، وقد شهد القرن العاشر والقرن الحادى عشر انتفاضات إسلامية أتمدت بقساوة وجبروت انسجاما مع قوانين ومحكم التفتيش التي تكفلت بحسم الوجود الإسلامي من الأندلس وتخليص المجتمع النصراني الكاثوليكي من أية شائبة من شوائبه حتى تظل الأندلس نصرانية خالصة لا يزاحم فيها الصليب ولا النواقيس أذان أو مساجد أو صوت القرآن ، وكذلك كان الأمر ، ولم ينقطع الصراع الإسلامي النصراني بخروج المسلمين من الأندلس فسرعان ما انتقل إلى البلاد الإسلامية على الضفة الأخرى من الأيبض المتوسط وقد هاجم الاسبان والبرتغال المسلمين بتونس والجزائر والمغرب واستطاعوا أن يحتلوا مواقع قبل سقوط غرناطة بسنوات وبعدها بالشمال الأفريقى قبل سبته ومليله وجزيرة النكور وبادس ، والجزر الخالدات ووهران وتونس ، وتعتبر بلاد شنقيط أو الصحراء الغربية من

أواخر المواقع الإسلامية التي سقطت بأيديهم كما أن قبيلة أيت أبا عمران احتلت من طرفهم سنة ١٩٣٤م رغم أن أجزاء المغرب احتلت من طرف الاسبان فقد كانت خسائرههم كبيرة في الأرواح إذ كانت المعارك سجالات بين الطرفين فيوم للمسلمين ويوم للتصاري ، وفقد الجانبان مئات الآلاف من البشر وقد ظلت هذه المعارك متلاحقة منذ الفتح الإسلامي للأندلس إلى عهد قريب من النصف الثاني من هذا القرن ، وما المسيرة الخضراء إلا حلقة من حلقات ذلك الصراع .

وقد ظل المغرب مضطلعا بأعباء الجهاد بعد احتلال تونس والجزائر وكان المغرب يواجه النصرانية بجميع أجناسها ومللها وشعوبها بزعامة اسبانيا وفرنسا والبرتغال والانجليز ، لكن الساحة خلت إلا من اسبانيا وفرنسا بعد إرضاء الدول النصرانية الطامعة في المغرب ، وبذلك بسطتا نفوذهما على هذه البلاد بعد أكثر من ألفي معركة فمزقتا مملكتها إلى منطقة سلطانية يحكمها - اسما - السلطان وهي من نصيب فرنسا وأخرى خليفية من نصيب اسبانيا يحكمها اسما خليفة السلطان ، ومنطقة دولية بطنجة ، ومنطقة سبتة ومليلة من نصيب الاستعمار الاسباني إلى أماكن أخرى مثل ، سيدي اختي وبلاد شنقيط أو الصحراء الغربية أو القسم الصحراوي الآخر المسمى اليوم بموريتانيا فكان من نصيب فرنسا زيادة على ما اقتطعته من المغرب من قبائل وأراض شاسعة ضمت إلى بلاد أخرى مجاورة كانت تابعة للسيادة الفرنسية .

إن اسبانيا رغم أنها المعتدية على المغرب منذ القضاء على الأندلس فإنها لن تنسى أبدا ما جر عدوانها عليها من كوارث وخسائر فادحة وهزائم منكرة أذلتها وجعلتها مسخرة العالم ، ومن آخر الذكريات السوداء والتي ضاعفت الحقد الاسباني على المسلمين بالمغرب ما قام به الجيش المغربي الذي كان يحارب إلى جانب الجنرال فرانكو أثناء الحرب الأهلية الأسبانية ، فقد كانت لهذا الجيش فتكات فظيعة ووقعات رهيبية في الجيش الجمهوري ، كما أن الجهاد الذي تزعمه كل من الشريف محمد امزيان والشيخ الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وغيرهما ، كاد يفني الجيش الاسباني ويزعزع كيانهن بما كبدهن من خسائر فادحة وأوقع بهن من هزائم متكررة . إن هذا الصراع المترابط المتواصل العريق ترك ندوبا غائرة في النفسية الاسبانية ليس لها من النقام أو اندمال .

إن الحنين لعودتنا إلى الأندلس كان دفينا في نفوسنا نحن المغاربة لا سيما الذين يعيشون التراث الأندلسي حيا في نفوسهم ، والذين يجاورون البلاد الأندلسية وقد كانت أحلام الطفولة تصور لنا أن تلك العودة ستكون على يد أبطال جدد يجددون شخصيات طريف بن مالك ، وطارق بن زياد ، وموسى بن نصير ، وعبد الرحمن الغافقي ، وغيرهم من أعلام الفتح ، وما زالت كتبنا المؤلفة عن الأندلس والأندلسيين مشحونة بالدعاء التالي : (أعادها

الله دار إسلام) ، ولم يكن الخيال يتصور هذه الإعادة إلا عن طريق السلاح ، تلك اللغة التي كانت هي الرابطة بيننا وبين الأسبان منذ بداية الصراع إلى عهد قريب فبالقوة فتحنا الأندلس وبالقوة نخليها عنها .

فلم يكن انطباعتنا عن الأسبان وفكرتنا الثابتة عنهم أن يسلم الأسبان طواعية رغم إيماننا القوي بأن القلوب بين أصابع الرحمن ، وأنه سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا يقول له (كن فيكون) لامتلاء نفس الأسباني بالحق المبرر وحب الثأر والانتقام والنفور من الإسلام والمسلمين ، وكانت لفظة (مورو) التي تعني المغربي والمسلم مشحونة ببعض الازدراء والاحتقار والاستحقار ، لهذا لم يكن عقلاؤهم ممن يشعرون بواجبات المجاملة ولا سيما بعد استقلال المغرب يتلفظون بها أمانا مستعملين فقط لفظ (MARROQUI) ولكن بعد موت فرانكو انقلبت زمام الشعب الأسباني فانفجر متحررا من كل القيود ، وتمرد شبابه بل وكهوله على الكنيسة وعلى القيم السائدة واحتدت نزعات القومية فأصبحت كل منطقة تعزز بقوميته وأصولها وأشد هؤلاء الباسك ثم الكاطلان فتكون نظام أصبح يعترف بالقوميات ويعطيها استقلالها الذاتي وحققها في تكوين حكم محلي ، فكانت القومية الأندلسية التي اتخذت اشبيلية عاصمة لها ، ومع الأسف أن هذه القومية لم تشمل كل الأندلس بل اقتصر على الناحية الجنوبية منها .

في هذه الظروف ظهر الإسلام في اسبانيا بعد مدة من اهتمام الغرب به كدين يهدد السيطرة الغربية ويواجه التحديات بأقوى منها .

ومن أهم العوامل التي جعلت للإسلام أهمية في اسبانيا مايلي :

- ١ - كفر الشباب الأسباني بالكنيسة ورفضهم لتعاليمها لارتباطها بالحكم الاستبدادي الفرنكوي ومؤازرتها لسلطان رأس المال المتسلط وبعدها عن الاهتمام بقضايا الإنسان وخاصة الفقراء والمعوزين ، زيادة على سوء طريقة تلقينها الأطفال والشباب عقائدها وفلسفتها المعقدة الغامضة لا سيما ما يتصل بالتثليث والبابوية .
- ٢ - انتشار هذا الشباب في البلاد الإسلامية المختلفة واتصالهم بالمسلمين واطلاعهم على حقيقة الإسلام والحياة الإسلامية من خلال السلوك القويم والأخلاق الفاضلة لبعض الأفراد والجماعات .
- ٣ - ظهور القوة الإسلامية المادية الممثلة في البترول والمكانة المرموقة التي أصبحت للعرب بسبب الانتصار الجري في رمضان ١٣٩٣ هـ وبالمواقف الصارمة التي كان يقفها الملك فيصل - رحمه الله - الذي اختير شخصية ١٩٧٤ م .

- ٤ - تأثر الشباب الاسباني بإسلام بعض الأوروبيين ولا سيما الانجليز والأمريكان .
- ٥ - نمو الروح القومية الأندلسية وازدراء الشماليين للأندلسيين ووصفهم لهم بأوصاف النفاق والكسل وغير ذلك مما جعل هؤلاء يرفضون أن يكونوا دمية ضمن وطن يجمعهم بالشماليين المتغترسين الداعين للانفصال .
- ٦ - توسع الأفق الثقافي للشباب الاسباني وإتقانهم لبعض اللغات الأوربية .
- ٧ - هجرة الطلبة والعمال المسلمين بأعداد كبيرة إلى اسبانيا زيادة على الاتصالات الموسمية التي تنميها رحلة العمال المغاربة من أوروبا إلى المغرب عبر اسبانيا مما أتاح التعرف بهم والوقوف على كثير من فضائل المسلمين رغم ما يقال عن بعض سلباتهم .
- ٨ - نشاط بعض الدعاة الإسلاميين من أصل أوروپي أو عربي في أوساط الأندلسيين .

واقع الدعوة الإسلامية بالأندلس :

الإيجابيات :

إن واقع الدعوة الإسلامية له وجهان :

وجه مشرق مبشر ، ووجه كالح مؤسف .

أما الوجه المبشر بالخير فهو ما تحقق من أعمال إيجابية في مجال انتشار الإسلام في اسبانيا عموماً وفي الأندلس خصوصاً ، وتمثل هذه الإيجابيات فيما يلي :

١ - انتشر الإسلام انتشاراً لا بأس به في أوساط الشباب والأسر الاسبانية وأكثر ما يلاحظ ذلك في غرناطة حيث يوجد أكبر تجمع إسلامي اسباني وفي اشبيلية حيث توجد جماعة لا بأس بها ، وفي مالقة حيث توجد جماعة إسلامية صغيرة ولكنها تمتاز بالوعى الإسلامي الصحيح الأمر الذي صار يتجه إليه جماعة مسجد البيضا بغرناطة ، ويوجد بقرطبة أفراد قلائل ، كما كون الدكتور منصور وبعض إخوانه من الأطباء مع أسرهم نواة مجتمع إسلامي في كل من شلوبيين وموتريل ، كما يوجد مراكز بمديرين ولكني أجهل حقيقة نشاطه والقائمين عليه .

٢ - تأسيس مراكز ومساجد إسلامية يديرها الاسبان المسلمون أنفسهم في المدن المذكورة آنفاً . ماعدا قرطبة التي وجد الآن بها مسجد يديره مبعوث من رئاسة البحوث والإفتاء وهذه المراكز بعضها ناشئ وبعضها عريق نسبياً مثل مركز للجماعة الإسلامية التابعة لعبد القادر الانجليزي .

- ٣ - استقرار جالية إسلامية كبيرة باسبانيا وتمثل في المغاربة والمشاركة وبخاصة السوريين وهؤلاء هم أكثر وعيا بدينهم واهتماما بالدعوة وإسهاما لتأسيس الجمعيات والمراكز الإسلامية في مدن شتى وقد كان مد مبارك منذ سنوات وقبل الخلاف .
- ٤ - اهتمام زائد من الاسبان بالإسلام واللغة العربية واتجاه بعض الجامعات الاسبانية للتعاون مع بعض الجامعات الإسلامية بالمشرق .
- ٥ - نشاط لأبأس به في ميدان نشر الكتاب الإسلامي تأليفا وترجمة .

٦ - الاستعداد الطيب الذي تبديه بعض البلديات لمساعدة الجمعيات الإسلامية الناشئة ولا أحب هنا أن أذكر هذه البلديات مكتفيا ببلدية قرطبة التي يبدي رئيسها من التشجيع والمؤازرة ما يبعث على الارتياح رغم تعرضه لسخط الكنيسة ، ورغم كونه شيوعيا .

المعوقات والسلبيات :

١ - النشاط المكثف والشامل والمدروس للجالية اليهودية الاسبانية وسيطرتها على مراكز هامة في ميدان الاقتصاد والإعلام والفكر والجامعة للأحزاب السياسية والجمعيات الثقافية والكنيسة ، وقد تسلحت في كل ذلك بعدة أساليب ، ويكفي أن أذكر أن الإعلام بمختلف أنواعه أصبح في قبضة اليهود يخدم أهدافهم وينفذ أوامرهم في حين كان حضورهم أيام فرانكو محدودا في الخفاء ، ولم تكن الإذاعة ولا التلفزة تتيح لهم فرصة للدعاية أو الحديث عنهم مثلما تراهم اليوم ، وقد أقام اليهود أخيرا مهرجانا كبيرا عن اليهودي بن ميمون الذي يحمل فندق هام بجانب مسجد قرطبة اسمه وفي هذا الفندق نزل المدعون من المغرب لحضور مازعم من تدشين مسجد القاضي أبي عثمان بقرطبة ، كما نشطت الدراسات الجامعية عن اليهود الأندلسيين ، أما ما يتصل بالدولة الصهيونية فحدث عن الطوفان ولا حرج .

٢ - نشاط البهائية والقاديانية وقد ظهرت هاتان النحلتيان منذ أكثر من عشرين سنة ، وقد امتد نشاط البهائية إلى المغرب عبر مدينة سبتة ومليلة وتتركز إدارة البهائية في مدريد وجبل طارق ، وليست لنا دراسة عن نشاط هؤلاء وإنما آثارهم واضحة هنا وهناك ، وقد استطاع القاديانيون تأسيس مسجد في قرطبة ، أما البهائية فإن نشاطها أكثر في أوساط العمال المغاربة ، وقد استطعت الحصول على بعض منشوراتهم بالاسبانية كما أن هناك نشاطا جديدا ومتناميا للشيعة عن طريق بعض اللبنانيين والعراقيين .

٣ - تنازع الجمعيات الإسلامية واختلافاتها ولا سيما الانشقاق الذي امتد إلى بعض

الجمعيات الوافدة مما حدث في أصل هذا التيار ، وقد أثر هذا التنازع تأثيرا سيئا على سير الدعوة الإسلامية وضيع عليها فرصا كثيرة في مجالات المسلمين المدعويين إلى الإسلام .

٤ - انتهازية بعض الدعاة للدعوة الإسلامية أو افتقار بعضهم إلى سلامة الرؤية والتصور أو غياب الحكمة في حركته الدعوية مما أوقع هذه الحركات في الإخفاق فأعطى صورة سيئة عن الدعوة الإسلامية وأصحابها .

٥ - ضعف الجالية العمالية والتجارية الإسلامية وسوء تمثيلها للإسلام ومن المعلوم أن هؤلاء يعدون عشرات الآلاف إضافة إلى بعض مئات من الطلبة المسلمين الوافدين الذين اندمجوا في المجتمع الاسباني وهم في طريق الذوبان فيه .

٦ - سوء القدوة والمظهر الذي يبدو على جل السياح العرب الذين يعطون المثل الشائن والصورة الشنيعة عن المسلم ، وإن وسائل الإعلام لتستغل بعض مظاهر البذخ والإسراف والترف والانحراف لتشره متضخما مكبرا في أسوأ إخراج مما يجعل المسلمين الاسبان وغيرهم في حرج ، كما أنه ينفر الآخرين من الإسلام ، وما أمر السطو الذي وقع على أموال العرب وحلبهم وكنوزهم في بعض البنوك بجنوب اسبانيا بعيد ولا بمنسي ، وقد أسدل الستار على هذه الفضيحة ولكن الناس هناك أضافوها إلى دفتر معلوماتهم عنا وعن حقيقتنا وهناك مئات الأخبار والتعليق والاستعراضات وغيرها في هذا المجال .

٧ - المقاومة الكنسية المنظمة بالتعاون مع عناصر أخرى للدعوة الإسلامية من ذلك حربها لكل من يساعد الدعوة الإسلامية وتشهيرها بفضائحنا وإقدامها على إقامة بعض المناسبات التي كان يجب أن يقيمها المسلمون مثل تخليد ذكرى تأسيس مسجد قرطبة ، ويدخل في هذا الإطار تأسيس جامعة عربية للدراسات العليا في اشبيلية عاصم الأندلس الحالية من طرف السوق الأوروبية المشتركة وإسناد إدارتها لشخصية هامة في الحزب الديمقراطي المسيحي الألماني .

٨ - انشقاق الجماعة الإسلامية الاسبانية الأولى بسبب رفض الأكتريه لقيادة الانجليزى عند القادر ، كما أن هذا قام بتصفية كبيرة لجماعته بطرد عدة أفراد منها ، وقد نتج عن ذلك تشتيت المسلمين وتجريدتهم من قوة الوحدة كما أن سلوك هذا الرجل واضطرابه في اختياراته الفقهية والعقيدية وفي توجيهاته لجماعته جعلت الشك يحوم حوله .

٩ - غياب التنسيق الإسلامي والعربي على الصعيد الدبلوماسي مما ضيع على المسلمين بناء مسجد مدريد الذي منح فرانكو أرضه إلى المسلمين كما منح قطعة أخرى لليهود ، فبني اليهود معبدهم وبقي مسجد المسلمين دون بناء بسبب الخلافات بين السفارات العربية بالأخص .

ثم إن الأحداث المؤسفة التي تقع بين المسلمين في الشرق والغرب تعكس صورا مشوهة عن العالم الإسلامي وعن الإسلام ، وإن وسائل الإعلام المعادية تستغل ذلك .

الاستراتيجية مقاصد ووسائل

أولاً : تكوين الدعاة من الاسبانيين أنفسهم وتولية أمر الدعوة لهم ويمكن تحقيق ذلك بما يلي :

- ١- إلحاق المستعدين منهم بالجامعات الإسلامية الملتزمة ووضع برنامج خاص لهم على هامش الجامعة وإحاطتهم بعناية خاصة حتى يعدوا إعداداً علمياً وحلياً ليعودوا إلى بلدهم وهم في المستوى المطلوب .
- ٢- إنشاء معهد للدعوة الإسلامية بالأندلس يحتوي على قسم الدعوة وإعداد الدعاة قسمًا لتعليم الكبار أمور دينهم .
- ٣- إقامة مخيمات موسمية للإعداد والتكوين .

ثانيًا : إنشاء مدرسة إسلامية ابتدائية وثانوية داخلية وجناح خاص بالذكور وجناح خاص بالبنات ، حتى يمكن أن ننشئ النشء الإسلامي في جو وبيئة إسلامية وإعداده لمواصلة دراسته العلمية في حصانة وحفظ .

ثالثًا : تأسيس معهد علمي للدراسات الإسلامية والأندلسية على غرار المعهد المصري والمعهد العربي الاسباني مع اختلاف في الأهداف ، مهمته تعليم العربية والتعريف بالإسلام لغير المسلمين والراغبين في تعلم العربية ومعرفة الإسلام ، ونشر وترجمة أهم ما يمس الإسلام والدعوة إليه وربط العلاقات بالأوساط الجامعية طلابًا وأبحاثًا والدخول في التعاون مع كبار الشخصيات الثقافية والجامعية الاسبانية ، كما يفعل اليهود ، ومؤازرة الكراسي والأقسام المهمة بالعربية والإسلام وتنظيم محاضرات وندوات ومؤتمرات في موضوعات إسلامية تهتم الاسبان ولا سيما في التراث المشترك بيننا وبينهم وهو التراث الأندلسي وتوجيه الدعوات إلى كبار أساتذة الجامعات الاسبانية لزيارة البلدان الإسلامية لتوثيق العلاقة بهم .

رابعًا : تزويد المسلمين بأهم ما يعرفهم بالحياة الإسلامية من كتب وشرائط وفيديو وترجمة ما يجب ترجمته إلى لغتهم .

خامسًا : تعيين دعاة هناك يحسنون لغة القوم تتوافر فيهم شروط الداعية صاحب الرسالة ، وتنظيم رحلات لبعض الدعاة خلال السنة يتفقدون أحوال المسلمين الجدد ويعلمونهم ويرشدونهم .

سادسًا : العمل على تعليم الاسبان الفقه على ما أسلموا عليه وبما أنهم أسلموا على يد بعض المالكية وساروا على مذهب إمام دار الهجرة فمن الخير المحافظة على مذهبهم الفقهي مع الابتعاد عن إثارة الخلافات والجدل في الدين ، على أن نعلمهم أن المذهب لا يعني مخالفة الثابت من السنة فما ثبت منها فهو من صميم المذهب كما يصرح بذلك الإمام مالك ولا يسعه أن يفعل إلا ذلك لأنه باتباعه للرسول ﷺ صار إماما .

سابعًا : تسهيل زواج رجالهم بالمسلمات الداعيات إلى الله وقد أقدمنا نحن في المغرب على هذه التجربة ويبدو أنها ستعطي ثمارها المرجوة إن شاء الله والمهم عندنا هو أن تكون المرأة المسلمة الداعية قائدة الأسرة وموجهة الأطفال ، وتستطيع أن تقود النساء المسلمات الاسبانيات .

ثامنًا : العمل على توحيد الحركة الإسلامية ذات الأصل العربي ، أو على الأقل إيجاد نوع من التعاون والتنسيق فيما بين الفرق الموجودة مع دعمها دعما ماديا ومعنويا لأن أصحابها يكونون رصيدا إسلاميا هاما لا سيما أولئك الذين اضطروا للتجنس بالجنسية الاسبانية .

تاسعًا : توحيد الجمعيات الإسلامية الاسبانية القائمة على شكل فيدرالي ذي مجلس أعلى ورئيس واحد يثق في دينه وخلقه وعقله وقدرته على الإدارة والتسيير والدعوة ، ويمكن ضم الجمعيات الإسلامية ذات الأصل العربي إلى هذا المجلس عندما تزول أسباب الخلاف بينها حتى تضمن السلامة له .

عاشرا : إحداث لجنة إسلامية دائمة تتكون من عناصر إسلامية باسبانيا والمغرب وتونس (الشيخ النيفي) والسعودية والكويت والإمارات (سماحة الشيخ أحمد عبد العزيز المبارك) مهمتها الإشراف على شئون الدعوة في اسبانيا والتشاور في أمور الدعوة بها وتقديم النصح والإشارة للجهات المعنية والقيام

بدراسات علمية عن سير الدعوة وكل ما يجد بها نفعاً أو يعوق سيرها .

حادي عشر : فتح نافذة إعلامية عن طريق التلفزة الاسبانية للتعريف بالإسلام ويقوم بهذه المهمة من هو أهل لذلك علماً ولغة ، ويمكن اعداد متكلمين من الاسبان أنفسهم بعد تزويدهم بالأفكار التي يراد نشرها عبر الجهاز الخطير ويمكن وضع خطة إعلامية شاملة .

ثاني عشر : مساندة الدار الإسلامية الخاصة بالاسبان التي أسستها جمعية الدعوة الإسلامية بشفشاون وتحويلها إلى مراكز للتربية والتكوين والإعداد .

ثالث عشر : تشجيع الحج والعمرة ، أما الحج فبالنسبة لمن حسن إسلامه وأما العمرة فبالنسبة للمسلمين الجدد المؤلفة قلوبهم .

رابع عشر : إنشاء مؤسسات اقتصادية مربحة وبذلك يتوفر العمل لمن حسن إسلامه من الاسبان وتخصص نسبة من الربح للدعوة الإسلامية .

وهناك اقتراحات أخرى يمكن أن تقدم أثناء انعقاد هذا المؤتمر العام .

والله الموفق ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

الحوار الإسلامي - المسيحي بين المبدئية والعيش

الدكتور بهيج ملاحويش

الحوار الإسلامي - المسيحي بين المبدئية والعيب

د. بهيج ملاحويش

يقول تعالى : « في سورة إبراهيم - الآية ٢٤ - ٢٦ »

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ .

وفي حادثة إسلام عكرمة بن أبي جهل رضى الله عنه عبرة :

« لما دخل رسول الله ﷺ فاتحاً جاءته أم حكيم بنت الحارث بن هشام - زوج عكرمة - فأسلمت ثم قالت : يا رسول الله : قد هرب عكرمة خائفاً ، أمنه .
قال ﷺ : هو آمن .

فأدركته وهو يهيم ركوب السفينة ثم عادت به إلى مكة ، وقبل وصوله قال ﷺ :
يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً ، فلا تسبوا أباه ، فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت .

فلما دخل عليه قال : يا محمد . إن هذه أخبرتني أنك آمنتني .

قال : صدقت ، فأنت آمن .
قال عكرمة : فإلام تدعو يا محمد ؟ ... »

الجاهل عدو نفسه

الطامة كل الطامة أن يقاتل رجل رجلا عشرين عاما وهو لا يعرف لماذا يقاتل ، والجهل كل الجهل أن ينفق ماله وعمره ويدفع بقومه وأهله إلى الموت دونما معرفة للقضية ، بل الأدهي من هذا أن يهجر أهله وأرضه ويهيم مع الهائمين من غير أن يعمل فكره لحظة واحدة بعيدا عن أجواء الحقد والكراهية والغوغاء ... فيسأل : يا محمد ، إلام تدعو الناس ؟

والحكمة كل الحكمة أن يتمكن المرء من أمره وينزل إلى مستوى مشاكل الناس ويعالجها فيما يحفظ للمجموع مضاعفات الحلول القاطعة ، التي تقطع القلوب والأرقاب ..

- يا رسول الله لقد هرب عكرمة فأمنه .
- هو آمن .
- يأتاكم عكرمة بن أبي جهل ، فلا تسبوا أباه .
- سلني يا عكرمة ، فأني لا أرد لك اليوم طلبا .
- استغفر لي كل عداوة أو مقام أو كلام قلته فيك .
- اللهم اغفر لعكرمة ما نال مني في وجهي أو أنا غائب .

بهذا المشهد المهيّب بين زعيم الكفر ونبي الحكمة يسدل الستار على الحوار الذي انتهى إلى أجمل نهاية يصل إليها طرفان .

« يا رسول الله : أما والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في الصّد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها . ولا قتالا إلا أبليت ضعفه » .

عناصر الحوار الناجح

هذا الحوار الناجح لم يكن وليد الصدفة بل نتاج الحكمة ، توفرت شروطه فكانت النتيجة المنطقية له وهي الوصول إلى هذا الموقف الصريح الذي كان له ما بعده .

- فلقد كانت هناك - قضية واضحة هي موضوع الحوار .
- وكانت هناك : - شروط توفرت لبدء الحوار .
- وشروط توفرت في المتحاورين .

وهذه القضايا الثلاثة ، موضوع الحوار ، وشروط الحوار ، وشروط المتحاورين ، هي القضايا الرئيسية الثلاثة التي هي موضوع بحثنا في محاولات الحوار القائمة بين المسلمين والمسيحيين اليوم .

وإذا اعتبرنا أن الحوار الإسلامي المسيحي النظيف والمحاولة الهادئة والهادفة إلى تخفيض حدّ الحساسية بين الجانبين لما فيه خدمة أجواء السلم الاجتماعي والبحث عن نقاط الألفة في خضم بحر لجي من المواقف الفردية والجماعية وبغض النظر عن السوابق العدلية في تاريخ الفكر الغربي وفي مواقفه وملاحمه ، ومع معرفتنا الأكيدة أن شموع النور هي أضعف من أن تستمر متقدة في دياجير الفكر الأوربي أمام مداخل الحوار معنا .. فإننا مع ذلك لا نقط من قدرة الإنسان وإمكانية تفتحه على نور الحقيقة إذا ما نحن بحثنا عن مداخل النفس البشرية ومنافذ المجتمعات المغلقة بأوصاد الحقد والعنصرية والعنجهية .

والإسلام اليوم مدعو للحوار في أوروبا وغيرها من أكثر من جهة وأكثر من منبر ، كما هو مطلوب للنزول في أكثر من بلد وأكثر من معمرة .. وبين هذا وذاك محاولات متباعدة للكسب من الأوضاع القائمة في المجالات السياسية والحزبية والنقابية لصالح فئة معينة تتطلع لربح أصوات المسلمين وتسلم إدارة المؤسسات .

فضيلة الحوار .. والشبح « الإسلامي » في أوروبا

وذاكرة الفرد المسلم تستجمع وتسترجع مشاهد كثيرة في محاولة منها لاستشفاف المواقف والنوايا ، حتى إذا ما وقفت على يابسة بادرت إلى فضيلة التحوار والتجمع على ما فيه خير المجتمع وسلامته .. فنحن نذكر كلمات البابا وزياراته المختلفة لبلدان المسلمين ، ونذكر كذلك كلمات لوين وموقف بعض الأحزاب الأخرى من الوجود المسلم في أوروبا بين متحفظ ومتفهم ، كما أننا ندرس بكل رزانة وحصافة انشغال أجهزة الإعلام والثقافة الأوروبية بقضية الإسلام في أوروبا ومدى تأثيره على (الأصول الثقافية الأوروبية) التي وصفها البعض أنها أصول يهودية - نصرانية فقط ، أي بمعنى أن الشعوب والأفراد الذين لا ينتمون إلى هاتين الثقافتين غير معينين ولا جديرين بالعيش معهم .

نترفع عن كل هذا وذاك ونلاحظ بين ركाम الحضارة الإنسانية القائمة بل ولا نعدم الجهد أن نبحت حتى في نفايات هذا المجتمع عن اليد المخلصة والكلمة المطمورة والعين المتوارية لنمد معها جسور التفاهم ، نعرفها بأنفسنا ونتعرف عليها في محاولة منا لإنقاذ

الساحة من التشنّج الإعلامي والجنوني الدعائي الذي لا يفكر بالغد وما يمكن أن يجر من خير أو شر .

إننا لا نتجنّى إذا قلنا إن الساحة الأوروبية مصابة اليوم بهستيريا التخوف من الوجود المسلم وإن العالم المسيحي في أوروبا قد انتابته أعراض العصبية الفكرية ، وأنه يحتاج إلى تطهير وتعقيم للوصول به إلى الصحة النفسية وإفهامه أن ما أصابه من حمّى الخوف والخشية من الوجود المسلم في أوروبا ما هو إلا نتاج التلقي المغلوط والتقييم المغلوط .

وإذا ما أصغنا السمع لنداءات الحوار القائمة اليوم فإننا نذكر أنفسنا وغربنا أن فضيلة الحوار مع العالم المسيحي نحن أصحابها ، وأن أيادينا في الدفاع عن النصرانية الحقة تشهدها وهاد مكة وأن قوله الحق فيهم قد كلفتنا دماء ورجالا ، ولكن للحق ثمن ، وقد دفعناه منذ اليوم الأول للدعوة الإسلامية ولم تقابل بالمثل ، بل قوبلنا - عندما مالت كفة القوة إليهم - باستعمار بلادنا وتشريد أبنائنا والعبث في مستقبل شعوبنا وأبنائنا .

المبادرة الحضارية الأولى وثمن الدفاع عن النصرانية

ولنعدّ بذّاكرتنا إلى الصدر الأول من الإسلام لنرى أن رسول الله ﷺ دعا أهل الكتاب إلى مائدة المفاوضات بنداء الله جلّ وعلا :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ .. ﴾ (آل عمران ، آية ٦٤)

بل إن المبادرة الأولى كلفت الثلة المؤمنة عنت مجابهة الجهاز الإعلامي والاقتصادي اليهودي المتحكم بالجزيرة العربية آنذاك ، إذ هو أعلن تيرّة المسيح وأمه عليهما السلام مما ألصق بهما هذا الجهاز من افتراءات أوصلها إلى مرتبة الحقائق في أذهان عرب الجزيرة . ولقد جاء الإسلام لي طرح قضية لم تكن تشغل بال الناس في مكة وما حولها ، ولم يعرها الناس قليل اهتمام . فساحة التوحيد كانت مقتصرة على اليهودية وأديان العرب على ما فيها من شرك وإشراك .

بل إن الإسلام أقحم المسلمين في قضية خاسرة في موازين الناس وكان في غنى عن مواجهة اليهود بدفاعه عن النصرانية الحقة ، ومنطق الأشياء كان يقتضي من الثلة المسلمة تقليل أعدائها ، ولكن الحق رائدها دوما ، فارتضت رضية مطمئنة إلى دفع ضريبة كلمة الحق ، وكَمْ هي باهظة هذه الضريبة في كل الأمصار والأزمان .

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ . (البروج، الآيات ٤ - ٨)

فالنصارى لم يمثلوا قوة عديدة بشرية ، ولا قوة فكرية مهيمنة ولا قوة اقتصادية متحركة ، حتى أن قبائل العرب المنتصرة على تخوم الروم ما كانت إلا قبائل تحالفات عسكرية بين السيد والعميل تماما كما هو الحال اليوم بين دول كثيرة باسم المعاهدات الاستراتيجية أو الدفاع المشترك أو غير ذلك من أسماء ونعوت لا تخرجها على أية حال من إعطاء البيعة للسيد الأجنبي ليكلفها بالقيام بدور كلاب الاستطلاع و كلاب الصيد ، يروعون كل آمن وينهشون كل أمين ، يأتون له بالصيد من أجساد إخوانهم على مذابح النخاسة ، والحسنة ، ليجلوه ويوقروه ويسمنوه ، ثم لا يتلکأ يوما أن يحرق الرفاق على من استأثر ببعض الصيد أو طالب به .

﴿ أَلَمْ * غَلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَذْنَى الْأَرْضِ * وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ * اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ * وَمِنْ بَعْدُ * وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (الروم ، الآيات ١ - ٤)

ثم إن قبائل العرب في ذلك التاريخ لم تكن تمثل قومية ولا تنزع لها ولم تفكر بوحدة المصير ولا وحدة الهدف ، إنهم حديثو عهد بداحس والغبراء وخوفهم من الأقارب مقدم على عمالتهم للغرباء فما كان هم العرب كسب ود القبائل المنتصرة على حدود فلسطين والأردن ، بل إن اليهود كانوا أقرب منهم إلى قريش ، فأسماءهم عربية ، وبيوتهم وتجارتهم في قلب الجزيرة العربية ، لا يزارعهم في عروبتهم ونسبهم إلى إبراهيم الخليل أحد .. حتى جاء القرآن الكريم ليعلن :

﴿ إِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ (آل عمران ، الآية ٦٨)

وهكذا نرى أن الإسلام قبل مواجهة اليهود والمشركين معا في قضية النصرانية دوغما عائد على الدعوة ولا على أشخاصها ، بل إن الموقف أزم العلاقة مع الجهاز الإعلامي والاقتصادي المتحكم بأمر القرى حيث أخرجه من إطار كلمة الحق والرشاد إلى إطار قضية وطنية بأبعادها السياسية والعسكرية . فالنصرانية كانت حاضرتها الروحية في الحبشة ، والحبشة كما هو معلوم هي العدو التاريخي أو العدو التقليدي للعرب منذ أيام أبرهة كما هي كذلك العدو التقليدي لليهود منذ أيام الأخدود .

وهكذا انحاز اليهود كلياً إلى صف المشركين تحريضهم امتيازاتهم السلطوية والاقتصادية المهددة إضافة للتهديد الجديد في عقيدتهم وفكرهم وأمنهم ، فطفح كيلهم وعيل صبرهم ، فأعلنوا كتابهم الأسود بعنوان :

« هؤلاء أهدي سبيلاً »

هكذا نرى أن البادرة الحضارية التي قام بها الإسلام في الحوار مع المعتقدات الأخرى لم يسبقه إليها دين ولا أمة .. فالقول الفصل كان للقوة وما اعتادت الأمم على الحوار سبيلاً لا في مواقف القوة ولا في مواقف الضعف ، وقد تعارفوا جميعاً على حق المنتصر في فرض شروطه والتمتع بانتصاره .

وهكذا نرى أن النزوع للحوار عدا عن أنه أصل أصيل من أساليب دعوتنا ، فإنه لم ينطلق من فراغ ولا يهدف إلى العبث في عقول الناس وأحوالهم ومصائرهم كما يعرف أيضاً هذا الأصل الأصيل ثمن يدفع ، لا من فضلة الأموال وصدقات المتخمين ، بل من قواعد استقراره وأمن أبنائه أو بكلمة أخرى لم يكن حوار مترف ولا حوار عبث ولا حوار السيد والمسود .

بهذه الأخلاقية وبذلك الثمن واجهنا العرب واليهود وفارس والروم دفاعاً عن قضية الحق والعدل ... ولكن ؟

ما هكذا توفي الديون

نقول وبكل أسف - والتاريخ شاهدنا - إن النصرانية ما قابلتنا بالجميل ، إذ **ولكن** كانت طلائع الاستعمار في بلادنا وظله الظليل ، فهم الذين حرشوا على غزو الخلافة العباسية تحت الشعار الأسود السابق :

« هؤلاء أهدي سبيلاً »

ودخلوا مع جحافلهم دمشق يرشون ثياب المسلمين ومساجدهم بالخمير .. ولكن عقاب التاريخ للشرا أعاد التتار رسلاً للإسلام إلى أقاصي الشرق .

ودخل النبي فلسطين وتوجه إلى بيت المقدس ليعلن أن الحروب الصليبية قد أنهت الآن .

ودخل الجنرال غورو دمشق فتوجه لتوّه إلى قبر صلاح الدين ليركله قائلاً : .. قم يا صلاح الدين ها قد عادت خيولنا .

ناهيك عما فعلوه في الجزائر والمغرب وعن محاكم التفتيش وعن حروب أوغندا وجنوب السودان والفلبين وبيافرا ، إلى آخر ما هنالك من مخاز معلقة على سلم التاريخ .. وجدير بنا أن نذكر أن لفظة الحوار ظهرت للمرة الأولى في أيام بولس السادس في رسالته

المشهورة بتاريخ ١٩٦٤/٨/٦ ، وتعود اليوم لتكبل بكلمة لاحقة - التبليغ والتبشير ، ثم تتبع بقيد آخر هو التنصير .

فهل الحوار شكل من أشكال التنصير ؟

إننا لا نسيء الظن ولكن من حقنا أن نطلب تفسيراً .. ؟

ثم ما معنى العبارة البابوية : إن حياة المسيح تحتوي على كل عناصر التبشير وهي : الصمت والعمل والصلاة والحوار والتبليغ ...؟ ومع ذلك فنحن اليوم إذ نغض الطرف عن كل هذا امتثالاً لقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَرْزُقْهُ وَلَا تَزِرْ وَزِرَتَهُ أَثْقَالًا ﴾ (الزمر ، الآية ٧)
﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾ (الأنعام ، الآية ٢٥)
﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ، قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ (المنافقون ، الآية ١)

امتثالاً لكل هذا ننازل الآخرين دفاعاً عن الحق وهتكا لستر الباطل وإزهاقاً له وتبياناً لعيوبه ، ومحاولة للوصول إلى بساط التفاهم ومائدة الحوار الهادف الصادق ، واضعين في اعتبارنا أن هناك عقبات في طريق هذا الحوار لابد من تذليلها قبل الوصول إلى طاولة النقاش حتى يكون حديثنا متخففاً من الأثقال والالتزامات الاجتماعية أو السياسية أو التنظيمية .

يقظة الضمير المسيحي والتدريب على فقدان الذاكرة

إذا سلمنا بأن الاستعداد للحوار من الجانب المسيحي سببه يقظة الضمير المسيحي الحديث ومثوله أمام كرسي الاعتراف الحضاري ورغبة في التكفير أو رغبة في غسل يده من الجرائم الحضارية أو استعداده لرد المظالم ، فإن علينا اليوم أن نتعاون جميعاً لغسل الذاكرة المسلمة مما حفر فيها بالمثالب النصرانية المتطرفة ، أو من ادعى نسبة إلى الدين الذي يدير خده الأيسر لمن يصفعه على خده الأيمن .

علينا أن نتعاون جميعاً لتخدير الذاكرة المسلمة أو على تدريب المسلمين على فقدان الذاكرة ، وكم هو صعب على أمة من الأمم أن تسمى لتدريب أبنائها على فقدان الذاكرة وهي تسمى حينئذ للتسامي فوق الجراح وفوق الآلام ... فالذاكرة المسلمة إذا مدعوة مرة أخرى لدفع ثمن التقارب الإنساني والتعامل البشري على أساس آدمية الإنسان كإنسان .

فنحن نحتاج إلى أطباء قادرين على معالجة هذه الذاكرة ومساعدتها وشفائها . نحتاج كذلك إلى القادرين على رفع مستوى وعي الفرد المسلم في أوروبا وغيرها وإخراجه من الهامشية التي

يعيشها وانتشاله من بؤرة النقد والتجريح لكل ما حوله دونما استفاقة لوضعه ومستقبله .

ندأؤنا هذا لا يمكن أن يفسر على أنه دعوة لإماتة الحس المسلم كما أنه لا يعني أبداً أن فضيلة الحوار التي ندعو لها صادقين مرشحة لتعطيل فضيلة الجهاد ، فليس لأحد أن يأخذ علينا في هذا مأخذاً ، فالحق لا بد له من قوة تحميه وتدفع عنه .

نحتاج أيضاً إلى القادرين على تربية المسلم المغترب على التعامل الواعي مع محيطه وليس التعامل العاطفي - تعامل المراهقين - في الحب والكراهية ومساعدته على النضوج في العواطف والأحاسيس وتقدير عواقب التصرفات الفردية والجماعية ، كل ذلك وفق منهجية أخلاقية شريفة في التعلم والتدريب ... وعلى المؤسسات الإسلامية أن تعي وتقوم بدورها الفاعل والمؤثر بالنصح والإرشاد لا بالترغيب والترهيب .

العبث العلمي عمره خمسة عشر قرناً

هذا من جانبنا ثمن الحوار الذي ندعو إليه ، وهو ثمن ليس بالرخيص ، وسيكلفنا شيئاً من أعصابنا و شيئاً من سمعتنا ، ونحن نواجه الفقة التي تتخذ من التاريخ مرجعاً لتقييم تصرفاتها الحاضرة وتعاملاتها المستقبلية ، كما ستعرض علينا أولئك الذين مازالوا يلعبون دماءهم وجراحهم ندية من ظلم المتطرفين والمتعصبين ... ولكن لا علينا فدعوة الخير لا بد وأن تصطدم بجدران صلدة بنتها ودافعت عنها أيادٍ كثيرة ، فهي استمرار لمبادرة المسلمين الأولى القائمة على قواعد الحق والإيمان والقوة .

أما من جانبهم فعليهم أن يفعلوا ما استطاعوا لإيقاف هذا الهذيان الجماعي ضد الوجود الإسلامي .

- العمل على الحد من تحريش السفهاء والاعتداء على المسلمين وظلمهم .
- العمل على إعادة صياغة الفكر المسيحي بما يتناسب وحقائق الأشياء ، وإخراجه من عالم الاحلام الذي صاغه من نسيج الأوهام والرغبات والأطماع .
- وأخيراً ، إذا كانت الرغبة صادقة في إخراج قضية الحوار الديني الفكري من أزمتة لا بد من التوقف عن العبث التاريخي والعلمي في وصف رسالة الإسلام ونسبها إلى بدعة إنسانية ، فلو كان القرآن الكريم اقتباساً من الإنجيل أو من صنع محمد ﷺ كما يقول موريس بوكاي - لكان المسيح أولى بالاتهام بخدعة الناس باستلهامه الإنجيل من التوراة .

من الجدلية الكلامية إلى صياغة السلوك

- وعلی هذا فإن التوجه الصادق الذي نتوجه به ، يهدف إلى :
- إخراج قضية الحوار من الجدلية الكلامية إلى صياغة السلوك .
- الخروج من التعليلية إلى بسط الحقائق المجردة والتسليم لمبضع الحكمة والحق لاستئصال الداء المتعفن .
- إنه مطالبة للتخلي عن النقاش الفلسفي النظري والتقدم خطوة في الطريق العملي على الدرب الصحيح ، أو بصياغة أخرى ، التحول من فلسفة الإسقاط لصيغته اللغوية في محاولة يائسة للدفاع عن مواقف الأنا والأنانية ، لتبرئة الممارسات الخاطئة بقصد إنقاذ السمعة .
- وأخيراً الإفراط في تقييم الذات وتناول الشخصية المزمن الذي أصيب به العقل المسيحي في القرون الماضية على حساب الشعوب المسلمة المكبلة بقوة الحديد والنار والمحكومة بشريعة الغاب التي جاءتنا على أسنة رماحهم .
- من هذه المنطلقات نعتقد أن الحوار الناجح أو أن ضمان نجاح الحوار وترحزحه من مستنقعه الحالي يتطلب حكماً أن يتوفر المتحاورون على جملة من الشروط نذكر منها :

شروط يجب توفرها في المتحاورين :

- ١ - أن يكون المحاور من أصحاب الأيدي البيضاء في هذا المجال كيما يكون الحوار سليماً من الخلفيات الفردية .
- ٢ - أن يأتي بالفكر المفتوح والقلب المفتوح ، بروح سليمة من الشك في النوايا أو عدم الثقة بالآخرين ، ولا بأس أن تكون معتزة ولكنها غير مغترية ، أنفة ولكنها غير متكبرة ، مجادلة ولكنها غير معاندة .
- ٣ - أن تكون مقتنعة بفضيلة الحوار وما ينجم عنه ، حتى لا تضيق الأوقات سدى وتجهض محاولات التقريب الجادة فلا تؤول إلى عقود زمنية أخرى .
- ٤ - أن تبدي استعدادها للمشاركة اللاحقة وتبني الدفاع عن حقوق الأقليات في الجانبين فنحن في بلادنا رغم قلة وضآلة الأقليات النصرانية منحناهم حقوقاً ما نالها المسلمون ، وكرمناهم ضيوفاً في أرضنا وأشركتناهم في إدارة دفة بلادنا .. فهل فعلوا ما فعلنا ؟

٥ - أن يبدأ الطرفان بتهيئة الأجواء الصحية لإقامة هذا الحوار وذلك بالحد من شطط المتطرفين وغلواتهم ، وعدم الاشتراك أو المساندة من موقع القيادات الروحية للتمردات المسلحة باسم الدين أو اقتطاع الأراضي الوطنية بحجة الدفاع عن الحقوق الطائفية فضلا عن تحريش القوة العاشمة للقضاء على الوجود الإنساني لجماعة ما بسبب انتمائها الديني .

وعلى كل حال لا نعتقد - على المدى المنظور - أن يتمكن كل طرف من إقناع الطرف الآخر بوجهة نظره بل يكفي أن يقدم كل منهما هويته ويبين موقعه ويعبر عن نفسه ويسمى للبحث عن النقاط المشتركة ويلتزم بأقل ما اتفق عليه .

شروط الحوار على الطرفين :

الطبيعي القول إن الهدف من الحوار ليس دمج الإسلام بالمسيحية على المدى **من** البعيد أو القريب بل إن آفاقه تكتمل بتضييق مساحة الاختلاف ومنع التقاتل حتى لا تتكرر مأساة الحروب الصليبية والحرب اللبنانية .

كما أن الهدف منه ليس إقامة جبهة ضد التحدي العلمي أو الاجتماعي للدين فنحن لسنا معنيين بقضية الصدام بين ما ارتضاه الجانب المسيحي واعتبره جزءا مقدسا من الديانة المسيحية وبين الحقائق العلمية الثابتة ، فقضية الحرب هذه بين الكنيسة والعلم والتي كان من آثارها تأخر الفتوحات العلمية الحديثة قرونا لا يمكن أن نشارك بها لا سلبا ولا إيجابا لأننا نعتقد صادقين أنها جريمة مشتركة بدأت جهلا وتعتنا وانتهت انتقاما وتعديا ، ونهيب بالجانبين العلمي والكسبي الاحتكام للحق والاعتراف والتراجع عن مواطن الزلل .. ولا يحق لأحد مطالبتنا بالوقوف إلى جانب الكنيسة ضد التطور العلمي ولا العكس كذلك ، ففي غمرة الصراع بينهما وتدهور العلاقات بينهما نرى اتفاقا واتساقا بين التطور الحديث والأصول الإسلامية الثابتة ، بل نرى - في غمرة الأزمة القائمة بينهما - صحوة إسلامية تعم الأرض مشرقها ومغربها وصدق تعالى إذ يقول :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت ، الآية ٥٣)

- إن أهم شروطنا للحوار هو : ألا تكون المحاورة مهرجانا ثقافيا تضييع فيه الأفكار مع المراسيم ، ولا تطفئ العواطف على الحقائق ولا الآمال على الواقع .. فإن لم يكن كذلك فسوف يكون تهريجا أو مزايمة أو هوا .

- أن يكون الهدف هو الوصول معا إلى ساحة السلم والنور ، مرتضين المنطق العلمي سبيلا بقصد توحيد لغة التخاطب .

-- أن يفصل بين مفهومي طلب الحوار وطلب السماح بالتبشير تحت مظلة التسامح الديني ،
فهما قضيتان مختلفتان لا يجمع بينهما جامع ، لا من حيث الأهداف ولا من حيث الوسائل
والأشخاص .

- أن يخرج الحوار من الإطار التجاري التبادلي أو السياسي التنازلي - هذا مقابل ذلك - فنحن
أصحاب رسالات سماوية تسمو فوق المنافع المادية وتسعى في الأصل لنيل رضوان الله ..
ولكل طرف الحق أن يراجع مواقفه وفق ما يرتبه ، فلماذا الطلب المسبق باعتبار فتح باب
الاجتهاد مقابل اعتماد وثيقة المجمع المسكوفي الثاني . إننا فعلا لا نرى مجالا للمقارنة
والمطابقة وليس لأحد أن يطالبنا بتغيير منهجيتنا ، لأنها أمور تعالج من داخل الصف
المسلم ... أما أن نطالب بمراجعة بعض الكتب التي تشتم الديانة المسيحية فهذا حق ونحن
ننكر القذف ونطالبهم الشيء نفسه ... فهل هم قادرون ؟

- نأمل أيضا ألا يمنح الحوار إلى حصر جهود المسلمين والمسيحيين في مواجهة الشيوعية ،
فهذه مناورة أمريكية قديمة ، الهدف منها أمركة الدعوة الإسلامية كما فعلت مع النصرانية .
فنحن لنا هويتنا وطريقتنا في التعامل مع كل الفئات الاجتماعية والسياسية ، ولا نحتاج
لقوالب فصلت على أقدام معينة ، بل لا بأس أن تتوحد جهودنا ضد الظلم بكل أشكاله
وضد العنصرية بكل أشكالها ، وتشكيل جبهة ضد الظلم أنني كان هو من صميم رسالتنا
ولا يمكن بأي حال من الأحوال التحالف مع ظلم أدنى ضد ظلم أكبر ، إذ لا يوجد ظلم
سيء وآخر حسن ، فالشيوعية بالنسبة لنا ليست الجهة الوحيدة ولا الايدولوجية
الوحيدة التي تتحدى الإنسان وقيم السماء . بل إن هناك من لا يقل عنها عداء وتحديا
للوجود الإنساني ذاته وهي جديرة بأن تكافح وتنافح . وعلى هذا فلن يكون الحوار
صحيحا إذا كان هدفه إقامة جبهة سياسية أو اجتماعية ضد حزب من الأحزاب أو طبقة من
الطبقات .

- إذا كان الحوار متكافئا ، فلا أقل من الاعتراف المتبادل الصريح بشرعية وأهلية الإسلام
كدين سماوي منزل ، كما اعترفنا مسبقا بالنصرانية دينا منزلا ، بغض النظر عما لكل طرف
من تحفظات على الطرف الثاني . وقضية كهذه قد تنهي الاقتتال في كثير من البلاد بسبب
الانتماء الديني وتوقف محاولات تقسيم الأرض وبتروها واضطهاد أبنائها .. وهذا ليس طلبا
لنصرة أبدا بل هو الدفاع عن آدمية الإنسان مسلما كان أم نصرانيا وحقه في العيش الحر
الكريم .

- أن لا يساء استخدام الحوار للاستدلالات التبشيرية مجتزأة ، بل عرض الحقائق كاملة من

غير تخرج ولا تخوف .

— وأخيرا أن تساهم النصرانية في الدفاع عن قدسية القدس . لا نقول هذا من منطلق سياسي بل من منطلق عقائدي اعتقادي هدفه إحقاق الحق ورد الظلم .. لأنها إن لم تفعل اليوم وتوقف العبث الصهيوني في المقدسات الإسلامية فسوف يأتي دورها ليعثر اليهود المقدسات المسيحية كما فعلوا بمقدساتنا . والحق الصهيوني ليس له حدود .

بهذه المسوغات يمكن استئناف الحوار ويمكن أن يثمر الحوار ويمكن أن تقترب المواقف ويمكن لنا أن ندافع عن عجلة الحضارة الإنسانية لتطوي المسافة وتطوي الزمن .

وأخيرا .. همسة بين الصفوف .. أما أن لنا أن نطرح قضية الحوار بين المسلمين أنفسهم بعد أن سئنا حوار المدافع والشتائم سؤال أتركه معلقا ونخشى الله في أنفسنا .. وصدق تعالى إذ يقول :

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الحديد ، الآية ١٦)

(صدق الله العظيم)

الفصل الثالث

الأقليات المسلمة في مواجهة التحديات

التنصير ووسائله في أوساط الأقليات المسلمة

للأستاذ الطاهر المعموري

تونس

التنصير ووسائله في أوساط الأقليات المسلمة

الطاهر المعموري

إن أوروبا المسيحية سوف لن تغفر للمسلمين على مر العصور والأجيال اكتساحهم الإسلامي ، لمناطق شاسعة غنية تمثل حجر الزاوية ، وأهم المناطق الاستراتيجية .

ولقد كانت المسيحية تمنى نفسها بغزو مسيحي منظم للمناطق القرية منها ، كشمال أفريقيا مثلا ، الذي لا يفصله عن أوروبا سوى البحر الأبيض المتوسط ، وقد بدأ هذا الغزو الديني المسيحي فعلا ، لكنه قبل أن يتغلغل في أعماق البلاد ، ويتشتر في أوساط البربر ، بدأت الغزوات الحرية الإسلامية المتتالية المتواصلة ، التي لم تقتصر على الفتح فقط ، وإنما تجاوزته للدعوة ، وتلقين السكان الإسلام الصحيح .

ولم تمض مدة نصف قرن تقريبا حتى أينعت الثمار ، وارتفعت كلمة التوحيد في مآذن القيروان ، وكبر المسلمون تكبيرة عميقة ، هزت عروش النصارى ، الذين استبد بهم يأس قاتل ، تحول إلى حقد أبدي مستمر ، على هذا الدين ، الذي حرّمهم من مناطق نفوذ وأراض خصبة للتبشير المسيحي ، ولقد استكانت هذه الرغبة الخبيثة أيام ازدهار الإسلام ، وانتشار دعوته ، ولكنها استيقظت ، وقررت الأخذ بالثأر عندما دب الضعف والوهن في بعض الدول الإسلامية . فبرز أولاً في الحملات الصليبية المتعددة شرقا وغربا ، وأخيرا الاستعمار وما فيه من استغلال مادي ، وسيطرة فكرية ، وثقافية ، وتنصير وتبشير .

والتبشير استعمل عدة وسائل منها : تشويه حقيقة الإسلام وإثارة النعرات القومية والإقليمية ، والبحث عن وسائل لإيصال هذه الأفكار عن طريق المدرسة ، الكلية ، الجامعة ، الندوة ، الرياضة إلخ ..

وسنقتصر في هذا البحث على أمثلة من مجهودات التنصير في الحبشة والفلبين وأندونيسيا .

تمهيد

لقد بدأت حركة التنصير والتبشير في العالم الإسلامي يوم بدأ الاستعمار الغربي يحاول الاستيلاء على أرض الإسلام والمسلمين ، ومن المفارقات العجيبة أن يكون أول من حدد دور المبشر ومهمته ، هو الملك لويس التاسع بين جدران زنارته التي نزل فيها كأسير حرب بالمنصورة في آخر الحملات الصليبية .

يقول المؤرخ جان دي جوفانفيل . الذي رافق الملك لويس التاسع ملك فرنسا في حملته الصليبية : (إن خلوته في معتقله بالمنصورة ، أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين ، وقد انتهى به تفكيره إلى تلك الآراء ، والمآخذ التي أفضى بها لأعدائه المخلصين ، أثناء رحلته إلى عكا ، مقلعا إليها من دمياط) .

وخلاصة هذه الآراء : أنه لم يعد في وسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الإسلام ، وأن هذا العبء لابد أن تقوم به أوروبا كلها ، لتضييق الخناق على الإسلام ثم تقضي عليه ، وبذلك يتم لها التخلص من الحائل الذي يحول دون سيطرتها على آسيا وأفريقيا .

ويقول المؤرخ رنيه جروسيه : (إن الملك لويس التاسع كان في مقدمة كبار ساسة الغرب الذين وضعوا أوروبا الخطوط الرئيسية لسياسة جديدة مبتكرة بالنسبة لمستقبل آسيا وأفريقيا) .

لقد لهتت أوروبا كثيرا من الحروب الصليبية ، التي تشابكت فيها المصالح الخاصة ، والرغبات الشخصية ، مع نداء الكنيسة بتحرير الأراضي المقدسة ، وأنهكت هذه الحروب قوى الغرب البشرية والمالية ، وإن قوى الصليبيين في الشرق أخذت في الانهيار ، ومات فيهم ذلك الجانب الروحي ، وتبدل بحوافز مادية لا تتصل بالروح ، وإنما تتصل بالغانائم ، والأسباب التي أصبح الأمل في الاستحواذ عليها ، هو الباعث الوحيد في اشتراك الصليبيين في تلك الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية ، تستهدف الغرض نفسه ، وتختلف عنها بنوع السلاح المستعمل ، الذي كان سيوفاً ورماحاً ، فأصبح مشاعر عاطفية ، فيها محاولة لإظهار الود والمحبة ، وتقديم المساعدات الطبية والاجتماعية ، وبذلك يحارب الإسلام ويوقف زحفه المتواصل المبارك^(١) بهدف الغزو الصامت المتسلل في الظلام ، خلف الأقنعة ، والشعارات الزائفة .

ويقول القس اليسوعي مبيز في معرض حديثه عن سياسة فرنسا الدينية في الشرق : (إن

الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرون في القرن السابع عشر ، لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه ، ولقد احتفظت فرنسا طويلا بروح الحرب الصليبية ، وبالحنين إلى تلك الحروب حية في نفسها وكان من غايات الامتيازات الأجنبية دائما أن تحتفظ فرنسا بالدور الذي يلعبه رهبانها . وقد اعترف لقناصلنا وسفرائنا بالحماية للنصارى .. وكثيرا ما اختارت فرنسا قناصلها وسفراءها من رجال الدين ^(٢) .

ولما للشرق الأوسط من الأهمية الجغرافية والعسكرية ، حيث إنه الطريق المؤدي إلى أقسام واسعة من العالم ، لم يكن التبشير قد بدأ فيها بعد أن تأسست في خريف ١٨١٨ جمعية تبشيرية أمريكية هدفها الأساسي تبديل أنماط حياة سكان الشرق الأوسط ، ومن خلال ذلك التأثير على عقائدهم ، وقد وضعت الخطط المختلفة للوصول إلى نفوس النصارى ، والمسلمين ، واليهود في هذه المنطقة ، واختارت مراكزها في القاهرة ، والإسكندرية ، حيث إن السلطة لا تمنع في استقرار هذه التجمعات الإنسانية .

وقررت حتى استخدام الكنيسة الأرمنية ، لتنصير غربى آسيا والتقدم منها إلى إيران ، والعراق ، وسوريا ، وفلسطين ، وآسيا الصغرى ، وهكذا تستطيع الكنيسة المسيحية بلا حرب صليبية ، أن تسترد تلك المناطق التي خسرتها منذ آماد طويلة ^(٣) .

وفي عام ١٩٢٠م أصدرت لجنة التبشير الأمريكي ، التي تهتم بالاستفادة من الحروب في أعمال التبشير كتابا جاء في مقدمته : (من أبرز الأمور المتعلقة بدخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى ، أن الآراء والمبادئ التي كانت تهدف إليه الإرساليات التبشيرية ، قد تبنتها الآن الأمة الأمريكية ، ثم أعلنت أنها هي أهدافها الأخلاقية ، وغاياتها من خوض تلك الحرب أن هذه المبادئ التبشيرية قد سميت الآن أسماء سياسية فقط) ^(٤) .

الوسائل المستعملة في التبشير :

١ - التعليم :

لقد أدرك المبشرون أن الحقائق الدينية في الإسلام تختلف أتم الاختلاف عن الحقائق الدينية في المسيحية ، فإذا كانت أوروبا في انطلاقاتها الحضارية بنت العلم لا الدين ، فإن الإسلام شجع العلم ، وحرص عليه ، وجعله ركنا أصيلا في بناء الشخصية الإسلامية . وما استطاع العرب المسلمون بلوغ هذه الحضارة ، واكتساح أهم مناطق العالم بعقيدتهم ، إلا بجعل الدين منطلقا ووسيلة وغاية .

لهذا فإن الحركة التبشيرية لا أمل لها في النجاح بدون نشر العلمانية ، واللائكية ،

وإخفاء فضائل الإسلام ، وعناصر القوة فيه ، في نفوس الإسلام بواسطة العلم ، والسيطرة الفكرية .

ولما كانت الشعوب الإسلامية في حاجة لمدارس وجامعات تعوض ما تعجز عنه الحكومات ، فإن الحركات التبشيرية استغلت هذه الفرصة ، وقدمت عروضها ، ووافقت الحكومات على هذه العروض ، فأصبحنا نرى مراكز التعليم النصراني التبشيري في كامل البلاد الإسلامية .

على أن هذه القضية لم تعالج في الأفطار الإسلامية بنفس المستوى ، نظرا للاختلاف الجوهري بين سكان المغرب الإسلامي ، والمشرق الإسلامي .

فأقطار شمال أفريقيا تونس والجزائر والمغرب اضطرت فيها التبشير لإنشاء سلك جديد في الرهينة المسيحية ، وهم الآباء البيض ، لانعدام الأقليات الدينية فيها ، وشهرة أهل المغرب في التمسك بالإسلام ، وحرصهم على تلقينه لأبنائهم ، وقد كانت فترة إنشاء هذا السلك في الرهينة المسيحية طريفة ومدروسة ، راهب يلبس البرنس البربري ، والشاشية الأندلسية ، يتجول في الآفاق متحدنا لغة قريبة من الأهالي ، تحت إشراف وتوجيه بطريق أفريقيا ، المستقر في الكنيسة الكبيرة المبنية على هيئة برسه ، فوق قبر لويس التاسع الذي جاء لتونس في الحملة الصليبية الأخيرة على أفريقية في عهد المستنصر الحفصي سنة ٦٤٥ هـ تقريبا^(٥) .

لكن جامع الزيتونة المعمورة في تلك الحقبة أوقف هذا التيار ، وقاومه بنشره للعلوم الإسلامية الصحيحة ، وترسيخ عقائد الإسلام الأصلية في أذهان شباب تونس والجزائر ، وعدد من البلدان الإسلامية المختلفة ، لهذا اضطرت الاستعمار ، ومعه الكنيسة إلى حل هذا السلك مع مغادرة البلاد ، والجلء الكامل عن هذه الديار ، وبذلك كانت التجربة التبشيرية في بلاد المغرب الإسلامي فاشلة ، لم تخلف تيارا ، ولا ولدت شيئا من جهود دامت أكثر من ثلاثة أرباع القرن .

أما في المشرق الإسلامي فالقضية تختلف اختلافا تاما لوجود أقليات دينية مسيحية ، تصلح منطلقا لتنفيذ السياسة التبشيرية في هذه الربوع .

ورغبة الغرب في إنجاح خطة التنصير في المشرق ، لما لها من نتائج على سياسة الفصل بين الشعوب الإسلامية ، ودينها الحنيف ، الذي كلما تمسكت به ، ازدادت قوتها ، وعم ازدهارها ، واكتملت قوتها ، لهذا كان التعليم أقوم سبيل لبلوغ أهداف التبشير ، ويرى هنري جاسب أن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية ، إنما هو واسطة إلى غاية فقط . هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين ، وشعوبا مسيحية^(٦) .

على أن المبشرين حتى لو لم يتحصلوا على الأهداف الدينية المسيحية أثناء تعليمهم لناشئنا ، فإنهم ينجحون في توجيههم نحو مدى علمي دنيوي في جامعاتهم الكبرى ، ويستمر هذا التأثير ، حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما ما قادة في أوطانهم .

يقول بنروز الذي جاء في عام ١٩٤٨م ليتسلم رئاسة الجامعة الأمريكية ببيروت : (لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أتمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سورية ، ولبنان ، من أجل ذلك تقرر أن يختار رئيس الكلية البروتستانتية (الجامعة الأمريكية اليوم) من مبشري الإرسالية السورية)^(٧) .

ويرى المبشرون أنه يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد ، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية ، لهذا كان التعليم أحسن الوسائل للوصول لقلوب المسلمين في اختيارهم للمسيحية ، وإبعادهم عن الإسلام ، بإقناعهم بأن العلمانية هي وسيلة الرقي ، والتحضر ، واكتساب علوم العصر .

والقضية لم تقتصر على البعثات التبشيرية داخل البلاد الإسلامية ، وإنما تجاوزتها لتشمل الطلبة الوافدين على أوروبا للدراسة والتخصص ، ويشير تقرير صادر عن اتحاد الكنائس يذكر بالمبادئ التي لابد من اعتمادها في مواجهة الطلبة المسلمين الوافدين على بريطانيا ، ومن أهم هذه المبادئ : البدء بالطالب الخالي من اهتمامه بدينه ، لكونه فريسة سهلة ، وفرصة سانحة للمبشرين ، ويحدد التقرير طريقة الاتصال بالطالب المسلم ، بعدم ذكر الدين مطلقا ، عند بداية التعرف عليه ، وأن يكون المنصر طبعيا في معاملته له ، سواء أثناء الأكل ، أو في المختير ، أو الملعب ، وأن يظهر اللطف والعطف والتفاهم طوال الوقت ، وألا يسعى إلى قطف الثمرة قبل نضجها ، فهذا سيؤدي حتما إلى انهيار المخطط من أساسه .

ويدعو التقرير المبشرين النصارى بالنفاق في تعاملهم مع الطلبة المسلمين ، فيطلب منهم أن يكونوا معتدلين في علاقاتهم مع الفتيات ، أمام الطلبة المسلمين ، وأن يتجاهلوا ذكر المشاكل والمنازعات القائمة بين الدول الإسلامية ، وأن يتجنبوا كل حديث عن فلسطين ، ويتخلوا عن تأييدهم لإسرائيل أثناء مقابلاتهم للدارسين المسلمين ، ويعرج التقرير إلى ذكر الخلافات العقدية بين الإسلام ، والنصرانية ، وكيفية الرد عليها ، وينتهي بنصح المنصرين بإتمام إعلان تنصير المسلم في هدوء وبعيدا عن الضجة والدعاية ، حتى لا يتسبب ذلك في إحراجه مع أسرته ، وأصدقائه ، وذلك على أن يتم التنصير هنا قبل عودة الطالب إلى وطنه^(٨) .

على إننا إذا كنا قد أطلنا في هذه الوسيلة للتبشير وهي التعليم ، فلأنها تعتبر الأساس والمنطلق سواء كان ذلك في الشعوب الإسلامية ذاتها ، أو الشعوب ذات الأقليات المسلمة التي يكون

التعليم فيها أشد وقعا ، وأكثر تأثيرا ، نظرا للمعركة المحتدة بين التنصير ونشر الإسلام في هذه الربوع .

٢ - تشويه الإسلام :

لقد آمنت البعثات التبشيرية بعدم قدرتها على مواجهة الإسلام في نصاعته ، ومعقوليته ، وصدقه ، فالتجأت إلى الوسائل الملتوية ، مستغلة جهل الناس بالإسلام ، لعائق اللغة ، أو الضعف الفكري .

وقد بدأت هذه المحاولات عن طريق تحريفهم للقرآن ، وأن الصحيح فيه ليس جديدا ، وأن الجديد فيه ليس صحيحا ، ويستخدم المبشرون تكريم القرآن الكريم للمسيح وأمه في إدخال المفاهيم المسيحية في عقول المسلمين ، فإذا ما اصطدم المسلم بتعبير مسيحي ، مثل قولهم : ابن الله ، فإن تطور وسائل التبشير تطلب من المبشر أن يتناول ذلك التعبير تأويلا روحيا ، حتى لا ينفر منه أولئك الذين لا يؤمنون هذا الإيمان .

وكثيرا ما يقع الخلط في هذا المجال بين الإسلام كدين والممارسات التي تصدر من بعض المسلمين حيث يقتنع الجهلة بما يصدر عن هؤلاء من تشويه للإسلام ، ودعوته .

هذان العاملان يعتبران أهم وجوه التأثير الفكري والإقناع العقدي عند المبشرين ، على أنهم استخدموا وسائل أخرى حتى يقع سد المنافذ على الفرد ، ويقتنع أخيرا بوجهة نظر المسيحيين منها : الصحافة ، والطباعة ، والنشر ، ومقاومة الجامعات الدينية العريقة كجامع الزيتونة بتونس ، والجامع الأزهر ، وإذاعة الدعوات المشبوهة ، والدعوة إلى التسامح المشبوه ، والحوار الكاذب ، والشعوبية ، والقومية ، وتمزيق الوحدة الإسلامية ، وإثارة الفتن الداخلية ، وبناء أكبر عدد ممكن من الكنائس والاهتمام بمظهرها .

وإلى جانب المؤتمرات الفكرية يستعمل المبشرون العلاج الطبي ، يقول في هذا المجال المبشر موريسون : (نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى ، أن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية)^(٩) ، وتحرص مؤتمرات التبشير على أن تكون توجهاتها وقراراتها مؤكدة لخطورة استخدام العلاج الطبي في التبشير ، وهم يذكرون الإنجيل للمرضى بأسلوب بسيط ، لا يدعو إلى التطرف في المناقشة ، ويحملونه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح ، وتذهب الطبييات المبشرات إلى البيوت والقرى ، للاتصال مباشرة بالنساء ، حيث تثار العواطف الإنسانية ، ونيل المقاصد الدينية فيعترف لهم بأولوية دخول الجنة ، ويقع الاقتناع بأن ما تقدمه الأخت الراهبة هو أحسن مما يقدمه المسلمون ، وهكذا حول المبشرون الطب إلى

وسيلة دس وخداع ، وأداة لتقريب المسيحية منهم ، وإبعاد الإسلام عنهم ، فيفتن فقراء المسلمين في دينهم ، ومفاهيمهم الإسلامية .

ويدخل ضمن الطب الشئون الاجتماعية كالترفيه عن الأطفال والنساء ، وتأسيس المكتبات ، وتشجيع الرياضة ، وكل ما له علاقة بدخول نفوس البسطاء والسيطرة على اتجاهاتهم الروحية .

الفلبين :

المسلمون في الفلبين أقلية إذا قورنوا بعدد المسيحيين ، فالمسيحيون يبلغ عددهم ٥٢ مليون بينما عدد المسلمين ٧ر٥ مليوناً ، ويرجع الفضل في دخول الإسلام إلى هذه المناطق إلى جهود الرحالة ، والتجار المسلمين من العرب ، والهنود ، والإيرانيين ، الذين أقنعوا سكان هذه الجزر باعتناق الدين الحنيف ، فأقبلوا عليه ، وهفت نفوسهم لاعتناقه ، خاصة وأن هؤلاء الدعاة كانوا أمثلة في السلوك ، والأخلاق ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

على أن جهود نشر الدعوة توزعت بين التجار ، والعلويين الأشراف الذين قدموا إلى الفلبين من بلاد العرب (حضرموت) ، والذين أطلق عليهم المؤرخون دعاة الإسلام في الشرق الأوسط .

على أن هذه المسيرة المباركة عكر صفوها الاستعمار الإسباني الذي بدأ يتحسس الجو ، بإرسال أول بعثة صليبية بقيادة ماجلان ٩٢٦ / ١٥١٩ م ، الذي أرسله الملك فيليب ، ليتعرف على إمكانية غزوها ، فصادف وعياً إسلامياً شمل سلطنات (سولو) ومنداناو وبويان وحتى مانيلا (المشتق اسمها من أمان الله) والحقيقة أن العداوة بين المسلمين والأسبان كانت متأصلة ، تنعكس عليها صورة النزاع الطويل المريع الدامي بين المسلمين ، والتصارى ببلاد الأندلس واستمر الاستعمار الإسباني طيلة ٣٧٧ سنة كانت نتيجتها طرد المسلمين من مانيلا ، وتحويلها إلى مقاطعة مسيحية ، بعد أن كانت مستوطنة مسلمة ، كما نجح الأسبان في طرد المسلمين من عدة أماكن بحيث انحصر الإسلام في جزيرتي سولو ، ومنداناو .

وبعد الأسبان جاء الأمريكيان الذين أبرموا معاهدة مع إسبانيا تنازلت بموجبها عن الفلبين سنة ١٣١٩ / ١٨٩٩ م ، وكان هدفهم تنصير من لم يدخل في المسيحية ، وقد وجد الأمريكيان أنفسهم أمام عزائم فولاذية ، تفضل الموت على حياة الذل والهوان ، فأخذوا في استمالة المسلمين ، وإقناعهم بحسن نواياهم ، ولكنهم أخفقوا في آخر الأمر في وضع

جميع المناطق الإسلامية تحت رقابتهم ، وخاضت الفلبين الحرب العالمية الثانية ضد النفوذ الياباني ، وأبلى المسلمون في هذه الحرب البلاء الحسن ، ومنعوا اليابانيين من احتلال مناطقهم وإثر انتهاء الحرب منحت أمريكا الفلبين استقلالها سنة ١٣٦٦ / ١٩٤٦م وضمت إليها بلاد المورو ، ولذلك يسمى المسلمون بلادهم بجنوب الفلبين ، حيث يعتبرون أنها قد ضمت بأسلوب عدواني غير مشروع ، ولكن لم يحدث أن عارض مسلموا مورو ضم بلادهم فور إعلانه كما لم يقم الصراع بينهم وبين حكومة الفلبين آنذاك لأن الجانبين ما يزالان يعانيان من نتائج الحرب العالمية الثانية ، وما سببته من دمار وفقر واحتياج .

غير أن مسلمي الفلبين وإن كانوا قد تخلصوا من الاستعمار الغربي ، فإن مخططاته ، وبرامجه لازالت بينهم هذه المخططات التي تستهدف التهجير ، والقمع والعنف ، حتى يستأصل الإسلام في هذه الربوع ، وتحل محله المسيحية بواسطة الاحتلال السياسي ، ثم التبشير ، ونشر النصرانية حتى تصبح الفلبين ضمن العالم الكاثوليكي ، والبروتستانتى . وهي تجربة مستمدة من الفتوحات الإسلامية ، التي ما استطاعت الاستقرار والتجذر ، إلا بنشر العقيدة والاقتراب من قلوب السكان الأصليين ، لكن ما أبعد هذه التجربة عن تلك .

لقد قامت حكومة الفلبين بإنشاء مستوطنات نصرانية في مناطق المسلمين ، وتهجير النصارى إليها ، ومعظمهم من العناصر سيئة السمعة ، التي رفضها المجتمع ، منهم : المعارضة ، والمتمردون على الحكم ، حيث منحتهم الحكومة أراضي هناك لتهديتهم ، وعمدت إلى احتكار ثروات المناطق الإسلامية ، وإهمال أصحابها ، وبطيعة الحال ، لم يرض المسلمون بهذه الإجراءات ، وطالبوا الحكومة بوقفها . فكان الرد إستخدام العنف والإرهاب لفرض المخططات بالقوة ، زد على هذا أن النصارى أنشأوا منظمة إرهابية مدعومة بالسلاح والمال والخبرات ، تتلقى دعماً من إسرائيل ، تقوم بملاحقة المسلمين ، وقتلهم وإحراق بيوتهم ، ومزارعهم ، ومساجدهم ، ومدارسهم ، وكان رد فعل المسلمين لإنشاء جبهة تحرير مورو الوطنية سنة ١٩٧٢^(١٠) ، التي تسعى إلى فضح وسائل النصارى التي تنفذها الحكومة وتقاوم العصابات المسلحة .

هذا هو البعد التاريخي والسياسي لقضية مسلمي الفلبين ، غير أن هناك بعداً آخر يرجع لحال المسلمين أنفسهم الذين ساءت أحوالهم لأسباب منها :

الجهل بتعاليم الإسلام ، فأكثر المسلمين لا يعرفون الإسلام على حقيقته ، وتنتشر بينهم الخرافات ، والمعتقدات الباطلة ، ويستغل بعضهم هذه السخافات لمصالحهم الخاصة .

ومن أسباب تأخر المسلمين في الفلبين تعدد اللغات التي بلغت سبع لغات ، ومعنى هذا عدم وجود لغة توحد بين مسلمي هذه الربوع ، فصور الاختلاف والتنازع دائمة قائمة ،

لعدم وجود قاسم مشترك لغوي ، تبني عليه وحدتهم ، وتحل على مقتضاه مشاكلهم فإذا ذهب أفراد من أهل لاناو الجنوبي إلى صولو كان التفاهم بينهم صعبا بل مستحيلا ، فلغة الايرانون التي يتكلم بها معظم المسلمين تنقسم إلى قسمين مجندناو ومرناو ، وأهل كاتاباتو يتكلمون بالمجندناو ، وأهل مراوى يتكلمون بالماراناو ، ولهذا كانت اللغة العربية هي أحسن وسيلة للتفاهم ، وأحسن لغة تستطيع أن توحد بين مسلمي الفلبين من أجل هذا لا بد من إنشاء معهد للغة العربية ، تبنه إحدى جامعات الدول العربية ، ومطبعة لطبع الكتب ، والنشرات الإسلامية باللغة العربية ، وتقديم المنح الدراسية للطلاب والطالبات المسلمين ، تشجيعا لهم ولغيرهم على الإقبال على تعلم اللغة العربية .

وتضاف للأسباب كذلك الخلافات بين زعماء المسلمين ، الذين وصل بهم الخلاف إلى التشاجر حول بدء موعد الصوم ، وتحديد موعد الفطر ، وبناء مسجد لتوجيه المصلين إليه ، عوضا عن مسجد قديم يقع تحت نفوذ زعيم آخر .

وفي خضم هذه النزاعات القبلية ضاع الدين ، وضعفت العبادة ، وأصبح الإسلام عبارة عن مظهر أكثر من كونه حقيقة ، وطبعا استغل النصارى الوضع ، وزادوا في وسائلهم ، لربح مناطق جديدة صالحة للتبشير .

يضاف لهذا التخلف الفكري ، فالمدارس الإسلامية العربية تقتصر على تدريس اللغة العربية ، والعلوم الإسلامية ، دون العلوم العصرية ، واللغة الإنجليزية ، مع أنها لغة التعليم ، ولغة الحكومة ، والتخاطب بين المثقفين ، فكانت النتيجة رفض الحكومة الاعتراف بهذه المدارس ، والسماح لحريجيها بدخول الجامعة فالقضية ترجع في بعض جوانبها لهذا الانفلاق الذي يعيشه مسلمو الفلبين ، لا يفرقون بين اللغات والعلوم العصرية ، وحركات التبشير والتبشير ، ولا يميزون بين الأشياء التي أمر بها الشارع ، ودل عليها لأنها الوسيلة الوحيدة الموصلة إلى التقدم ، والتطور ، وخاصة في مجال السياسة والاقتصاد والصناعة فالعلوم التجريبية الحديثة واجبة لأنها داخلة في القاعدة الفقهية التي تقول : (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)^(١١) .

أندونيسيا :

نفس الخطة التي اتبعت في الفلبين تتابع في أندونيسيا هذه البلدان التي دخلها **ولعل** الإسلام بالدعوة لا بالدولة ، والتي يحرص سكانها على التمسك بدينهم ، ومقاومة التيارات التبشيرية المتزايدة ، لأن التبشير كثيرا ما يستغل المناطق النائية ، التي تنعدم فيها مراكز التأثير الإسلامي ، أو تضعف ، فيشنها حربا تأثيرية فكرية ، حتى يستحوذ على قلوب السكان ، ويحولها إلى المسيحية أو على الأقل يبعدهم عن الإسلام .

ولما للتبشير من فوائد سياسية واقتصادية إلى جانب الفوائد الروحية ، تحرص الدول الكبرى على تركيزه، وإعانتته، ونشره ضمن هيئات وجمعيات أسماؤها أممية، وأهدافها تبشيرية تنصيرية مثل منظمة الصحة العالمية ، ومنظمة الأغذية والزراعة ، واليونسكو ، واليونسيف فهذه الوكالات المختصة التي تمول جزءا من ميزانياتها الدول العربية والإسلامية ، مظهرها الخارجي إعانة الدول النامية ، ويختفي ضمن نشاطها نشر مبادئ العلمانية من خلال صبح المجتمع بالصبغة الغربية من خلال استخدام مفهومها الخاص بالتنمية ، والتقدم .

ومجلة منار الإسلام تورد في هذا المجال تقريرا عن نشاط البعثات التبشيرية في أندونيسيا ، أعدته الهيئة التي يطلق عليها اسم برامج مساعدات التنمية للمؤسسات التطوعية الأمريكية العاملة في أندونيسيا ، والذي قامت بنشره دار تبادل المعلومات المساعدة الفنية التابعة للمجلس الأمريكي للخدمات التطوعية بنيويورك في مارس ١٩٨٢م^(١٢) .

يتحدث التقرير عن هذه المنظمات واختصاصاتها وخدماتها وميدان عملها بالجزر الأندونيسية وعدد أفرادها من الأندونيسيين والأمريكان وغيرهم ، وما بلغته ميزانيتها في سنة ١٩٨١ / ١٩٨٢م وأسماء هذه المنظمات هي مجلس الإرسالية الطبية الكاثوليكية وخدمات الإغاثة الكاثوليكية ، وصندوق الأطفال المسيحي ، وخدمات الكنيسة العمالية ، وجمعية الرحمة الدولية ، وجمعية التبشير الخارجية المعمدانية المحافظة ، وإرساليات التحالف الإنجليزى ، والخبرة بالمعيشة الدولية ، وبرنامج آباء الرعاية ، ومؤسسة هيلين كيلر ، والكنيسة اللوثرية في أمريكا ، وأخوات راهبات الإرساليات الطبية ، واللجنة المركزية للمينونات ، وقد بلغت نفقات التبشير في هذه المنظمات أكثر من ١٠٠ مليون دولار .

والإرساليات التبشيرية تركز دائما على نقاط الضعف في نسيج المجتمع ، فتنشط في المناطق النائية من أندونيسيا كإيرابان جايا ، وكاليمنتان ، وسولوىزى .. ونظرا لبعد المسافة فهي تستخدم مجموعة طائرات من أصناف مختلفة ، يعمل بها ٣٣ طيارا عدا الأخصائيين ، والإدرايين .

وبهذا الاعتبار تسعى كل هذه المنظمات إلى تكبير أبناء أندونيسيا ، ووضعهم تحت مظلة التبشير بشكل أو بآخر ، ففي قطاع التعليم على سبيل المثال ، تقوم الإرساليات التي تعمل مع الكنائس في أندونيسيا بجمع التبرعات للمدارس ، والجامعات لتنفيذ برامج معينة ، يشعر بمرودها أكبر عدد من الناس ، كذلك تقوم بإنشاء المدارس خاصة مدارس المرحلة الأولى ، حيث تم عملية تشكيل مفاهيم الأطفال في هذه السن المبكرة ، وفي قطاع الصناعة تقوم بتنفيذ برامج للتدريب ، ورفع كفاية العاملين ، وزيادة فرص العمل بالنسبة لهم ، وكذلك تشجيع الصناعات الصغيرة على مستوى الأسر ، والمجتمعات الصغيرة كما تقوم بتوزيع معدات لتوليد الكهرباء ، تغذى المناطق التي لا تغذيها الشبكة الرئيسية .

والملاحظ أن تركيز الإرساليات التبشيرية في أندونيسيا يكون في المناطق النائية ، التي لا تلقى رعاية الحكومة في جاكارتا ، باعتبارها حقلا خصبا لجني ثمار نشاطاتها (١٣) .

وفي قطاع الزراعة تشارك الإرساليات في تنفيذ مشاريع التنمية الزراعية ، وإنتاج الدواجن ، وإصلاح الأراضي ، وتكوين التعاونيات ، وإنشاء الطرق في المناطق الريفية ، والجسور ، وتركيز قنوات الري ، وتوزيع مضخات المياه وفي قطاع الرعاية الاجتماعية والصحية تقوم الإرساليات بتقديم الغذاء والكساء للعديد من تلاميذ المدارس ، كما توفر الغذاء للعمال ، والفلاحين تحت شعار الغذاء من أجل العمال . وتدير الملاجئ للأيتام ، واللقطاء ، ودور العجزة ، كما أن الإرساليات تدير مستشفيات كاملة ، وتشجع على تحديد النسل للحد من عدد المسلمين وتكاثرهم ، في العالم .

وفي مجال الثقافة والتعليم توفد الإرساليات التبشيرية الطلاب للدراسة في الخارج وتخصمهم بنوع من التأثير ، حتى يقرأوا بفضل الكنيسة في تكوينهم ، وإعدادهم . ويوم تصبح المسؤولية في أيديهم تزيد مساعداتهم الأدبية والمادية لجهاز التبشير ، وبذلك يصعب أن نقول إن بابا من أبواب الخدمة لم تستغله الحركات التبشيرية في أندونيسيا ، لتنصير السكان المسلمين وغيرهم . وإن كانت حركات التنصير تسير ببطء ، فإنها تغلغلت في كل مجالات الحياة ، ونمت وترعرعت في كل النشاطات الإنسانية .

هذه لمحة عن النشاط التنصيري في أندونيسيا ، إذا تمعنا فيها أدركنا مدى الخطر الذي يحيق بأمة الإسلام ، ومدى الجهد الذي ينبغي أن يبذل ضمن إطار برنامج مدرّوس لمواجهة هذا الخطر المحدق .

ومحنة المسلمين في أندونيسيا هي محنتهم في كل بلاد العالم ، مواجهة صليبية جديدة من نوع آخر ، وبسلاح يختلف عن الأسلحة التي استعملت ، وبهذا لا بد أن تكون المواجهة في إطار التحدي وإلا رجحت الكفة وطفح الكيل .

الحبشة :

وإذا كانت الأمثلة التي تقدمت لنا عن الفلبين وأندونيسيا تمثل الصراع المتواصل بين التبشير والإسلام فيه الرهبة ، والرغبة والقوة ، واللين ، والحرب النفسية والمادية . فإن مثال الحبشة لا يشبه الأصناف المتقدمة ، هو طراز من الإرهاب والاضطهاد ، هو تصور مأساوي لوجود الإنسان على هذه الأرض ، هو مزيج من الحقد ، والكراهة ، والبغض للإسلام والمسلمين ، وخضوع ، وجبن ، وتميع للغرب بصورة عامة ولليهودية والمسيحية بصورة خاصة .

لقد خطب إمبراطور الحبشة في الكونغرس الأمريكي أثناء زيارته للولايات المتحدة منذ سنوات فقال : (إن أهم الأهداف التي تسعى إليها هي توحيد الدين واللغة في بلادنا ، وبدون ذلك لا يمكن أن نحقق شيئا من التقدم) . وعندما سئل عن الأقليات المسلمة في الجنوب (إقليم هرر) قال : (اعتنقت الإسلام بتأثير الأجانب وقد وضعنا لها برامج منذ اثني عشر عاما ، فلا يمضى وقت طويل إلا وقد عادت إلى حظيرة دين آبائنا) .

وهذه الإدارة التي تسعى لمحق الإسلام في الحبشة لها كافة الإمكانيات لتنفيذ ما ترسمه ، مؤيدة في ذلك من طرف المسيحيين ، الذين يعتبرون الملك حامي الحبشة من خطر الإسلام والمسلمين .

والواقع أن محاربة الإسلام في الحبشة لم تبدأ في عهد هيلاسلاسي ، بل تمتد جذورها إلى زمن بعيد ، حيث كان الصراع مستمرا بين هرر معقل الإسلام في ذلك الجزء من افريقية ، وبين الحبشة المسيحية ، ففي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر حدثت معارك رهيبية بين هرر والحبشة المسيحية ، استولى فيها المسلمون على أراضي المسيحيين ، من بينها حملة الإمام أحمد بن إبراهيم القائد الهروي ، ومن بعده الأمير نور ، ولم يتمكن المسيحيون من غزو أراضي المسلمين إلا في أواخر القرن التاسع عشر ، عندما بدأ الاستعمار يتنافس لاحتلال افريقية^(١٤) . وخاصة شرقي افريقية ، الذي بدا جليا خطورة مركزه الاستراتيجي بعد حفر قناة السويس .

واستغل التبشير هذا الوضع فنزل الميدان ، واتخذ نفس طريق الحكومة في إجبار الناس على التنصير ، ولما استولى هيلاسلاسي على العرش تخلص من الزعماء المسلمين الهريين ، الذين كانوا لا يزالون يطالبون بحقوقهم ، وسادت موجة من الجرائم الغامضة ، والخطف ، والاغتيال ، وخاصة بعد عودته إثر احتلال الأبطال وحيث صب جام غضبه على المسلمين ، فصادر الأراضي ، وأحرق المحاصيل ، وأباد القرى وبمعكس ذلك فتح المجال للتبشير والتنصير ، ففتحو المدارس ، وعينو فيها فئة منتقاه من الجزويت ، والهندوك المعروفين بميوهم العدائية للإسلام .

لذا كان التحاق أبناء المسلمين بهذه المدارس نوعا من الانتحار الديني والوطني .

والآن بعد هذا العرض حول أحوال الأقليات المسلمة في الفلبين وأندونيسيا والحبشة هل من حل لمشاكلهم ، والحال أن القضية لا تقتصر على هذه البلدان فقط ، فإن موجة الاضطهاد شملت كثيرا من الأقليات المسلمة في أوغندا ، وألبانيا ، وغيرها من البلدان التي آمنت بأن أقصر طريق لتوجيه الإنسانية نحو الأمثل هو الإسلام وشريعته ، وأن أخطر عدو لفشل مرامهم هو الدين الخفيف ، لهذا أجمعوا على مقاومته وتضييق الخناق عليه .

إن أخطر قضية يعاني منها المسلمون في هذا العصر هو جهلهم بما يقع لهذه الأقليات بسبب الخطة التي تتبعها وسائل الإعلام الغربية ، فنحن في تونس مثلاً لو سألت رجل الشارع عن قضايا هذه الأقليات ، لما استطاع الإجابة لخلو ذهنه تماماً عن وجود مشاكل لمسلمي الفلبين وغيرهم ، هذا بالإضافة إلى اللامبالاة التي تبدو وتظهر في المثقف العربي بصورة عامة ، والتي يعتبرها مشاكل اجتماعية أكثر من كونها قضايا دينية .

أما المواجهة^(١٥) فتقتضي منا إعداد دعاة مسلمين قادرين على مواجهة التنصير ، ورصد ميزانيات ضخمة تقابل ما تنفقه النصرانية في مواجهة الإسلام ، وتنفق هذه الميزانيات في تعزيز المدارس العربية الإسلامية ، وتقويتها ، وإنشاء مدارس جديدة في مختلف مناطق الأقليات المسلمة ، والعيادات الطبية ، والمستشفيات ، وإقامة المساجد ، وتكميل ما شرع فيه ، وتوقف في مناطق الأقليات المسلمة ، وإرسال الدعاة المتمكنين لتعليم الناس الإسلام ، وتوضيح مزاياه ، ودعم تعليم العربية .

الهوامش

- (١) عماد شرف : حقائق عن التبشير ، ص ٩ ، ١٠ ، المختار الإسلامي ، القاهرة .
- (٢) الدكتور / مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ : التبشير والاستعمار ص ١٢٧ المكتبة العصرية ، لبنان .
- (٣) أحمد عبد الوهاب : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص ١٥٥ مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- (٤) مصطفى الخالدي : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .
- (٥) الشماخ : الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية . تحقيق الطاهر بن محمد المعموري ، تونس ١٩٨٤ م .
- (٦) عمر فروخ : التبشير والاستعمار ص ٦٦ .
- (٧) أحمد عبد الوهاب : المصدر السابق ص ١٦٦ .
- (٨) د. فاروق مساهل : مواجهة التبشير للنصرانية بين صفوف الطلبة المسلمين ، مجلة الأمة ، ع ٤٦ ، السنة الرابعة ، شوال ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- (٩) فروخ : المصدر السابق ، ص ٥٩ .
- (١٠) د. محمد عبد القادر أحمد : المسلمون في الفلبين ، ص ٢٠ - ٢٣ ، انظر كذلك مقال المسلمون في جنوب الفلبين ، الأمة ع ٤١ ، السنة الرابعة ، جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ فبراير ١٩٨٤ م .
- (١١) د. محمد عبد القادر أحمد : ص ٤٩ - ٥١ مصدر سابق .
- (١٢) مجلة منار الإسلام ، عدد ١٠٧ ، السنة التاسعة ، أبريل ١٩٨٤ م ، رجب ١٤٠٤ هـ ، ص ٥٨ - ٦٧ .
- (١٣) أحمد عبد الوهاب : المصدر السابق ، ص ١٧٨
أنظر كذلك أبو هلال الأندونيسي ، غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا دار الشروق - جدة .
- (١٤) محمد الغزالي : كفاح دين ، مصر ، ص ٦٢ .
- (١٥) يوسف القرضاوي : التبشير في العالم الإسلامي كيف نواجهه ، مجلة الأمة ، ع ٤١ ، السنة الرابعة ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

أساليب التبشير النصراني بين الأقليات المسلمة في بريطانيا

عطاء الله صديقي

أساليب التبشير النصراني بين الأقليات المسلمة في بريطانيا

عطا، الله صديقي

ملخص :

توافد عدد كبير من المسلمين على بريطانيا منذ الحرب العالمية الثانية . ويبلغ عدد المسلمين الذين ولدوا ونشأوا هنا حالياً حوالي ٣٧ر٥٪ من إجمالي السكان المسلمين . وقد تواءمت الأساليب التبشيرية مع هذه التغييرات .

ويدرس عدد كبير من الطلبة الأجانب والبريطانيين في الكليات والجامعات المختلفة في بريطانيا . وتعتبر جمعية الزمالة المسيحية للكليات والجامعات إحدى منظمات الشباب الأكثر نشاطاً ، حيث تتسم أنشطتها بالميل القوي نحو التبشير . فقد قامت على سبيل المثال بإعداد تقويم للخلفيات المتنوعة للشباب المسلم واقترحت أساليب معالجة متنوعة لاستمالتهم .

وتعد منظمة قساوسة اتحاد جيردرن إحدى المنظمات الأخرى العاملة في صفوف الشباب المسلم في بريطانيا . ومن بين أهدافها تمهيد الطريق للأعمال التبشيرية في صفوف مسلمي الاتحاد السوفيتي . وتشمل الطرق التي تتبعها لكي تستميل المسلمين ، تدريس العاملين في صفوفها عن « الإسلام » ، وعقد الاجتماعات ، وإصدار النشرات الإخبارية ، وأهم من ذلك كله ، ندواتهم عن التوعية للمسلمين .

إن هناك خمسة وعشرين ألف مسلم بنغالي يقيمون في بريطانيا ويمثلون إحدى المجموعات المستهدفة « للفريق الدولي » . الذي تتجه أهدافه بصفة خاصة إلى المتقدمين

في السن وإلى الشباب والنساء المسلمات حيث تقدم لهم دروس الحياكة والعناية بالأطفال إلخ ... وقد أنشأوا مقاهي يحتشد الجميع فيها لمشاهدة أشرطة الفيديو المسيحية ولشرب القهوة .

وتعرف عملية استمالة المسلمين من خلال ثقافتهم ، ولغتهم وطريقة فهمهم لإحدى الديانات ، بالأسلوب المبني على القرينة . وقد تم انتاج ذلك في بريطانيا أيضا .

وتهدف جمعية حاملي الصليب غير الطائفية ، إلى اكتساب المسلمين إلى صفها وذلك بتدريب عمالها المسيحيين بصفة خاصة على استمالة المسلمين .

وقد ظهرت نتيجة لهذا النشاط كمية كبيرة من الكتابات عن الإسلام والمسلمين (من وجهة نظر مسيحية) - ولكنها لا تمثل بأى شكل من الأشكال الإسلام الحقيقي وتعتبر عمليات التحول القليلة عن الإسلام التي يعلن عنها مؤشرات تحذير عن نجاح عمل جمعيات التبشير ، الذي كان دون جدوى حتى الآن . ولم يشترك بعض الذين تحولوا عن دينهم ، والمعروفون في مواقعهم المحلية في أية أعمال تبشيرية بأنفسهم .

وهناك حاجة واضحة لتنظيم إسلامي قوي للشباب له هدف ذو شقين إدراك ما يحدث ، والقيام بأعمال الدعوة في صفوف غير المسلمين . كما أن إعداد برامج دراسية موجزة للمسلمين عن المسيحية وأساليب التبشير المسيحية يعتبر حاجة أخرى ملحة .

مقدمة :

لقد جرب المسلمون في جنوب آسيا التبشير المسيحي إلى جانب القوة الأوروبية فيما يعرف باسم القرن العظيم . وكما يقول هربرت كين « لم يحدث في تاريخ الكنيسة المسيحية من قبل أن تم مثل هذا الجهد الهائل المنظم والمتناسق لنشر دعوة الإنجيل إلى أطراف الأرض »^(١) . وبعد حرب عالمية منهكة ، تقلصت القوة الأوروبية وتحرر جنوب آسيا رسميا ، لكن إمبراطورية التبشير ظلت في مكانها .

وفي أعقاب الحرب ، قامت الشعوب التي كانت مستعمرة من قبل بشق طريقها إلى أوروبا لسد احتياجات سوق العمل الأوروبية . ويرجع أصل أكبر المجموعات الإسلامية في بريطانيا إلى جنوب آسيا . ويبلغ عددهم ٦٩٠ ألف طبقا لإحصاء ١٩٨٠ ، وإن كان البعض يرى أن الرقم هو ٨٠٠ ألف ، وطبقا لذات الإحصاء فقد ولد ٣٧ر٥٪ من هؤلاء في بريطانيا^(٢) . وقد يشكل ذلك ظلوما سياسية واقتصادية غير مواتية للحكومة ولرجال السياسة ، ولكنه بالنسبة للمبشرين كان هبة من السماء . ويتعرض المسلمون اليوم لأساليبهم التبشيرية بصورة لم تحدث من قبل .

إن المسلمين والآسيويين ليسوا ظاهرة جديدة في بريطانيا ، كما أن استيلاء بريطانيا على عدن أتاح اتصالاً مباشراً باليمن كما شجعت صلتها بالهند على الهجرة من تلك الأماكن الثلاثة إلى بريطانيا . وقد بلغ عدد المسلمين في عام ١٩١٥ حوالي ١٠ آلاف مسلم في بريطانيا^(٣) . كما أن اهتمام الكنيسة بهؤلاء المهاجرين ليس شيئاً جديداً . فقد ظهر خطاب في « المجلة التبشيرية » نوفمبر ١٨٤٢ يقول : « إن مما يحز في النفس أنه ما يزال في شوارعنا وفي أوساطنا وثنيون ولم يتم مع ذلك عمل شيء لإرشادهم إلى حقائق المسيحية التي تنقذهم وتخلصهم »^(٤) .

وقد اضطر الظهور المفاجئ للوجوه المسلمة والآسيوية في أعداد كبيرة قساوسة الكنيسة إلى التمعن في تراث المسلمين الثقافي وفي الإسلام بدرجة أقل بهدف تطوير طرق ملائمة .

وهذه الورقة هي دراسة للطرق والأساليب المختلفة التي تطبقها الجماعات المسيحية المختلفة على المسلمين في بريطانيا . ويبدو أن الجماعة التبشيرية قد أعطت الأولوية للعمل في صفوف المسلمين هنا . وقد فعلت ذلك قبل كل شيء ، لأن التبشير ممنوع في صفوف المسلمين في البلاد التي هاجروا منها .

وقد فعلوا ذلك ثانياً ، لأن الطلبة الذين يعودون إلى بلادهم سيشغلون مناصب يكون لها بعض النفوذ والسلطة عادة ، فإن لم يتحول هؤلاء إلى المسيحية فإنهم على الأقل سيتخذون موقفاً لينا منها ، له فائدته فيما بعد .

١ - استمالة الطلبة المسلمين :

نظراً لأن الطلبة المسلمين قد ألفوا لأنفسهم جمعيات تقوم على أساس الجامعة أو الكلية ، فقد استجاب المسيحيون بتوجيه جهود الزمالة المسيحية في الجامعات والكليات بدرجة أكبر نحو العمل التبشيري خاصة مع الطلبة .

« إن » الزمالة المسيحية للجامعات والكليات هي منظمة غير طائفية تأسست عام ١٩٢٨ تحت اسم الزمالة بين الجامعات . ويوجد مركزها في ليستر ويبلغ إجمالي العاملين فيها ١٠٧ من بينهم ٢٥ مديراً تنفيذياً . ولها ميزانية سنوية قدرها ١٨٢ ر ٦٢٠ جنيه استرليني (أبريل ١٩٨٣) . وتقوم الزمالة المسيحية للجامعات والكليات باصدار نشرتين ربع سنويتين لطلبة الجامعات هما : « كيوبت » و « الساحة المسيحية » واللتان يبلغ توزيعهما ٦٠٠٠ و ١٠٠٠٠ على التوالي^(٥) .

وقد أجرت جمعية الزمالة المسيحية للجامعات والكليات مؤخراً دراسة عن الطلبة المسلمين في الجامعات البريطانية المختلفة واقترحت أساليب استمالتهم كما قامت كذلك

بتحليل سلوك الجماعات الفرعية للمسلمين . وتكشف النتائج التي توصلت إليها الجمعية الطبيعية الحقيقية لأغلبية الطلبة في المؤسسات التعليمية البريطانية .

وتقول تلك النتائج إن « العرب يأخذون دينهم مأخذ الجد ، لكنهم عندما يتجمع المسلمون للصلاة في كنيسة الجامعة أو في الغرف الهادئة ، يكون عددهم قليلا جداً في العادة . وهم لا يمتنعون عن المشاركة في الصلاة فحسب ، بل إن عاداتهم في التدخين والشرب توجي بعدم تمسكهم بقوة بتعاليم القرآن^(١) . وقد وجدت أن الطلبة المالبزين « مسلمون مخلصون جدا ويشاهدون في أعداد كبيرة عادة في وقت الصلاة في الكليات والجامعات . كما وجدت الجمعية فيهم فرصة « مشروعة » لإبلاغهم الأنباء الطيبة عن المسيح^(٢) نظراً لأن الأنشطة التبشيرية متنوعة في ماليزيا ، ويوجد عدد قليل جداً من الطلبة الباكستانيين القادمين من الخارج في الجامعات ، أما الطلاب الذين يتحدرون من أصل باكستاني ممن يدرسون كطلبة بريطانيين في الكليات والجامعات فعددهم كثير . وغالباً ما يكتشف أعضاء الاتحاد المسيحي الذين بدأوا الحديث إلى هؤلاء الطلبة ، أن معلوماتهم عن الإسلام محدودة وأن عقيدتهم هي إطار ثقافي موروث في نطاق مجتمع غربي مدني^(٣) . ويرون أن الطلبة الإيرانيين ليسوا غير متدينين ، ولكنهم يحثون بشتى الطرق عن الحقيقة ، ويقوم بعضهم بقراءة الإنجيل « سراً » وليس من الواضح السبب الذي يدفعهم إلى الشعور بضرورة قراءة الإنجيل سراً - فالقرآن لم « يحرم » الإنجيل لكنه يطله فحسب .

ولم يصدر حتى الآن سوى القليل من الكتب والكتيبات عن الجانب المسيحي تلك التي تحلل موقف المسلمين في بريطانيا ، ولم يصدر شيء من وجهة النظر الإسلامية عن الكنائس والطوائف المختلفة ، فضلاً عن أنه لم يصدر شيء عن المسيحية حسب الاعتقاد بها وممارستها .

وتقترح جمعية الزمالة المسيحية للجامعات والكليات ثلاث طرق لاستئالة المسلمين :

- ١ - أسلوب الاستئالة الطبيعي .
- ٢ - أسلوب الاستئالة من خلال المناقشة .
- ٣ - أسلوب الاستئالة من خلال التناول الإسلامي .

١ - أسلوب الاستئالة الطبيعي :

لا يجب على المسيحي أن ينظر إلى المسلم ، كمسلم ولكن على أنه مجرد إنسان ، ويقوم بتطوير صداقته لأن الصداقة تحظى بالتقدير في جميع المجتمعات والثقافات كما تعطي الطرف الآخر فرصة للتفكير . ويقترح أن يبدي المسيحي اهتماماً ببلد المسلم وأسرته . ولا يجب أن يتعجل شرح الإنجيل كما لا يتوقع التوصل إلى نتيجة سريعة . والأهم من ذلك كله ، أن على

المسيحي أن يظهر بشخصية متكاملة . ولذلك أهمية خاصة في بادية أهتمام المسلم بالمسيحية . ويجب على المسيحيين أن يعيشوا حياة تتسم بالورع في علاقاتهم . ويجب إظهار كرم الضيافة تجاه المسلمين في المساكن الجامعية واتخاذ ترتيبات قيام المسلمين بزيارة للمساكن المسيحية المحلية حيث يمكن كذلك إظهار كرم الضيافة هنالك^(١) .

٢ - أسلوب الاستأالة من خلال المناقشة :

هناك بعض المسائل الأساسية بالنسبة لهذا الأسلوب في الاستأالة إذ يجب على الطالب المسيحي أن يكون مستمعا جيدا ، ومهما كان ما يعرفه عن الإسلام فانه سيتعلم أكثر بالإصغاء . وعندما يقوم أحد المسلمين بشرح شيء ما إلى مسيحي ، فيجب على الأخير أن يحاول أن يوضح للمسلم ما يعتقد المسلم ، قائلا له « أظن انني أفهم ، تقصد أنك تعتقد أن ... » وسوف يجعل ذلك المسلم مستعدا للإصغاء بدوره في مناسبة قادمة .

ولا يجب على الطالب المسيحي أن ينتقد محمدا أو القرآن مطلقا : « ومن الحكمة ألا تعرف حتى الكثير من التفاصيل عن حياة وشخصية محمد حيث يبدو أن المعروف عنه بصورة مؤكدة قليل على أية حال » إلا أنه على المسيحي أن يوحى إلى صديقه المسلم الانطباع بأنه لا يتفق مع كل ما يقوله القرآن . ويجب على المسيحي أن يختار زميله المسلم ليكتشف ما الذي يعرفه عن دينه . فإذا كان المسلم يصلي بصورة منتظمة فيجب على المسيحي أن يسأله متى ولماذا ؟ وعليه أن ينقل المحادثة إلى ذات الإله ، وطبيعة الخطيئة وكيف يكون الغفران ممكنا .

إن العديد من الطلبة المسلمين يهتمون اليوم بشخص المسيح . والمطلوب من الطلبة المسيحيين أن يتحدثوا عن ميلاد المسيح ومعجزاته وموته . ويجب أن يقدم المسيح بالنسبة للمسلم على أنه « كلمة » الله وليس « ابنه » .

ويجب على المسيحي أن يتذكر أن « أي طالب مسلم يعرف عنه أنه يفكر بجدية حول المسيحية أو يقرأ العهد الجديد ، عرضة لأن يتم « إنقاذه » من قبل زملائه المسلمين ، الذين سيستخدمون القدر اللازم من « القوة » لذلك . ويتم في بعض الأحيان إبلاغ الأمر إلى أبويه ويتوقف وصول المساعدات المالية من الوطن . وقد اختفى العديد من الطلبة المهتمين (بالمسيحية) فجأة ، أو أصبح من الصعب الاتصال بهم . ولذلك يجب أن تكون الاحاديث الشخصية مع الطلبة المسلمين حول العقيدة ، على أساس شخص لشخص وسرا^(١) .

وتنصح الجمعية الطلبة المسيحيين ألا ينحازوا تماما لإسرائيل ، وأن يكونوا مستعدين للاعتراف بأن معاملة الحكومة الاسرائيلية للعرب في الضفة الغربية لا يمكن لأي مسيحي أن يتغاضى عنها ، وتفتتح (الجمعية) أنه في أية مناسبة لتجمع مسيحي / مسلم ، يجب الاهتمام

بدرجة كبيرة ألا تنشب مناقشة حول ذلك . وأنه بعد المحادثة وتطور العلاقة ، يجب تبادل المطبوعات .

٣ - أسلوب الاستمالة من خلال التناول الإسلامي :

يطلب إلى أعضاء الاتحاد المسيحي ، في هذا الأسلوب من الاستمالة أن يكونوا على صلة بالجمعيات الإسلامية في الجامعات البريطانية : ما لم تكن قيادة الجمعية الإسلامية من المسلمين المتعصبين سياسيا ، فقد يكون من الحكمة للاتحاد المسيحي ألا يقترب منها كثيرا ، لأن ذلك قد لا يقدم عونا فضلا عن أنه قد يسبب مشكلات ، ولكن إذا كانت الجمعية بقيادة أشخاص مخلصين دينيا يريدون تنفيذ إرادة الله ، فقد يكون الاتصال مفيدا ، كما أنه بالرغم من أن أعضاء الاتحاد يجب أن يحضروا الاجتماعات الإسلامية الموسعة ، فإنه يجب عليهم ألا يفعلوا ذلك بأعداد كبيرة ، كما لا يجب أن يثيروا مواجهات .

ويوصي الاتحاد المسيحي بوقاية المسيحيين الطيبين من شيئين :

أ - من الآداب القوية فكريا والتي يحتمل أن تروق للعقل الغربي ، أو تهدد الثقة المسيحية في الديانة المسيحية .

ب - من المسلمين المخلصين في أداء الفروض والذين يتحدثون ويكشفون عن « حب لله » و « هدف الحياة » و « خوف الموت » الخ .. الخ وهي موضوعات يشعر المبشرون المسيحيون أنها يجب أن تظل منطقة احتكار خاصة بالدين المسيحي .

ويجب على أعضاء الاتحاد المسيحي أن يبحثوا عن غير المسلمين الذين لا يعرف عنهم أنهم مسيحيون كذلك ، والذين يبحثون عن الله .

« ويحتاج هؤلاء الطلبة إلى التعرف على عجائب الخلاص من خلال المسيح عيسى ، قبل أن يجذبهم الإسلام » .

ويجب على الطلبة المسيحيين أن يكونوا في غاية الحذر عند توجيههم الأسئلة في الاجتماعات الموسعة . ذلك أن السؤال « ماذا عن الحروب المقدسة ؟ » مثلا ، سوف يؤدي بالضرورة إلى سؤال عن « ماذا عن الصليبيين ؟ » وربما يؤدي إلى مواجهات وقد يفضل توجيه أسئلة مثل « هل أنت على يقين بأن الله يتقبلك ؟ » أو « ما الذي يقوله القرآن عن الغفران ؟ » ^(١١) .

٤ - طريقة أخرى للزمالة المسيحية في الجامعات والكليات :

من الأساليب الأخرى للزمالة المسيحية في الجامعات والكليات ، تنظيم اجتماعات غير

رسمية للطلبة الأجانب ممن لهم خلفيات وطنية مختلفة مثل أمسية ماليزية ، ليلة أندونيسية ، ليلة بنجلاديشية الخ ..

وقد ذهبت إلى واحدة من تلك الليالي في الأسبوع الأول من مايو ١٩٨٣م في لندن . وكانت ليلة بنجلاديشية . وقام طالب بنجلاديشي مسلم بعرض تاريخ وجغرافية وثقافة بنجلاديش ، كما عرض فيلم عن زراعة الشاي - وهو من محاصيل التصدير الرئيسية في تلك الدولة . ويوجد في مثل تلك التجمعات عدد قليل من المسلمين عادة مع آخرين من غير المسلمين من جنسيات مختلفة : وفي تلك المناسبة طلب رسميا من المسلمين الحضور بمرافقة زملائهم المسيحيين . وكان التجمع في مقر فرعهم الخارجي في لندن والذي لم تكن غرفه من السعة بحيث تتسع لعدد كبير وقد قيل لي أنه بالنسبة للتجمعات الأكبر يتم استئجار صالة مناسبة لهذا الغرض .

ولم يذكر طلبة اتحاد الزمالة المسيحية مطلقا خلال الليلة أي شيء عن المسيح أو المسيحية . وقد أظهروا ، بأبسط طريقة ، كرمهم وافتحهم وصادقتهم للمشاركين البالغ عددهم ٤٦ شخصا . ومع ذلك فقد كانت هناك كمية كبيرة من المطبوعات معروضة في أحد أركان الغرفة ، يمكن للمشاركين شرائها أو تزويدهم بكتيبات مجانية منها . وكرر الشخص الذي نظم اللقاء رجاءه للمشاركين أن يتركوا عناوينهم في كراسة موضوعة على إحدى الموائد . وتستخدم تلك العناوين في أعمال المتابعة ، أو إذا كان الطالب قد جاء من مكان خارج لندن ، فيمرر عنوانه رجلا كان أو امرأة إلى فروع اتحاد الزمالة . وينظم هذا الفرع للطلبة الأجانب ، علاوة على تلك « الليالي » ، رحلات في عطلة نهاية الأسبوع إلى أجزاء مختلفة من بريطانيا ، مشجعا الطلبة الأجانب على المشاركة فيها .

٥ - منظمات أخرى :

١ - إن « دار التعارف » عبارة عن مقهى صغير في لندن يقوم بمهام متنوعة من بينها توزيع الطعام على الفقراء والجائعين لدى ظهورهم هناك . إلا أن أيام السبت ما بين الساعة ٧ - ١١ مساءً محجوزة للطلبة ، خاصة الطلبة المسلمين . ويوجد بعض المغاربة مستعدين لشرح المسيحية للطلبة العرب ، ويوجد لذات الغرض أشخاص من الولايات المتحدة يشرحون باللغة الإنجليزية لأولئك الذين يتحدثون الإنجليزية جيدا . كما تقدم المساعدة للطلبة الأجانب الذين يرغبون في دراسة اللغة الإنجليزية . ويقوم بتقديم القهوة والبسكوت سيدات محتشمات غير حاسرات الرأس . ولكن هذا الترحيب يهدف إلى التأثير على الطلبة الأجانب وخاصة الطلبة المسلمين الذين يشعرون بالعزلة الشديدة والوحدة لدى حضورهم إلى هذا الجزء من العالم .

٢ - وجمعية « أصدقاء تركيا » التي أنشئت في ١٩٧٣ ، هي منظمة غير طائفية مركزها لندن وهدفها الرئيسي هو مساندة أعمال التبشير في تركيا . ولكنها تعزز أيضا الأنشطة التبشيرية في بريطانيا على نطاق محدود ولكنه مهم نظرا لوجود عدد كبير من الطلبة المسلمين من تركيا .

٣ - ويمارس « مركز الشبيبة » نشاطه بصورة رئيسية في سويسرا حيث يوجد مقر المنظمة ، ولكن مطبوعاتها باللغتين العربية والإنجليزية تستخدم على نطاق واسع في أعمال التبشير في صفوف الشباب المسلم في بريطانيا .

٢ - أساليب قساوسة اتحاد جيردندر :

أخذ اسم اتحاد جيردندر من اسم معبد وليام هنري جيردندر (١٨٧٣ - ١٩٢٨) المبشر الانجليكاني المولود في ايرشاير ، سكوتلندا وطالب كلية ترينيتي (الثلاث) بأوكسفورد . وقد عمل جيردندر في القاهرة لحساب جمعية تبشير الكنيسة اعتبارا من ١٨٩٨^(١٢) . ويوجد مقر الاتحاد في كنت . وتشرح الكراسة التمهيدية أهداف قساوسة الاتحاد ملخصة في :

١ - القيام بالأعمال التبشيرية في صفوف مسلمي الاتحاد السوفييتي وإرسال مبشرين جدد إلى المناطق التي توجد فيها شعوب لم يسبق الوصول إليها من قبل في أنحاء العالم .

٢ - تعليم كنيسة المسيح عيسى في بريطانيا وأوروبا وتدريبها على عمليات التبشير بين المسلمين^(١٣) .

ويهدف الاتحاد إلى العمل بصورة أساسية في مناطق أوزبكستان وكازخستان وطاجيكستان وتركمان وآزري ويوغور في روسيا من خلال الراديو والزيارات والترجمة^(١٤) ولإنجاز هدفهم الثاني في بريطانيا ، تم وضع برنامج من أربع نقاط :

١ - ندوات توعية المسلمين : وهي ندوات يعقدونها في جميع المدن الرئيسية في بريطانيا لإعطاء المبشرين عرضا شاملا للموقف الإسلامي في أنحاء العالم وبخاصة في بريطانيا ، ولتشجيع مشاركتهم في العمل بين المسلمين .

٢ - التعليم : يقوم الاتحاد بتنظيم إدارة ندوات ، مدرجة في المنهج الدراسي لكليات الإنجيل الموجودة في بريطانيا .

٣ - الاجتماعات : التي تعقد في الكنائس والمدارس والكليات ، وهدفها تبادل الخبرات الشخصية للاتصال مع المسلمين . وفي مثل تلك المناسبات ، يكون من بين فقرات البرنامج تقديم عروض سمعية بصرية عن الإسلام .

٤ - الرسالة الاخبارية : تنشر من وقت لآخر من كنت ، وتقوم الرسالة بإخطار الأعضاء المبشرين بالأنشطة اليومية للمسلمين وما يقع من أحداث تتصل بالمسلمين في بريطانيا والمناطق المختلفة في الاتحاد السوفيتي^(١٥) .

ندوة توعية المسلمين :

أسس هذه الندوة في البداية معهد صمويل زويمر . « وتهدف الندوة إلى تغيير السلوك » . ذلك أن معظم المسيحيين ، أيا كان موقعهم في العالم ، هم ضحايا قرون من التمييز ضد المسلمين . ومن الموضوعات المحددة للتعليم ، إظهار أن إحدى أبرز العقبات الخطيرة للتبشير في صفوف مسلمينا ، هي السلوك السلبي للمبشر^(١٦) . ويتم في الندوة « النظر في الوضع الذي يوجد المسلمون عليه اليوم »^(١٧) ، مثل : متحرر ، سلفي ، صوفي إلخ .. وليس النظر في النواحي النظرية للإسلام . ويخصص جزء من كل ندوة لدراسة الحالات وتتم دراسة الحالات في إطار الثقافتين المعنيتين في هذه الحالة ، وهما البريطانية والإسلامية^(١٨) .

وتوحي الرسالة الاخبارية إلى العاملين المشاركين : بوجود « ١٢ طريقة يمكن عن طريقها لكنيستكم استمالة المسلمين من أجل المسيح » :

١- الحصول على الحقائق (قام الاتحاد بتجميع حقائق ، كما أن لدى لجنة مدينة لندن بعض من يعملون في صفوف الجالية المسلمة في لندن) .

٢ - عقد ندوة توعية المسلمين (يوجد لدى الاتحاد مواد لتقديم تلك الندوات في بريطانيا وفي أوروبا - ويقوم الاتحاد بالإعداد لها عند الطلب) .

٣ - عرض شرائح أفلام عن الإسلام (ومما يوجد لدى الاتحاد) .

٤ - إلقاء الأضواء على العالم الإسلامي في عشاء الكنيسة التي تنتمي إليها أو في الاجتماعات التبشيرية .

٥ - إضافة كتب أساسية إلى مكتبة الكنيسة .

٦ - إقامة علاقات صداقة مع جيرانك المسلمين (يقترح الاتحاد أن تصبح رسالة إنجيلية حية في صفوف المسلمين لا أن تضربهم « بمرزبة الإنجيل ») .

٧ - حضور الأحداث الثقافية الإسلامية المحلية .

٨ - القيام بعمليات تبشير قصيرة المدى في صفوف المسلمين (يقترح الكتابة إلى القساوسة في الخارج إلخ ..) .

٩ - إرسال الأشخاص الذين يملكون عقلية تبشيرية لدورات تدريبية (مثل الكلية المسيحية لكل الأمم) .

١٠ - مراجعة ميزانية بعثتك في إطار العالم الإسلامي .

١١ - تلقي الرسالة الإخبارية لقساوسة اتحاد جيردور (كذلك ينشر الاتحاد مطبوعة « سكان - جمعية أبناء آسيا الوسطى منذ ١٩٨٣ - وهي دراسة لشخصية الشعب المسلم) .

١٢ - « الصلاة » من أجل المسلمين (وهي تتضمن التبرعات أيضا)^(١٩) .

وقد أنتج الاتحاد من ندوة توعية المسلمين شرائط كاسيت قليلة تستخدم في عمليات التدريب التالية ، في الدوائر التبشيرية المختلفة التي تريد معرفة الإسلام من منظور مسيحي . وتوجد مجموعتان من شرائط الكاسيت تعالج الأولى منها « أساسيات » الإسلام وتتناول موضوعات مثل :

١ - البداية الأولى للإسلام - وصف للشرق الأوسط عند ظهور الإسلام .

٢ - الأتراك والمغول - تقرير عن التغير الذي حدث في الإسلام من العرب إلى الأتراك والمغول .

٣ - جذور القانون الإسلامي - في ضوء القرآن ، والسنة ، والإجماع والقياس .

٤ - « إصلاح » في القرن العشرين : أثنورك ورضا خان .

٥ - نصيحة عن الشهادة لدى المسلمين .

وتتناول المجموعة الثانية القانون الإسلامي :

١ - القانون الإسلامي .

٢ - القانون التقليدي .

٣ - القانون والإصلاح^(٢٠) .

ويعتقد بأن الإسلام دين قانون وأن قانون الأسرة هو لب هذا القانون . ويقولون إن القانون التقليدي لم تبدأ ممارسته بعد . وقد مرت القوانين الإسلامية ببعض الإصلاحات نتيجة للتأثير الغربي ، الذي حث المسلمين على محاولة إحداث تغييرات في نظامهم القانوني .

وقد أعد الاتحاد بيانات المسح الأساسية لندوات التوعية الإسلامية . وتعطي تلك البيانات المعلومات الضرورية عن المسلمين ومواقعهم والاتصالات المسيحية التي تمت معهم . وفيما يلي مقتطف من استبيان استخدم لهذا الغرض .

مكان الندوة :

التاريخ :

بيانات مسح أساسية

ندوة التوعية الإسلامية

الاسم : الوظيفة :

العنوان : الهاتف : (عمل)

..... (منزل)

١ - ماذا أو من دفعك لحضور هذه الندوة ؟

٢ - هل أنت على صلة بالمسلمين ؟

نعم / لا العدد
من أية دولة
أو جماعة عرقية

في المنطقة المجاورة ؟

في المكتب ؟

في كليتك أو جامعتك ؟

غير ذلك ؟ (حدد)

٣ - إذا كنت قد حاولت صداقة ومشاركة المسلمين في عقيدتك ، فما الذي كان له تأثير بالنسبة لك ؟

٤ - أكبر العقبات التي تجدها في طريق الصداقة الفعالة والحضور مع المسلمين ؟

٥ - هل توجد أية بيانات تشعر أن من المفيد الإدلاء بها ؟

٣ - الفريق الدولي :

« الحملة الصليبية العالمية » السابقة تحولت الآن إلى « الفريق الدولي » نظرا

لأن كلمة « صليبي » لم تعد كلمة دقيقة ، فضلا عن أنها عدائية جدا بالنسبة

للمسلمين^(٢١) . وقد قرر الفريق مؤخرا العمل في صفوف الخمسة والعشرين ألف مسلم

بنجالي في برمنجهام ، وتم وضع الملامح الرئيسية لثلاثة أساليب رئيسية :

١ - أن النساء والشيوخ المسيحيين لا يعرفون اللغة الإنجليزية ، وأن الرجال يعرفون من اللغة ما يساعدهم على الحياة . وأن الأطفال والشباب يتحدثونها بطلاقة . ومن ثم عليك أن تعلم اللغة الإنجليزية للشيوخ .

٢ - يمكن للأشخاص المتزوجين والرجال غير المتزوجين التحدث إلى العديد من الرجال المسلمين المتعطلين الذين ينتشرون في حدائق برمنجهام وباراتها . وهم يخططون عن طريق إقامة الصداقات وتقديم المساعدة على أسس فردية ، إلى تحويل الرجال المسلمين إلى المسيحية أولاً . طبقاً لهذا الفريق فإن الثقافة الإسلامية تجعل النساء خاضعات بصفة مطلقة للرجال ، وهذا هو السبب لضرورة « إنقاذ » الرجال أولاً « وتخليصهم » .

٣ - يجب على العاملات غير المتزوجات أن يتقربن إلى النساء المسلمات في الجوانب المختلفة من حياتهن . ويمكن أن يشكل التعليم ، والحياكة ، والعناية بالأطفال في مناخ ثقافي جديد ، وتعليم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية وبمجرد الصداقة ، كل ذلك يمكن أن يشكل الطرق الرئيسية لتقديم العون .

٤ - يمكن أن يكون أحد المداخل الأخرى المحتملة إنشاء مقهى للرجال الذين لا يعملون حيث يمكنهم التجمع فيه ، ومشاهدة أشرطة الفيديو المسيحية . والحديث إلى أعضاء الفريق والتعرف على المسيح في جو غير رسمي ^(٢٢) .

ويتمركز هذا الفريق في ألباني ، الولايات المتحدة . وقد دربوا هذا العام ٦٠ مبشراً جديداً للعمل في المناطق المختلفة . وفي سبتمبر ١٩٨٥ م ، تم إعداد المجموعة الأولى الموجهة خصيصاً إلى المسلمين ^(٢٣) ، عن طريق برنامج آخر للتدريب المكثف .

٤ - أسلوب الاستمالة المبني على المدخل الثقافي المتقابل (القرينة) :

إن مصطلح « المبني على قرينة » يعتبر جديداً في الدوائر التبشيرية . ذلك أن بعثات التبشير الغربية ظلت حتى ذلك الوقت تحمل الإنجيل إلى الدول الشرقية ، مع بعض الشعور بتفوق حضارتها . ويعتقد الكثير من المبشرين أن ذلك أدى إلى الإضرار بالتقدم الطبيعي لعمليات التبشير . وقد حدث مؤخراً تطور في الطلب على المبشرين لإلقاء أحاديث إلى الذين تحولوا إلى المسيحية ، وذلك بلغاتهم وحضارتهم الخاصة ، ومن المسلم به أن هذا الأسلوب في الاستمالة هو الأكثر ملاءمة مع المسلمين . إن أسلوب الاستمالة « بهدوء » يتطلب : « ألا تقدم كل ذلك إليهم ، بل مجرد العقيدة فحسب » ^(٢٤) وكانت النساء المبشرات ، في العديد من الدول الإسلامية ، يضعن الحجاب عندما يسافرن إلى القرى البعيدة المحافظة ^(٢٥) . « كما يجب بالمثل على الرجل

المبشر أن يلبس زيا مماثلا للمجموعة التي يقوم بالتبشير في صفوفها»^(٢٦) . و « يقوم الكثيرون من المبشرين بإطلاق لحيثهم لأن ذلك أمر شائع جدا في صفوف المسلمين »^(٢٧) إن الاستمالة « المبنية على قرينة » أو أسلوب الاستمالة بالثقافة المقابلة ليس له أية صلة بتغير المعتقدات المسيحية الأساسية ، إنه ببساطة نوع من الترجمة ، ترجمة لغة إلى لغة أخرى ، وثقافة إلى ثقافة أخرى ، وأسلوب عمل إلى أسلوب عمل آخر .

وقد حدث في بريطانيا ، منذ بضع سنوات ، أن قامت الكنيسة « الميثودية » في برادفورد بتعيين باكستاني قسيسا بها . وكان قد أمضى عشرين عاما قبل ذلك ، مسؤولا عن كنيسة في كراتشي ... وعندما وصل أعلن « إنني أشعر بأن تلك فرصة أخدم بها أبناء وطني هنا » ، وكان الهدف من وراء تلك الحركة هو « أن الاتصالات الاجتماعية سوف تؤدي إلى التحول الفعلي » للمسلمين المحليين^(٢٨) .

وبالرغم من أن تلك التجربة لم تكن تجربة ناجحة ، وكان معدل التحول تافها - « مجرد أسرة واحدة فقط من بين ما يزيد على الألف »^(٢٩) ، إلا أنه لم يتم التخلي عن هذا الأسلوب في الاستمالة . وليس مما يثير الدهشة أن نرى بعض المبشرين يعملون في مناطق إسلامية ، ويتبنون إلى حد ما ، ثقافة المكان الذي يعمل فيه مباشرة .

وقد عينت بعض الكنائس ، هذه الأيام ، أشخاصا يعملون كل الوقت في صفوف المسلمين . ومهمتهم الرئيسية هي فهم عقيدة المسلمين وثقافتهم ومشكلاتهم لإبلاغها إلى الكنائس التي يتبعونها .

ويقول أحد المبشرين ذوي الخبرة : « في القيام بعمليات التبشير في صفوف المسلمين ، سوف نحتاج إلى الموازنة مع المبادئ المتنوعة للاتصال سواء كمبشر في دولة أخرى ، أو كراعي في الكنيسة ، أو كفرد عادي يبحث عن علاقة ذات مغزى مع أحد الجيران أو الزملاء المسلمين . وعندما يتم فهم تلك المبادئ المتنوعة والسيطرة عليها ، يصبح طريق التقدم للأمم أكثر وضوحا ومليئا بالفرح من الأمل »^(٣٠) .

٥ - حملة الصليب :

منظمة غير طائفية ، مسجلة طبقا لقانون الجمعيات الخيرية ، وقد أنشئت في **هي** عام ١٩٨١ ، وهي جماعة إنجيلية تسعى إلى اجتذاب المسلمين بتدريب المسيحيين على القيام بذلك على وجه الدقة .

ومقرها برمنجهام وبها ثلاثة من المديرين التنفيذيين اثنان من الموظفين . ويقومون بإصدار مجلة باسم « الصليب »^(٣١) .

وقد أصدر حملة الصليب مؤخرا كتيباً صغيراً كتبه مديرهم تامور جان . هذا الكتيب فتح أعين الكثير من المسلمين على حقيقة أن الإنجيلية لم تعد مجرد تسليية نظرية أو أكاديمية . فقد ظل الإنجيليون فترة طويلة يجهزون الأرض وبدأوا الآن يرون (من وجهة نظرهم) أن عملهم قد أثمر . إن عنوان كتيبهم هذا هو « المسلمون السابقون من أجل المسيح » والذي يحكي عن تحول المسلمين . ويقول المدير : « لقد واجهت مهمة صعبة جداً لاختيار سبعة من المسلمين المتحولين من بين الكثيرين » .

والشيء الذي لا نعرفه ، هو ما إذا كان هؤلاء الذين تحولوا إلى المسيحية هم المؤسسون لتلك المنظمة وما إذا كانوا لا يزالون مرتبطين بها . والأمر الذي نعلمه هو السبب الذي تحولوا من أجله . يقول شيم حسين من بنجلاديش « خلال فترة دراستي تقرب إلي أحد محاضري الكلية . ونظراً لأنني من أسرة إسلامية محافظة ، فقد كنت أشعر بالوحدة في إنجلترا نتيجة لخوفي من الدخول في صداقات ، وخاصة مع زملائي من الإنجليز الذين يشربون الخمر ويمرحون مع الفتيات ولكن ذلك المحاضر وأسرته بدوا كأنهم الاستثناء من القاعدة . فقد أظهروا لي حبا صادقا واهتماماً حقيقياً » . (وأظهروا بعض الاهتمام بالديانة المسيحية ، وفي أحد الأيام) « عندما كنت على وشك الانتهاء من دراسة دبلوم الدراسات الوطنية العليا في الأعمال ، دعاني صديقي المحاضر لحضور اجتماع مسيحي . وبدأت أذهب إلى الاجتماع لأسخر أساساً من العقيدة المسيحية ولأنتقد معتقداتهم ، وبصفة رئيسية تعاليمهم الزائفة عن ابن الله ، ومع حضوري لتلك الاجتماعات عدة مرات ، أخذت كثيراً بحقيقة الحرية في عبادة إلههم الحقيقي . وفي الليلة الخامسة أي في الثالث والعشرين من مارس ١٩٧٧ ، جوبهت بحقيقة حياتي ، وهي أنني آثم ... » وتحول إلى المسيحية بعد ذلك (٣٢) .

٦ - النتائج :

توزيع كميات كبيرة من المطبوعات في صفوف المسيحيين بهدف استمالة **ويتم** المسلمين وفهم المسلمين والإسلام . وللأسف فإن هذه المطبوعات لا تمثل الإسلام في صورة سليمة مطلقاً . « لقد تأثر محمد بالمسيحية واليهودية » . « الإسلام ضعيف في تعاليمه حول الخطيئة » (٣٣) . « هناك إحياء بأن إله الإسلام يشبه شيخاً طيب القلب . وأن بابه مفتوح ، يمكن لاتباعه أن يتقدموا إليه من خلاله يطلباتهم » (٣٤) « وأن محمداً (صلوات الله وسلامه عليه) تعرض في إحدى المراحل لإغراء السماح بالعبادة المشتركة للمزارات غير الهامة للآلهة الذين كانوا يعتبرون بنات الله » (٣٥) ... « الضعف في الفكرة القرآنية عن رحمة الله » (٣٦) ... « أن الإسلام قد استطاع بالمثل التعايش مع المبادئ الشيوعية » (٣٧) . تلك بضعة أمثلة من الأمثلة الكثيرة لعمليات التشويه الكبيرة .

ثانيا ، اعتاد المسلمون على القول ، ولا يزالون يقولون إنهم لا يمكن أن يتحولوا عن الإسلام . ولكن هذه الأسطورة بدأت تتحطم الآن ببطء . وأن المتحولين الصغار إلى المسيحية يقدمون إسهاماتهم الخاصة من الجانب المسيحي . ويكفي بيان لواحدة من بين العديد من المتحولين - المعروفين وغير المعروفين - يعطينا تقويما للظروف المحيطة داخل وخارج البيت والتي دفعت بها إلى التحول وهذه هي قصتها :

« كنت طفلة صغيرة عندما هاجر والدائي من الباكستان إلى إنجلترا . وبدأت تعلم القرآن عندما أصبحت قادرة على التمييز بين الأبيض والأسود . وقد كان من الصعب جدا بالنسبة لي أن أقرأ القرآن ، ناهيك عن فهمه . وكنت أتعرض للضرب في كل مرة أرفض فيها قراءة القرآن ... وقد أرغمت على قراءة ذلك الكتاب ، مما حملني على التمرد ... وانضمت إلى العصابات واعتقدت ذلك شيئا رائعا ، وأنتي قد وجدت ما أريد ... ولكنني لم أجد الحب والرعاية التي كنت أبحث عنها .. إن الضرب والإهانة والرقابة الصارمة كل ذلك أشعرتني بالإحباط الشديد ، ورأيت في المدرسة مذكرة عن الزمالة المسيحية ، وذهبت إلى الاجتماعات على أنني سوف أتناقش في البداية ، ولكن الأمور وصلت إلى نقطة لم أكن أناقش فيها من أجل المناقشة ، لقد كنت أسأل بدافع الاهتمام » (٣٨) .

وتحولت إلى المسيحية في أغسطس ١٩٧٩ وهي توالي الحضور بنشاط في كنيسة « اليم بنتكوستال » في برمنجهام .

وتعطينا هذه القصة بعض الأفكار عن مدى إلحاح الحاجة إلى تغيير أساليبنا ومواقفنا من تعليم أطفال المسلمين الإسلام . إن التعليم لا بد وأن يكون محببا وجذابا لأن الأطفال الذين ينشأون في إنجلترا يواجهون نوعا مختلفا جدا من التعليم في المدارس المدنية عن ذلك الموجود في مدارسنا الدينية . ويوضح ذلك أيضا أنه حتى في البيئة المدنية ، يمكن اجتذاب الشباب ، الذي يشعر بالإحباط ، إلى الدعوة المسيحية ، ولا يعني ذلك في الأساس أن عقولهم غير دينية ، إن الأطفال في معظم مدارسنا الدينية أو في المدرسة (والذين أمضوا فعلا يوما في مدرسة عادية) يتعلمون أن « يكرروا » أكثر مما يتعلمون أن « يفكروا » ويؤدي ذلك عادة إلى الاستياء من المدرسة أولاً ثم المدرس . وبعدها إذا لم تكن الحياة في البيت تدعم الالتزام بالإسلام ، فإنها تدعو إلى الاستياء من إسلام أسبيء عرضه .

٧ - توصيات :

أولاً : في بريطانيا اليوم ، أصبح من الضروري وجود منظمة للشباب والطلبة ذات هدفين :

١ - توعية زملائهم الطلبة بما يتم تنظيمه داخل الجامعة والكليات بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة من قبل المسيحيين ، ضد الإسلام والمسلمين .

٢ - أن تقوم تلك المنظمة بتنظيم أعمال الدعوة في صفوف الشباب بصفة خاصة وفي المجتمع بصفة عامة .

ويجب أن تدار هذه المنظمة أساساً من قبل الشباب أنفسهم ، وبخاصة أولئك الذين ولدوا ونشأوا في (بريطانيا) .

ثانياً : يجب تقديم دورات تدريبية سريعة من وقت لآخر عن المسيحية ومعتقداتها الأساسية وأفكارها مع الإشارة بصفة خاصة إلى أساليب التبشيرية . وسوف يعطى ذلك فكرة إلى حد ما عن كيفية العمل والتعامل مع الجمعيات المسيحية بصفة خاصة ومع الجمعيات التبشيرية بصفة عامة . وربما يجب تدعيم تلك الدورات التدريبية بكتيب واحد على الأقل عن المسيحية ، مع التعريف بكنائسها المختلفة .

NOTES

1. Herbert Kane, **Understanding Christian Mission**. Baker, 19, p. 150.
2. J.S. Nielson, «Muslim Immigration and Settlement in Britain», **Muslims in Europe** No. 21, March 1984, p. 3.
3. M.M. Ally **HISTORY OF MUSLIMS IN BRITAIN 1950-1980**. p. 1. Unpublished research Thesis.
4. Ibid., p. 4.
5. Peter Brierley, (ed), **U.K. Christian Handbook 1985/86** edition. (MARC Europe, London), p. 391.
6. **Light on Islam** (UCCF, 1981), p. 7.
7. Ibid., p. 9.
8. Ibid., p. 10.
9. See for detail **Light on Islam**, pp. 16-18.
10. Ibid., pp. 16-20.
11. Ibid., pp. 21-22.
12. For a detailed biography See C.E. Padwick, **Temple Gairdner of Cairo**. (SPCK, London, 1929).
13. See **Gairdner Ministries-Our Aims and Operation** (leaflet).
14. Ibid.
15. Based on **Gairdner Ministries-Aims and Operation**.
16. **Gairdner Trust Ministries-A Micro view of an Organisation** (committed to Reaching Muslims for Jesus Christ (introductory brochure).
17. Ibid.
18. Ibid.
19. **The Gairdner Ministries Newsletter**, (Kent, England, n.d.)
20. **Gairdner Trust Ministries-Training Tapes on Islam**, both sets are available from their centre in Kent.
21. See their leaflet issued by Kevin O. Dyer, the President of the Team.
22. See their leaflet- «**England: the Muslims are Coming**».
23. Leaflet-«**International Team**».
24. Phil Parahall, **New Path in Muslim Evangelism. Evangelical Approach to Contextualization**. (Grand Rapids, Michigan,) p. 98.
25. Ibid., p. 110.
26. Ibid., p. 115.
27. Ibid., p. 116.
28. Eric Butterworth, **A Muslim community in Britain**. Church Information Office, (Westminster, 1967) p. 30.
29. Ibid.
30. Martin Goldsmith, **Islam and Christian Witness**. (Hodder and Stoughton, London, 1982,) p. 132.
31. Peter Brierley, (ed.), op. cit., p. 380.
32. Tamur Jan, **Ex-Muslims for Christ**. (The Crossbearers, Birmingham, 1980) pp. 4-5.
33. Patrick Sookhdeo, **Asians in Britain-A Christian Understanding**. (The Paternoster Press, 1977,) p. 37.
34. Martin Goldsmith, op. cit., p. 90.
35. Ibid., pp. 53-54.
36. Ibid., p. 50.
37. Ibid., p. 25.
38. Tamur Jan, op. cit., (for detail).

نحو حل لمشكلة الأقليات

بقلم

الدكتور محمد فتحى محمود

كلية العلوم الإدارية - جامعة الملك سعود

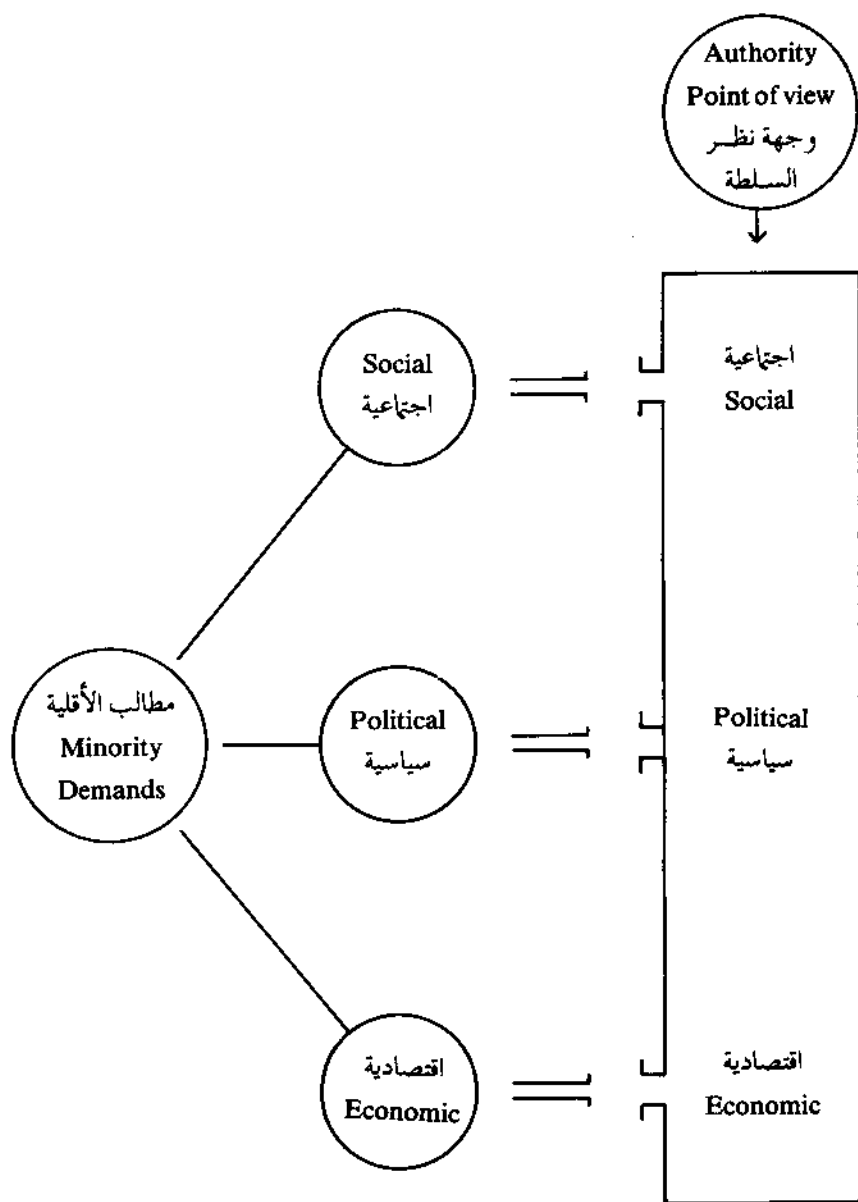
نحو حل لمشكلة الأقليات

د. محمد فتحي محمود

يهدف هذا البحث إلى مناقشة الآراء في محاولة لتقديم حل لمشكلات الأقليات في العالم . وبالرغم من أن لكل أقلية مشكلاتها ومطالبها الخاصة بها ، فمن الممكن تشكيل نمط عام من المطالب التي تنال أكبر قدر من الاهتمام من معظم — إن لم يكن من كل — الأقليات ويمكن تلخيص هذه المطالب فيما يلي :

- ١ — الاعتراف بالهوية .
- ٢ — أن يكون لهم صوت مسموع ولو بسيطاً في الحكومة على مختلف المستويات .
- ٣ — تحقيق أقل قدر ممكن من الدخل والثروة . وعندما يطالبون بما يعتقدون أنه « حقوقهم » فإن هذه الأقليات تقع فريسة للسلطة الحاكمة ، وفي أحوال كثيرة تتعرض لأنواع مختلفة من الاضطهاد .

ولا يهدف هذا البحث ، بل ولا يستطيع أن يهدف — إلى حل مشكلات كل أقلية في كل بلد في جميع أنحاء العالم ، ولكنه يهدف فقط إلى تعيين بعض الخطوط العريضة التي يمكن الاستفادة بها في بحث قادم . وسوف يتبع منهجاً في ذلك من المطالب العامة التي ذكرت بأعلاه والتي يمكن تصنيفها إلى مطالب اجتماعية وسياسية واقتصادية وقد يتضح ذلك من الرسم التخطيطي رقم (١) . ويبين هذا الرسم التخطيطي وجود فجوة بين إدراك هذه الأقليات لمطالبها وبين وجهات نظر السلطات . وتوجد هذه الفجوات في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ويمكن أن تزداد اتساعاً في بعض المجالات عن غيرها . وسوف نقوم بالتركيز على كل واحد من هذه المطالب على أمل تقديم بعض الاقتراحات التي تقبل التطبيق والتنفيذ .



الرسم التخطيطي رقم (١) **DIAGRAM I**
Problems Facing Minorities in Different Countries
 المشكلات التي تواجه الأقليات في دول مختلفة

أولاً : الاعتراف بالهوية

الاعتراف بالهوية هو تحقيق ذات الفرد في أمر شخصي ، غير أنه لا يوجد حد لمدى الاعتراف بالهوية . ويمكن لهذه الفكرة أن تصل إلى مرحلة التفكير الجدى فى الانفصال . ولكن إذا وافق الشخص على اعتبار أن شخصيته من شخصية الجماعة فيمكن بسهولة تحقيق التجانس . وهذا هو التجانس الذى يجب على الإدارة الحاكمة أن تحققه بمختلف طرق العلاقات العامة ويمنح فرص متساوية لكل عضو فى المجتمع . ولا يجب أن يقتصر منح هذه الفرص على مجالات التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية فحسب بل يجب أن تمتد لتشمل الوظائف ، وبشكل أكثر أهمية فى التمثيل السياسى على مختلف المستويات الحكومية المحلية والمركزية .

والهوية تعنى أيضا الإحساس بالانتماء . ويمكن تأمين هذا الإحساس عند تحقيق درجة عالية من التكامل بين الجماعات المختلفة وأعضاء المجتمع . ولربما كانت أفضل طريقة لتحقيق ذلك هى منح فرص متكافئة فى وظائف القطاع العام والخاص ، وتكامل النظام الدراسى .

ولكى يتأقلم الفرد مع أعضاء المجتمع الآخرين فلا بد أن يتولد لديه الإحساس بأنه غير منبوذ . ولذلك ينبغى إلغاء كل الإجراءات والمستندات والتساؤلات التى يمكن أن تحدد هوية أى شخص غير المواطنة . وينبغى أن تكون القاعدة هى « مواطنون متساوون يتمتعون بحقوق متساوية » .

ولابد من الإشارة بوضوح إلى أن التمييز الاجتماعى ينشأ فى بعض الأحيان نتيجة سلوك الغالبية ، ولذلك فقد يكون من المفيد فى مثل هذه الحالات أن تحاول السلطات إحداث التقارب الوثيق بين الجماعتين بتوحيد وجهات نظرهم تدريجيا وإبراز إمكانية حدوث الانسجام بين الجماعتين .

ولذلك يبدو أن الإجراءات التالية قد تساعد فى حل مشكلات الأقليات فى المجال الاجتماعى :

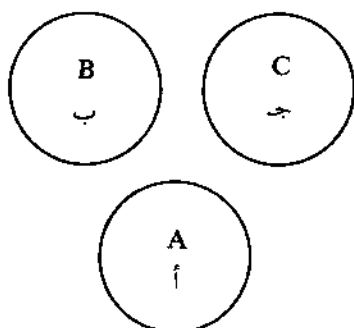
- ١ - إلغاء كل وسائل التمييز .
- ٢ - تشجيع التهيئة الاجتماعية التى تؤدى إلى درجة عالية من التفاعل .
- ٣ - فرض التكامل الاجتماعى وخاصة بالنسبة للتعليم والتوظيف والخدمات .

- ٤ - تطبيق نظام اللامركزية في مختلف أوجه النشاط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .
- ٥ - ينبغي في الدول التي يكون للحكومات فيها تأثير ملموس على وسائل الإعلام أو في الدول التي تمتلك فيها الحكومة وسائل الإعلام (كالراديو والتلفزيون) كما هو الحال في معظم الدول النامية ، اتخاذ موقف حيادي من جانب هذه الوسائل تجاه إسهام مختلف جماعات المجتمع وتجاه إبراز الدور الذي تلعبه الأقليات وذلك من أجل تحقيق تفهم أفضل وتحقيق الألفة بين كل جماعة أو ثقافة .

ويمكن تنفيذ هذه الإجراءات بواسطة الإدارة الحاكمة . ولكي تنجح هذه الإجراءات ، فإنه ينبغي لها أن تلقى موافقة الأقليات نفسها . وقد تجد هذه الأقليات ، أنه من الأسر لها أن تتأقلم مع المجتمع الجديد إذا ساد جو من الثقة وأمكن الحفاظ عليه . ويمكن التوصل إلى إيجاد مثل هذه البيئة حيال توفر الشروط الآتية :-

- ١ - عدم السماح بانتهاك حرمة ثقافة الجماعة ومعتقداتها وقيمها .
- ٢ - تشجيع التفاعل الثقافي بأكبر قدر ممكن وذلك على أمل إيجاد ثقافة جديدة تستفيد من كل الثقافات وتفيدها جميعا .
- ٣ - عدم وضع قيود على حرية المعتقدات الشخصية طالما أن ممارستها تتم داخل إطار النظام والقانون وطالما أنها لا تتدخل في معتقدات الآخرين وقيمهم .
- ٤ - ينبغي أن تنظر مظالم أي شخص أمام محاكم تمثل فيها مختلف الجماعات .
- ٥ - ينبغي على المحاكم والهيئات القضائية أن تصدر أحكامها دون خشية من محاباة ولا بد من إقامة العدل ومن أن يشعر الجميع بالعدل حتى تسود الثقة والاطمئنان .

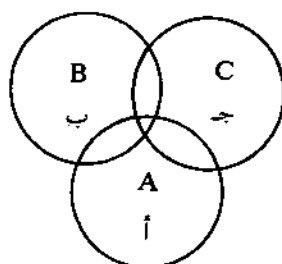
ومن الطبيعي أن تستغرق عملية التواءم والتأقلم وقتا حتى يتم تنفيذها بالكامل وعلى أية حال فإن هذا الوقت قد يختلف مداه من حالة لأخرى اعتمادا على أفعال وردود أفعال السلطات الحاكمة والأقليات ، أما الرسم التخطيطي رقم (٢) فيوضح بطريقة بسيطة كيف يمكن تحقيق النضج الاجتماعي بعد مرحلة الانعزال والمعاناة وينبغي أن نلاحظ أنه من الصعب التوصل إلى الحالة الرابعة التي يظهر فيها الانسجام الاجتماعي التام والكامل الذي إن تم كان مثاليا .



Stage I المرحلة الأولى

A Socially torn society

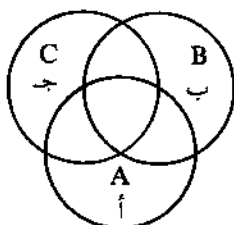
مجتمع ممزق اجتماعيا



Stage II المرحلة الثانية

Take-off into Social Integration

الدخول في التكامل الاجتماعي

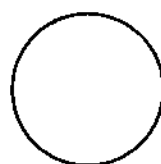


Stage III المرحلة الثالثة

A Socially Advanced

Well-Integrated Society

مجتمع متقدم ومتكامل اجتماعيا بدرجة
جيدة



Stage IV المرحلة الرابعة

A Socially developed and
Integrated Society

مجتمع متطور ومتكامل اجتماعيا

الرسم التخطيطي رقم (٧) DLGRAM II

Stages of Social Integration

مراحل التكامل الاجتماعي

ثانيًا : الحلول السياسية

عن عزلة الأقليات في كثير من الدول إحباط سياسي وخاصة بالنسبة لقادة تلك **ينجم** الأقليات ، وتقل حدة هذه المشكلة عندما تكون هناك ممارسة ديمقراطية متقدمة وتكون « حقوق الإنسان » مرعية .

وينبغي التمييز دائما بين قيم الفرد ومعتقداته من ناحية وبين حقوقه الأساسية من ناحية أخرى فحتى في أكثر المجتمعات تجانسا لازالت هناك اختلافات هامة في الأفكار والتطلعات بين الجماعات المختلفة . ولا يوافق أي شخص على فكرة أن الشخص الذي لا يتأقلم مع الغالبية أو السلطة لابد وأن يعامل على أنه منبوذ ويجرد من حقوقه كمواطن . صحيح أن رأي الغالبية هو الذي يجب أن يسود ولكن الصحيح أيضا بنفس القدر أن يحترم رأي كل شخص .

ويجب على الحكومة أن تدرك دائما أنها ليست سوى إدارة وعلى ذلك فلا يمكنها بهذه الصفة أن تلجأ إلى أعمال السجن والإعدام والنفي أو التمييز المباشر أو غير المباشر في أي منطقة وعلى أي مستوى لأن مجموعة من المواطنين لا يتفقون معها في أسلوب الحكم . وإن سوء فهم هذه النقطة هو بالتحديد الذي يزيد من حدة الصراع ويتسبب في تفرق المجتمع ، وإننا نرى أن هناك حاجة لأسلوب جديد للحكومة من أجل حل مشكلة الأقليات في العالم وإننا نقول : إنه لتحقيق قدر أعلى من التناسق فإنه ينبغي إعطاء هذه الإجراءات قدرا كبيرا من الاهتمام .

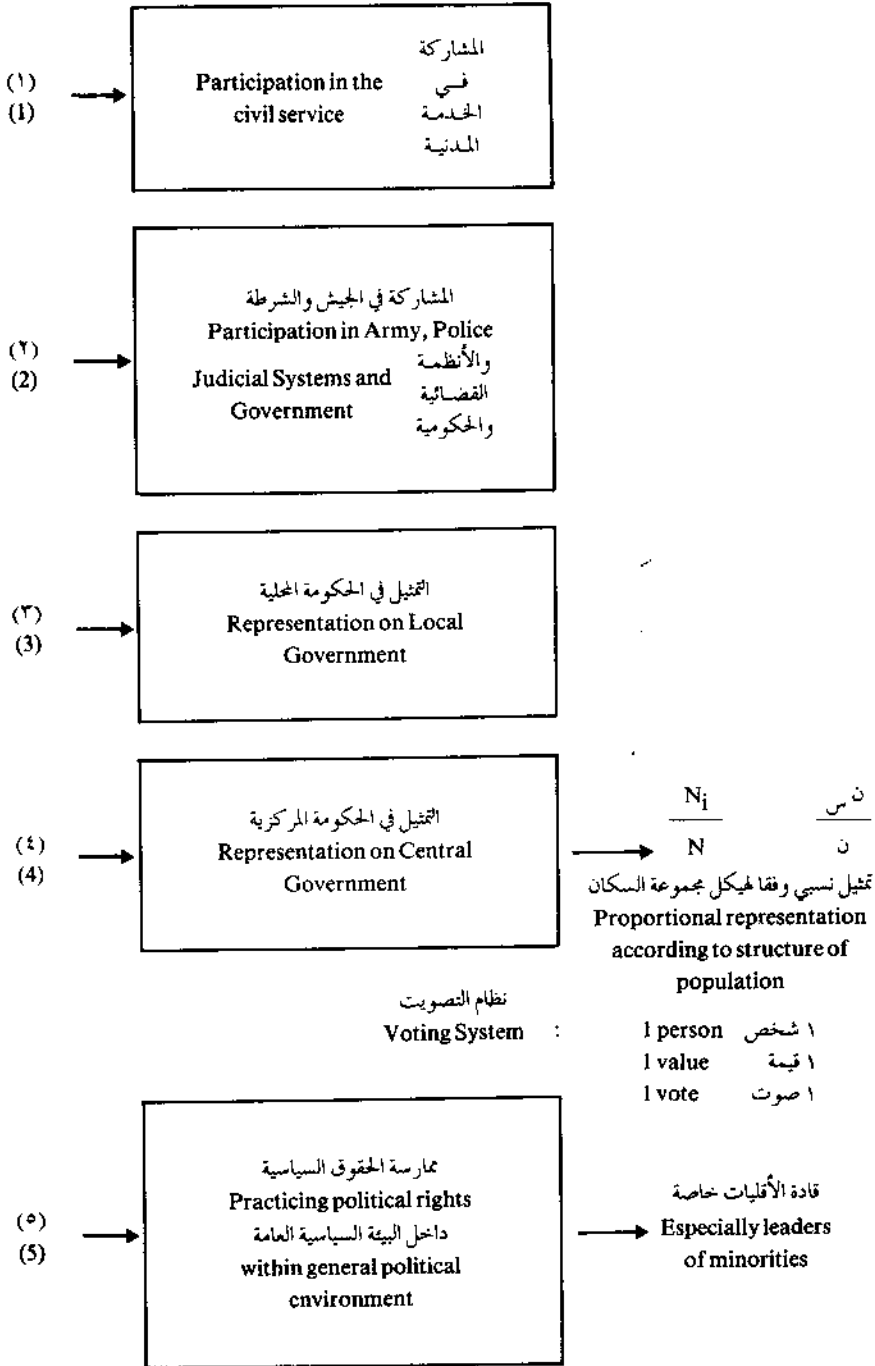
١ - عدم فرض قيود على أساس من الدين أو الجنس أو اللون أو العقيدة بالنسبة لشغل أي وظيفة قيادية في الخدمة المدنية أو الشرطة أو الجيش أو النظام القضائي أو أي وظائف حكومية .

٢ - إعطاء الأقليات مسؤوليات أكبر في القطاعات الحيوية من المجتمع مثل الشرطة والجيش والنظام القضائي والوظائف الحكومية الأخرى بما في ذلك الشؤون الخارجية .

٣ - ينبغي تحقيق تمثيل عادل للجماعات المختلفة في المجالات المذكورة أعلاه .

٤ - ينبغي أن يكون أساس نظام التصويت مبنيا على قاعدة : شخص واحد - قيمة واحدة - صوت واحد .

- ٥ - تشجيع فكرة تكوين الحكومات المحلية من أعضاء يمثلون مختلف الجماعات وأن يكون الهدف هو تحقيق تمثيل عادل وفقا لنسب عدد السكان .
 - ٦ - ينبغي تكوين مجلس استشاري للأقليات لينظر في المشكلات الحالية للأقليات ويقدم توصياته لوزارة الأقليات وينبغي أن تبدي وزارة الأقليات اهتماما بهذه التوصيات وتعمل على إيجاد نظام ذي مسارين للاتصال بالمجلس الاستشاري للأقليات .
 - ٧ - ينبغي أن يكون في البرلمان (أو أي هيئة موازية له) ممثلون لمختلف الجماعات (أي على أساس تمثيل نسبي) ، وهذا يعني أنه في الحالات التي تشتد فيها حدة مشكلات الأقليات ، قد لا يكون نظام التصويت للبرلمان على أساس جغرافي هو النظام الأمثل ، وينبغي تعديله بحيث يأخذ في حسبانته مصالح الأقليات .
 - ٨ - ينبغي أن يكون هناك تمثيل في الحكومة عندما تظهر مناسبة تهم جماعة معينة . وقد يكون لهذا آثار نفسية بعيدة المدى على أعضاء الجماعة .
 - ٩ - يجب أن يعرف قادة الأقليات وسيلة للتخلص مما يواجهونه من الإحباط السياسي داخل الإطار السياسي للمجتمع ككل . وإن فكرة وجود حكومات داخل الحكومة يعتبر أمرا غير قابل للمناقشة .
- ويبين النموذج التالي الرسم التخطيطي (شكل رقم ٣) مراحل التكامل السياسي .



الرسم التخطيطي رقم (٣) (DIAGRAM III)

Measures for Political Integration

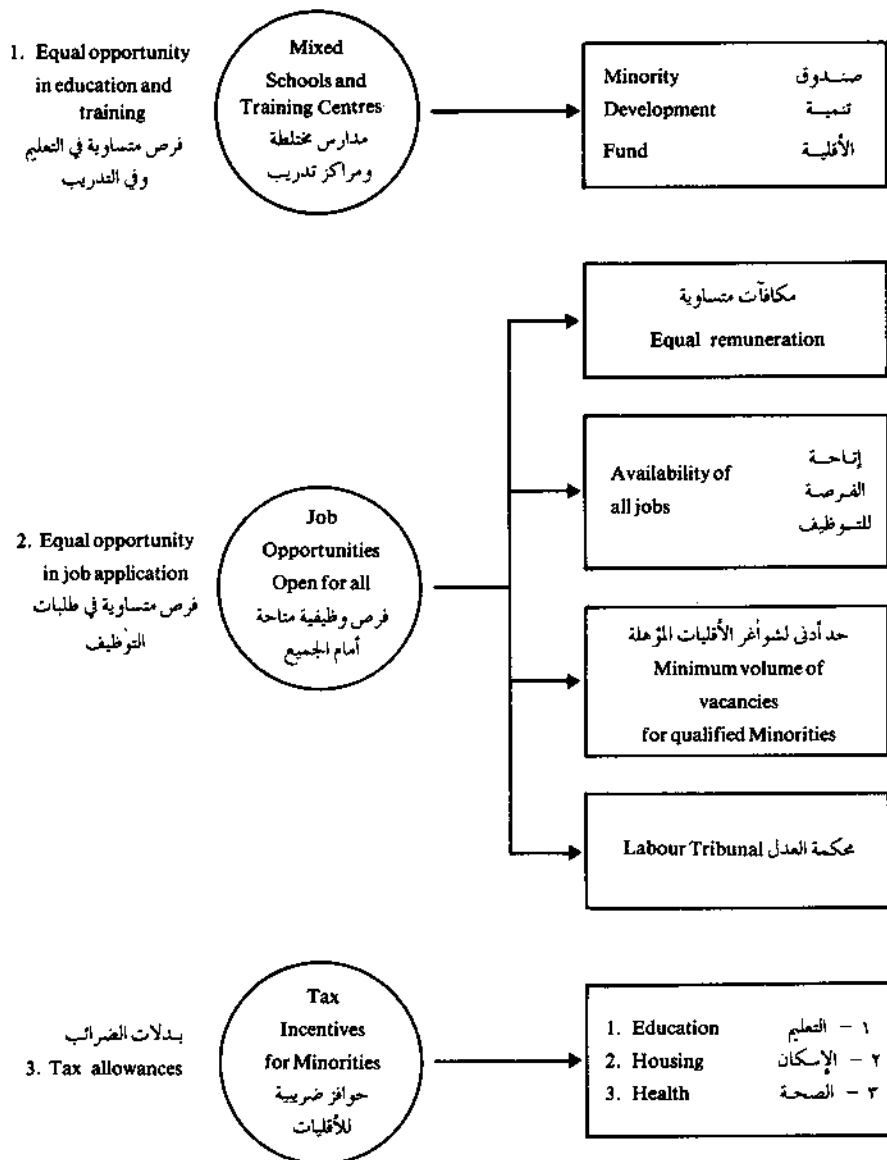
إجراءات التكامل السياسي

ثالثاً : الاستقرار الاقتصادي

يمكن للشخص أن يقاوم المجتمع والسلطات الحاكمة على وجه الخصوص إذا فشل في الحصول على وسيلة عيش كريمة اعتقاداً منه بأن السبب في ذلك هو الاضطهاد . وتبين الأحوال الاقتصادية للأقليات في معظم دول العالم أنهم لا يتمتعون بفرص متساوية في التعليم والتدريب أو أنهم يعانون من الاضطهاد في الحصول على الوظائف وخاصة المراكز القيادية في القطاعين الخاص والعام ، ولكي نزيل روح العداوة هذه ، ولكي نحقق قدراً أعلى من التكامل فإننا نقترح هذه الخطوات .

- ١ - فرص متكافئة للجميع في التعليم الحكومي وفي التدريب . وقد تساعد في ذلك الآراء التي اقترحتها من قبل عن المدارس المختلطة .
- ٢ - ينبغي تصميم متطلبات الوظائف بحيث لا تستبعد أي جماعة .
- ٣ - ينبغي أن يتم شغل الوظائف على أساس المؤهلات فقط وألا يكون هناك مجال للمحاباة أو الاضطهاد أو إثارة الأقارب .
- ٤ - ينبغي إعطاء الأقليات قدراً من الاهتمام الخاص في المجالات التي تم إبعادهم عنها لفترة طويلة .
- ٥ - ينبغي تخصيص حد أدنى من الوظائف الشاغرة للأعضاء المؤهلين من الأقليات . وينبغي مراعاة تشكيل السكان عند شغل هذا الحجم من الوظائف بمعنى مراعاة نسبة الأقليات لمجموع السكان .
- ٦ - يجب على الحكومة أن تشرك القطاع الخاص معها في جهودها حتى يمكن أن تحدث اندماجاً (تكاملاً) اجتماعياً من خلال البرامج المشتركة ومن خلال الجوافز كالتخفيف الضرائبي للتوظيف وتدريب أعضاء جماعات الأقلية .
- ٧ - ينبغي إنشاء محكمة خاصة بالوظائف للنظر في الحالات التي يدعى فيها بوجود اضطهاد ، النظر في أمر رفض طلب توظيف تقدم به عضو من أعضاء الأقلية . وينبغي أن تخول هذه المحكمة السلطة الكافية لاتخاذ الإجراءات ضد صاحب العمل الذي يمارس أعمال التمييز والاضطهاد . وينبغي فرض عقوبات شديدة وتنفيذها بحزم ولربما كان من المفيد نشر أسماء أصحاب الأعمال غير المتعاونين وذلك في وسائل الإعلام المختلفة .

- ٨ - ينبغي إقامة صندوق التنمية للأقليات ليساعد في تعليم أعضاء الأقليات وتدريبهم حتى يمكنهم الحصول على المؤهلات اللازمة للتقدم والتنافس في مجال الوظائف .
- ٩ - ينبغي عمل مشروعات تنمية للأقليات من أجل تنمية المناطق التي يسكن بها الأقليات وذلك عن طريق إقامة صناعات جديدة . وعلى أية حال فإنه لا ينبغي إهمال معايير الكفاءة الاقتصادية .
- ١٠ - ينبغي أن يمتد تدريب الأقليات ليشمل مختلف خطوط الإنتاج بقدر الإمكان وعلى ذلك فلا ينبغي تركيز الأقليات في وظائف معينة وعلى الأخص الوظائف ذات الأجر الضعيف .
- ١١ - ينبغي إعادة النظر في نظام الضرائب بحيث تراعى موارد الممول ليس هذا فحسب بل يراعى كذلك مركزه في المجتمع فعلى سبيل المثال ينبغي إعطاء نسبة أعلى من بدلات التعليم لأعضاء الأقليات .
- ١٢ - ينبغي أن يطبق نفس معدل المكافأة على أعضاء الأقليات وغيرهم في كل أنواع الوظائف .
- وبين الرسم التخطيطي الآتي الطريقة التي يمكن بها تحسين الأحوال الاقتصادية للأقليات بحيث يمكن أن يتم تحقيق مجتمع أكثر تجانسا .
- ومن المهم أن نلاحظ أنه قد جُربت إجراءات مشابهة لذلك في بعض البلاد وقد حققت هذه الإجراءات نجاحا معقولا . ففي الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال ، ومن أجل المساعدة في التغلب على مشكلات الزنوج الأمريكيين مثلاً تم اتخاذ بعض الإجراءات مثل صدور قانون إعطاء فرص توظيف متكافئة وإحداث اندماج - تكامل - في المدارس وفي حافلات المدارس وفي أعمال المجتمع كما تم عمل برامج تدريب للأقليات بالتعاون مع الحكومة والقطاع الخاص .



الرسم التخطيطي الشكل رقم (٤) DIAGRAM IV

Economic Measures to Help Minorities

الإجراءات الاقتصادية لمساعدة الأقليات

الخاتمة

من الواضح وجود مشكلات خاصة بالأقليات في كل بلدة . وفي هذا البحث قمت بتحديد بعض أسباب هذه المشكلات وأبعادها وحاولت تقديم الحلول والمقترحات الخاصة بذلك . ومما لا شك فيه أن هناك حاجة لجهود كبيرة وأبحاث متعمقة من أجل تنفيذ بعض المقترحات التي قدمت في هذا البحث حتى يمكن تقليل حدة هذه المأساة الإنسانية . وإن عدم حل مشكلات الأقليات قد يمزق المجتمع ويؤدي إلى تشتته وتفرقه . وبالإضافة إلى ذلك فمن الخطأ الفادح ألا ننظر إلى هذه الظاهرة على أنها مشكلة عالمية ضخمة تمس كل الجنس البشري .

REFERENCES

- Imtiaz, Ahmad. **Caste and Social Stratification Among Muslims in India.** (New Delhi: Manohar Pub. 1978.)
- Simon Abot, (ed.). **The Prevention of Racial Disrimination in Britain.** (London: Oxford University Press) 1971.
- M.R.A. Baig, **The Muslim Dilemma in India.** (Delhi: Vikas Publishing House Private Ltd., 1967).
- George. Breitman, George. **The Last Year of Malcolm, The Evaluiation of a Reveolutionary.** (New York: Pathfinder Press, 1967.)
- Charles E. Billings, **Racism and Prejudice,** (New Jersey: Hyden Book Company, Inc., 1976.)
- John H., Culver, & John C. Syer, **Powerand Politicsin California.** (New John Wiley & Sons, 1980.)
- Angus. Campbell, **White Attitude Towards Black People.** (An Arbor, Michigan: ISR., 1979.)
- Thomas R. Dye, **'The Politics of Equality'.** (New York, The Bobbs-Marrill Company, Inc., 1971.)
- June Tuefel. Dryer, **China's Forty Millions: Minority Nationalities and National Integration in the People's Republic of China.** (Mass. Harvard University Press, 1976.)
- T.O. Elias, **Government and Politics in Africa,** (London: Asian Publishing Hous, 1963.)
- Jean Leonared Elliott, **Two Nations Many Cultures Ethinc Group in Canada.** (Sarborough Ontario: Prentice-Hall of Canada, Ltd., 1979.)
- Moontaz. Emrith, **The Muslims in Mauritius.** (Port Louis: The Regent Press, 1976.)
- George M. Fredricson, **The Black Image in the White Mind: The Debate on Afro-American Character and Destiny: 1817-1914.** (New York: Harper & Row Publishers, 1971.)
- Peter Gordon. Gowing, **Mandate in Moroland, the American Government of Muslim Filipions: 1899-1920.** (Manila: Community Publishers, Inc., 1977.)
- T.J.S. Goerge, **Revolt in Mindanao: The Rise of Islam in Philippine Politics.** (Oxford University press, 1980.)
- Howard Giles, & Saint-Jacques, bernard, (eds.) **Language and Ethnic Relations.** (Oxford: Pergamon Press, 1978.)
- Milton M., Gordon, **Human Nature, Clas, and Ethnicity.** (New York: Oxford University Press, 1978.)

B. Eygene, Griessman, **Minorities, A Text with Readings in Intergroup Relations**, (Illinois: The Dryden Press, 1975.)

V.R., Gaikwad, **The Anglo-Indians, A Study in the Problems and Processes Involved in Emotional and Cultural integration**. (London: Asian Pub. House, 1967.)

Louis, Henkin, (ed.), **The Rights of Man Today**. (Boulder: Colorado: Westview Press, 1983.)

Khalil., Ibrahim, **Democracy Without Consensus, Communalism and Political Stability in Malaysia**, (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1975.)

Mohammad Ibrahim Kazem, "Identity Crisis..." World Muslim Leguse, Jeddah, **Majalla**, Vol. I, No. 3, October-December, 1983, pp. 30-37.

Eugene, kamenk, & Alice Erh-Soon, tay, **Human Rights, Ideas and Ideologies**, (London: Edward Arnold, Ltd., 1978.)

Cesar Adib, Majul, **Muslims in the Philippines**. (Quezon City: The University of Philippines Press, 1973.)

Milton W., Mayer, **South-East Asia**. (New Jersey: Littlefiedl, Adams & Co., 1971.)

Mahmoud Mohammed Fatthy, "Minority Problems ans the Government's response" **Philippines Journal of Public Administration**, Vol. XXXII, No. 1, July 1974, pp. 215-225.

M. Mujeeb, **The Indian Muslims**. (London: George Allen & Unwin Ltd., 1969.)

R.D. Mclaurin, (ed.), **The Role of Minority Groups in the Middle East**. (New York: Praeger Pub. 1979.)

Jack L. Nelson & Vera M. Green, **International Human Rights, Contemporary Issues**. (New York: Eari M. Coleman Enterprises, Inc., 1980.)

Michael. Perry, **The Constitution, The Courts, and Human Rights**. (New Haven: Yale University Press, 1982.)

Francis Robinson, **Separatism Among Indian Muslims, The Politics of the United Provinces' Muslims, 1860-1923**. (Cambridge University Press, 1974.)

George Eaton Simpson, & J. Milton Yinger, **Racial and Cultural Minorities: An Analysis of Prejudice and Discriminatin**. (New York: Harper & Row Pub. 1972.)

Mabel M. Smythe, (ed.), **The Black AMERICAN Reference Book**. (Englewood Ciffs, N.J.: Prentice-Hall, Inc., 1976.)

Virginia, Thompson, and Richard Adolf., **Minority Problems in South East Asia**. (New York: Russel & Russell, 1970.)

Gail E. Thomas, (ed.), **Black Students in Higher Education, Conditions and Experiences, in the 1970's**. (London: Greenwood Press, 1981.)

D.J.M. Tate, **The Making of Modern South-East Asia**, Vol. I, "The European Conquest." (London: Oxford University Press, 1971.)
Saber, Tamano, Gowing and Mastura, "Majority Crisis in South-East Asia", **Solidarity**, Vol. X, No. 6, July-August 1975, pp. 2-47.
William J. Wilson, **Power, Racism and Privilege, Race Relations and Theoretical and Socio-historical Perspectives**. (New York: Macmillan Pub. Inc., 1973.)

دور المساجد والمراكز الإسلامية في مجتمع الأقلية المسلمة

الدكتور محمود مصطفى حلاوي
الجامعة اللبنانية

دور المساجد والمراكز الإسلامية في مجتمع الأقلية المسلمة

د. محمود مصطفى دلاوي

ملخص البحث

إنه من الأهمية بمكان إبراز دور المساجد والمراكز الإسلامية في مجتمع الأقلية المسلمة للحفاظ على الوجود الإسلامي ومنعه من الذوبان ، ولتوحيد المسلمين وتكتلهم ضد أي غزو تبشيري مهما كانت صفته وطبيعته والقناع الذي يتقنع به ، كذلك إبراز أثر غياب المراكز الإسلامية في مجتمع الأقلية المسلمة وترك المسلمين عرضة لتأثير المراكز التبشيرية أو الإلحادية التي تغزوهم على شكل خدمات اجتماعية وصحية وتربوية وغيرها مما يؤدي إلى ذوبان المسلمين وتضاؤل شأنهم وتركهم التمسك بدينهم وبأخلاقهم الإسلامية ، وتقليد غيرهم في احتفالاتهم وأعيادهم .

وهكذا يتخلى المسلمون شيئا فشيئا عن دينهم كعقيدة وكنظام حياة ، فيخسروا دينهم ودينامهم ، ويمكننا تلافي كل ذلك ، والحفاظ على إخواننا في العقيدة ، فنحفظ عليهم دينهم ووجودهم ، بمد يد العون لهم ، فننظم لهم شئونهم ، ونمددهم بالرجال والخبرات ، وإذا احتاج الأمر يمكن أن تقدم إليهم الأموال لبناء مراكز إسلامية فيصبحوا مجتمعا يستطيع أن يفي باحتياجاته ويساعد الآخرين في المستقبل .

تمهيد

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة الأنفال — آية ٢٦) وقال رسول الله ﷺ : «توشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعي الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : «بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء ، كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن» فقال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن ، قال : «حب الدنيا وكرهية الموت»^(١) .

يبدو لنا من خلال هذين النصين الإسلاميين أن مفهوم القلة أو الأقلية لا يعتمد على الكم بل على النوع . ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (البقرة — آية ٢٤٩)

لذلك لا بد لنا من البداية أن نحرص على نوعية المسلمين في المجتمع ، ونؤكد أن مشكلة الأقليات في العالم يجب أن لا تجرنا إلى خضمها الواسع ومزلقها المتشعبة ، فإن مشاكلنا نحن المسلمين ، تختلف عن مشاكل غيرنا ، من حيث أبعادها وأسبابها وكيفية معالجتها .

ولا نريد أن نناقش تعريفات علماء الاجتماع للأقلية . فمتطورهم يختلف عن منظورنا ، إلا المسلمين منهم ، لذلك نقول وبكل بساطة : إن الأقلية هي الجماعة التي لا حول لها ولا قوة في مجتمعها ، فهي تتأثر به ولا تؤثر فيه .

أولاً : المسجد بين الماضي والحاضر والمستقبل :

١ - المسجد في الماضي :

إن المسجد النبوي الذي بني بالمدينة المنورة كان يؤدي مجموعة وظائف وخدمات دينية وسياسية وحرية واجتماعية وصحية وغيرها . فقد كان المسجد مكانا للعبادة تؤدي فيه الصلاة وقرأ القرآن ، كما كان يقوم مقام مجلس الشورى اليوم ، فيجتمع فيه المسلمون ويتشاورون في أمورهم ، خاصة قبل القيام بالغزوات ، وكان المسجد أيضا معهدا أو مدرسة لتعليم القراءة والكتابة ، ثم تطور ليصبح جامعا للعلوم .

كذلك كانت صفة المسجد مأوى للغرباء الذين لا دار لهم ولا أهل ، كما كانت تجمع في المسجد الصدقات والزكاة لتوزعها على مستحقيها ، ولا تنسى أن المسجد النبوي كان مركز تدريب على فنون القتال وإعداد للسلاح ، كما كان يقوم أحيانا مقام المستشفيات الميدانية العسكرية عندما يحمل إليه الجرحى من المسلمين طلبا للعلاج وتضميد الجراح^(١) . وعلى هذا الأساس (فالمسجد ضرورة دينية وضرورة سياسية اجتماعية أيضا بالنسبة لكل مسلم على حدة وبالنسبة لجماعة المسلمين جملة)^(٢) .

٢ - المسجد في الوقت الحاضر :

تراجع المسجد في الوقت الحاضر تراجعا ملموسا ، ويكفي أن نزور مساجد اليوم في عالمنا الإسلامي حتى نرى بشكل عام أن دور المسجد أصبح يقتصر على أداء فريضة الصلاة في مواقيتها ، وقد يضاف إلى هذا الدور في بعض المساجد دور آخر ، هو تقديم بعض الخدمات للفقراء والمحتاجين ، كجمع بعض التبرعات والصدقات لمريض لا يملك ثمن دواء ، وآخر لا يملك قوت يومه ، أو ثالث أصيب بمكروه ويحتاج لمساعدة الآخرين ، وكأن الخدمات التي يحتاجها المجتمع الإسلامي أصبحت مقتصرة فقط على مساعدة فقير أو ضير .

ولا شك أن تطور المجتمع الإسلامي وتغيير ميكانيكية تحركه أديا إلى إنشاء مؤسسات كانت ملحقة أو تابعة للمسجد ، فالمؤسسة التعليمية كانت مسجدية في الأصل ، ثم انفصلت عن المسجد وأصبحت مستقلة بذاتها ولها كيائها الخاص ، كذلك المؤسسة السياسية والمؤسسة الاجتماعية وغيرها ، انسلخت كلها عن المسجد وأصبحت بعيدة عن جوه وتأثيره وتوجهاته وروحيته ، وهكذا ، شيئا فشيئا ، أصبح المسجد مكانا مخصصا لأداء فريضة الصلاة ، وبهذا يكون المسجد قد فقد دوره كأهم وأول مركز نشاط في أي تجمع بشري إسلامي ، ذلك لأن أداء فريضة الصلاة جائز في أي مكان طاهر لقوله ﷺ : (وجعلت لي

الأرض مسجداً وطهوراً . أضيف إلى ذلك أن معنى الجماعة في الصلاة الجامعة لم يبق منه سوى الشكل ، أما المضمون فقد غاب كما غابت معظم المعاني التي أرادها الله تعالى عندما طلب منا التعاون والتعااض والتوحد ، فأصبح المسلم فردياً في أخلاقه ، فردياً في صفاته ، فردياً في عمله ، فردياً في تطلعاته ، وأنسى أن يد الله مع الجماعة .

وهكذا أصبح بالإمكان الانقراض على المسلمين عندما تفرقوا وأصبحوا أفراداً واحداً ، وإن كثر عددهم ، لأن قلوبهم أصبحت شتى لا يؤبه لهم ، فكيف إذا كان مجتمعهم مجتمع أقلية عديدة وتأثيرية ؟ عندها يسهل تذويهم أو إفقادهم شخصيتهم الإسلامية المميزة ، وصولاً إلى تنصيرهم انتفاءً وشعوراً وأخلاقاً ، ثم دينا بعد ذلك في نهاية المطاف .

وإذا جلنا في عالمنا الإسلامي نجد الكثير من المسلمين من مختلف الطبقات الاجتماعية والثقافية الذين عاشوا أو يعيشون في هذا المحيط المليء بكل شيء إلا بالإسلام ، نجدهم فقدوا انتماؤهم الحقيقي للإسلام وارتباطهم بأخلاقه ومبادئه ، وإن كان بعضهم لا يزال يؤدي الشعائر ويقوم بالفرائض بشكل دوري دون أن تحدث في نفسه الأثر المطلوب ، وكأن العبادات أصبحت مطلوبة لذاتها لا لدورها وأهدافها التي ترمي إلى تحقيقها في نفسية المسلم خصوصاً ، وفي بنية المجتمع الإسلامي عموماً .

٣ - الدور المستقبلي للمسجد :

لا بد أن يعود المسجد ليكون ملتقى المسلمين ، في كل الأوقات التي تستوجب وحدة الصف ووحدة الكلمة ، وهذه الأوقات كثيرة في أيامنا الحاضرة إضافة إلى ذلك فإن المسجد يجب أن يكون مركزاً للنشاطات الاجتماعية في المنطقة التي يقع فيها ، فيكثر التردد على المسجد ويعتاد الناس على ذلك ، خاصة الشباب منهم ، الذين بعدوا عنه أو كادوا يبعدون ، ويمجرون وراء مراكز حزبية ، إلحادية ، أو لادينية ، فيبعدون بذلك عن إقامة الصلاة التي هي ركن الدين ، ويتهاونون في تركها وترك غيرها من الشعائر الدينية .

لذا علينا أن نشغل المسجد ليس في أوقات الصلاة أو لأداء الصلاة فقط ، بل يكون ذلك طوال اليوم ، ليل نهار ، وهكذا يصبح المسجد خلية اجتماعية دائمة النشاط والحركة ، لا تخلو من مجموعات الشباب العامل المؤمن بدوره ، هذه الخلية الاجتماعية تخرج أفواجا من المسلمين يؤمنون بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً ، وبوحدة الصف والكلمة شعاراً ، عندئذ لا يمكن أن ينال منهم أحد ، ولا يمكن أن يخترق صفوفهم أي عابث بحق المسلمين ، أو معتد عليهم ، أو متطاول على كرامتهم ، فهم كالبنيان المرصوص ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحماية والرعاية والنجدة والمساعدة ، فكما أن رص الصفوف واجب في

صلاة الجماعة ، كذلك يكون رضى الصفوف واجبا خارج الصلاة ، في العمل اليومي ، الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وغيره ، ومن قال إن العمل ليس عبادة ، وإن الله تعالى لا يدعونا إلى العمل البناء المثمر ، لخدمة عبادة ، ألم يخاطبنا رب العالمين دائما بصيغة الجمع ؟ ألم يخشنا رسول الله ﷺ على الوحدة والاتحاد ، وأن لا نكون كالفقاصية من الغنم التي تغري الذئاب وتفتح شهيتها للفتك بنا والانقضاض علينا ؟

ثانيا : دور المركز الإسلامي : (المجمع الإسلامي)

قد لا يتسع المسجد لكل الخدمات اللازمة للمجتمع الإسلامي ، وهذه الخدمات كثيرة ومتنوعة ، كثرة المسلمين وتنوع حاجاتهم ، لذا لا بد من وجود مراكز إسلامية ملحقه بالمساجد أو تابعة لها ، فبتقديم الخدمات يمكن أن نشد المسلمين إلى المراكز الإسلامية ، فهم بحاجة إلى خدمات متنوعة ، يسعون جاهدين للحصول عليها من أية جهة كانت ، وأحيانا لا يرون الأهداف الخفية التي تختفي وراءها هذه الجهات أو المؤسسات ، والتي هي في معظمها مؤسسات تبشيرية أو إلحادية ، أرست قواعدها في المجتمعات الإسلامية ، الفقيرة منها خاصة ، والتي تحتاج إلى مثل هذه الخدمات ، فلا تجدها في مؤسسات إسلامية ، وإن وجدت ، فإن مستوى الخدمات التي تقدمها ، هي ضئيلة هزيلة لا تسمن ولا تغنى من جوع . ولا ننسى كيف دخل إلى بلادنا المبشرون بالديانات الأخرى ، أو الداعون إلى المذاهب والعقائد الهدامة ، التي سعت وتسعى باستمرار إلى تحطيم الإسلام وتغريب المسلمين عن دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم ومبادئهم .

لقد دخل هؤلاء المبشرون عن طريق فتح المدارس لأبناء المسلمين الذين اضطروا إلى دخول هذه المدارس لإنقاذ أنفسهم من كابوس الجهل والأمية ، هذا الكابوس الذي يقيهم في الدرك الأسفل من الحياة الاجتماعية ، أرادوا التخلص منه فلم يجدوا أمامهم إلا مدارس المبشرين الذين أتوا كالحمل الوديع ، مخفين أنياب الذئاب ومخالين الضبايع ، وتبقى المشكلة الصحية أهم ما يقض مضاجع الناس فانشأ المبشرون المستوصفات الطبية ، وقدموا العلاج والدواء مجانا حيناً وبأسعار رمزية أحيانا أخرى ، فيسعى المسلم للتخلص من مرضه الجسدي ولا يدري أنه حقن بجرثومة مرض نفسي تنتشر في نفسيته فتفتك بها وبأخلاقه وبعقيدته شيئا فشيئا ، لا يستفيق منها إلا وقد عم البلاء ولم يعد ينفع بعد ذلك أي دواء .

كذلك لم ينس المبشرون حاجة بعض المجتمعات الفقيرة ، خاصة في البلاد الأفريقية ، إلى القوت اليومي ، فالمجاعة تفتك بهذه البلاد ، وكم يموت من أطفال وأولاد نتيجة سوء

التغذية أو قتلها أو عدم التغذية أيضا ، فيأتي المبشرون يحملون في يدهم الأولى قطعة طعام أو رغيف خبز ، وفي يدهم الثانية نسخة من الإنجيل ، ويضطر الجائع أن يأخذ الاثنين معا كما يشترط المبشرون ، وهكذا شيئا فشيئا ، يقع المسلم فريسة بين يدي المبشرين ويقع في الفخ المنصوب له ، تماما كما تقع السمكة في يد الصياد ، عندما تأخذ الطعام من الصنارة ، فترى الأولى ولا ترى الثانية ، ولا تدرك أن وراء لقمة عيش يكمن السم القاتل ، ولا تريد أن نطيل في أساليب وطرق المبشرين بالإيقاع بالمسلمين عن طريق تقديم الخدمات والمساعدات ، فكل مجتمع بحاجة إلى نوع أو أنواع من الخدمات قد تختلف عن حاجات مجتمع آخر ، لكن الهدف الأساسي من كل ذلك هو إيقاع المسلمين بالفخ التبشيري ، الذي يرمي كما قلنا إلى إخراجهم من دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم .

لكل ذلك نرى أنه لا بد من وجود مراكز إسلامية بديلة عن المراكز التبشيرية تقدم الخدمات اللازمة للمسلمين فتحفظ لهم دينهم وأخلاقهم ، وهذه المراكز يجب أن لا تقل في أنواع الخدمات التي تقدمها ، وفي مستواها ، عن مثيلاتها من المراكز غير الإسلامية إن لم نقل يجب أن تفوقها كمًّا ونوعًا ، حتى تستطيع أن تحل محلها وتجلب إليها المسلمين المتعطشين لمثل هذه الخدمات .

ولا بد لهذه المراكز الإسلامية - أي المجمعات أن تحتوي على :

- ١ - مسجد أو مصلى لإقامة الصلوات في مواقيتها .
- ٢ - مدرسة أو مدارس تعليم عام ، للذكور والإناث كما يمكنها أن تضم مدارس تعليم مهني ، أو مراكز تدريب عملي ، حسب طبيعة البيئة التي تقع فيها ، وحسب حاجاتها الحالية والمستقبلية .
- ٣ - مستوصف متطور ، يقدم إضافة إلى العلاج والدواء ، الخدمات الصحية الأخرى .
- ٤ - تعاونية استهلاكية (جمعية استهلاكية) لبيع المواد الغذائية الضرورية ، كاللحوم والدهون والأجبان والألبان والحبوب وغيرها ، والتي لا يدخل في تصنيع بعضها أو تقديمه ، ما يخالف الشريعة الإسلامية ، كذلك تساهم هذه الجمعية في بيع إنتاج المسلمين وتشجيعهم على التعاون فيما بينهم ليشكلوا مجتمعًا إسلاميًا صحيًا .
- ٥ - مركز دراسات وأبحاث بمستوى يتفق مع حاجة المجتمع وإمكاناته البشرية والعلمية ، يبحث بتوفير الخدمات اللازمة لهذا المجتمع الإسلامي ، وبدراسة سبل تطوير أوضاع المسلمين في المنطقة التي يعيشون فيها ، وكيفية المحافظة على كيانهم ووجودهم .
- ٦ - مكتبة عامة ، إسلامية وثقافية وعلمية ، يلجأ إليها طلاب العلم والمعرفة من أبناء

المسلمين ، دون أن تعوزهم الحاجة إلى اللجوء إلى مكتبات الإرساليات والمدارس التبشيرية ، التي فيها من الكتب والنشرات والدوريات ما هو مليء بالسموم والافتراءات ضد الإسلام والمسلمين .

٧ - قاعة محاضرات عامة تخدم نشاطات المسلمين الثقافية ، وتكون مركز إشعاع علمي وثقافي للمنطقة بكاملها ، بحيث يمكن إحياء المناسبات الدينية ، بمحاضرات تحت المسلمين على الوحدة والتعاون وتنير لهم دروبهم وترفع مستواهم العلمي والفكري والثقافي عموماً ، وتساهم أيضاً في نشر المعرفة بالإسلام بجوانبه كافة .

٨ - قاعة اجتماعية ، تخصص للمناسبات العامة ، وتكون بمثابة النادي الاجتماعي الإسلامي ، تستخدم في مناسبات الأعياد الإسلامية أو المناسبات الاجتماعية ، في الأفراح والأتراح ، فيلتقي المسلمون ، يتعارفون ويتعاونون على البر والتقوى ، ويعيشون حياة إسلامية صحيحة .

٩ - قاعات أنشطة رياضية متنوعة ، فالمسلم القوي خير وأحب إلى الله من المسلم الضعيف ، ولا يخفي ما للدور الحركة الرياضية من أبعاد تساهم في تعاون وتعاضد المسلمين كفريق واحد أو كجسم واحد نشيط قوي .

١٠ - أمكنة خاصة بنشاطات النساء على اختلاف أنواعها ، وبخدمات خاصة بهن ، كمركز محو الأمية ومركز تدريب مهني كالخياطة والحياكة والتدبير المنزلي والإنتاج المنزلي ، ودار حضانة للأطفال .

ثالثاً : أهمية المسجد والمجمع الإسلامي :

إن الهدف الأساسي من وجود المسجد والمجمع الإسلامي ، إضافة إلى ما يقدمان من خدمات للمجتمع ، هو ربط الجماعة بالمؤسسة الإسلامية التي تقدم لهم خدمات متنوعة ، في كافة مجالات الحياة ، وكذلك ربط المؤسسة بالمجتمع وباحتياجاته .

فهذا الربط والارتباط بين المؤسسة الإسلامية والجماعة هو ما دعا إليه الإسلام باستمرار ، عندما أكد على أهمية البيعة وضرورتها . فنحن نرى في التاريخ الإسلامي أصرار الخلفاء على الحصول على بيعة المسلمين من الأمصار كافة ، وكذلك بيعة من أسماهم بأهل الحل والعقد ، من وجهاء المسلمين ، كالصحابة والتابعين ، أو زعماء القبائل العربية وشيوخها .

ان هناك قوة معنوية دافعة وبقوة ، تساعد الجماعة المسلمة المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمؤسسة الإسلامية ، على النمو والتطور وتحقيق أهدافها على أحسن ما يرام . كما أن المؤسسة الإسلامية في هذه الحالة تستطيع أن تستند إلى أرضية صلبة عند اتخاذ القرارات أو تقديم المقترحات ، ذلك لأن الصيغة التي تربط بينهما هي صيغة تفاعلية ، صيغة أخذ وعطاء ، أي صيغة تبادلية ، هذا ما يجعلها منتجة مثمرة.

وقد دأب المبشرون ومن يدور في فلكهم ، على تصديق هذه العلاقة بين الجماعة والمؤسسة ، وقد استطاعوا في حالات عدة قطع هذه العلاقة ، وهذا هو هدفهم البعيد الذي يسعون إلى تحقيقه . عند ذلك يسهل على أعداء الإسلام والمسلمين أن يربطوا الجماعة المسلمة بأي رباط يريدونه . وهكذا تفقد هذه الجماعة ثقتها بدينها وبعقيدتها وبأخلاقياتها وتراثها.

ولو تلفتنا حولنا ، إلى الشعوب الإسلامية ، أو إذا نظرنا إلى مناطق معينة من عالمنا الإسلامي لرأينا الكثير من هذه المحاولات ، الهادفة إلى فك ارتباط الجماعة الإسلامية بمؤسساتها . ولا يمكن أن تعود هذه الجماعة إلى أصالتها وجذورها ، كما لا يمكن أن تحمي غيرها من الجماعات المهددة بالانفصال عن مؤسساتها، إلا بإنشاء ما فقد من مؤسسات أو تنشيط ومساعدة ما هو موجود منها لكنه في حالة التزعزع الأخير . ان المجتمع الإسلامي بعناصره المكونة ، مجتمعة بكاملها أو متيسرة بما يمكن منها ، تعيد اللحمة إلى المجتمع الإسلامي . وإلى بنيتها الأساسية ، التي تعتمد على التعاون والتعاقد والتوحد ، حتى يصبح هذا المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

رابعاً : أثر غياب المراكز الإسلامية :

إن اثر غياب المراكز الإسلامية بكافة أنواعها ، مساجد ، مجتمعات ، مؤسسات ، هو لجوء المسلمين ، على كره ، إلى مراكز غير إسلامية هي في معظمها :

١ - تبشيري للدyanات الأخرى .

٢ - علماني .

٣ - إلخادي .

نحن نعلم الكثير عن الإرساليات الأجنبية التبشيرية التي أتت إلى بلاد المسلمين ، تعيث فيها فساداً وبأهلها ضللاً وتضليلاً ، جاءت إلى بلاد الشرق (سوريا ولبنان) مع بداية القرن السابع عشر ، على شكل جمعيات خيرية تهتم بتقديم المساعدة والعون للفقراء ، والمحتاجين ، هذه المؤسسات التبشيرية التي تبدو في مظاهر مختلفة ، بعضها واضح المعالم ، وبعضها بعيد

عن التهمة كل البعد ، كالمدارس والجامعات والمستشفيات والمي�م والأندية والجمعيات ومؤسسات البر والإحسان ، وقد أراد القائمون على التبشير أن يكون للإحسان والتعليم مقام كبير في الخطط التي توضع لأعمال التبشير ، ولكن على أن تكون وسائل فقط لا غاية في نفسها .

وقد تعددت هذه المؤسسات التبشيرية التي جاءت إلى بلادنا ، بتعدد المذاهب الدينية أو الفرق عندهم ، فهناك الإرساليات الأمريكية والإرساليات الإنجليزية ، ثم الفرنسية والإيطالية ، وعند غيرنا هناك الإرساليات الإيطالية والإسبانية والهولندية والبلجيكية والبرتغالية وغيرها من دول الاستعمار التي حاولت أن تغزو بلادنا عسكريا ، فمهدت له بغزو سياسي ثقافي ديني اجتماعي ، أو جاء الغزو التبشيري مرافقا للغزو العسكري ، حتى يلطف آثاره ويجعله مقبولا بعض الشيء ، بتقديم الخدمات الاجتماعية والإنسانية لأبناء الشعب . وما نعرفه عن هذه الإرساليات ، أي المؤسسات التبشيرية في بلادنا ، أنها عمدت إلى إنشاء مراكز الخدمات ضمن الأديرة والكنائس ، أو بجانبها ، وقام على تقديم هذه الخدمات المبشرون بأنفسهم من رهبان وراهبات .

ومن أهم مراكز الخدمات هذه المستوصفات والمستشفيات (فإن التطبيب في المستوصفات والمستشفيات أثنى الفرص على الإطلاق ، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك : إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير ، فلا تسمع منه)^(١) .

في تنشيط الدعوة في أفريقيا بوجه أخص ، لأن أفريقيا اليوم لم تعد مركزا عالميا مدعما للتبشير المسيحي - فحسب - بل لقد بدأ التسلل الصهيوني يأخذ مكانا له في أفريقيا . أضف إلى ذلك : أن القاديانية والبهائية والصوفية المدمرة لعقيدة التوحيد ، تلعب دورا سافرا .

المعوق الثالث : التقلبات السياسية :

هذه التقلبات السياسية : الدولية أو المحلية ، قد لا تعوق مسار الدعوة الإسلامية - فحسب - بل قد لا تسمح لها بالوجود ، لا شكلا ولا موضوعا ، وما يقال عن التقلبات السياسية يمكن أن يقال عن الأيديولوجيات المناهضة للإسلام ، أو على الأقل تلك التي يقلقها أن يكون للإسلام دعوة متحركة .

وعلى سبيل المثال :

لا يمكن الزعم بأن للدعوة الإسلامية وجودا يذكر في البلاد التي تعيش خلف الستار الحديدي ، وقد يسمح في بعض هذه البلاد بظهور الإسلام الشكل ، وفي المناسبات ، بل مما يشير الضحك أن هناك مساجد تظل مغلقة على الدوام ، ولا تفتح إلا عند زيارة رئيس دولة مسلم ، ولساعات محدودة ، وذلك من مقتضيات السياسة الإعلامية .

ولكي نكون واقعيين : يجب أن نعترف بأن الدعوة الإسلامية وحدها لا تستطيع التغلب على هذا المعوق ، ما لم يكن لها سند سياسي من الدول الإسلامية لقد ظلت إيطاليا - لوجود الفاتيكان بها - مستعصية زمنا طويلا ، ولم تسمح للدعوة الإسلامية أن تنفس فيها ، إلا أخيرا ، وأعتقد أن ضغوط بعض الدول المسلمة كانت وراء هذا الكسب للدعوة الإسلامية .

لقد انطلقت الأبواق بمبادئ ومذاهب وأفكار وهي جميعا تخدم هدفا واحدا وهو محاربة الإسلام ، وتغريب المسلمين عن دينهم وعقيدتهم وثقافتهم وتراثهم ، ونستطيع القول إن أعداء الإسلام يريدون أن ينتزعوه من قلوب المؤمنين به ، ومن نفوسهم ، حتى يستطيعوا ملأها بالعقائد الفاسدة ، التي تستمد أسسها من الصهيونية العالمية ، التي حاربت الإسلام منذ نشأته ، وما زالت تحاربه في مختلف بلاده ، وبشتى أشكال الحروب المادية والمعنوية ، شاهرة سيفها ومكشرة أنيابها حيناً ، ومتخفية وراء مظاهر خداعة أحيانا أخرى .

إن هذه الجمعيات والمؤسسات المحاربة للإسلام انتشرت كما قلنا ، في المجتمع الإسلامي ، تحت عناوين شتى ، لتنفذ إليه من مداخل عدة ، بشكل تقديم خدمات إنسانية واجتماعية ، من خلال مؤسسات متنوعة منها المدارس والجامعات ، والمستوصفات والمستشفيات والميائم ودور رعاية المعوقين ، والأندية الرياضية والجمعيات الخيرية التي تهتم بالفقراء والمعوزين .

إن هذه الهجمة الشرسة على مجتمعنا لم تجد مكانا لها في هذا المجتمع ، ولو وجدت فيه المؤسسات الإسلامية البديلة ، والتي تقدم الخدمات اللازمة لأبناء هذا المجتمع الذي لم يجد أمامه سوى المؤسسات التبشيرية والعلمانية والإلحادية ، فكان مضطرا للدجوء إليها نظرا لحاجته الماسة إلى الاستفادة من خدماتها ، وهذه المؤسسات والجمعيات تعرف جيدا أين تركز وجودها وتثبت أقدامها ، فالأرض العطشى تقبل الماء ولو كان ملوثا ، والإنسان الجائع يقبل كسرة الخبز ولو جاءت من يد عدو ، أو كانت أقل نظافة مما يجب ، وقد قال الإمام علي كرم الله وجهه : (كاد الفقر أن يكون كفرا) .

وهنا نصل إلى النتائج الحتمية التي أوصلتنا إليها هذه الجمعيات غير الإسلامية ، أو بالأصح هذه المؤسسات الساعية دوما وأبدا إلى هدم الإسلام وإبعاد المسلمين عن دينهم ، فما هي هذه النتائج التي وصلنا إليها ؟

خامسا : نتائج اعتماد المسلمين على مؤسسات غير إسلامية :

١ - ذوبان المسلمين وتضاؤل شأنهم :

إن نظرة المسلمين في مجتمع الأقلية المسلمة إلى أنفسهم تتصف أحيانا بالنظرة الدونية ، وإلى

غيرهم بأنهم أصحاب القدرة والإمكانية على تحقيق ما يريدون ، خاصة وأن هذه الأقلية المسلمة تعيش في جو الحاجة إلى خدمات الآخرين ، فالمسلمون هم الفقراء والآخرون هم الأغنياء ، لا بمعنى الفقر والغنى الماديين بل بجميع معانيهما الممكنة ، ومن هنا يشعر المسلمون بعقدة نقص أمام الآخرين ، تنقلب هذه العقدة إلى عقدة تعظيم وتمجيد أو استحسان الآخرين وأفعالهم وأقوالهم وتصرفاتهم ، فهم الغالبون ، والمسلمون هم المغلوبون على أمرهم ، ورغبة في الابتعاد عن عقدة النقص هذه ، يلجأ المسلمون ، بإيحاء وتوجيه مستمرين من الآخرين ، أكانوا جمعيات ومؤسسات تبشيرية أو علمانية أو إلحادية ، يلجأ المسلمون إلى الهروب من واقعهم والاقتداء بالمتقدمين المتحضرين ، وها هو ابن خلدون يشير في مقدمته إلى (أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونخلته وسائر أحواله وعوائده)^(٥) .

أما سرعة ذوبان المسلمين في غير المسلمين فتعود إلى نشاط الجماعات التبشيرية التي أرست قواعدها بين المسلمين لتذويهم وإزالة كياناتهم ، ومن ثم تحويلهم عن دينهم ، وكم رأينا من مجتمعات إسلامية في بلادنا غاب عنها الطابع الإسلامي أو الوجود الإسلامي نظراً للضغوط التي تمارسها عليها الجمعيات والمؤسسات التبشيرية على مختلف أنواعها وأنشطتها .

٢ - تركهم التمسك بدينهم وبأخلاقهم الإسلامية :

إن هذه النتيجة هي تالية للنتيجة الأولى . فعندما يذوب المسلمون في مجتمع غير إسلامي يتضاءل شأنهم لا يستطيعون بعد ذلك التمسك بدينهم من حيث أدائهم الشعائر الإسلامية من صوم وصلاة وحج وغيرها ، إضافة إلى ترعزع العقيدة عندهم ، وإذا حصل ذلك يؤدي بالتالي إلى التخلي عن الأخلاق الإسلامية الحميدة ، ويجاري المسلمون أخلاق غير المسلمين ، فلا يمكنك معرفة المسلم إلا من اسمه فقط أو اسم عائلته .

٣ - تقليد غير المسلمين في الحياة الاجتماعية :

منها إحياء الاحتفالات والأعياد غير الإسلامية أو المشاركة في إحيائها ، وهذا كله نتيجة تركهم التمسك بدينهم وبأخلاقهم وعاداتهم الإسلامية الحميدة ، فقد يترى الولد في مدارس الإرساليات الأجنبية ، أي مدارس الجمعيات التبشيرية ، وهذه في معظمها تضم كنيسة يدخلها الأولاد صباح كل يوم بشكل إجباري لأداء الصلاة اليومية ، المدرسون هم في معظمها رهبان وراهبات تنطبع تصرفاتهم وتقاليدهم في عقول أبنائنا وبناتنا ، ولاشك أن هذه الجمعيات تقيم الاحتفالات الدينية في أيام أعيادها الخاصة ، ويدعى أبنائنا للمشاركة فيها كأيام الميلاد أو الجمعة العظيمة أو عيد الشعانين وغيرها من المناسبات ، ويعتاد أبنائنا على المشاركة في مثل هذه الاحتفالات حتى نراهم بعد تخرجهم من هذه المدارس ما يزالون يحتفلون

بهذه المناسبات وكأنها أعياد إسلامية أو مناسبات إسلامية هامة ، وكم شاهدنا في منازل أصدقاء لنا أثناء أعياد الميلاد (ميلاد السيد المسيح) زاوية مخصصة لمغارة الميلاد وأمامها شجرة الميلاد ، كما يفعل الأطفال المسيحيون في منازلهم لإحياء هذه المناسبة ، كذلك نرى ، وبالأسف ، أن المسلمين في بلادنا يحتفلون بأعياد رأس السنة الميلادية وكأنهم نصارى أو أشد نصراية من النصارى ، بينما تمر مناسبة رأس السنة الهجرية دون أي أثر يذكر .

أما أعياد المسلمين كعيد الفطر وعيد الأضحى ، أو أيام الجمع فنجد أن المسلمين لا يكثرثون لها ولا يأتون ، وكأنهم غير مسلمين ، أو كأن هذه الأعياد لا تعنيهم بشيء ، ذلك لأنهم اعتادوا على الاحتفال بأعياد غيرهم ونسوا أعيادهم ، ولا ننسى مناسبات اجتماعية أخرى في الأفراح والأفراح ، فالمرأة المسلمة أصبحت تعلن الحداد بلبس السواد ، وهكذا الرجل يضع رابطة عنق سوداء أو ما شابه ذلك دليل الحداد ، أما في الأفراح فيختلط الحابل بالنابل ، والنساء بالرجال ويشربون ما حرم الله ، ويهزجون ويرقصون بحيث لا يمكن أبدا القول إن أصحاب هذه الحفلة أو هذه المناسبة الاجتماعية هم مسلمون .

٤ - فقدان الطابع الإسلامي والشخصية الإسلامية من مناطق وجود المسلمين :

وهذا الأمر أصبح معروفا جدا في لبنان ، ولا أظن أن لبنان متفرد بذلك ، فبلاد الإسلام واحدة ، تجمعها المصيبة الواحدة ، وهي الهجمة على الإسلام والمسلمين ، فعندما يتخلى المسلمون عن أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ويجرون وراء عادات وتقاليدهم أعدائهم نرى أن مناطق وجودهم لم تعد تدل عليهم ، فالحياة في هذه المناطق ليست إسلامية ، والأخلاق كذلك والعادات الاجتماعية بعيدة كل البعد عن الإسلام ، الذي ضاع في هذه المناطق بين إنسان كافر ملحد وآخر مسلم بالهوية ، أي بالاسم فقط ، بالشكل لا بالمضمون . تدخل مثلا مدينة أو قرية تعتقد أن أهلها جميعا مسلمون ، فتجد نساءها عاريات وشبابها عابثين لاهين ، وأسواقها عامرة بكل ما يغضب الله ، ومآذنها تستغيث وتقول وا إسلاماه ، يدعو المؤذن للصلاة فلا من يجيب ، شغل الدنيا أهلها ، وملأت قلوبهم التي غادرها الإيمان .

ولا شك أن الغريب الذي ليس لديه فكرة سابقة عن أهل هذه المدينة أو القرية ، يمكنه أن يصف أهلها بكل شيء إلا بالإسلام .

٥ - التخلي عن الإسلام كعقيدة وكنظام حياة :

عندما يمعن المبشرون في أبنائنا فسادا ، وعندما يتعاونون على هدم الإسلام من النفوس ومن المجتمع أيضا ، وعندما يرون أن المسلمين أصبحوا في مهب الريح ، لا حول لهم ولا قوة ،

عندها يصورون لهم أن دينهم هذا لم ينفعهم ولم يطورهم ، ولم يؤد بهم إلا إلى الخراب والتراجع عن ركب الحضارة والمدنية ، وأن الأمم الأخرى سبقتهم لذلك إن أرادوا اللحاق بها فما عليهم إلا أن يتخلوا عن هذه القيود ، والقوالب الجوفاء ويواكبوا المدنية الحديثة المتطورة ، التي توصل أتباعها إلى أعلى المراكز الاجتماعية . ويقولون لهم أيضا : إن الإسلام كان نافعا في السابق أما اليوم فلا .

وهكذا تنطلي هذه الأكاذيب والافتراءات على ضعاف النفوس والإيمان ، على صنعة المبشرين وأعضاء الإرساليات الدينية الأجنبية ، الذين تركوا الإسلام كشعائر وأخلاق وعادات ولم يبق أمامهم غير التخلي عنه كعقيدة وكنظام حياة ، فلا يرون أية صعوبة في ذلك لأن الانتقال إلى هذه المرحلة أصبح ممهدا له خلال المراحل السابقة وكم رأينا من ضعاف نفوس تركوا دينهم وتحولوا إلى أديان ومعتقدات أخرى إما مسيحية أو إلحادية جاحدة بوجود الله تعالى ، ونذكر على سبيل المثال عائلة أنى اللمع وهي عائلة مسيحية الآن ، علما أنها تنتمي إلى سلالة الأمراء اللمعيين المسلمين ، الذين حكموا جبل لبنان في القرن الثامن عشر .

كذلك هناك بعض العائلات التي تحول قسم منها إلى المسيحية وبقي القسم الآخر على إسلامه ، نذكر مثلا (آل شهاب) وهم من الأمراء الشهابيين المسلمين الذين حكموا لبنان أيضا ، كذلك هناك (آل الحسيني) و (آل الهاشم) بعضهم مسلمون وبعضهم مسيحيون هذه وقائع معروفة في بلادنا ، وهي من تأثير التبشير والمبشرين على العائلات الكبيرة ، أما بالنسبة للعائلات الصغيرة أو الفقيرة فحدث ولا حرج .

٦ - ضياع المناطق الإسلامية من المسلمين :

بعد أن تضيع العقيدة من أصحابها ، وبعد أن تضيع الأخلاق الإسلامية ، لا يبقى أمام أعداء الإسلام إلا طرد المسلمين من مناطقهم والاستيلاء عليها بشتى الوسائل ، وبالترغيب أو بالترهيب أو بهما معا .

ويكفي أن نشير هنا إلى أن الساحل اللبناني المعروف بساحل بلاد الشام كان مركز الرباطات ، وكل رباط عبارة عن مسجد متقدم على شاطئ البحر ، يأتي إليه من نذر نفسه للدفاع عن الثغور الإسلامية مجاهدا في سبيل الله ، وماتزال بعض هذه المساجد شاهدة على دورها القديم ، لكن مناطقها أصبحت شبه خالية ، أو خالية تماما من المسلمين وأصبحت هذه المناطق مسيحية أو تكاد تصبح ، فها هي بلاد البترون وبلاد جبيل تشهد على ذلك ، وها هي القرى التي كانت إسلامية أصبحت خالية من المسلمين ، كما أصبحت قاعدة حصينة للمسيحية في المنطقة ، مثال على ذلك بلدة غزير وبلدة حراجل ، ومدينة جبيل ، ومدينة

جونيّه ، وغيرها كثير ، ويكفي العودة سريعاً إلى تاريخ منطقة جبيل في لبنان حتى نتأكد من كل ذلك ، ولدينا العديد من الأسر الإسلامية التي هجرت هذه القرى وما زالت أسماءها تدل على جذورها كعائلة غزيري (أي من بلدة غزير) أو عائلة حراجلي (أي من حراجل) أو عائلة جبيلي (أي من جبيل) . وما سبب ذلك إلا ضياع المناطق الإسلامية من المسلمين وكذلك تهجير المسلمين الباقين على دينهم منها وتحويلها إلى مناطق مسيحية .

المقترحات

- ١ - تنمية المراكز الإسلامية الموجودة وتنشيطها .
- ٢ - المساعدة على فتح مراكز إسلامية في مناطق الأقليات المسلمة .
- ٣ - تشجيع تبادل الزيارات بين المسئولين عن هذه المراكز بهدف تبادل الخبرات .
- ٤ - عقد لقاءات دورية محلية ، وإقليمية ، وعالمية .
- ٥ - تبادل النشرات والأخبار بين هذه المراكز .
- ٦ - توحيد الجهود في مجال العمل الإسلامي المؤسسي .
- ٧ - عدم تكرار الخدمات الموجودة في مناطق الأقليات المسلمة والاستعاضة عنها بخدمات مفقودة .

الهوامش

- (١) رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص ٤٨٣ ، رقم الحديث ٤٢٩٧ .
- (٢) د . محمد بن محمد أبو شهبة : رسالة المساجد في صدر الإسلام بحث مقدم إلى مؤتمر رسالة المسجد ، سبتمبر ١٩٧٥م مكة المكرمة .
- (٣) د . حسين مؤنس : المساجد ، ص ٣٤ .
- (٤) التيسير والاستعمار ، ص ٣٦ .
- (٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٤٧ ، الفصل الثالث والعشرون .

المراجع

- ١ - توصيات المجلس العالمي للمساجد .
- ٢ - بحوث مؤتمر رسالة المسجد - سبتمبر ١٩٧٥م مكة المكرمة .
- ٣ - ابن خلدون : المقدمة ، د . ت . بيروت .
- ٤ - إبراهيم خليل أحمد : المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ، ١٩٦٤م ، مكتبة الوعي العربي ، القاهرة .
- ٥ - سيد عبد المجيد بكر : الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا نوفمبر ١٩٨٣م ، (العدد ٢٣ من مجلة دعوة الحق التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي) .
- ٦ - د . محمد توفيق بليغ : المسجد في الإسلام ، (بحث في مجلة عالم الفكر - المجلد العاشر ، العدد الثاني) ، ١٩٧٩م ، الكويت .
- ٧ - د . فيصل السامر : الإسلام في أندونيسيا ، (بحث في مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر العدد الثاني) ١٩٧٩م الكويت .
- ٨ - د . عمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ١٩٧٠م المكتبة العصرية ، بيروت .
- ٩ - د . حسين القوتلي : لبنان بين العروبة والإسلام ١٩٨٢م ، بيروت .
- ١٠ - د . حسين مؤنس : المساجد ، ١٩٨١م ، الكويت (العدد ٣٧ من سلسلة عالم المعرفة) .

خطط وبرامج للأقليات المسلمة في العالم

الأستاذ الهادي بخاري علي
منظمة الدعوة الإسلامية بالسودان

خطط وبرامج للأقليات المسلمة في العالم

الحادي بخاري علي

ملخص البحث

يتطرق البحث إلى بيان نوع المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية ومشكلات التربية والتعليم والتأهيل والتدريب التي تعاني منها الأقليات المسلمة . ويقترح الباحث بعض الحلول والتصورات لمواجهة مثل هذه المشكلات من تلمس واقع المسلمين الاقتصادي والاجتماعي والروحي والسعي على الاعتماد الذاتي في معالجة المشكلات بعد معرفتها وتحديد حجمها والبدء المتدرج في التنفيذ كما يتناول أثر هذه الخطط في التغيير الاجتماعي ويبين دور العالم الإسلامي والمنظمات الإسلامية في دعم هذه الخطط والبرامج لتحقيق أهدافها في تقوية ضعفاء المسلمين وتمكينهم لتبليغ دين الله ونشره .

مقدمة •

المسلم الراشد مكلفا تكليفا شرعيا بتبليغ ما علم من الدين بالضرورة للعالمين **يعتبر** من حوله تنفيذا لأمر الخالق جل وعلا ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء — آية ٢١٤) ﴿ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ ﴾ (الشورى — آية ٤٨) ﴿ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر — آية ٢٣) ولقول النبي ﷺ «بلغوا عني ولو آية» .

ولما كانت الدعوة إلى الله في مناطق الأقليات المسلمة تصطدم بتيارات مناوئة ، فإن هذه التيارات قد عمدت إلى تقسيم ديار المسلمين فيما بينها ليسهل محاربتها ثم القضاء عليها .

ويلاحظ أن الأقليات الإفريقية تسيطر عليها النصرانية بينما أقليات جنوب شرق آسيا وأوروبا الشرقية تسيطر عليها الشيوعية الدولية وتحاول محو الوجود الإسلامي ولو عسكريا بينما تعاني الأقليات في أوروبا الغربية وأمريكا ودول الباسفيك أنواعا مختلفة من الظلم السياسي والاضطهاد الاجتماعي أدت للتخلف الذريع في مجالات الخدمات الأساسية كال التعليم والصحة والعمل وأصبحت تعاني من الفقر والجهل والمرض ومواجهة الحرب النفسية الواسعة التي تهدف إلى تحطيم فاعليتهم وتذويهم كليا في واقع المجتمع الجاهلي وتبديل دينهم في كل العالم .

ومهما يكن من أمر هذه الفرق الهدامة إلا أن هذه الأقليات مسئولة مسئولة مباشرة عن نشر الإسلام في بلادها ومنوط بها أمر الدعوة إلى الله وعليها أن تعد العدة لتحقيق هذا الهدف باعتبارها الطلائع الأولى للإسلام في المجتمعات الوثنية واللا دينية والكافرة على حد سواء وعليها أن تتخذ لنفسها خططا وبرامج مدروسة تبلغ بها رسالتها ، وتبسط سيطرتها على هذا الواقع وأن تبدله على المدى البعيد .

إن الأقليات المسلمة إزاء هذه الهجمة الاستعمارية ينبغي عليها أن تكون أكثر تضامنا وتماسكا ، وأن تستفيد من مواردها الذاتية وإمكاناتها المتاحة وتوظف طاقتها البشرية توظيفا علميا مخططا ومدروسا لاستغلال الزمن والفرص المتاحة لهم لتقوية تماسكهم البشري وأواصرهم الاجتماعية والإنسانية وبناء مجتمعهم المحلي ، وتنمية مواردهم الاقتصادية عن طريق الجهد الذاتي لهذه الأقليات لترفع من مستواها الاقتصادي والاجتماعي وتحث تضامنا بشريا وتجانسا فكريا بحيث تصبح قوة يصعب على أي تيار هدام أن يخترقها وأن توظف هذه الموارد والجهد من خلال خطط وبرامج علمية مدروسة والاستفادة من معطيات العلم الحديث في مجال التخطيط والتنفيذ والتقويم والبرمجة وأن تبدأ المشروعات وفقا لأولويات واحتياجات ملموسة . وأن تبدأ بما تقدر عليه الجماعة من

السهل الميسور قليل التكلفة إلى الأشكال والمؤسسات الكبيرة والمعقدة وأن يراعى في ذلك الواقعية والإمكانات المتاحة حتى لا يضيع المال والجهد والوقت هدرا على أن تتبع هذه الخطط والبرامج من هدي الدين الخفيف ، وتصورات وقيمه وتعبر عنه حتى تكون الأقلية نموذجاً حضارياً مميزاً ومتفرداً عن غيره من الجماعات وهذا الشكل الحضاري الجديد يجب أن يكون جامعاً وشاملاً يلبي رغبات ومتطلبات الأقلية المسلمة في المجتمع الحديث ومتكاملاً يحجب على قضايا العصر ويعالج مشكلاته إذ إن الواقع المشاهد لهذه الأقليات يؤكد تحلف الدعوة ونقصان تجاربها ومعطيات مؤسساتها القليلة وإهمال جوانب حيوية تتعرض لها بالتذكير والاقتراح وتشمل المجالات الآتية :

في مجال الوحدة الإسلامية

والمأمل في خريطة الأقليات المسلمة في العالم يلاحظ تعدد الواجهات التي تعمل للإسلام في القطر الواحد فهناك مجالس إسلامية ومراكز إسلامية وجمعيات شباب خيرية وطرق صوفية وطوائف دينية كالفقاديانية والبهائية وأمثالها وفي الوقت نفسه يعيش المسلمون في داخلهم حالة من التنازع القبلي والعشائري يغذيه الاستعمار والصراع على قيادة الجماعات وخاصة في إفريقيا ، إن واقع هذه التجزئة المريرة لا يمكن أن يصمد للهجمات التنصيرية الإلحادية الشرسة إذ إن جسم المجتمع المسلم يكون مريضاً وريحاً من الداخل ذاته .. لقد آن الأوان أن تدرك الأقليات المسلمة أن الصراع العالمي يستهدفها ويستهدف ثرواتها بشكل مباشر وأن المعركة معركة عقيدة وبقاء في المقام الأول لا يحسمها إلا وحدة إسلامية جامعة تستطيع أن تكشف مخططات الغزو الصليبي وتتصدى له وأن تبني مجتمع المسلمين وتنشر الإسلام . إن اتفاق المسلمين في هذه المناطق على وحدة جامعة في الهياكل والمؤسسات والهموم والطموحات هو السبيل الوحيد لتحقيق استمرار الأقلية .

إن الشكل الموحد للمسلمين يجعلهم في مركز القوة التي تستطيع مخاطبة الجهات السياسية والتنفيذية وأن توصل كلمتها لكل المنابر المشروعة المتاحة كما أنها تتضامن في المطالبة بحقوقها الاجتماعية وغيرها وتجمع موارد المسلمين المحدودة وتستقطب جهودهم في بناء مؤسساتهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وأن تغلب على الصعاب وهموم الدعوة .

إن إمكانات المسلمين في هذه البلاد لا تعاني من الشح والقلّة إنما تعاني الشتات وعدم التخطيط . وقيام مجالس إسلامية موحدة فضلاً عما تخلقه من وحدة داخلية وخدمات عامة تسهل استقطاب العون الإسلامي لهذه الأقلية بطريقة تدعو للثقة والاطمئنان ، كما يمكن

لها التنسيق مع الهيئات الإسلامية العالمية وتبادل المشورة والدعم وإتاحة فرص التأهيل والتعليم للشباب والدعاة والتحدث باسمهم ، وإلى جانب ذلك فإن هذه المجالس المتحدة تمكن للحكومات الإسلامية أيضا إنشاء مشروعات وخدمات ومشاريع ودعوة يستفيد منها أفراد المجتمع المحلي المسلم وغير المسلم بشكل يؤدي لتحقيق عبء وتكلفة إنشاء هذه الخدمات عن الكيان الرسمي للدولة مما يؤدي إلى استقرار الأوضاع الأمنية بين المسلمين وغيرهم وتخفيف حدة الصراع وإعلان القبول الرسمي غير المباشر لخدمات المؤسسات والحكومات الإسلامية ومنح المسلمين مزيدا من التسهيلات والحقوق والامتيازات بالوطن الأم .

التعليم الديني :

إن المهمة الأولى لهذه الأقليات هي مهمة دينية تشمل معنى العبادة ومعاني البلاغ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ... ﴾ (الذاريات — آية ٥٦) ﴿ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَعُ .. ﴾ (الشورى — آية ٤٨) وعلى هذا فإن الواجب الأساسي لهذه الجماعة هي تحقيق عبودية الله والدعوة لدينه وسط هذه الجماعات والفرق ، ولا يتسنى ذلك لهم إلا بالتمكن من المعرفة بالدين معرفة تقوى اعتقادهم بالله وتعرفهم بالقرآن والسنة والحلال والحرام وتمكنهم من وسائل الدعوة ، ومما يؤسف له أن الغالبية العظمى من المسلمين هناك لا تعرف إلا نذرا يسيرا مشوها عن دينها ويعزى ذلك لعدم وجود المدارس الدينية التي تقوم بمهمة التعليم والمساجد الجامعة المتخصصة في التدريس ونقصان الدعاة المؤهلين والكتاب المتداول بين يدي القراء .

إن مسلمي هذه الأقليات محتاجون في الواقع لتنقية إسلامهم مما لحق به من البدع والضلالات وما اختلط به من الأعراف والعادات المحلية وعليه فلا بد من بسط التعليم الديني بصورة جادة لكل أفراد المجتمع نساء ورجالا والعناية بتربية وتعليم النشء المباديء الإسلامية وتكريس أكبر قدر من وقت المجتمع لهذه المهمة لأنها الركيزة الأساسية ، ولا بد من إصلاح شأن خلاوي ومدارس القرآن وإيجاد الدعاة المتفرغين لهذا السبيل وتأسيس معاهد إسلامية للنساء والأمهات كما للرجال على حد سواء ، إن التدين والتمسك بتعاليم الإسلام وتحقيق شعائره هو السمة الأساسية للمسلمين وبغير المعرفة لا يتحقق التطبيق ولا بد من أن تنشأ معاهد وجامعات إسلامية ولا بد من إيجاد السبيل لترجمة القرآن والكتب الإسلامية للغات هذه الأقليات والاستفادة بالوسائل الإعلامية في هذا المجال ولا بد أن يشجع المسلمون على التعليم الديني بكل الصور وتحفيزهم بالجوائز والهدايا والمنح الدراسية والشهادات التقديرية وغيرها لتحقيق تمايزهم الإسلامي كاملا عن غيرهم حتى يتمكنوا من مواجهة حملات التنصير والتشكيك ومراوغات المبشرين .

في المجال السياسي

يعتزل المسلمون في مناطق الأقلية الدخول في الحركات السياسية والمشاركة في المعارك الانتخابية بمبررات مختلفة منها ضآلة حجمهم وعدم مساندة المرشحين غير المسلمين لهم ، ولتشتتهم الطائفي والمذهبي أحياناً والاستعلاء على المجتمع من منطلق عقائدي وغير ذلك من الحجج ، بينما يطالبون بحقوقهم الاجتماعية وحقوق المواطنة ، إن دخول المجالات السياسية يفتح أبواباً للحوار الديمقراطي للمسلمين مع غيرهم من السياسيين والمفكرين ويقدم الشخصيات المسلمة لأفراد المجتمع المحلي للتعرف على طبيعة الفكر الإسلامي كما أن وجودهم في المؤسسات التشريعية أو السياسية أو المجالس المحلية يمكنهم من استصدار قوانين لصالح الأقلية كما يمكنهم من المساهمة بالرأي في تخطيط وتصحيح السياسة المحلية ودعم مرشحين معتدلين يؤمنون بحقوق الأقلية ، أو الوقوف مع حزب سياسي كبير ذي نفوذ جماهيري يقدم حمايته لهم .

إن الانزاع السياسي يؤدي إلى نتائج سلبية للأقليات المسلمة إذ يضعف صوتها وتصدر القوانين لغير صالحها ويشجع الفرق الأخرى لاستصدار قوانين لصالح فئاتها على حساب المسلمين الأمر الذي يؤدي لمزيد من الظلم والاضطهاد والانزالية .

إن تحقيق الرخاء الاجتماعي والسلام القومي لأمر يستفيد منه المسلمون أنفسهم فلا بد من المساهمة في صنعه ، من منطلق المواطنة المشتركة حتى لا يحسب على المسلمين تقوقعهم وانعزالهم عن البناء القومي ومن ثم ينظر المجتمع إليهم كقفة انتهازية مستهلكة ومن ثم يوجه إليهم العداء ، فلا بد من قول الكلمة السواء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من داخل المؤسسات والمنابر العامة ولا بد من الدخول في حوار مع رؤساء الحكومات والأحزاب بشأن حقوق الأقلية ، فأقلية يبلغ مقدارها ٣٠٪ كمسلمي كينيا أو ٤٠٪ كمسلمي أوغندا من جملة السكان لجدير بأن تلفت نظر أي حزب سياسي . وتستطيع أن تؤثر في الأحداث بفاعلية وبشكل مباشر وعميق ، فتلجأ للتنسيق معها في مختلف المواقف السياسية كما يستطيعون في مناطق كثافتهم قيادة مجالس الحكم المحلي ولجان التنمية والمؤسسات الشعبية ورعاية مصالح الجماهير لخدمة الإسلام .

في البناء الاجتماعي

ومما يزيد من ضعف الأقليات الإسلامية على ضآلة وزنها ووقوع الاضطهاد السياسي والاجتماعي عليها ، تفرق المسلمين وتناحرهم الداخلي وتشتتهم الطائفي . إذ تشتد النزعات القبلية والعنصرية وتعدد الطوائف الدينية الأمر الذي يمكن

لأعدادها سهولة السيطرة والنفوذ وعلى الأقليات المسلمة أن تدرك أن مصير بقائها واستمرارها مرهون بقيام وحدة دينية جامعة فيما بينهم تحتاز حواجز القبلية والطائفية وتخضع لمعيار الأخوة الإسلامية والدينية حتى تصبغ جماعة متحدة وقوية ، المطلوب من الأقليات الإسلامية المساهمة في برامج التنمية المطروحة محافظة على الوحدة الاجتماعية ودعمًا للتعاون الذي يفسح المجال لاستمرار بقائها كالتبرع لإنشاء دور العجزة والأيتام ومساعدة الأرامل وتأسيس الخدمات كالمدارس والمستشفيات والمرافق العامة التي يستفيد منها عموم المواطنين وبهذا الأسلوب فإن الأقلية المسلمة تخرج من عزلتها لتبأشر الدعوة ، فمشاركة المسلمين في العمل العام والخدمة العامة التطوعية والاستجابة لحركات الإصلاح ودعم المشروعات في المجتمع يفتح الباب للآخرين للتعرف على حقيقة الإسلام والمسلمين ويوطد علاقاتهم بغيرهم في مجتمع المعاشة الذي تجمعهم فيه المصالح المشتركة .

في مجال رعاية الشباب

شباب الأقليات المسلمة عطاءة مفروضة من جراء الحرب الكنسية على **يعاني** المسلمين . وتضييق فرص العمالة الحكومية وغير الحكومية عليهم وأيضاً بسبب الفاقد التربوي المتأثري من نقص المدارس كما يعاني الكثير منهم من الأمية والجهل فلا يستطيعون أن يستوعبوا عملاً نافعا ، فلا بد أن تدرك هذه الأقليات أن وجودها مرهون بتأهيل أبنائها وتدريبهم ومقدرتهم على تحمل تبعات البناء الإسلامي والدعوة الإسلامية مستقبلاً ، فلا بد من توفير فرص التدريب المهني والحرفي للشباب بغية رفع كفاءتهم ومساعدته على إيجاد عمالة ذاتية تحقق لهم كسباً مشروعاً يستطيعون به أن يقوموا بحياتهم ويساهموا في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في مجتمعاتهم ومساعدة مشروعات المسلمين .

إن تدريب الشباب على أعمال النجارة والبرادة والسمكرة وميكانيكا السيارات والكهرباء واللحام والبناء والآلات الكاتبة والحاسبة وصيانة الأجهزة كالثلاجات والتلفزيونات والراديوها و غيرها من الأعمال الراقية تعتبر مهناً أساسية لتحقيق التنمية الاقتصادية . ويمكن إنشاؤها بتكلفة قليلة ومدرسين محليين ، إن اعتماد الأقليات على سواعد أبنائها وتشغيلهم وتفضيلهم على غيرهم لأمر جدهام لتوثيق عرى المسلمين وتقوية تضامنهم على نحو ما تنشئه الكنيسة في مراكز التدريب المهني للشباب المسيحيين .

إن تدريب الشباب على الزراعة والفلاحة والبستنة والدواجن وغيرها من المشروعات ذات العائد السريع تسد حاجة المجتمع الغذائية وتؤمن ضرورياته ، كما يجب أن نشير إلى استكمال أساليب رعاية الشباب بتأسيس الأندية الاجتماعية والرياضة لإشباع رغبات

الشباب وهي الوسيلة الوحيدة التي تؤمن عدم انحراف الشباب أسوة بأندية الشباب الكنسية التي تعنى بالشباب المسيحي وتقدم له الحوافز والمغريات .

إن شباب الأقليات المسلمة في العالم الثالث يعاني من الإهمال البدني والروحي والثقافي وليس لديه أماكن ترويج خاصة فينساقي وراء مراقص الكنيسة وأنديتها . إن هوية الشباب يجب أن تحقق بوجهها الديني حتى يجد الدافع الذاتي لمواجهة التحديات الحضارية وتحطّي العقبات الاجتماعية .

من الأهمية بمكان رسم برامج اجتماعية يساهم في تنفيذها الشباب كخطوة لتدريبهم على القيادة وتنمية المجتمع كمعسكرات العمل وأعمال الإغاثة والبناء وتعليم الكبار وإنشاء فصول التقوية المدرسية وأن يساهموا في عقد الندوات الثقافية والمهرجانات وإحياء المناسبات الدينية وحضور المؤتمرات والمحيمات الإسلامية الدولية والقارية لتوطيد أواصر الإخاء والتعاون مع إخوانهم في بقاء العالم الإسلامي وزيادة خبراتهم وكفاءتهم .

إن رعاية الشباب بهذا التوجه ليست ضرورية وملحة فحسب بل هي امتثال لأمر رسول الله ﷺ القائل : « استوصوا بالشباب خيرا فإنهم أرق أفئدة إن الله ابتعثني بشيرا ونذيرا فخالفتني الشيوخ وخالفتني الشباب » .

في مجال رعاية المرأة والأسرة

وأن نقر هنا أن التنصير حينما بدأ بين المسلمين اتجه لإفساد المرأة وعمل على **لاد** تقليل الأسرة ، وفرض عليها الخروج والعمل مع الرجل والسفور ووجه إليها حملات الإعلام لتأخذ نصيبها من الانحلال الخلقي والإلحادي والانغماس في اللهو المحرم والملذات كما عمل على إهمالها إهمالا ثقافيا فلم يتح لها فرص التعليم إلا في حدود ضيقة جدا وأصبحت المسلمة تقلد المشركات في الزي والسلوك وتجارة الخمر إلا ما رحم ربك وحتى تصمد المسلمة أمام الهجمات الصليبية الشرسة وتتحمل تبعه الدعوة الإسلامية مع الرجل على حد سواء يجب أن يعني بها على ثلاث مستويات .

المستوى الأول :

إتاحة الفرصة لها بأن تدرس في جميع المراحل الدراسية وتتعلم تعليما تدرّك به طبيعة وظيفتها ورسالتها وتحفظ به نفسها وتحمي أسرتها وتستطيع أن تؤدي دورها في بناء المجتمع . وأن تتاح لها فرصة الدراسات الدينية لتتزوّد بأكبر قدر من العلوم الشرعية حتى تكون أما قادرة على تربية الأجيال ، المتخلقة بأخلاق الإسلام متمسكة به وتصمد أمام الهجمة التي تواجه المسلمين وتكشف أبعادها .

المستوى الثاني :

تدريب وتأهيل المرأة في شتى مجالات العمل الحر الشريف حتى تستطيع أن تعيش من كسب يدها الحلال وتوظف المال لإسعاد أسرتها وذلك بتأسيس معاهد التأهيل المهني والفني في مجال التفصيل والخياطة والتريكو وأشغال الإبرة والتغذية وصيانة الراديو والتلفزيون والطباعة على الآلة الكاتبة والحاسبة وغيرها .

المستوى الثالث :

تشجيع الشباب من الجنسين على الزواج المبكر وقيام الأسرة لصيانة الطرفين من الإغواء والانحراف . إن الأقليات المسلمة لابد وأن تدرك أهمية زيادة النسل بالنسبة لها باعتبارها ضرورة حياتية يمكن بها أن يشكلوا أغلبية تقلب ميزان القوى لصالحهم لذا يجب تشجيع زواج الشباب بتقليل المهور وإقامة الصناديق الخيرية لدعمهم وزيادة نسلهم وعلى المسلمين أن يفتنوا للمغزي الحقيقي وراء المناداة بتحديد النسل التي يقصد منها تقليل عدد المسلمين في المستقبل البعيد وإضعافهم اقتصاديا واجتماعيا وبشريا .

في مجال رعاية الأطفال

اتجهت الكنيسة في غزوها للأقليات المسلمة لتنصير أطفال المسلمين منتهزة فرصة الفقر والمرض وضعف الحالة الاقتصادية والمجاعات والكوارث التي تنزل بهم واستغلت فرصة اليتيم والتشرد فعمدت على كسبهم بدعوى الإحسان فقدمت لهم الغذاء والكساء والدواء وأغرتهم بالحلوى والملاعب ثم عمدت أخيرا لبناء دور لهؤلاء الأطفال يقيمون فيها إلى سن الشباب حيث يقدم لهم التدريب والتعليم ثم تعمل الكنيسة على تنصيرهم بصورة سافرة .

وليس هناك من مخرج إلا باحتواء أيتام أطفال المسلمين في ملاجئ ومحاضن مماثلة أو كفالة هؤلاء الأيتام بواسطة الموسرين في أسرهم الأصلية ، أو دعمهم وإتاحة فرص العيش والتعليم لهم .

إنه مما يؤسف له أن العالم الإسلامي مازال غافلا عن هذا النشاط ولم يلتفت بعد لخطورته المستقبلية والأمر يستدعي إقامة مؤسسات إسلامية تعنى بهذا العمل وينبغي في هذا المقام الإشادة بصندوق الزكاة بدولة الكويت الذي أنشأ مشروع كافل اليتيم حيث امتدت مساعداته للأطفال الأيتام داخل أفريقيا لتشمل جنوب السودان وأوغندا وزنجبار والصومال .

التعليم

لسنا في حاجة لكي نؤكد أن التعليم هو البنية الأساسية في بناء مستقبل أي أمة . والتعليم فريضة على المسلمين خاصة لقول الرسول الكريم ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم » إلا أن المتأمل في حال الأقليات المسلمة خاصة في أفريقيا وآسيا يرى بوضوح مدى ارتفاع الأمية القرائية وتفشي الجهل بينهم ومرد ذلك إلى أن الاستعمار عزل الأقليات المسلمة من التعليم فحرم أبناءها من دخول المدارس بينما أتاح لأبناء المسيحيين فرص التعليم بجميع أنواعه وترك إنشاء المدارس بجميع مستوياتها الأدبية والعلمية والفنية للكنائس وعينت الكنيسة بدعم فقراء الطلاب المسيحيين ، وتواتر على الوزارات ومراكز البحث العلمي مسيحيون متعصبون لدياناتهم بينما انحصرت مدارس المسلمين في الكتاتيب ومدارس القرآن وقليل من المعاهد التي ينشئونها بأموالهم الخاصة ، كما أن هذه المدارس الخاصة لم تجد الاعتراف الرسمي من الدولة ، وأرغم شباب المسلمين على دخول مدارس الكنائس وعلى تلقي علوم ونظريات النصرانية ودفعهم لأحضان التنصير دفعا حثيثا وتشويه الإسلام بالدراسات الزائفة والمغرضة . هذا بينما نجد أبناء الأقليات المسلمة في أوروبا الغربية والأمريكية تمارس حقها في التعليم النظامي المشروع إلا أن شبابها يفتقر إلى التعليم الديني حتى يحافظ على سلامة وعقيدته .

وإزاء هذه المفارقات يجب على المسلمين العناية بالجانب التعليمي وإعطائه الأولوية القصوى كضرورة دينية وحضارية خاصة التعليم الأكاديمي والفني وتشجيع أبنائهم على الحصول على أحسن النتائج العلمية لدخول الجامعات حتى يتسنى لهم أن يتصدروا مراكز البحث العلمي وكليات المعرفة في الجامعات حيث يتاح لهم توصيل الدعوة الإسلامية ، والعمل على تأليف وترجمة الكتب الإسلامية باللغات المحلية . كذلك ومن الضروري الوصول إلى مراكز صنع القرار السياسي والاجتماعي لخدمة وحماية الأقلية وخدمة المجتمع بكفاءة وإخلاص تقنع المواطنين بصدق توجه المسلمين ونزاهتهم وكفاءتهم بصورة تحببهم إلى الناس .

إن مسئولية تعليم أبناء الأقليات لتحقيق أهداف الدعوة إلى الله يقع جزء كبير منها على العالم الإسلامي فلا بد من توفير فرص الدراسات الجامعية والدراسات العليا والبحث التخصصية وإنشاء المعاهد الدينية والكليات الجامعية في أوطانهم الأصلية ودعم الأقلية بالمعدات والمعلمين المتخصصين ، إن قيام جامعة إسلامية لأبناء الأقليات تساهم فيها الدول الإسلامية لأمر بالغ الأهمية لخدمة الدين ، لقد نجحت تجربة المركز الإسلامي الإفريقي بالسودان المخصص لتعليم أبناء المسلمين بأفريقيا في تخريج معلمين ودعاة

وحرفيين وغيرهم وهو يمثل تجربة رائدة وناجحة للتضامن العربي إلا أنه بالنظر لحاجة المسلمين الأفارقة للتعليم الديني والثقافة العربية مايزال المركز صغيرا ومحدودا ولكنه يمثل تجربة ناجحة لتجميع جهود الحكومات المسلمة (العربية) لإنشاء جامعة إسلامية مشتركة لأبناء الأقليات المسلمة هذا فضلا عما تقدمه الدول والجامعات الإسلامية بصفة فردية من منح دراسية .

في مجال التنمية الاقتصادية

إن السمة الغالبة على الأقليات المسلمة أنها تعاني من التخلف الاقتصادي وضيق فرص العمالة للجنسين فضلا عن مشكلات الفقر والجهل والمرض وتدني الخدمات بينما بلادهم غنية بثرواتها الطبيعية ومواردها ، ويعزى السبب إلى السياسة الاستعمارية وسياسة الكنيسة التي ركزت الخدمات الاجتماعية والمؤسسات الاقتصادية في أيدي المسيحيين ومناطقهم وأهملت إهمالا مقصودا الجماعات الإسلامية .

وليس هناك مخرج إلا بالعمل على إزالة هذا التخلف من واقع المسلمين ، وبإحداث تنمية اقتصادية بالمبادرات الذاتية للمسلمين وتجميع رؤوس أموالهم القليلة لإحداث هذه التنمية .

إن تجميع رأس المال المسلم في شكل شركات محدودة أو بنوك محلية أو مصانع أو مزارع ودفعها للاهتمام بالنشاط التجاري والاستثماري ضروري ولابد منها ، فهو فضلا عما يحدثه من تغيير مادي ، يحمي المال المسلم من أن تستفيد به الشركات الأجنبية والمسيحية وغيرها ، وكما أنه يعطيهم الشعور بالوحدة والكسب والتضامن لتقوية عصبيتهم الدينية والاجتماعية وأن يوفروا للشباب فرصا للعمل والاغتناء وحماية الجماعة من أخطار الاستغلال الربوي والسوق السوداء وأن يتم تداول المال في مصالح المسلمين وتحقيق أهدافهم .

إن تجميع أموال المسلمين في شكل مؤسسات اقتصادية يمكنهم من السيطرة الاقتصادية على الموارد والتجارة بحيث يصبحون قوة تستطيع بما لديها من نفوذ مؤثر أن تخدم المسلمين ، وتجميع رأس المال المسلم يجب أن يشمل جميع المجالات الاقتصادية فقيام الجمعيات التعاونية كالجمعيات الاستهلاكية والجمعيات الإنتاجية وجمعيات الخدمات والتعاونيات الحرفية إلى جانب المشاريع الكبرى تحقق عمالة جماعية وترفع من مستوى الدخل والمعيشة كما يخدم مجالات التنمية الاجتماعية والبشرية بصورة أوسع وأشمل كما أنها الطريق الوحيد أمام المسلمين لمواجهة التحدي الاقتصادي وفك حصار الفقر المضروب عليهم.

خاتمة

لا يمكن للأقليات المسلمة أن تكون مسئولة بمفردها عن الإسلام في بلادها بل هي مسئولة مشتركة بينها وبين العالم الإسلامي ، إذ إن لهذه الأقليات مشاكلها الحياتية وما تعانيه من فقر ومرض وجهل ديني وأمية فهي تكابد ويلات الاضطهاد العنصري والتفرقة الدينية والعزل الثقافي بل الإبادة العسكرية كما يحدث لإخواننا في شرق آسيا وأوروبا الشرقية .

والمطلوب من الدول الإسلامية أن تتدخل لمساعدة هذه الأقليات من خلال العلاقات الدبلوماسية حتى تبسط حمايتها لهذه الأقليات فالدبلوماسية الإسلامية يجب أن تنطلق لتحمي الفرد المسلم حيثما وجد ولم تعد هي الدبلوماسية التي خطتها الاستعمار باسم عدم التدخل في الشؤون الداخلية .

إن وجود العلاقات الدبلوماسية مع بلدان الأقليات والوقوف مع الحقوق المشروعة لهذه الدول في المحافل العامة وتقديم الإعانات والمساعدات والقروض من المال الإسلامي لتحقيق تنميتها والتغلب على أزماتها يؤدي بطريق غير مباشر إلى احترام هذه الأقليات وإعطائها الكثير من الحقوق المهضومة من منطلق الحفاظ على استمرار الإعانات من الدول الإسلامية كما أن مجرد وجود التمثيل الدبلوماسي مع بلاد الأقلية يخفف حدة الهجوم عليها ويحدها للعمل الإسلامي ويرجى العمل على دعم مشاريعها الخاصة في جميع المجالات خاصة التعليمية والاقتصادية ومدها برأس المال والخبراء .

إن حماية الأقليات يستدعي قيام هيئة أمم إسلامية تتولى رعاية مصالحها والدفاع عنها فرابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي والندوة العالمية للشباب الإسلامي والاتحاد العالمي الإسلامي للمنظمات الطلابية كلها خطوات تتجه لتحقيق هذا المنحى الجامع الذي يعتبر قضية المسلمين في كل أرجاء العالم هم الأول وشغله الشاغل وتعتبر نفسها مسئولة عن كل مسلم في الأرض .

كما أنه يلزم قيام منظمات دعوة قارية كمنظمة الدعوة الإسلامية بالسودان التي تعمل على دعم الأقليات المسلمة ونشر الإسلام في أفريقيا ، يعمل فيها أبناء هذه البلاد نظرا لمعرفتهم بالإطار الاقتصادي والثقافي والقوى السياسية التي تحكم البلاد ولا بد أن نشير إلى تنسيق وتكامل جهود هذه المؤسسات لتقديم خدمات موحدة لاستكمال الجهد وتجميع الموارد وأن يأتي العمل الإسلامي للأقليات عبر هذه المؤسسات ابتغاء الاستقلال الأمثل للموارد .

إن الأقليات المسلمة لفي حاجة شديدة للإعلام والتواصل الثقافي فالحاجة ماسة لإنشاء إذاعة إسلامية تغطي أنحاء المعمورة تصرح بتعاليم الإسلام وتوصيله للعالم بكل اللغات واللهجات كذلك قيام دار نشر إسلامية دولية تتولى ترجمة وطباعة الكتاب الإسلامي بكل اللغات واللهجات . إنه يلزمنا أن نشير إلى أن الإنجيل طبع بسبعمئة (٧٠٠) لغة ولهجة في أفريقيا .

ولا شك أن قيام جامعة للعلوم الإسلامية والإنسانية لأبناء الأقليات سيمكنهم من التزود بالعلم حتى يخدموا مجتمعاتهم هذا كما نلفت النظر إلى زيادة المنح الدراسية لأبناء هذه الأقليات في الجامعات العربية والإسلامية .

وبالنظر إلى جهود الحكومات العربية والإسلامية ومعاونتها الاقتصادية للأقليات ودول الأقليات نجدها قليلة بل مقطوعة أحيانا ومحدودة لا بد من زيادتها .

إن دخول رأس المال الإسلامي في مجالات التجارة والصناعة في هذه البلاد يشجع عمالة المسلمين ويدعم رأس المال المحلي المسلم ويساعده على الزيادة إذ لا بد من استغلال الفرص الممنوحة للشركات الأهلية والممولين والمستثمرين المسلمين لخدمة الإسلام في المقام الأول ، وهذه عبادة مضمونة الربح إذا علمنا أن بلاد هذه الأقليات تتوفر فيها مجالات الاستثمار الاقتصادي بكل أنواعه .

والمأمول أن تزداد وتستمر سياسة القروض الحكومية وقروض البنوك الإسلامية والعربية كبنك التنمية العربي والبنك الإسلامي للتنمية وغيرها وأن تكون مشروطة بتحقيق مصالح تستفيد منها الأقلية المسلمة كما تستفيد الأكثرية أو أن توظف في مشاريع في مناطق كثافة الأقلية المسلمة بهذه البلاد وعلى مسلمي هذه الدول توفير الدراسات عن مناطقهم وتقديم الاستشارات لمساعدة رأس المال الإسلامي في ميدان المساعدة إليهم .

وأخيرا لا بد وأن نشير إلى أهمية الدفاع عن هذه الأقليات المسلمة وصدها عن المآكر الذي تعرض له بفضح المخططات ونشرها وعقد المؤتمرات والتظلم لدى الهيئات الدولية والقارية وأن تتاح الفرصة لوفود هذه الأقليات لبيان مظلمتها من هذه المنابر .

المراجع

- ١ - محمد عطية خميس : تداعت عليكم الأمم ، دار الاعتصام .
- ٢ - الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي ، ص ٣١٢ .
- ٣ - حامد التوم : مراكز الشباب ، وزارة الشباب والرياضة .
- ٤ - المركز الإسلامي الأفريقي ، دورية ١٩٨٠ م .
- ٥ - البشير ، نشرة دورية تصدر عن منظمة الدعوة الإسلامية في السودان ، ص ٢٧ ، ١٩٨٤ م .
- ٦ - د . عبد الرحمن زكي : المسلمون في عالم اليوم ، ط ١ ، ١٩٦٠ م مكتبة النهضة .
- ٧ - حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، ط ٢ ، ص ١٩٣ ، مكتبة النهضة .
- ٨ - د . علي محمد جريشه : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ط ٢ ، دار الاعتصام ، ص ٧٨ .
- ٩ - أبو الأعلى المودودي : المسلمون والصراع السياسي الراهن ، دار الأنصار .
- ١٠ - مجلات إسلامية مختلفة : العالم ، الدعوة ، المجلة ، التصوف الإسلامي ، السياسة ، منبر الإسلام .. الخ .

الاجئون: نظرة إسلامية

الحاج فضل الله ويلموت

الإجئون: نظرة إسلامية

فضل الله ويلموت

إن ملايين الرجال والنساء والأطفال يعيشون أيامهم في معسكرات لاجئين مكتظة ، وتلك مأساة إنسانية ذات أبعاد ضخمة . ولا ننكر أن الكوارث الطبيعية ، مثل الجفاف ، هي المسئولة في بعض الحالات ، عن تشريد الآلاف منهم . إلا أن هناك أسبابا أخرى وراء مشكلة اللاجئين في العالم اليوم : ومنها سياسات الحكومات القمعية ، والصراعات الدموية التي تنشب كرد فعل لنظم الحكم القمعية وحملات الاضطهاد السياسي والعنصري أو العرقي . وترجع المشكلة ، في جزء منها ، إلى مفهوم الدولة القومية العلمانية الحديثة ، التي لا تنظر بعين العطف إلى حق الأقليات - أقليات كبيرة جدا في بعض الأحيان - في التباين ، بمعنى أن تعيش بطريقة مختلفة ، أن تستخدم لغة مختلفة ، أو أن تعتنق دينا مختلفا . ويعاني المسلمون أكثر من غيرهم بكل أسف ، من تلك السياسات .

ومن دواعي الأسى أن نرى المسلمين ، الذين شملوا الأقليات بحمايتهم طوال أربعة عشر قرنا من الزمان ، أصبحوا هم أنفسهم أقلية نتيجة نكبات تاريخية مختلفة ، وأصبحت المعاناة فرضا عليهم . إن الدماء المسلمة اليوم ، بكل أسف ، أرخص الدماء في العالم ، ويستهان بممتلكاتهم ، حتى أنهم يضطرون قسرا إلى الرحيل عن أراضيتهم التي عاشوا عليها على مر الأجيال . يحدث ذلك في الوقت الذي لا مطلب للمسلمين سوى أن يكون لهم حق العيش ، العمل ، الضحك ، العبادة ، الحق في أن يعيشوا حياتهم ، ويطبقوا قانونهم الإسلامي ، ويتقدموا في العمر ، ويموتوا في وقار يليق بكل إنسان . ومع ذلك ،

أنكروا عليهم هذا الحق . ومن ثم يعيش حوالى عشرة ملايين لاجيء مسلم في بلدان أجنبية :
ليشكلوا بذلك ٨٧٪ من لاجئي العالم في ١٩٨٣ .

وبما أن التمييز في معاملة الأقليات هو السبب في وجود معظم لاجئي العالم فسوف أناقش ،
بداية ، مشكلات تلك الأقليات . ثم أشير إشارة سريعة إلى الموقف الإسلامي تجاه اللاجئين ،
والتجربة التاريخية التي خاضها المسلمون الذين بدأوا تاريخهم لاجئين . أود أن أناقش بعد
ذلك ، مفهوم الهجرة في الإسلام . وسوف يتعلق الجزء المتبقي من بحثي بالوضع الحالي
لللاجئين في العالم ، ذلك لأنه يؤثر بصفة خاصة ، على المسلمين والأقليات المسلمة . وليس في
مقدوري بالطبع أن أناقش كل دولة بالتفصيل ، ولكنني سوف أركز على مواطن المشكلة
الرئيسية ، مع استعراض للخلفية التاريخية للمشكلات قيد البحث بشيء من التفصيل ،
لأنتمكن من فهم أفضل للموقف . كما أني سوف أختم البحث بتقديم بعض المقترحات فيما يتعلق
بالخطوات التي يمكن اتخاذها لمعالجة المشكلات الحالية والعمل من أجل القضاء على العوامل
المسببة لمشكلة اللاجئين .

مشكلة الأقليات

إذا استثنينا الدولة الإسلامية ، كنظام حكم ، نجد أن سياسات الأغليات تجاه
الأقليات تتأرجح ما بين الاستيعاب السلمي لأفراد الأقلية ، وبين الإبادة التامة
لهم . قال ويزد - لويس^(١) :

« إذا نأت جماعة بنفسها بعيدا عن الآخرين محتفظة بثقافة متميزة ، وطالت بها حالة
العزلة ، فقد يتفاقم التباعد الاجتماعي بينها وبين الآخرين بحيث يؤدي إلى تراكم الشك ،
وإلى إنعدام التعامل ، الأمر الذي يجعل من المستحيل ، عمليا ، على أفراد تلك الجماعات
أن يمارسوا حياة جماعية حقة » .

وحسب ما جاء في علم النماذج الشخصية ، عند « سيمبون » و « ينجر »^(٢) . هناك
سته أنواع من السياسة يمكن تصعيدها : الاستيعاب ، مجتمع متعدد الأجناس ، الحماية
الشرعية للأقليات ، نقل السكان (سلما أو قسرا) ، الإخضاع المستمر ، ثم الإبادة .
وهذه السياسات الست ، وهي من حق الجماعات السائدة ليست ممنوعة من التبادل . ومن
الممكن ممارستها معا في وقت واحد أو بالتتابع . وأحيانا تكون (السياسات) هي
التصرفات الرسمية ذاتها التي تصدر عن زعماء الأغلبية أو الدولة ، وتكون ، أحيانا أخرى ،
هي الأعمال الفردية اليومية التي يقوم بها أعضاء الجماعات السائدة^(٣) .

ظلت جماعات الأقلية في العالم غير الإسلامي ، تحتل ، على مدى التاريخ ، مكانة غير لائقة في المجتمع . فهي تحرم من اغتنام الفرص على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وينقص من قدرها ، وتعرض للاحتقار والكره والسخرية والعنف . كما تفرض عليها العزلة الاجتماعية ويطبق عليها العزل المكاني مرارا وتكرارا . فضلا عن أنه بالإضافة إلى هذه السمات الموضوعية ، التي تتميز بها الأقليات عن الجماعة السائدة ، ونتيجة لها ، إلى حد ما ، تنزع الأقليات إلى بلورة مجموعة من الاتجاهات والسلوكيات والسمات الشخصية المميزة الأخرى والتي بدورها تزيد من عزلتها . ويولد هذا الإحساس بالعزلة والاضطهاد في نفوس أفرادها تصورا يرون فيه أنفسهم وكأنهم أكثر اختلافا عن الآخرين مما هم عليه في الحقيقة . بالضبط مثلما يحدث عندما تسيء جماعة الأغلبية الحكم عليهم بتصور أنهم أكثر تباعدا عن المجتمع مما هم عليه في واقع الأمر ، ويبين علماء الاجتماع^(٤) أن التمييز في المعاملة يولد إحساسا بالنقص في بعض الحالات ، والإحباط والقر في البعض الآخر . كما أن انعدام المعرفة العميقة بالجماعات الأخرى ، والاتصال الوثيق بها ، قد يتسبب ، على مر الزمن ، في العجز عن التفاهم والتقدير المتبادلين ، الأمر الذي يتيح الفرصة حتما لظهور حالات مجسمة متكررة .

ثمّة أهمية ما في حالة حدوث الاستيعاب ، أن نميز بين ما إذا كان الاستيعاب اختياريا أم لا . فإذا حدث وأن تبنت الجماعة السائدة مذهب العرقية المتطرفة (أو التعصب الثقافي) ، فليس من حق الأقليات ، في هذه الحالة ، أن تمارس دينها الخاص ، ولأن تتبع عاداتها الخاصة ، طالما أن الهدف هو إنشاء شعب ذي ثقافة واحدة ، ولغة واحدة ، وعنصر واحد ، شعب تحكمه دولة ديكتاتورية كما هو الحال في ألمانيا النازية أو الكيان الصهيوني ، وبدرجة أقل ، في كل من تايلاند الحديثة ، وبورما ، والاتحاد السوفيتي . ولا يمكن تحقيق أي استيعاب في هذه الحالة . بل على العكس ، إن هذا التركيز على أهمية العرقية هو بالتحديد الذي يحول دون استيعاب الأقليات . أما إذا كانت العملية سلمية ، فسوف تتسرب الأقليات بطريقتها الخاصة وعلى قدر سرعتها ، إلى بعض أشكال الثقافة السائدة ، بادئة بمواضع الاستيعاب المادي والثقافي ، ومتجاوزة ذلك إلى الاستيعاب الروحي . وليس من حق أحد أن يعترض طالما أن الاستيعاب طوعي ، بمعنى أنه نتيجة اختيار حر . ولقد انتشر الإسلام نفسه بهذه الطريقة في معظم أنحاء العالم .

قد تلجأ الأغلبية ، أحيانا ، إلى اتخاذ سياسة نقل السكان من مكان إلى مكان آخر ، في محاولة منها للتقليل من مشكلات الأقلية عن طريق العزل المادي . وقد يكون هذا النقل ، شأنه شأن الاستيعاب ، سلميا أو غير سلمي . غير أنه ، على أي حال من الأحوال ، غالبا ما يعكس مشاعر العداء والتعصب بصفته سياسة من سياسات الأغلبية ، سواء كان هذا النقل مباشرا (بإجبار الأقلية على إخلاء منطقة من المناطق) ، أو كان غير مباشر (بجعل الحياة لا تطاق

لدرجة لا يكون أمام الأقلية خيار آخر سوى الهجرة (. فعل الأسباب ذلك مع المسلمين ، والإنجليز مع اليهود طوال ما يقرب من أربعة قرون . وأمثلة ذلك في العصر الحديث ، الألبانيون في أريتريا وأوجادين ، وشعب بورما في أراكان ، والصهاينة في فلسطين . وكانت الإبادة سياسة ألمانيا النازية ، وربما تكون سياسة إثيوبيا اليوم .

ومن سياسات الأغلبية ، أنها قد تسمح بتعدد ثقافي داخل نطاق يتفق مع معتقدات الشعب الرئيسية وأمن البلاد . وفي هذه الحالة (سويسرا على سبيل المثال) : نجد أن الكيان السياسي والاقتصادي القوي يهيمن على التباينات الثقافية . غير أن إنشاء مجتمع متعدد الثقافات على هذا النحو ، إنشاء قويا فعليا ، متوقف على التخلص من مفهوم القومية أو التعصب الثقافي ، ومثله الأعلى في وجود ثقافة واحدة . يجب أن تتخلى الأغلبية عن ادعائها حق السيادة والتفوق الثقافي ، كما يجب على الأقلية أن تتخلى عن أملها في انفصال سياسي واقتصادي .

إن سياسة حماية الأقليات بالطرق الشرعية ، هي الشكل المختلف لتعدد الثقافات ، وتعني الحماية الشرعية أن هناك أقساما من الأغلبية لا تقبل بالتمط (السائد) . فضلا عن أنه ، في حالة عدم القبول بهذه الأنماط في جانب أقسام كبيرة من الشعب أو من جانب الدولة نفسها ، فقد تظهر هنا الحاجة إلى ضمانات دولية أو إجراءات قسرية لضمان احترام حقوق الأقلية كما هو الحال في قضية قبرص .

ويعطي الإسلام ، في هذا المجال ، درسا للإنسانية ، فمنذ هجرة الرسول (عليه السلام) من مكة إلى المدينة : أقر الإسلام وثبت ضرورة أن يكون للجاليات ، من أصحاب الديانات الأخرى ، كامل الحرية في تحقيق ذاتها وفقا لثرائها وميولها الخاصة ، وينبغي السماح لأفراد هذه الجاليات بممارسة دينهم ، وإقامة مؤسساتهم الاجتماعية ، وأن يكون لهم قوانينهم ومحاكمهم التي تدير شئونهم ، وأن يحتفظوا بلغتهم وثقافتهم ، وأن تكون لهم بيئتهم ومدارسهم التي يربون فيها أولادهم وفقا لميولهم . لا بد أن يتوفر لديهم ضرورات الحياة ، وأن يتحقق لهم الاستمتاع بها .

استمد موقف الإسلام ، تجاه الأقليات ، مصدره من تكوين الدولة الإسلامية التي نشأت هي الأخرى من صلح المدينة ، الذي أعلنه الرسول (عليه السلام) ، عند هجرته إلى المدينة في سنة ٦٢٢ م . وحددت روح ذلك الصلح شكل كل دولة إسلامية عبر التاريخ ، وأقر الصلح أن المسلمين ، بصرف النظر عن أصولهم ، يشكلون أمة واحدة ، يعني كيان متحد واحد يسهر على تنظيمه القانون الإسلامي . وللأمة مؤسساتها الخاصة ، ومحاكمها ، ومدارسها الخ . إن إدارة شؤون الأمة مكفولة فيما يتعلق بتحقيق ذاتها ، وتحقيق الحد الكامل من دينها ، وميولها ، وقوانينها وأخلاقياتها ، وثقافتها . وكذلك استمراريتها - مكفولة أيضا - إذ من حق الأمة أن تداول تراث دينها وثقافتها بين أجيالها .

وكما أقر صلح المدينة وثبت أن المسلمين أمة واحدة ، وقضى بذلك على الخلافات العنصرية والقبلية ، وأقر وثبت أن اليهود أمة ، متكافئة مع الأمة الإسلامية ، وفي سنة ٦٣٠م وفد نصارى الجزيرة إلى المدينة للتفاوض مع الرسول (عليه السلام) بشأن وضعهم ، وقد رحب بهم ومد لهم ذراعيه وناقش الإسلام معهم على مدى ثلاثة أيام ، فمنهم من انجذب واعتنق الإسلام ، فصاروا على الفور أعضاء في الأمة الإسلامية . ومنهم من لم يقتنع وبقي على نصرانيته ولكنهم اختاروا أن يكونوا مواطنين في الدولة الإسلامية ، وحصلوا بذلك على نفس الوضع الذي حصل عليه اليهود والمسلمون ، ومنذ ذلك الحين ، أصبحوا أمة متكافئة مع البقية ، واستمتع أفرادها بميزة العيش في ظل ديانتهم المسيحية ، الأمر الذي جاء موافقا لمتطلبات تراثهم الديني والثقافي ورغبتهم في الاستمرار ، ولأنهم عاشوا بعيدا عن المدينة ، أرسل النبي (عليه السلام) مبعوثه إلى منطقته . ومن تلك اللحظة أخذت الدولة الإسلامية على عاتقها حمايتهم من أي عدوان من الخارج ، ومن أي تخريب من الداخل . كما كفلت الدولة الإسلامية حريتهم ومسيحياتهم واستمرارهم عبر التاريخ . وبمثل هذا المنطق ، احتوت الدولة الإسلامية الزرادشتيين الفارسيين ، والهندوس ، والبوذيين الهنود ، بصفتهم أمة متكافئة مع الأمم الأخرى من مسلمين ويهود ومسيحيين ، كانت الدولة الإسلامية المسؤولة عن حمايتهم ، وكان من واجبها ، كما هو محدد في دستورها ، تمكين كل جماعة من العيش وفقا لدينها وأخلاقياتها ، وثقافتها ، ومن المحافظة على بقائها في حرية تامة عبر الأجيال . وهكذا ، لم تكن الدولة الإسلامية إذن دولة مسلمة مانعة (مقصورة على المسلمين وحدهم) . إنما كانت اتحادا لأمم متباينة الأديان والثقافات والتقاليد ، ملتزمة بالعيش معا في انسجام وسلام^(٥) .

ليس الأسلوب الإسلامي في معالجة مشكلة المختلفين في العقيدة ، نظرية مبهمة ، ودليل ذلك ، تطبيقه العملي عبر التاريخ ، فنجد على سبيل المثال : أن عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين ، يتذكر الأمم الأخرى أو الذميين ، في وصيته التي ينيط فيها مهام منصبه الرفيع إلى من يخلفه ، حيث قال :

« إني أحيل إليه أمر العناية بالذميين ، الذين ينعمون بحماية الله والنبي ﷺ وليتأكد من أن الميثاق معهم محفوظ ، وأنهم لا يكلفون بأعباء فوق طاقتهم »^(٦) .

لقد عاشت الجالية المسيحية تحت مظلة الأمن هذه ، التي شملت حياتهم ، وممتلكاتهم ، وحرية فكرهم الديني ، فتمعت تحت الحكم الإسلامي ، في المدن خاصة ، برخاء مزدهر .

وتمتعت الجاليات غير المسلمة بحكم ذاتي كامل تقريبا ، إذ أولت الحكومة إليها مهمة إدارة شئونها الداخلية على نحو مستقل ، ومارس زعماءها الدينيون المهام القضائية في القضايا التي تهم المشتركين معهم في الدين . كما لم يحدث ، في أغلب الأحيان ، أية تدخلات في شئون

كنائسهم وأديرتهم^(٧) . ويشهد تاريخ النسطوريين بتفجير الحياة والنشاط الدينيين بدرجة ملحوظة ، منذ أن صاروا جزءا من الدولة الإسلامية .

إن بقاء الكنائس الشرقية في حد ذاته ، ليعد دليلا على التعدد الثقافي عند المسلمين ، لقد نعم غير المسلمين ، في ظل الدولة الإسلامية وتحت الحكم الإسلامي ، بقدر من التسامح الديني لم يظهر له مثيل في أوروبا حتى العصر الحديث . أما ما نشب ، من حين لآخر من أشكال الفوران الاضطهادي على يد المتعصبين والمتطرفين ، فراجع إلى ظروف خاصة ومحلية ، وقد أنكر العلماء المسلمون دوما مثل هذه الأعمال ، ونفذ الحكام قراراتهم في هذا الشأن^(٨) .

ولا تطالب الأقليات المسلمة في العالم سوى بتسامح من قبل الأغلبية حيال أوجه اختلافهم . وتعتقد أنه من الممكن للثقافات المتنوعة أن تعيش جنبا إلى جنب في نفس المجتمع . ولا تعتقد أن الدولة لا بد وأن تكون نظاما من عنصر واحد ، حيث يسود قانون واحد ، لا أكثر ، وأسلوب حياة واحد ، وثقافة واحدة ، ورأي واحد في العالم . وقد أحيل هذا المطلب إلى الأمة ، في الدولة الإسلامية ، والأمة هي التي تذيب الثقافات ، وتدمج وتستوعب كل أفرادها في الوحدة الإسلامية ، وهي التي تحافظ على وجودها الإسلامي . وتقدم الأمم من غير المسلمين نفس الخدمات لأفرادها من غير المسلمين . ولذلك تقدر الدولة الإسلامية على الوحيد الذي يمكن الدولة من أن تكون متعددة تعددا حقيقيا ، دون أية محاولة من جانبها لإزالة الاختلافات بين الأمم تحت شعار « الدمج القومي » و « الوحدة القومية » .

ويذهب الإسلام ، في هذا إلى أبعد ما ذهبت إليه الضمانات الواردة في إعلان حقوق الإنسان الذي أصدرته الأمم المتحدة ، ويرى المسلمون أن هذا المفهوم من الدولة المتعددة مع تعدد القوانين هو أفضل حل للتغلب على المشكلات التي تواجه الأقليات ، ومن ثم منع مشكلة اللاجئين من أساسها .

ولا يرغب المسلمون في أن تقتصهم الجماعة السائدة فيفقدوا بالتالي شخصيتهم ولا يسعون بالضرورة إلى الاستقلال ، ولكن المسلمين اضطروا إلى هذا بسبب خيبة الآمال في تعايش سياسي وثقافي وديني . وقد كان للجاليات الإسلامية ، في معظم الحالات ، وضع مستقل في الماضي ، فلما حبط مساعيهم (اليوم) في العيش وفقا لأسلوبهم الخاص في الحياة ، لم يكن أمامهم سوى الاتجاه نحو الانشقاق .

التعاليم الدينية بخصوص اللاجئين

تنص تعاليم الإسلام على أن من واجب كل مسلم أن يقدم المأوى والحماية لأي شخص يلوذه . وليس من حق أي إنسان أن يطرد أحدا في حماية مسلم ، أو يتحرش به . ويزخر تاريخ الإسلام ، في بداية عهده ، بالعديد من الأمثلة على توفير الحماية والأمن لكل من لجأ إلى النبي (عليه السلام) ، وإلى خلفائه . فقد فر عكرمة بن أبي جهل ، أعتى خصوم محمد (عليه السلام) والمسلمين وأقساهم ، فر إلى اليمن بعد فتح مكة ، ثم طلب الصفح والحماية بعد ذلك من النبي (عليه السلام) الذي تعهد له بالأمن . وعاد عكرمة واستقبله النبي (عليه السلام) ثم صار صحابيا^(٩) .

منح النبي (عليه السلام) يوم فتح مكة ، الأمن لأبي سفيان وكل من لاذ بيته طلبا للحماية^(١٠) . وكان أبو سفيان ، هو وزوجته هند ، من ألد أعداء النبي (عليه السلام) . حتى أن هند أجزلت العطاء لعبيدها لقتل حمزة عم النبي (عليه السلام) في غزوة أحد ، ولاكت كبده بعد قتله . ومع ذلك شملت الحماية الجميع .

وإذا أجازت امرأة مسلمة كفارا وآوتهم ، فمن واجب المجتمع المسلم بأثره ، وفقا للشرع الإسلامي ، أن يمنحهم تلك الحماية ، وأن لا يسمح لأحد بالتحرش بها ، أو تعكير صفو أمن هؤلاء اللاجئين^(١١) . وحين يطلب الشرع الإسلامي ، في الظروف العادية ، من الزوجة أن تستأذن زوجها قبل السماح لأي غريب بدخول بيتها ، لا يعتبر ذلك ضروريا في حالة اللاجئين ، فضلا عن التزام المجتمع المسلم بأثره ، بما في ذلك الحكومة ، باحترام قرارها منح المأوى للاجئين ، ويجب أن يوفر لهم الحماية الكاملة .

بدأ المسلمون تاريخهم لاجئين

يفهم المسلمون فهما جيدا ماذا يعني أن يكون الإنسان لاجئا ، وذلك من بداية عهد إيمانهم ، ومن واقع وضع اللاجئين الحالي في العالم الحديث . فقد بدأ المسلمون تاريخهم لاجئين ، بداية بالهجرة إلى الحبشة ثم إلى يثرب .

تعرض المسلمون ، في المراحل الأولى من بعثة النبي محمد (عليه السلام) إلى التقتيل والتعذيب لدرجة أنهم نصحوا بالهجرة إلى الحبشة حيث هناك « ملك يحكم بالعدل » ، وأرض يشيع فيها الصدق - حتى يهدينا الله إلى مخرج مما نحن فيه^(١٢) . وخوفا من الاضطهاد الحاصل في حكمه ، هاجر عدد من المسلمين إلى الحبشة حيث عاشوا في ظل حماية النجاشي حتى نما إلى سمعهم أن المسلمين آمنوا على أنفسهم من هجمات قريش ، ولما رأوا عند عودتهم أن اضطهاد قريش (للمسلمين) أعتى وأشد من ذي قبل ، هاجروا

مرة ثانية إلى الحبشة . تألفت هذه المجموعة من ثمانين رجلا وعدد غير معروف من النساء والأطفال . وقد عاشوا جميعا هناك حتى هجرة النبي (عليه الصلاة والسلام) إلى يثرب . على أن القرن العشرين شهد بكل أسف ، مثال لأفدح الأخطاء الفاضحة ، عندما أجبرت الأمم المتحدة إقليم اريتريا بالاتحاد الفيدرالي مع اثيوبيا دون موافقة الشعب . ولكن المسلمين لم يلقوا من « أسد يهودا » أو من خلفه من الماركسيين ، نفس المعاملة الطيبة .

تشهد سجلات التاريخ بأن هؤلاء الناس ، اللاجئين المسلمين الأوائل في التاريخ ، منحوا الحرية الدينية والأمن ، ولم يحاول أحد إقناعهم بتغيير عقيدتهم ، باستثناء ما جاء في الروايات التاريخية أن واحدا من المسلمين تحول فعلا إلى النصرانية . وقد سببت الحرية الدينية والأمن ، الذين نعم بهما المهاجرون في ظل حكم النجاشي ، ارتياكا كبيرا في قريش ، أزعجها أن ترى المسلمين أحرارا بين الغرباء ، مضطهدين من الأقرباء بالرغم من أوثق الروابط الأسرية والقبلية .

ازداد اضطهاد المسلمين في مكة^(١٣) سوءا بعد سوء ، غير أن سكان إحدى المدن الواقعة شمال مكة - مدينة يثرب - دخلوا في الإسلام وعقدوا صلحا مع محمد (عليه السلام) . وصدر الإذن للمسلمين بالهجرة إلى يثرب . وبقي محمد (عليه السلام) وأصحابه في مكة ، حتى أذن الله له أخيرا بالهجرة أيضا ، في نفس الليلة التي تأمرت فيها قريش على قتله أثناء نومه . ويطلق على هذا الحدث الهام « الهجرة » .

أهمية الهجرة

المسلمون الهجرة أهم حدث في حياة النبي محمد (عليه السلام) حتى أنهم **يعتبر** اعتبروها فجر العهد الإسلامي ، واتخذوها بداية للتقويم الإسلامي ، وقوبلت بالرفض فكرة تحديد بداية العهد الإسلامي بمولد النبي (عليه السلام) ، أو وفاته ، كما رفضت فكرة تحديده باليوم الذي نزل فيه الوحي على النبي (عليه السلام) أول مرة ، أو يوم فتح مكة^(١٤) .

ومن ثم يعتبر الإسلام بداية العهد الإسلامي من وقت هجرة النبي (عليه السلام) خلاصا من الاضطهاد في مكة . والهجرة في نظر المسلمين ، هي درب من المسيرة الطويلة نحو تحقيق الحرية والعدالة والمساواة الحقيقية في حقبة متفردة من التاريخ . ويعد هذا الحدث رفضا لجميع « النظريات » الزائفة والقواعد غير الطبيعية التي قام على أساسها المجتمع والحضارة الإنسانية . وتعني الهجرة رفض وشيخة النسب والدم أساسا للمجتمع الإنساني . كما تعني رفض اعتبار الإقليم والأرض المشتركة الحقيقية الملزمة في التنظيم

الاجتماعي أو السياسي ، لقد غيرت الهجرة مجرى التاريخ البشري ، إن الدين يحتم على المسلم أن يهاجر إذا لم يستطع الحفاظ على شخصيته كمسلم . وبذلك يستطيع أن يعيش وأن يموت في سبيل الله . والمتوقع في هذا الصدد أن يتخلى المسلم عن جميع الأشياء الفرعية الدنيوية إذا لزم الأمر . ويؤمن المسلمون بأن نوح وموسى (عليهما السلام) هاجرا أيضا .

إن أول عمل قام به محمد (عليه السلام) عند وصوله يثرب ، هو بناء مسجد ، فقد كان المسجد إلى جانب أنه مكان للصلاة ، مركزا تمارس فيه جماعة المسلمين أنشطتها الدينية والاجتماعية وأنشطة أخرى . أما العمل الثاني الذي قام به محمد (عليه السلام) في المدينة فهو المآخاة بين مهاجري مكة وأنصار المدينة . وفي ظل هذا المفهوم - مفهوم الأخوة الإسلامية - قسّم المضيفون جميع ممتلكاتهم بينهم وبين المهاجرين ، الذين خلّفوا كل شيء وراءهم في مكة . وأصبحوا في أمس الحاجة إلى مثل هذا العون ، جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ (الأنفال - آية ٧٢)

العمل المهم الثالث الذي قام به محمد (عليه السلام) في المدينة هو عقد صلح مع اليهود ، كما ذكرت آنفا . وهذه المعاهدة حدث هام في تاريخ الإنسانية لأنها كفلت حرية الفكر وحرية العبادة لليهود والمسلمين على حد سواء . كما كفلت حماية حياتهم وأموالهم . كان السلام والحرية مكفولين لجميع الناس دون النظر إلى اللون أو العقيدة . كما تم إعلان تحريم الجريمة بشتى صورها^(١٥) . كل ذلك والإنسان العصري لم يحقق بعد بالكامل مثل شروط هذه المعاهدة بالرغم من الإعلانات الممتازة المتعلقة بحقوق الإنسان على المستويين الوطني والدولي^(١٦) .

إن الإسلام يقدم للعالم ، في هذا المجال ما يمكن أن يحل مشكلات الأقليات بصورة نهائية .

هكذا اتحد اللاجئون ومضيفوهم برباط الأخوة . وطوى النسيان العداوة التي احتدمت طويلا بين قبيلتي الأوس والخزرج . وجاء ذكر ذلك أيضا في القرآن الكريم : ﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ۚ ﴾ (آل عمران - آية ١٠٣) .

إن موقف الإسلام من اللاجئين واضح إذن ، ويشهد التاريخ الإسلامي بالمعاملة الإنسانية التي لقيها اللاجئون في الإسلام . واليوم يشهد العالم وجود مشكلات ضخمة للاجئين اضطروا لظروف متنوعة أقوى منهم ، إلى الرحيل عن أوطانهم . كثيرون من هؤلاء اللاجئين مسلمون وكثيرون منهم لجأوا إلى دول إسلامية .

اللاجئون المسلمون

لقد اضطلع « المفوض العام للاجئين التابع للأمم المتحدة » ، بالاشتراك مع « وكالة إغاثة اللاجئين وتشغيلهم التابعة للأمم المتحدة » بالمسؤولية الرئيسية تجاه تنسيق العمل من أجل اللاجئين . ومن المهم ملاحظة أنه من بين الدول الأربعين الممثلة في « اللجنة التنفيذية » التي شكلتها « الجمعية العامة » لرفع توصياتها إلى « المفوض العام » ، والتشاور معه ، توجد سبعة فقط من أعضاء « منظمة المؤتمر الإسلامي » . وكل المنظمات غير الحكومية التي لها نشاط متصل بالعمل من أجل اللاجئين ، منظمات مسيحية في الغالب ، وإذا ألقينا نظرة على عضوية « المجلس العالمي للوكالات التطوعية » ، لا يجد المرء منظمة إسلامية واحدة ممثلة فيه ^(١٧) . من المعروف جيدا ، وهو شيء محل تقدير عظيم ، أن المنظمات المسيحية ظلت نشيطة جدا في أعمال الإغاثة المتعلقة باللاجئين في أنحاء العالم ، من أمثلة ذلك : أن « المجلس العالمي للكنائس » ظل يمول برامج الإغاثة بين الفلسطينيين بمعدل ١٧ مليون دولار أمريكي كل سنة ، وأدت المنظمات المسيحية عملها بحماس ، وإخلاص والتزام بالتمويل ، الأمر الذي يثير الإعجاب ويستحق الثناء . فنشكلت وكالة « الاستجابة الدولية للقرن الأفريقي » ^(١٨) بواسطة ثلاث وكالات عون كنسية دولية - مقرها الولايات المتحدة - وهي « وكالات الغوث العالمية اللوثرية » ، « خدمات الغوث الكاثوليكية » و « الخدمة العالمية للكنيسة » . وتم توقيع اتفاقية ثلاثية أيضا بين « الاستجابة الدولية للقرن الأفريقي » ^(١٩) ، و « المفوض العام للاجئين التابع للأمم المتحدة » و « الوكالة العامة للاجئين » لتقديم مساعدات فورية ومتوسطة المدى في منطقة « جبدو » . وتوجد أمثلة أخرى على العون المسيحي للاجئين المسلمين .

على كل حال ، أرجو ألا يكون من غير اللائق أن أوضح بعض ما يحسه المسلمون من مخاوف تجاه الاشتراك المسيحي في أعمال غوث اللاجئين المسلمين ، فهناك ، مثلا ، معسكر للاجئين أقامه نصارى - « لوس كروسيو » - وهو يعمل الآن في الصومال . ويحوى هذا المعسكر ، الذي بدأته وكالة « الرؤيا العالمية » التي تصف نفسها بأنها « تعبير مسيحي عن اهتمام الشعوب وتعاونها في أكثر من ٨٠ دولة » - يحوي حوالي ٧٦٠٠٠ لاجيء صومالي مسلم ، ويوجد أطباء ومدرسون في هذا المعسكر لتقديم المساعدة لهؤلاء الناس التعساء ، لأنهم (الأطباء والمدرسون) يريدون أن « يشتركوا في يسوع » مع نزلاء المعسكر . ويعني « الاشتراك في يسوع » بالنسبة لمعظم المنصرين ، أن غير المسيحي ينبغي أن يكون في النهاية ، مسيحيا ، ويعتبرون رأي غير المسيحي خاطئا من أساسه ، ومن ثم لا يستحق مناقشته مناقشة جدية .

من المعروف أن الغرض الرئيسي لأي معسكر للاجئين هو تقديم المأكل والملبس ، وتوفير الرعاية الطبية وضرورات أخرى ، لفئة من الناس اجتثت من أرضها وفقدت كل شيء . وتقوم وكالة « الرؤيا العالمية » بهذا ، ولكن كان الدافع الرئيسي لذهابهم إلى الصومال كما جاء في تصريح أدلى به أحد المتحدثين باسمها ، « ستان مونيها » ، هو « الفرصة في تأكيد أهمية حب (يسوع) المسيح للنساء والأطفال » ، أي تحويل المسلمين إلى مسيحيين ، لم يدفع ذلك المسلمين إلى عدم تقدير ما قدمه المسيحيون للاجئين المسلمين ، من حب ورعاية وسخاء ، ولكنهم ، أي المسلمون سيشعرون بالامتنان إذا قبل أولئك الذين يقدمون العون ، المسلمين كمسلمين ولم يحاولوا إغراءهم لتبديل عقيدتهم .

تقدر لجنة « الولايات المتحدة للاجئين » ، بالاستناد إلى إحصائيات الأمم المتحدة ومصادر أخرى ، عدد اللاجئين في ١٩٨٣ ، بحوالى ٧ر٨ مليون لاجئ محتاج في العالم^(٢٠) . لا يشمل هذا العدد المشردين داخليا ، والذي يقدر عددهم ما بين ٥ر٨ و ٦ر٢ مليون . ولا تشمل هذه الأرقام أيضا حوالي مليون لاجئ حضري من أثيوبيا في الصومال^(٢١) . ولذلك من المحتمل أن يكون عدد اللاجئين في الصومال ١ر٥ مليون وليس ٥٥٠ر٠٠٠ كما قدرت « لجنة الولايات المتحدة » . هناك أيضا ما يقرب من ٢ مليون لاجئ أفغاني في إيران وليس ٥٥٠ر٠٠٠ كما ورد^(٢٢) ، والعدد المذكور في هذه التقديرات عن اللاجئين الأفغان في الباكستان هو ٢ر٨ مليون ، بينما هناك أكثر من ثلاثة ملايين^(٢٣) . يوجد أيضا حوالي ١٥٠ر٠٠٠ لاجئ فلسطيني من جنوب البلاد في الدولة الماليزية المجاورة - دولة « صباح »^(٢٤) . فإذا عدلنا الرقم الذي أعلنته « لجنة الولايات المتحدة للاجئين » ، تمشيا مع هذه الأرقام ، سيصل إجمالي عدد اللاجئين إذن إلى حوالى ١٠ر٦ مليون . كما يوجد حوالي ٣ر٥ مليون فلسطيني يعيشون خارج وطنهم ، ولكن لم يعترف إلا بـ ١ر٩ مليون منهم كلاجئين ، بالمعنى الشرعي . أما الباقي - ١ر٦ مليون - فهم في عداد الذين قد استقروا في دول أخرى ولم يعودوا في فاقة^(٢٥) . ويتجاهل هذا التعريف الشرعي ، على كل حال ، رغبة الشعب الفلسطيني في تحرير أرضه من الصهاينة ، والعودة إلى وطنه . لا يجب أن تغيب هذه الحقيقة عن الأذهان ، ولكن من الصدق أن نقول أن الفلسطينيين الذين يعيشون في دول مسلمة ليسوا في نفس حاجة أولئك الذين يعيشون في معسكرات اللاجئين في لبنان وسوريا والأردن .

جرت محاولة لاستخلاص الأرقام الخاصة بالمسلمين من الأرقام التي أعلنتها « لجنة الولايات المتحدة للاجئين » عن عدد اللاجئين المحتاجين ولم يكن في الإمكان الحصول على أرقام دقيقة حول عدد اللاجئين المسلمين ، ولكن من الممكن القول ، استنتاجا أن غالبية اللاجئين المذكورين في الجدول اللاحق ، من المسلمين . ومن الواضح جدا ، على كل حال ،

أن نسبة كبيرة من اللاجئين في العالم ، من المسلمين ، إذ يبلغ إجمالي عدد اللاجئين من أفغانستان وفلسطين والحيشة ، وفقاً للجنة الولايات المتحدة - ٦١٤٠٠٠ ر١١٤ - أي ٧٨٪ من اللاجئين في العالم^(٢٦) . وإذا عدّلتنا الرقم كما أسلفنا من قبل فسوف يبلغ إجمالي عدد اللاجئين المسلمين في هذه الدول - ٨٨١٤٠٠٠ ر٨١٤ - أو ٨٤٪ من لاجئي العالم في ١٩٨٣ ، ولا تشمل هذه التقديرات اللاجئين المسلمين في أفريقيا ، واللاجئين من الحرب بين العراق وإيران . إن مراجعة الجدول (١) ، الذي يعد محاولة لإعطاء فكرة عن إجمالي عدد اللاجئين المسلمين ، بعد استخلاص من أرقام « لجنة الولايات المتحدة » ، توضح أن إجمالي عدد اللاجئين المسلمين هو حوالي - ٩٣٢٩٠٠٠ ر٣٢٩ - أو ٨٧٪ من عدد اللاجئين في العالم عام ١٩٨٣ ، البالغ عددهم - ١٠٦٦٦٢٠٠ ر٦٦٦ . وقد فر معظم هؤلاء اللاجئين من الاضطهاد الذي يتعلق أحياناً بعوامل عرقية ، ولكنها دينية في الأصل . ومن الواضح ، حتى إذا أخذنا بأرقام « لجنة الولايات المتحدة » المنخفضة ، أن أكثر من ثلاثة أرباع لاجئي العالم في ١٩٨٣ ، كانوا مسلمين .

جدول (١) - اللاجئون المسلمون المحتاجون^(٢٧)

أفريقيا :

٥٠.٠٠٠	١ - الجزائر الصحراء الغربية
١.٠٠٠	٢ - الكاميرون تشاد
٥.٦٠٠	٣ - جمهورية وسط أفريقيا تشاد
٣١.٥٠٠	٤ - جيبوتي اثيوبيا
٥.٤٠٠	٥ - مصر اثيوبيا وتشاد وأفغانستان
٣.٨٠٠	٦ - اثيوبيا السودان
١.٥٠٠	٧ - كينيا اثيوبيا
٥.٥٠٠	٨ - النيجر تشاد
٤٠٠	٩ - نيجيريا تشاد
٤.٥٠٠	١٠ - رواندا أوغندا
*١.٥٠٠.٠٠٠	١١ - الصومال اثيوبيا
٥.٥.٠٠٠	١٢ - السودان اثيوبيا
٣٥.٠.٠٠٠	أثيوبيا
١٥.٠.٠٠٠	أوغندا
٥.٠٠٠	تشاد

١٣ - أوغندا	١٠٠٠ ر
اثيوبيا	
١٤ - زائير	٣٥٠٠٠ ر
أوغندا	
<hr/>	
إجمالي العدد في أفريقيا	٢٠٠ ر ١٤٩

شرق آسيا ومنطقة المحيط الهادي :

١٥ - ماليزيا	
الفلبين	١٥٠٠٠٠ *

أوروبا :

١٦ - اليونان	
العراق - إيران	٣٤٠٠٠ ر
١٧ - تركيا	
أفغانستان ، العراق	٣٠٠ ر
<hr/>	
إجمالي العدد في أوروبا	٣٤٠٠ ر

الشرق الأوسط / جنوب آسيا :

١٨ - قطاع غزة	
الفلسطينيون	٣٧٧٠٠٠ ر
١٩ - الهند	٤٧٠٠٠ ر
أفغانستان	٤٠٠٠ ر
العراق	٧٠٠ ر
٢٠ - إيران	٢٠٦٠٠٠٠ ر
أفغانستان	٢٠٠٠٠٠ ر *
العراق	٦٠٠٠٠ ر
٢١ - الأردن	
الفلسطينيون	٧٤٩٠٠٠ ر

٢٤٢١٠٠	٢٢ - لبنان
٣٢٩٠٠٠	الفلسطينيون
٣١٠٠	آخرون
٣٠٠٠٨٠٠	٢٣ - باكستان
*٣٠٠٠٠٠٠	أفغانستان
٨٠٠	إيران
	٢٤ - سوريا
٢٢١٠٠٠	الفلسطينيون
	٢٥ - الضفة الغربية
٣٤١٠٠٠	الفلسطينيون
<hr/>	
٦٩٩٥٠٦٠٠	إجمالي العدد في الشرق الأوسط / جنوب آسيا
<hr/>	
٩٣٢٩١٠٠	الإجمالي الكلي
<hr/>	

ملحوظة : الدولة المضيفة للاجئين :
الدولة التي خرج منها اللاجئون :
الجزائر :
الصحراء الغربية .

إن من دواعي الأسف ، أن المسلمين ، لا يملكون نفس التسهيلات — مثلما تملك الدول الغربية — لمساعدة إخوانهم وأخواتهم الأقل منهم حظا .

لقد تأسست هيئات الغوث الدولية الحالية في وقت كانت معظم الدول المسلمة تزرع تحت نير الإستعمار ، ومن ثم يهيمن المسيحيون على معظم هذه الهيئات ، يضاف إلى ذلك ، الوضع الاقتصادي غير العادي ، الذي يسود العالم حاليا ، والذي أسفر عن أن ٢٠٪ من سكان العالم يوجهون ويستهلكون ٨٠٪ من ثرواته ، وبما أن ال ٢٠٪ معظمها من دول الغرب المسيحية ، فهذا يعني أن تمتلك هذه الدول الغنية إمكانية أكبر لمساعدة تعساء الحظ ، وخبرة أكبر في هذا النوع من العمل ، وتعزز ذلك كله تسهيلات أفضل . فضلا عن أن المسلمين ليس عندهم ما يشبه نظام السلطة الكنسية ، بهيئتها المسئولة المتدرجة المراتب . كما أن أعمال الخير في الإسلام متروكة عادة إما للإحسان الفردي ، أو إلى دعوة الصوفيين والحث عليها ، أو إلى الدولة الإسلامية . يعني هذا أنه مازال على المسلمين أن ينشطوا في مجال تنظيم أعمال الخير من أجل اللاجئين ، على المستوى الدولي بصفة خاصة . وتقوم الدول المسلمة التي أنعم الله عليها بثروة البترول ، بالمساعدة ولكنها غالبا ما تضطر إلى توجيه مثل هذا العون عن طريق قنوات الوكالات الغربية . ربما يكون لزاما على المسلمين ، في عالمنا الحديث ، أن ينظموا جهودهم بطريقة أكثر فعالية لمعالجة مشكلة اللاجئين . ولقد تولت « منظمة المؤتمر الإسلامي » ، « وبنك التنمية الإسلامي » ، تنفيذ بعض الأعمال الهامة في هذا الاتجاه ، وحققا خيرة كبيرة في مساعدة اللاجئين المسلمين ، بالرغم من عدم شيوع عملها على نطاق واسع .

الدول المسلمة واللاجئون :

إن من بين الدول العشرة الأوائل في الترتيب حسب نسبة اللاجئين إلى نسبة السكان المحليين ، في الجدول التالي ، ثمانية دول إسلامية .

جدول (٢) الدول العشر الأوائل المرتبة حسب نسبة اللاجئين
المحتاجين إلى نسبة السكان المحليين^(٢٨) حسب إحصاء يونيو ١٩٨٢

عدد السكان (بالملايين)	الدولة	اللاجئون حسب إحصاء يونيو ١٩٨٢	نسبة اللاجئين إلى نسبة عدد السكان	الدخل القومي للفرد (بالدولار)
٤ر٦	الصومال	١ر٥٠٠ر٠٠٠*	١ : ٢ر٥	١٣٠
٣ر٥	الأردن	٧٤٩ر٠٠٠	١ : ٥	١ر٤٢٠
٣ر٢	لبنان	٢٤٢ر١٠٠	١ : ١١	١ر٠٣٠
٦ر-	زامبيا	٤٩ر٨٠٠	١ : ١٢	٥٦٠
٥ر	جيبوتي	٣١ر٥٠٠	١ : ١٦	٤٨٠
٤١ر٢	إيران	٢ر٠٠٠ر٠٠٠**	١ : ٢٠	(غير معروف)
٩٣ر-	باكستان	٣ر٠٠٠ر٠٠٠***	١ : ٣٣	٣٠٠
١٩ر٩	السودان	٥١٣ر٠٠٠	١ : ٣٩	٤٧٠
٢ر	البوليساريو	٥ر٠٠٠	١ : ٤٠	١ر٠٨٠
٩ر٧	سوريا	٢٢١ر٠٠٠	١ : ٤٣	١ر٣٤٠
٥ر	عمرة	٣٧٧ر٠٠٠	١ : ١ر٣	(غير معروف)
٨ر	الضفة الغربية	٣٤١ر٠٠٠	١ : ٢ر٤	(غير معروف)

* ٧٠٠ر٠٠٠ في معسكرات .

٨٠٠ر٠٠٠ لاجئ حضري .

** تقديرات الحكومة الإيرانية .

*** معدلة حسب تقديرات الحكومة الباكستانية التي تشمل اللاجئين غير المسجلين .

باستعراض أرقام اللاجئين التي أعلنتها « لجنة الولايات المتحدة » ، يتضح لنا أن الدول المسلمة تستضيف ٦٥٢٨٩٠٠ لاجئ أو ٨٤٪ من لاجئي العالم في ١٩٨٣ . ويرتفع هذا الرقم إذا عدلناه حسب الأرقام المرتفعة في تقدير عدد اللاجئين في إيران ، السودان ، باكستان ، ماليزيا ، ليصبح إجمالي العدد عندئذ ٦٠٠٤٣٢٩ أي ٨٨٪ من لاجئي العالم .

أفريقيا :

المسلم به ، بصفة عامة أن عدد اللاجئين في أفريقيا اليوم يتجاوز ستة ملايين ، **من** وهو أكبر عدد من اللاجئين في العالم . إذ يبلغ نسبة عدد اللاجئين إلى نسبة عدد السكان ، لاجيء واحد لكل ٧٥ نسمة ، مع أن دول أفريقيا تعد أفقر دول العالم^(٢٩) . ولو أن نفس النسبة انطبقت على الولايات المتحدة ، لبلغ عدد الكوبيين الذين نزحوا إليها في قواربهم الصغيرة في نوفمبر ١٩٨٠ ، ثلاثة ملايين بدلا من ١٣٠.٠٠٠ ، وقد حدا هذا الوضع ، بسفير الصومال بالأمم المتحدة ، في نوفمبر ١٩٧٩ ، بعد استعراض الحالة البائسة التي يعيش فيها الفيتناميون ، مقترشين القوارب ، وكذلك الآلاف من الكمبوديين ، إلى القول :

« إن كل من يتصف باللباقة واللفظ ، رجلا كان أو امرأة ، لا يستطيع أن يقف مكتوف الأيدي دون أن يضيق للأعمال الإنسانية النشطة التي يجري تنفيذها حاليا . ولكن مما يترك انطبعا حزينا في نفوسنا ، وربما في نفوس العناصر الباحثة عن الإثارة في وسائل الإعلام بنفس القدر ، أن يقال إن الموت في قارب في عاصفة أكثر « إثارة » من الموت على الأقدام في صحراء أفريقيا . إنهما ، على كل حال ، متساويان في كونهما مأساة (إنسان) ونهايته » .

ويجب أن نسأل هنا بعض الأسئلة . هل تتلقى أفريقيا نصيبا عادلا من العون المتوفر حاليا ؟ وكيف يتسنى لنا توسعة وتحسين الجهود الشاملة على أكمل وجه ؟

إن حرب أو جادين التي نجمت عن الاضطهاد الإثيوبي للأغلبية المسلمة الصومالية في المنطقة ، بدأها هيلاسي لاسي ، واستأنفها خلفاؤه الشيوعيون^(٣٠) . وأسفرت هذه الحرب عن لجوء مليونين من اللاجئين إلى الصومال طلبا للمأوى . وهذا وينهج الإثيوبيون سياسة متعمدة لإبادة السكان المتحدثين بالصومالية ، أو طردهم ، وتتخذ هذه السياسة مسرحا لها في منطقة أو جادين المتنازع عليها ، والتي يطلق الصوماليون عليها « صوماليا الغربية » . ونظرا لعجزهم عن دحر « جبهة تحرير صوماليا الغربية » ، قرر الإثيوبيون ومؤيدوهم من الكوبيين ، فيما يبدو ، تفريغ المنطقة بأسرها من الشعب القاطن فيها والبالغ

عدده ما بين ٤ و ٥ مليون ، ومن بين الوسائل المستخدمة في هذه الحملة ، قصف القرى العزلاء وضربها بالمدافع الرشاشة ، وإطلاق النار على سكان القرى وقتل كل من يشكون في تعاونه مع المناضلين من أجل الحرية ، واغتصاب النساء . ولجأوا إلى وسيلة أخرى ، استخدموها على نطاق واسع ، ألا وهي قتل الثروة الحيوانية ، بما في ذلك الجمال والماشية والغنم ، التي يعتمد عليها الرعاة الصوماليون في حياتهم ، ومن وسائلهم أيضا وضع السم في مياه الآبار .

تعني حرب أوجادين أن واحدا من كل اثنين في الصومال - لاجئ . هذا البلد الذي يعد من أفقر بلاد العالم ، مثقل بأكبر عدد من اللاجئين في أفريقيا ، ويجيء ترتيبه الثاني في العالم في تحمل عبء اللاجئين . وبرغم فقر الصومال ، استقبلت الحكومة اللاجئين بحفاوة وأسهمت بالمال والأفراد والمواد الغذائية على قدر مواردها ، حتى إن ٢٥٪ من ميزانية الدولة تذهب الآن إلى إدارة شئون اللاجئين . ويواجه السودان وجيبوتي أيضا فيضا كبيرا من اللاجئين .

لاجئون نيجيريون من أثيوبيا ولاجئون صوماليون من كينيا^(٣١) ، (والسبب المعاملة الوحشية التي تلقاها الأقلية المسلمة الصومالية هناك ، والتي تسمى مشكلة « شيفتا ») ، ولاجئون مسلمون أوغانديون بسبب تجاوزات نظام الحكم الجديد ، ثم جاءت القوات التنزانية لتضيف المزيد من عبء اللاجئين على كاهل الصومال .

في نوفمبر ١٩٨٠ ، ارتكبت قوات الأمن الغاشمة أسوأ الفظائع وأشنعها ضد الشعب الصومالي في الإقليم الشمالي الشرقي من كينيا . ومن بينها :

- اغتصاب النساء الصوماليات .
- وضع الحراب في البنات العذارى .
- قتل أكثر من ألف شخص .
- حرق أكثر من ٥٠٠ منزل ، منها منزلان لاثنين من أعضاء البرلمان .
- سجن عدة آلاف من الصوماليين .
- ضرب البدو الرحل .
- الاستيلاء على الآلاف من رؤوس الماشية .
- اعتقال أي شخص يشتبه في أن يكون صوماليا وطنيا .
- ومنع أي سيارة حكومية أو خاصة من حمل أي شخص من عرق صومالي .

ولكن هذه القائمة لم تستنفد كل رغبات بعض الكينيين الوحشية في ابتلاء المنحدرين من أصل صومالي في الإقليم الشمالي الشرقي ، بمزيد من الاضطهاد . وقد اقترح مندوب إقليمي جمع كل الصوماليين في المنطقة وإحاطتهم بسياج ، ووضعهم في معسكرات ، « وإسكانهم في قرى أمنية » .

لم يهتموا بما إذا كان ذلك يعني إدخال سياسة التفرقة العنصرية الاستعمارية ومن ثم يؤدي إلى إبادة سياسية وثقافية جماعية للمنحدرين من عرق صومالي وإذا احتجز الكينيون الصوماليين في قرى « محمية » ، ومعظمهم من البدو ، فسوف يعني ذلك أيضاً حرمانهم من قطعانهم ، وماشييتهم ، ويصبحون عائلة على غيرهم .

ولم يطرأ أي تحسن على الوضع في كينيا منذ ١٩٨٠^(٣٢) . فلقد قتلت قوات الأمن الحكومية ، في فبراير ١٩٨٤ ، أكثر من ثلاثمائة من المدنيين الأبرياء ، في بلدة « واجير » النائية . كما لم يعرف مصير حوالي ألف آخرين ، كان قد تم نقلهم من المدينة في عربات للجيش ، ويخشى أن يكونوا قد لقوا حتفهم بعد انغماس مفرط في العنف والتدمير دامت أياماً . وكان من بين من شهدا عياناً ، سوجال أونشور ، مستشار مبعوث لهذه البلدة والذي رأى الفظائع الوحشية ، رآهم يقتلون الناس عشوائياً بالرصاص ، ويضربونهم حتى الموت ، ويسكبون الكيروسين عليهم ويحرقونهم ، كانوا يأمرون أشخاصاً بارزين أن يرقدوا عراة تحت شمس محرقة ، ومن يرفض ، يردونه قتيلاً يرصاصهم في الحال . وأيد خمسة من السياسيين البارزين ، التقرير المبني على رؤيا العين ، وسلموا بياناً مشتركاً إلى وزير الدولة ، حسين معلم محمد . وكان من بين الموقعين أ . م . خالف ، عضو البرلمان الحالي عن بلدة واجير غرب . ومن الأعمال الوحشية أيضاً أنهم لم يسمحوا للأهالي بدفن موتاهم . وبكل أسف أنكر حسين معلم محمد ، وهو الوزير المعين حديثاً من الإقليم ، أنكر تلك الفظائع مع أنه هو نفسه ، وقع بيانا في نوفمبر ١٩٨٠ ، يؤكد وقوع فظائع مماثلة . وقد هدد المندوب الإقليمي بنسون كاريما ، باتخاذ إجراءات صارمة ، منها استئصال كل المنحدرين من أصل صومالي .

ومنذ ١٩٨٣ ، والسلطات تفرض على هذا الإقليم الشمالي الشرقي « نطاق أمن » وتدير شئونه باعتباره في « حالة طوارئ » ، حتى صار الإقليم يحكم بالقانون أشبه بسجن كبير . حيث يتم رصد أي تحرك داخل حدود الإقليم وخارجها ، ومراقبته من كتب والسيطرة عليه . ويعيش السكان البالغ عددهم ٧٥٠.٠٠٠ نسمة ، أكثرهم من المسلمين ، في حالة من التخويف والاضطهاد بحكم سياسات تبناها الحكومة بصورة منظمة . حتى إن من سلطات أصغر موظف حكومي سجن أي مواطن مقيم في الإقليم لمدة تصل إلى ٢٨ يوماً دون إبداء أية أسباب . ويعتبر سكان الإقليم مواطنين من الدرجة الثانية . وفي تصريح أدلى به وزير سابق للأمن الداخلي ، أثناء وجوده في منصبه ، قال جي . جي - كاريوكي إن : « الصومالي الطيب هو الصومالي الميت » . ونظرا لقرار منع التجول لا يستطيع المسلمون تأدية صلاة المغرب والعشاء والفجر في المساجد . ومن المعروف أن سكان الإقليم الشرقي والإقليم الشمالي الشرقي (مقاطعة الحدود الشمالية سابقاً) قد صوتوا بأغلبية ساحقة لصالح الانضمام إلى الصومال ، وذلك في استفتاء أجري في ١٩٦٢ تحت إشراف دولي . ولا يبشر الوضع بأي تحسن ، بل يبدو أن الأمور تسير من سيء إلى أسوأ .

قد كان لكينيا سجل محترم من السياسات العاقلة المتزنة ، ولكن شرذمة من المسؤولين والسياسيين الساخطين يريدون ، فيما يبدو ، أن يفرضوا « حكم القلة » على البلاد . لقد تعرض الكثيرون ، ممن ينحدرون من أصل صومالي ، إلى حملات التجميع ، وما زالوا يتعرضون للتعذيب والاضطهاد بصورة أو بأخرى . ويتطلعون للدعم والعطف والإسعاف .

وفيما يختص بإريتريا ، فإن كلمات هيلاسلاسي لها مغزاها ودلالاتها الخاصة ، حيث قال « إنها أرض إريتريا تلك التي نريدها وليس الشعب » . وقد تكرر هذا الموقف على لسان خلفه الشيوعي الكولونيل « منجستو هيلاماريام » الذي قال : « كما أن المرء عليه أن يترج ماء البحر إذا أراد أن يبيد ما فيه من أسماك كذلك علينا أن نبيد الجانب الأعظم من الشعب لكي نقضي على الثورة الإريترية » (٣٣) .

ولقد دمرت القوات الإثيوبية وأحرقت الآن ما يزيد على ١٥٠٠ قرية وقتلت أكثر من ٨٠٠٠٠ من المدنيين وأكثر من ٣٠٠٠٠٠ رأس من الماشية والإبل (٣٤) . وكانت تلك الأسباب التي حملت الإريتريين على الفرار ، وقد لجأ معظمهم إلى السودان ، كما يوجد أيضا مليون لاجئ داخلي في إثيوبيا نفسها .

وبصرف النظر عن الشريط الساحلي الضيق الذي كان جزءا من الإمبراطورية العثمانية من ١٥٥٧ من الاحتلال الإيطالي في نهاية القرن التاسع عشر ، فقد ظلت إريتريا دولة مستقلة طوال سبعة قرون على الأقل ، وقد ذكر الأوربيون الذين وطأت أقدامهم أرض إريتريا أول مرة في مطلع القرن السادس عشر أنها كانت بلدا مستقلا يحكمه زعيم يسمى بهاري نيجاسي (أمير البحر) الذي كان في حرب مع ملوك إثيوبيا المجاورة في معظم الوقت ، وتبين خريطة برتغالية يرجع تاريخها إلى عام ١٦٠٠ أن الحدود الجغرافية لمدرى بحري (الأرض الواقعة إلى جانب البحر) كانت حينذاك متاثلة تقريبا مع حدود إريتريا الحديثة ، وكتب المستكشف الاسكوتلندي ج . بروس في ١٧٧٠ يقول « إن خط الحدود بين مدرى بحري وإثيوبيا يحده نهر بليسا الذي يجري على امتداد حدود إريتريا الحالية » (٣٥) .

وقد استولت إيطاليا على الساحل الإريترى في ١٨٨٥ بتشجيع من بريطانيا العظمى التي كانت تسعى للتعاون مع إيطاليا في الحرب التي كانت تخوضها منذ ثورة المهدي في السودان ، وقد قاتل الإريتريون ببسالة دفاعا عن استقلالهم وألحقوا خسائر فادحة بالغزاة الإيطاليين ، ولكن انهارت مقاومتهم بعد توقيع معاهدة صداقة وتعاون بين إيطاليا والإمبراطور مينليك سلف هيلاسلاسي ، وإن كانت تلك المعاهدة قد أكدت أن إريتريا ليست جزءا من إثيوبيا ودعت إيطاليا لمواصلة احتلالها للبلاد ، وقد تمكنت إيطاليا بفضل تلك المعاهدة المخزية من غزو واحتلال إريتريا ، ثم الصومال وليبيا في نهاية الأمر (٣٦) .

وعندما أعلن موسوليني الحرب على بريطانيا ، فرآ آلاف من الجنود الإريتريين مع القوات الاستعمارية الإيطالية ، وانضموا إلى البريطانيين اعتقادا منهم بأن هؤلاء الآخرين كانوا يحاربون من أجل تحرير إريتريا ، وفي أعقاب الاحتلال قرر البريطانيون تقسيم إريتريا بين حليفهم إثيوبيا ، وما كان يسمى حينذاك بالسودان المصري - الإنجليزي ، وبذلك قضت على كيائها كدولة ، وقد حاول الإنجليز فرض التقسيم على الشعب الإريتري ، وبذلوا كل ما في وسعهم بالتعاون مع إثيوبيا لإشاعة الدمار في البلاد ، حيث جندوا المئات من العصابات السياسية ، وبعد تنظيمهم وتدريبهم وتزويدهم بالسلاح في الأراضي الإثيوبية ، أرسلوا إلى داخل إريتريا لقتل وذبح وحرق وتدمير كل ما يصادفهم في طريقهم ، وقد سجلت لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة التي زارت إريتريا في ١٩٥٠ ، سجلت تلك الحملات الإرهابية ضد المعارضين لضم أراضي البلاد إلى إثيوبيا ، وهكذا لم يعمل الإنجليز على تهيئة الظروف المناسبة لحرية التعبير على الرغم من أنهم كانوا ملزمين بذلك في اتفاقية الصلح التي عقدت بين الدول المتحالفة وإيطاليا والتي نصت على أن مستقبل المستعمرات الإيطالية السابقة ستقرره الجمعية العامة للأمم المتحدة وفقا لرغبات سكان تلك المستعمرات .

وقد انتهت المرحلة الأولى من كفاح الشعب الإريتري ضد الاستعمارين الإنجليز والإثيوبيين بهزيمة سياسية للامبراليين ، وبعد فشل مشروع بيغن سفورزا المخزي قررت الجمعية العامة في دورتها الرابعة إرسال لجنة تحقيق أخرى إلى إريتريا للتحقق من رغبات سكانها بالنسبة لمستقبلهم السياسي ، وقد اكتشف ممثلوا الباكستان وجواتيمالا وبورما والنرويج وجنوب أفريقيا لدى وصولهم مدى قوة « الكتلة الإريتريّة للاستقلال » وما يتمتع به أعضاؤها من نضج سياسي ، وعزم قادة الحركة على الدفاع عن كرامة بلادهم وحقوقها ، وإمكاناتها الاقتصادية أيضا . كما لاحظوا أن إريتريا تملك كل المقومات والشروط الأساسية لكي تكون دولة مستقلة تعتمد على نفسها ، واطلعوا في الوقت نفسه على الأساليب الوحشية التي تستخدمها الحكومة الإثيوبية لتحقيق أغراضها ، ومع ذلك فعندما وصلت اللجنة إلى أديس أبابا صرّح وزير خارجية إثيوبيا بأن « بلاده لن تقبل بعد الآن أي تهديد لوجودها تحت ستار ما يسمى بالاستقلال في إريتريا ، فلا يخالجن الشك أي عضو من أعضاء اللجنة في هذا الصدد » (٣٧) .

وقد وافقت اللجنة على أنه لا ينبغي ضم البلاد إلى إثيوبيا ، واقترح ممثلوا الباكستان وجواتيمالا أن تقام دولة مستقلة في إريتريا بعد فترة ١٠ سنوات من الوصاية التي تشرف عليها الأمم المتحدة ، واقترح عضوان آخران منح البلاد قدرا كبيرا من الحكم الذاتي في إطار ارتباط سياسي واقتصادي وعسكري مع إثيوبيا ، وقد عارضت الولايات المتحدة على هذه التوصية بدعوى أنها لم تحقق مطالب إثيوبيا ، وقدمت مشروع قرار من جانبها استطاعت بنفوذها

الضخم في الأمم المتحدة أن تحصل على تأييد الأعضاء له ، وصدر القرار المساوي بتوحيد إريتريا مع إثيوبيا في اتحاد فيدرالي على الرغم مما نص عليه من أن إريتريا ستكون وحدة مستقلة ذاتيا ، متحدة فيدراليا مع إثيوبيا وتتمتع بسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية في مجال الشؤون الاقتصادية ، ورغم ما أصاب الزعماء الإريتريين من خيبة أمل فقد تعاونوا مع الأمم المتحدة في تنفيذ القرار ، ولكن لم يتم وضع دستور اتحادي وأسند إلى الحكومة الإثيوبية دور الحكومة الاتحادية ، ومع أن الجمعية العامة للأمم المتحدة خصت إريتريا بجميع الممتلكات الإيطالية في أراضيها ، فإن السلطات الأنثيوبية استولت على تلك الممتلكات قبل التصديق على القانون الاتحادي (٣٨) .

ومنذ البداية ألغت السلطات الإثيوبية فعليا نصوص الدستور الإريتري وقرار الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الإنسان والجهات الأساسية ، ولم يكن رئيس إريتريا يتمتع بأي سلطة ، وفي عام ١٩٥٤ أصدرت الجمعية الأريتيرية قرارا طالبت فيه الأمم المتحدة بالتدخل إذا رفض الإمبراطور التعاون بإخلاص في تنفيذ قرار الأمم المتحدة ، واستمر الموقف في التدهور طوال الخمسينيات وأوائل الستينات ، وفي الساعة الحادية عشر والثلاث من صباح يوم ١٤ نوفمبر ١٩٦٢ تلى على أعضاء الجمعية بياننا مكتوبا جاء فيه :

« لقد اعتبرنا الاتحاد الفيديرالي باطلا ولاغيا ومن الآن فصاعدا نحن متحدون تماما مع وطننا الأم .. » .

وفي ١٥ نوفمبر ١٩٦٢ أعلن راديو أديس أبابا أن إريتريا قد أصبحت الإقليم الرابع عشر في الإمبراطورية الإثيوبية بعد صدور قرار الإمبراطور بإلغاء الاتحاد الفيديرالي في اليوم السابق (٣٩) .

وبعدها بدأ الكفاح المسلح واستمر طوال الثلاث والعشرين سنة الماضية (٤٠) ومما يؤسف له حقا أنه لم يتخذ أي إجراء لمنع ضم إريتريا على يد هيلاسلاسي والواقع أن قرار الأمم المتحدة رقم ٣٩٠ أ (في) ، بتاريخ ديسمبر ١٩٥٠ والذي أسفر عن توحيد إريتريا فيدراليا مع إثيوبيا ، ما كان ينبغي صدوره أصلا . ولو كان ذلك القرار قد أوقف عن الصدور ، لما حدثت مشكلة من أكبر مشكلات اللاجئين في القرن الأفريقي ، وإن كان مما ينبغي التنويه إليه في هذا المقام أن اللاجئين قد وجدوا الحماية ، بل وسمح للكثيرين فيهم بالاستقرار في البلاد التي وفرت لهم الملجأ والمأوى ، وإذا كان هناك من يريد مساعدة اللاجئين من هذه المنطقة ، فينبغي أن يفعل ذلك وهو يدرك أن هؤلاء القوم كانوا ضحية للتعصب وأنهم عوملوا معاملة غير عادلة لا لسبب سوى دينهم ، وأن الإسلام عندهم شيء عزيز عليهم وهو الذي يجعل لحياتهم معنى وهدفا ، وليس من الأخلاق في شيء أن يحاول البعض تحويل أناس عن دينهم وهم يواجهون موقفا كالذي يعيش فيه هؤلاء اللاجئين .

وعلى الرغم من أن السودان حكومة وشعباً قد أبدى كرماً كبيراً وتعاطفاً مع حالة اللاجئين، فإنه قد يشعر بوطأة تزايد أعدادهم ، كما ظهرت بعض المشكلات ، ومن أكبر المشكلات التي يواجهها اللاجئون في السودان والصومال مشكلة التعليم لا سيما وأنه لم يتم بعد إعداد نظام لهم على غرار منظمة الإغاثة التابعة للأمم المتحدة والمعروف باسم (أونورا) .

إن الحرب الأهلية في تشاد كان سببها الحقيقي أن هذه البلاد المسلمة أساساً أصبحت تحكمها طبقة موالية للثقافة الفرنسية بعد أن نالت استقلالها ، ولو كان الفرنسيون قد سمحوا للزعماء الذين يمثلون البلاد تمثيلاً حقيقياً بتولي مقاليد أمورهم ، لما نشبت هذه الحرب على الأرجح ، وقد استغل الفرنسيون الوضع الراهن لمحاولة إعادة الاستعمار الفرنسي إلى أفريقيا في شكل جديد ، ولقد سحرت الدول الأفريقية ذات العلاقة ، ببيان ميران وبلاغته الأمر الذي جعلها تنسى أنها باستجابتها لنداء السيد الاستعماري للعمل ضد دولة شقيقة إنما تساعد في الواقع على إعادة العبودية القديمة . كما أن منظمة الوحدة الأفريقية قد غابت عنها الحقيقة الواضحة وهي أن ميران الاشتراكي يتبع خطى سلفه المحافظ جسكار ديستان ، مؤكداً صحة القول المأثور بأن الثور لا يمكن أن تغير عاداتها حتى وإن استطاعت تغيير رقلها ، ومسئولية الجماعة الدولية هي العمل على تحقيق السلام الحقيقي ، والذي لا سبيل إلى تحقيقه إلا بمراعاة تاريخ تشاد وأوضاعها الديموغرافية والعلاقات القائمة بين ليبيا وتشاد .

لقد أُنشئت صحيفة التايمز في افتتاحيتها بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٨٠ على ليبيا ولفتت الأنظار إلى ما تقوم به القوات الليبية من دور لحفظ السلام في تشاد وتساءلت عما إذا كان انسحاب القوات الليبية من تلك البلاد سيدعم استقرارها ، ولقد أصابت « التايمز » لأن قوات منظمة الوحدة الأفريقية عجزت عن حفظ السلام ، وتمكن حسين هبري من الإحاطة بمجوكوني بمساعدة من حكومتي مصر والسودان اللتين تسانداهما أمريكا ، وإذا كان حسين هبري يتولى مقاليد السلطة في البلاد الآن فإن الفضل في ذلك يرجع للقوات الفرنسية .

إن الاقتصاد التشادي قد أصيب بالدمار ، حيث يعم تشغيل النساء ، وتفتقر القطاعات المختلفة للكفاية ، ويضعف من حدة المشكلة نقص القوى البشرية المؤهلة ، ويبحث الفرنسيون الآن عن زعيم مقبول يلتزم بالخط الفرنسي ، وقد وقع اختيارهم على إحدى شخصيات الجنوب المسيحي ، ويقع حالياً في المنفى في فرنسا ، ولكن الاستياء والإحباط الذي يسود الغالبية المسلمة في الشمال وسخطهم على أبناء الجنوب الذين تلقوا العلم على أيدي المبشرين هو - كما ذكرنا من قبل - لب المشكلة التشادية القائمة الآن^(٢) . وعلى أية حالة فإن الفرنسيين لا يهتمون فيما يبدو بالحل السيئة التي يعيش فيها الشعب التشادي الذي تمزقه الصراعات المستمرة والقحط الشديد ، ولم يستطع حسين هبري الذي باع نفسه للغرب

وخان تشاد أن يهزم القوى التقدمية التي يقودها جوكوفي عويدي ، ويبدو أن الشعب التشادي مصمم على الاستمرار في نضاله^(٤٣) .

اللاجئون الأفغان من الإمبريالية السوفيتية :

تدفقت على الباكستان جموع اللاجئين الفارين من الأعمال الوحشية التي ترتكبتها الإمبريالية السوفيتية . وتشير آخر التقارير إلى أن عدد هؤلاء اللاجئين يربو على ٣ ملايين^(٤٣) ، ويزداد النفوذ السوفيتي يوما بعد يوم في أفغانستان حيث يتولى إدارة شئون البلاد الآن المستشارون المدنيون والعسكريون من الروس والذين يتولون المناصب الرئيسية في كل القطاعات الحكومية ، فهم يسيطرون على جميع الوزارات والقضاء ومرافق الاتصالات وأجهزة الإعلام ، ويعكفون على تشكيل نظم البلاد على النمط السوفيتي ، ويجري إرسال أعداد متزايدة من الأفغان رجالا ونساء إلى الاتحاد السوفيتي لتعليمهم المبادئ الشيوعية ، وكان الجيش الأفغاني قوامه ٨٠٠٠٠ رجل عندما تعرضت أفغانستان للغزو ، وأصبح عدد أفراده الآن ٢٠٠٠٠ فقط نتيجة لقتل عدد كبير من أفراده ، وفرار أعداد أخرى من الخدمة فيه ، وإن كان المجاهدون الذين يقاثلون من أجل حرية بلادهم والذين تمكنوا من قتل ٢٠٠٠٠ من القوات السوفيتية يؤمنون بأنه سيكون في استطاعتهم يوما ما تحرير بلادهم من نير السوفيت ، والواقع أن المسلمين يعتبرون هذا الكفاح لتحرير أفغانستان وثيق الصلة بمصير الخمسين مليوناً من المسلمين الذين يرزحون الآن تحت السيطرة المباشرة لموسكو^(٤٤) .

إن الملايين الثلاثة من اللاجئين الذين يقيمون في باكستان يزيد عددهم بمقدار ٤ أضعاف أو أكثر على اللاجئين الفيتناميين البالغ عددهم ٧٠٠٠٠٠ ، والذين نزحوا من بلادهم في القوارب ونزلوا على شواطئ جنوب شرق آسيا أثناء أزمة الحرب الفيتنامية في عام ١٩٧٩ ، وتقيد تقديرات الأمم المتحدة أن ما يقرب من خمس الشعب الأفغاني البالغ تعداده خمسة عشر مليوناً ونصف قد عبروا الحدود إلى باكستان ، ولعل هذا العدد هو أكبر عدد للاجئين في تاريخ العالم ، وبينما تقوم الحكومة الباكستانية بأعمال الإغاثة الفعلية يسهم المفوض السامي للاجئين والوكالات الأخرى في مجال التخطيط وتقديم المساعدات المالية ، وتقدم الباكستان حوالي ٣٠٠ مليون دولار سنوياً لمساعدة اللاجئين أي ١٠٪ من إيرادات البلاد من صادراتها السنوية ، وقد وجهت بعض الجماعات السياسية انتقادات بشأن المشكلات التي أحدثتها تدفق اللاجئين ، إلا أن مبدأ الواجب الإسلامي تجاه اللاجئين يعني أنه لن يفرض عليهم العودة إلى وطنهم ، ومن الجدير بالملاحظة أنه على الرغم من الفساد المنتشر في باكستان فإن أعمال غوث اللاجئين تتم بأمانة وكفاءة على وجه العموم^(٤٥)

بالإضافة إلى اللاجئين من أفغانستان ، فإن الاتحاد السوفيتي قد حول سياسته المقصودة ، شعوبا بأكملها إلى لاجئين وأشد حالات هذه الشعوب إبلا ما حال التتار الذين يعيشون في شبه جزيرة القرم ، ففي الثامن عشر من شهر مايو عام ١٩٤٤ قام الشيوعيون وهم أشد وحشية وبطشاً من القياصرة باعتقال كل فرد من أفراد شعب التتار رجلاً كان أم امرأة أم طفلاً ، شيخاً أم عاجزاً ، ونقلوهم جميعاً إلى آسيا الوسطى ، وقد وجهت اليهم تهمة التعاون مع النازيين تلك « الجريمة » التي تبرأوا منها بموجب قرار مجلس السوفييت الأعلى الصادر في ٥ سبتمبر ١٩٦٧ .

وفي أعقاب تلك المرحلة الرهيبة هلك ٤٦,٢٪ من أفراد ذلك الشعب (ما مجموعه ٥٥٠٠٠٠ شخص تقريباً) ، وتعيش غالبية شعب التتار الآن في المكان الذين نفوا إليه والذي يحاولون باستمرار الخروج منه والعودة إلى وطنهم القديم في القرم . وبعد رد اعتبارهم رسمياً بدأ عشرات الألوف منهم يتخذون طريقهم للعودة إلى هناك ، وهو ما لم تكن الحكومة السوفيتية على استعداد للسماح به ، وقيل عن تمار القرم إنهم تأصلت جذورهم في منقاهم (يبدو أن إقامتهم السابقة لمدة ٥ قرون في القرم لا تساوى شيئاً إلى جانب الـ ٢٥ سنة التي قضوها في المنفى) ، وقد حيل بينهم وبين العودة باستخدام القوة ، ومن نجح منهم في العودة بالفعل تم إبعادهم من جديد ، وتكرر ذلك عدة مرات .

وهناك شعوب مسلمة أخرى مثل المسكيتيان Meskhetians (مسلمو جورجيا) والخدمشيل Khdmschils (مسلمو أرمينيا) تعيش في المنفى أيضاً ، وتعامل معاملة غير عادلة هي الأخرى ، وشعوب أخرى مثل البلكار Balkars (تعدادهم في ١٩٧٩ : ٦٦٣٩٧٤) والكاراشيز Karachais (تعدادهم في ١٩٧٩ : ١٣١٩٧٤) لا توجد لديهم مدارس تدرس بلغاتها القومية ، كما لا توجد لديهم مساجد يتعبدون فيها ، وهذان الشعبان الأخيران أخرجا من ديارهما أيضاً بحجة التعاون مع النازيين ، ومع أنه قد سمح لهما بالعودة إلى أوطانهما ، فإنه يجري استئصال ثقافتهما وديانتهم بطريقة منظمة .

بنجلاديش :

بنجلاديش من أفقر دول العالم ، ومع ذلك تدفق عليها سيل من اللاجئين يقدر **تعتبر** بـ ٢٠٠٠٠٠ لاجئ هربوا من الاضطهاد الذي يتعرضون له في إقليم أراكان في بورما^(٤٦) ، وقد قدمت لهم بعض المساعدات من المفوض السامي للاجئين التابع للأمم المتحدة ، ومن بعض الدول الإسلامية ، وعندما أعيدوا إلى وطنهم وجد كثير منهم أن عمليات الاضطهاد مستمرة وأن ممتلكاتهم قد صودرت ، ولجأ كثيرون منهم إلى بنجلاديش مرة أخرى ، وقد لجأ مئات الألوف من الروهنجيا Rohingyas إلى بنجلاديش

هربا من الاضطهاد الذي تعرضوا له عبر السنين ، وتفيد آخر التقارير بأنهم قد حرّموا من حقوق المواطنة .

لقد عاش شعب الروهنجيا في إقليم أراكان مدة تزيد على ١٣٠٠ سنة ، فهم ينحدرون من سلالة العرب والفرس والملاييين والمغول والباتان Pathans الذين اتخذوا وطنًا لهم في أراكان وأقاموا فيها مملكة في أوائل القرن السابع ، وقد وصل الإسلام إلى تلك البلاد في عام ٦١٠ م ، وحكم الروهنجيا إقليم أراكان مدة تزيد على ثلاثة قرون ونصف قرن إلى أن غزاهم البورميون Burmans في ١٧٨٤ ، واليوم يعيش أفراد شعب الروهنجيا محرومين من حقوقهم السياسية ولا يأمنون على حياتهم أو ممتلكاتهم ، ولا يجدون التعليم المناسب لأبنائهم ، أو العدل ، ولا يتمتعون حتى بحرية الحركة والتعامل ، وهناك نظام لشراء الأرز يفرض على غالبية هذا الشعب وهم من زراع الأرز أن يسلموا الجزء الأكبر من محصولهم للحكومة بغض النظر عن مستوى الحصول ، وعلاوة على ذلك فإن أفراد هذا الشعب لا تتاح لهم الفرصة للدراسة في المدارس الحكومية^(٤٧) .

وليس من المسموح للمسلمين بأن يؤدوا الصلاة في المدارس أو المكاتب أو المؤسسات الصناعية ، وهم يتعرضون للسخرية والاستهزاء في وسائل الإعلام والفنون المختلفة ، وقد صودرت ممتلكات الأوقاف مثل الأراضي الموقوفة على مسجد ماونجوجيم ومسجد آكياب جيم ، وتحولت مقابر المسلمين إلى ملاعب وأقيمت عليها دورات المياه ، كما بنيت أديرة فوق أراضي المسلمين ، وتفرض الإتاوات على القرويين المسلمين وتعرض نساؤهم للاغتصاب .

وقد صدر قانون جديد للجنسية في عام ١٩٨٣ يقضي بمنح حق المواطنة الكاملة لمن ثبت أن أسرته عاشت في بورما مدة تزيد على ١٦٠ عاما^(٤٨) . ويتعين على أفراد العناصر التي تسمى « غير الوطنية » أن يقنعوا السلطات بأن أسلافهم عاشوا في البلاد قبل عام ١٨٤٤ وهي السنة التي اندلعت فيها الحرب الإنجليزية - البورمية الأولى ، فإذا عجز عن ذلك يتم ترحيله أو يعتبر « مواطنا ضيقا » وبذلك يفقد كثيرًا من الحقوق التي يتمتع بها المواطن الكامل ، وتزداد حدة هذه المشكلة بشكل خاص في أراكان حيث يعتبر البوذيون عنصريا وطنيا ، بينما تثار الاعتراضات على حق المسلمين في المواطنة ، مع أن التاريخ يسجل بأن أول دفعة من المسلمين نزلت على ساحل أراكان كانت من التجار المغاربة والعرب والفرس الذين وصلوا إلى تلك البلاد فيما بين القرنين التاسع والخامس عشر^(٤٩) .

إن حالة البهار المسلمين في بنجلاديش تعتبر وصمة في جبين العالم الإسلامي ، والبحار جماعة من المسلمين هاجروا من الهند إلى شرق باكستان لأنهم كانوا يؤمنون بالفكرة القائلة بأن باكستان هي وطن المسلمين في شبه القارة ، وبعد أن أصبحت باكستان الشرقية دولة

بنجلاديش طلب البهار البالغ عددهم ٣٠٠٠٠٠ نسمة السماح لهم بالذهاب إلى باكستان إلا أن باكستان لم تتخذ أي إجراء حيال هذا الطلب ، وهكذا أصبح البهار مرفوضين في بنجلاديش وغير مرغوب فيهم في الباكستان ، وأصبحوا يعيشون في حالة من الإهمال منذ ما يزيد على عقد من الزمان ، ولا يجدون ما يقتاتون منه سوى إحسان الهيئات الدولية على الرغم من أن معسكرات اللاجئين التي تأويهم والبالغ عددها ٦٦ معسكرا ليست بأحسن حالا من الأكواخ الحقيرة .

إن البهار يحيرهم هذا الإهمال وعدم الاكتراث من جانب العالم الإسلامي ، وقد بلغت حالة الإحباط التي يعانون منها ذروتها عندما قرروا في ٢٣ مارس ١٩٨١ (ذكرى القرار الباكستاني الذي أصدرته الرابطة الإسلامية لعموم الهند في عام ١٩٤٣) بأن يحرقوا أنفسهم ، وقد تطوع ٥٠٠ فرد منهم لتقديم هذه التضحية بالنفس ، كما كانوا يعتزمون القيام « بزحف طويل » عبر حدود شبه القارة ، غير أن زعماءهم قد أثروهم عن عزمهم هذا ، وهذا يدل على مدى اليأس الذي يسيطر على طائفة البهار .

وآخر تطورات قضية البهار أن الرئيس الباكستاني ضياء الحق أبدى استعدادا لاستقبال هؤلاء الباكستانيين المقطوعين في بلاد غير وطنهم ، شريطة أن يتم تدبير نفقات نقلهم على نحو ما ، وتقدر هذه التكاليف بـ ٣٠٠ مليون دولار ، وهو ليس بالمبلغ الضخم إذا قررت كل من إيران والعراق تخفيض عدد الصواريخ التي يطلقها كل منهما على الآخر مدة أسبوع واحد فقط ، وعلى الرغم من أن رابطة العالم الإسلامي بقيادة أمينها العام الجديد الدكتور عبد الله نصيف قد وافقت على مساندة قضيتهم ، إضافة إلى الكويت والبحرين وبعض دول الخليج الأخرى ، فإنه لم تتضح بعد خطة عمل إيجابية فيما يبدو ، وقد توجه البهار بالتماس إلى الجنرال ضياء الحق يناشدونه المبادرة بوضع خطة لحل مشكلتهم .

جنوب شرق آسيا :

قدمت كل من الملايو وأندونيسيا المأوى والحماية للاجئين الفيتناميين إلى أن يتم إعادة توطينهم في دولة ثالثة لأنه من المستحيل استيعاب مثل هذه الأعداد الكبيرة من أبناء العنصر الصيني في أي من هاتين الدولتين ، لا سيما وأن الملايو استقبلت جموعا من اللاجئين المسلمين الذين تدفقوا عليها من بورما وتايلاند والفلبين وكمبوديا ، ونظرا لأن اللاجئين الكمبوديين جميعهم من المسلمين وينحدرون من نفس الأصول التي ينحدر منها مسلمو الملايو ، فقد كان من السهل معالجة المشكلات التي نشأت من جراء وجودهم لا سيما وأنه لا يغيب عن البال مطلقا أن ثلاثة أرباع الملايو من مسلمي كمبوديا قد لقوا حتفهم في عهد بول بوت^(٥٠) .

ومنذ قرنين من الزمان كانت شبه جزيرة التاي - الملايو الحالية من يرزخ كرا من الحدود الحالية بين الملايو وتايلاند ، تخص شعب الملاي ، وقد وجدت مملكة باياني الملايوية قبل فترة طويلة من تأسيس مملكة ملاكا الملايوية العظيمة التي أسست في بداية القرن الخامس عشر وكانت تلك المملكة مشهورة ومن أغنى دول الملاي وأكثرها سكانا في شبه الجزيرة ، وفي منتصف القرن الثامن عشر تعرضت الأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة للغزو وأدجت كولايات في مملكة التاي . وقد شن جيش التاي أول هجوم على تلك البلاد عام ١٦٠٣ ولكن المسلمين هزموا الغزاة كادوهم على أعقابهم في ١٦٣٢ و ١٦٣٣ . وعاد التاي لغزو فطاني مرة أخرى في ١٧٨٦ ، وهزمت مملكة فطاني في هذه المرة وأصبحت دولة تابعة ، وإن لم يحدث تدخل كبير في شئونها الداخلية ، رغم فصل أجزاء معينة من أراضيها ، وظل المسلمون يقاتلون التاي من ١٧٨٩ - ١٧٩١ ، كما ثاروا عليهم مرة أخرى في ١٨٠٨ و ١٨٣٢ وفي عام ١٩٠٢ ألغيت سلطنة الملاي ، كما ألغيت الشريعة وبدأ تطبيق التعاليم البوذية ، وفي عام ١٩٠٩ وافق البريطانيون على ضم فطاني إلى تايلاند البوذية ، وليس إلى الدول الملايوية الأخرى الخاضعة للنفوذ البريطاني في شبه الجزيرة ، ونشبت ثورة أخرى في عام ١٩٢٣ ولكن تم إخمادها^(٥١) .

وقد استمرت حكومة التاي على سياستها في عدم الاعتراف بالملاي الذين يعيشون في جنوب تايلاند على أنهم من الملاي وتصرُّ على اعتبارهم مسلمين تايلانديين ، كما تحارب لغة الملاي ويحظر تدريسها في المدارس الحكومية ، وقد اضطّر الملاي لاتخاذ أسماء التاي وثقافتهم ، بل إن برامج التليفزيون التي تبث في ماليزيا تعرض لتشويش شديد ، وتم تغيير أسماء القرى والمدن التي تحمل أسماء ملايوية وأطلقت عليها أسماء تايلاندية وتم توطين آلاف البوذيين في الجنوب ، وأصبح اختفاء العلماء والبارزين والعاملين في حقل النشاط الإسلامي أمرا عاديا ، وما لم يحصل الملاي في جنوب تايلاند على استقلال ذاتي حقيقي فإن حركة التحرير سوف تستمر في كسب تأييد أغلبية أفراد الطائفة .

وإذا كان المسلمون في فطاني قد ظلوا يناضلون للمحافظة على استقلالهم مدة ٣٥٠ سنة ، فإن مسلمي الفلبين يكافحون من أجل الهدف ذاته منذ أربعة قرون أي منذ سقوط ماسنلاد (مانيولا) في ١٥٧١ حتى قدوم الأسبان الذين كانوا في ذلك الوقت يسومون المسلمين في أسبانيا أشد العذاب ، وقد قتل السلطان راجاه سليمان حاكم مانيلا بعد كفاح طويل ، ودمرت مملكته ، وتعرض المسلمون للمطاردة وأرغموا على اعتناق المسيحية ، وكان سقوط مانيلا بداية الميثرة لحرب مستمرة دامت ما يقرب من قرن من الزمان من ١٥٦٥ حتى ١٦٦٣ ، وبعد ١٥٨١ ركز الأسبان جهودهم للقضاء على سلطنتي سولو ومانجوينادانا ولكن على الرغم من فرض الحصار عليها فقد تمكنت السلطان من المحافظة على استقلالهما ، وإن كانا قد اضطرا لاستقبال إرساليات التنصير المسيحية وفي ١٦٣٥ عاود الأسبان الهجوم

وأقاموا قلعة في زامبوانجا ، واضطرت سولو ، وماجوينادانا مرة أخرى لاستقبال بعثات التنصير لممارسة نشاطها وسط رعاياها من غير المسلمين ، وقد تمكنت السلطانان في ١٦٦٣ من الانتقام وطرد الأسبان من الجنوب بعد أن تم لهما استعادة زامبوانجا ، واستأنف الأسبان هجومهم في ١٧١٨ ولكن تدخل البريطانيين في ١٧٦٢ أوجد نوعا من الهدوء ، وعندما عاد الأسبان مرة أخرى استأنفوا هجماتهم ، ومع أن سولو وماجوينادانا قد فقدنا الكثير من أراضيها فإنهما تمكنتا من المحافظة على استقلالهما من ١٨٥١ حتى الغزو الأمريكي في ١٨٩٩ ، وقد سادت فترة من الهدوء في بداية الأمر ولكن الأمريكيين ساروا فيما بعد على نهج السياسة الأسبانية المعادية للإسلام بمزيد من التشدد النابع من تجربتهم مع الهنود^(٥٢) .

وقد حقق الأمريكيون خلال فترة حكمهم التي استمرت ١٥ عاما فقط ما لم يحققه الأسبان في ثلاثة قرون ، فقد قضوا على الدول الإسلامية وفتحوا أراضيها أمام الإرساليات المسيحية والمهاجرين المسيحيين ، وبعد الاستقلال واصلت الحكومات الوطنية في الفلبين الجهود الرامية إلى استئصال الوجود الإسلامي في الفلبين ، وفي ١٩٦٨ بدأ الجيش الفلبيني نفسه في شن حملة إبادة على المسلمين حيث قتل الجنود ٦٨ شابا مسلما في جزيرة كوريندور الواقعة في خليج مانايلا وألقوا بجثثهم في البحر ، وقد أدى ذلك إلى اتحاد جميع الجماعات الإسلامية في جبهة التحرير الوطنية مورو عام ١٩٦٩ ، وفي عام ١٩٧٩ ظهرت عصابات مسلحة تسمى اللاجوس وأخذت تقتل المسلمين رجالا ونساء وأطفالا دون تمييز ، وكانت قوات الشرطة نفسها هي التي تنظم هذه العصابات المسيحية ، وبعد حلها أدمجت في الجيش والشرطة واستمرت في قتل المدنيين المسلمين .

وقد اعتبرت اتفاقية طرابلس حلا لهذه المشكلة ولكن حكومة الفلبين لم تف بما وعدت به وراحت تجادل في النسبة المئوية للمسلمين وعما إذا كان الأمر يتطلب إقامة منطقة واحدة أو عدة مناطق متمتعة بالحكم الذاتي . وأخيرا وعندما نظمت حكومة الفلبين في ابريل ١٩٧٧ استفتاء على تلك الاتفاقية مما يعتبر مخالفة لروح الاتفاقية ذاتها ، انهار وقف إطلاق النار واستأنف شعب بانجسومورو كفاحه من أجل البقاء .

وهناك أكثر من مليون لاجئ مسلم من جنوب الفلبين ، حيث يقم حوالي ١٥٠٠٠٠ منهم في دولة صباح الملايوية المجاورة ، ومازال هناك حوالي مليون لاجئ في الفلبين ذاتها ولكنهم أخرجوا من أراضيهم الأصلية وقد فر معظم اللاجئين الداخليين من اضطهاد قوات الحكومة والقوات الأخرى المناهضة للإسلام ، ولجأ غالبيتهم إلى المراكز الحضرية ، ونظرا لأنه لا يوجد متسع لهم في المدن ، فضلا عن أن سكان المدن وغالبيتهم من المسيحيين لا تعنيهم حالة أولئك اللاجئين ، بل وقد يناصبونهم العداوة في بعض الأحيان ، فقد اضطرت اللاجئين

الداخليون للإقامة في أحياء خاصة بهم ، ومن المؤكد أن أعدادا أخرى منهم لجأت إلى المناطق الريفية وهي أكثر أمنا وسلاما ، حيث يعيشون مع أقاربهم وأصدقائهم .

ويقيم هؤلاء اللاجئين المسلمون أكوأخهم على امتداد النهرات وضاف الأنهار وفي مستودعات القمامة ، ورغم وفرة الأراضي ، فإن ١٠٪ من أراضي المدن في مناطق المسلمين التقليدية (باستثناء مدينتي ماراوي وجوب وهما في الواقع بلدتان ريفيتان) يملكها المهاجرون المسيحيون ولا يسمحون للمسلمين بالإقامة في أراضيهم ، والحالة الصحية في الأماكن التي يقيم بها اللاجئين متردية جدا لدرجة أن اللاجئين مصابون بمرض أو بآخر .

ومن الناحية الاقتصادية يتعرض اللاجئين الداخلون لضغط شديد حيث أن الحرف التقليدية للمسلمين هي الزراعة والصيد ، وعندما انتقلوا إلى المدن لم يتكيفوا مع النشاط الاقتصادي فيها ، لأنهم تنقصهم المهارات اللازمة للاشتغال بالتجارة أو العمل في الصناعات ، ومن جهة أخرى فإنه مما يؤسف له أن الصناعات التي تستغل موارد بلاد المسلمين ، ترفض توظيفهم للعمل حتى عمالا غير مهرة ، ويفضلون استيراد أيدي عاملة مسيحية من الشمال ربما بغرض تشجيع المسيحيين على الإقامة في الجنوب بغية تخفيض نسبة عدد السكان المسلمين هناك .

وحتى من انتقل من اللاجئين إلى المناطق الريفية الأخرى لا يستطيع أن يكسب ما يكفي لإعالة أسرته ، فليس في مقدورهم زراعة الأراضي لأنهم خلفوا وراءهم معداتهم وأدواتهم الزراعية ، وكذلك لا يستطيع الصيادون منهم ممارسة الصيد في قواربهم الصغيرة بعد أن تركوا أدوات الصيد قبل رحيلهم .

إن هذه المعاناة الاقتصادية للاجئين تؤثر أيضا على الأوضاع الاقتصادية للمسلمين في الأماكن التي لجأوا إليها ، ومع أن هؤلاء المسلمين أسعد حظا لأنهم لم يضطروا لترك أراضيهم ، فإن عليهم أن يقتسموا ديارهم وغذاءهم مع اللاجئين الذين وفدوا إليهم مما يحملهم عبئا اقتصاديا باهظا .

ويقدر معدل الوفيات بين اللاجئين المسلمين بأنه يزيد ٢٥ مرة على المعدل العام بين سكان الفلبين ، ويعاني حوالي ٨٥٪ من الأطفال من سوء التغذية ، كما أن ثلثي الأطفال في سن الدراسة لا يتلقون أي نوع من التعليم .

ولا يبدو أن الحكومة الفلبينية تقدم أي مساعدة للاجئين المسلمين ، وإن كانت التقارير الحكومية تشير إلى أنه تم إنفاق الكثير على المسلمين ولكن هذا الادعاء من جانب الحكومة مشكوك في صحته . وطالما أن حالة المسلمين يرثى لها وتزداد سوءا يوما بعد يوم فإنه يجدر

بالحكومة ألا تنزع بعمل الإحصاءات وإنما يتعين عليها أن تقدم المساعدات لمن يستحقونها بالفعل ، فهناك على سبيل المثال مشروعات للإسكان قامت الحكومة بينهاها ، ولكن المساكن تعطى لفئة مختارة من صفوف الجماعة الإسلامية من الموالين للمنطقة .

ولم تبذل الحكومة حتى وقتنا هذا أية محاولة جادة لإعادة توطين اللاجئين أو لمساعدتهم على العودة إلى أراضيهم ، وتفيد بعض التقارير أن أراضي المسلمين قد احتلها المستوطنون المسيحيون وبدأوا في زراعتها . إن ما يثير الشك في نفوس المسلمين إزاء نيات الحكومة في المدى البعيد هو أنه في الوقت الذي يترك فيه اللاجئين المسلمون في المناطق الفقيرة يجرى إقامة مستوطنات للنصارى في الأودية الخصبة في منداناو .

فلسطين :

من أكبر الأخطاء الفادحة التي شهدتها القرن الحالي ما قامت به الأمم المتحدة **كان** من توحيد إريتريا في اتحاد فيدرالى مع إثيوبيا قسرا ، وهو ما تحدثنا عنه فيما تقدم ، وهناك خطأ فادح آخر ارتكبه الأمم المتحدة أيضا عندما أصدرت تحت ضغط من الولايات المتحدة أيضا قرارا باعطاء الصهاينة أرض فلسطين التي كانت قطرا عربيا وإسلاميا منذ نهاية القرن السابع . وعندما أصبحت دولة إسلامية في ذلك القرن أصبحت حدودها وخصائصها - بما في ذلك اسمها العربى « فلسطين » - معروفة للعالم الإسلامى كله بحكم خصوبة أراضيها وجمال طبيعتها علاوة على أهميتها الدينية . وفي عام ١٥١٦ أصبحت فلسطين ولاية عثمانية . ولكن ذلك لم يقلل من خصوبتها أو عروبتها أو هويتها الإسلامية ، وظل نواب فلسطين يحتلون مقاعدهم في البرلمان العثمانى حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، وعلى الرغم من وصول أعداد مطردة من المستعمرين اليهود إلى فلسطين بعد عام ١٨٨٢ ، فإنه من الجدير بالتسجيل أنه في الأسابيع القليلة التي سبقت إقامة دولة إسرائيل في ربيع عام ١٩٤٨ لم يكن في تلك البلاد سوى أغلبية عربية كبيرة فقد كان عدد من فيها من اليهود في ١٩٣١ (١٧٤٨٠٦) شخص من مجموع السكان البالغ ١٠٣٣٣١٤ ، وفي عام ١٩٣٦ ارتفع عدد اليهود إلى ٣٨٤٠٧٨ ، بينما وصل مجموع السكان إلى ١٣٦٦٦٩٢ ، وفي عام ١٩٤٦ كان عدد اليهود ٦٠٨٢٢٥ من مجموع السكان البالغ ١٩١٢١١^(٥٣) ، فقد أقيمت إسرائيل فوق أطلال فلسطين العربية ، وقد كتب تيودور هرتزل^(٥٤) في يومياته :

« سيكون علينا أن ندفع السكان المفلسين عبر الحدود بتوفير العمالة لهم في البلاد المجاورة مع حرمانهم من أي عمل في بلادنا ، ولكن يجب أن تتم عملية إخراج هؤلاء الفقراء بحیطة وحذر » .

كما صرح موشي ديان في ابريل ١٩٦٩^(٥٥) بقوله « ليس هناك مكان واحد في هذه البلاد لم يكن يسكنه عربي من قبل » .

ويقدر البروفسور إسرائيل شاهاك^(٥٦) أن ما يقرب من أربعمائة قرية قد تم تدميرها تدميرا تاما بديارها وبساتينها وحتى مدافنها ومقابرها بحيث أصبح عاليها سافلها فعلا ، ويقال للسلاح الذين يملكون بها إنها كانت صحراء ، وقد اتبعت سياسة التدمير هذه بعد احتلال الضفة الغربية والقدس وغزة في ١٩٦٧ .

لقد نتج عن إقامة ما يسميه المسلمون « الكيان الصهيوني » في أرضهم فلسطين خروج أكثر من مليوني لاجئ بالإضافة إلى وجود ١٧ مليون داخل إسرائيل (بمن فيهم نصف مليون كانوا في إسرائيل قبل عام ١٩٦٧)^(٥٧) ، أو « زنوجنا » كما أسماهم بيجين ، ومن بقوا منهم في إسرائيل لا يتمتعون بأي حقوق ويتعرضون للتعذيب ويودعون في معسكرات الاعتقال ، وتعرض ديارهم وأراضيهم للمصادرة ، بل وتعرض محاصيلهم للإتلاف مثلما حدث لحقول القمح في العبة عندما أُلقيت عليها مواد كيميائية لنزع أوراق النبات وفي ١٩٤٨ تم الاستيلاء على ممتلكات ٧٠.٠٠٠ عربي وأخرجوا من ديارهم لإعطاء فلسطين لليهود ويروي بيجين - وهو عضو في منظمة أرجون الإرهابية - في كتابه الثورة^(٥٨) كيف كان يمارس أعماله الإرهابية العنيفة ومن بينها القتل الجماعي للنساء والأطفال الأبرياء ، وقد اعترف بمسؤوليته عن مذبحه أبريل ١٩٤٨ التي قتل فيها ٢٥٠ امرأة وطفلا في قرية دير ياسين العربية .

إنني أسوق هذه الخلفية التاريخية لكي أزيل أي شك في أن الفلسطينيين لاجئون أُخرجوا من أراضيهم وديارهم وقد لجأوا إلى الدول المجاورة حيث يوجد منهم أكثر من مليونين بالإضافة إلى نصف مليون هاجروا إلى أمريكا ، ولقد بذلت الأمم المتحدة جهودا كبيرة وكذلك الهيئات التطوعية والكنسية لمساعدة هؤلاء اللاجئين ولكن لم يتم التوصل إلى حل لقضيتهم حتى الآن ، ولا حل لمشكلتهم إلا بإعطائهم حقوقهم العادلة ، وهنا ينبغي على كل الرجال والنساء المخلصين أن يسهموا في إشاعة الفهم الصحيح لهذه المشكلة . والسؤال الذي ينبغي أن يطرح هو : هل يريد اللاجئون الفلسطينيون العودة إلى وطنهم أم التعويض أم الاستقرار في بلاد أخرى ؟

وسؤال آخر عن الموقف الدولي والأخلاقي من الإجابات النظرية والعملية على هذه الأسئلة ، أما السؤال الثالث فعن الجهاز الذي يعمل في إسرائيل لتحويل اليهود الأوربيين والأمريكيين إلى مهاجرين ثم إلى مواطنين ، وكيف يحول هذا النظام دون استنارة اللاجئين الفلسطينيين العرب ، لقد كان العرب يشكلون أغلبية السكان قبل عام ١٩٤٨ ، ولم يقبلوا أو يسلموا بالحالة التي أصبحوا عليها الآن ، وقضيتهم تساندها المادة (١٣) من إعلان حقوق الإنسان^(٥٩) التي تنص على أن :

- ١ - لكل فرد الحق في حرية التنقل والإقامة داخل حدود أي دولة .
٢ - لكل فرد الحق في أن يغادر أي دولة بما في ذلك بلده ، وأن يعود إلى وطنه .

ان القوانين الإسرائيلية تجعل من المستحيل بالنسبة لعرب فلسطين أن يعودوا إلى وطنهم لأي سبب من الأسباب ، أو أن يعوضوا عن ممتلكاتهم أو أن يعيشوا في إسرائيل كمواطنين يتساوون مع الإسرائيليين اليهود أمام القانون .

ومن الناحية الحسائية والرقمية البحتة للأنفس التي قتلت والممتلكات التي دمرت لا نجد وجها للمقارنة بين ما فعلته الصهيونية للفلسطينيين وبين ما فعله الفلسطينيون من قبل للتأثر والرد على اعتداءات الصهيونية . إن إقامة إسرائيل كدولة في آسيا يسكنها المهاجرون القادمون من أوروبا أساسا ، لم يتم إلا بتفريغ تلك البلاد من سكانها الأصليين ، ومما يؤسف له أن رسل العطف والإنسانية والعقل في الغرب يتركون هذه المشاعر جانبا عندما يتناقشون مع الفلسطينيين أو أي شخص آخر من خارج أوروبا ، ونضرب لذلك مثلا بمفكرين يعارضان مذهبا الظلم والقمع وهما جون ستيوارت ميل وكارل ماركس ، ومع ذلك فإن كلا منهما يعتقد فيما يبدو أن مبادئ الحرية والحكومة النيابية والسعادة الفردية لا يجب أن تطبق في الشرق لأسباب يمكن أن نصفها الآن بأنها عنصرية .

لقد صدرت دراسات عديدة عن فظائع الحكم الصهيوني ولكن أيا من هذه الدراسات لا يعرف طريقه إلى الصحف الغربية ، وكان آخر مثال لهذا التجاهل المتعمد ذلك التقرير الذي نشرته صحيفة الصنداي تايمز البريطانية عن التعذيب في إسرائيل (يونيو ١٩٧٧)^(١١) ، وقد كشفت فيه النقاب عن أن تعذيب العرب عمل منهجي منظم يحظى بالتأييد الرسمي في إسرائيل ، وأن مئات من العرب يتم اعتقالهم وتعذيبهم ، وأن هناك دلائل مقنعة على أن الدولة تغض الطرف عن هذه الممارسات كوسيلة لإرهاب وترويع السكان « الوطنيين » في الأراضي المحتلة .

ولم تنشر هذا التقرير أي صحيفة أو مجلة أو دورية أو إذاعة أو برنامج تلفزيوني في أمريكا باستثناء صحيفة واحدة هي بوسطن جلوب ، بل إن معظمها لم يشر إليه مجرد إشارة عابرة ، ولم تذكر أي منها شيئا عن التقارير المماثلة التي صدرت بعد ذلك عن منظمة العفو الدولية والصليب الأحمر .

وعلى أية حال فإن المرء لا يسعه إلا أن يذكر فضل الحكومة الأمريكية في تبرعها بسخاء لوكالة غوث اللاجئين والتي بلغت ٨٦٨٢ مليون دولار^(١٢) خلال السنوات الماضية ، وكذلك المساعدات غير الحكومية وإن كان المسلمون يرون أنه مما يبعث على السخرية أن تعطي أمريكا ٧ بلايين دولار سنويا للكيان الصهيوني الذي كان السبب الأول في مشكلة اللاجئين .

إعادة توطين اللاجئين المسلمين :

إن الدول الإسلامية التي لجأ إليها اللاجئين مسلمين كانوا أم غير مسلمين قد وفرت المأوى والحماية لكل من احتسب بها والتجأ إليها ، وغالبية اللاجئين في هذه الدول من المسلمين ، وعلى الرغم من أن الدول المضيفة فقيرة ومتخلفة فإنها قد سمحت للاجئين بالبقاء داخل أراضيها ، وخصصت لهم نسبة من مواردها الشحيحة لرعايتهم ، كما منحتهم الإقامة الدائمة في حالات كثيرة .

غير أن المشكلات طويلة المدى التي ينطوي عليها حقهم في الإقامة في البلاد المضيفة مازال يثير مزيدا من الشكوك ، فقد أبدت الدول العربية المنتجة للبتترول استعدادا للمساعدة ، ومن الجدير بالملاحظة أن دراسة مستفيضة أجريت عن المساعدات التي تقدمها دول العالم وتبين منها أن الدول الإسلامية المنتجة للبتترول قدمت من المساعدات لدول العالم الثالث سواء على أساس دخل الفرد أو الدخل العام ، أكثر مما قدمته بقية دول العالم مجتمعة (أمريكا وأوروبا وروسيا والكتلة الشرقية والصين)^(٦٢) .

وقد احتلت ٦ دول إسلامية رأس قائمة الدول العشرين التي قدمت أكبر تبرعات لوكالات اللاجئين الدولية في ١٩٨٣ ، وكان نصيب تلك الدول الست ١١١ مليون دولار . وقد تبرعت الولايات المتحدة بمبلغ ٢٤٤ مليون دولار ، أي بنسبة ٤٧٪ من مجموع التبرعات ، حقا إن نسبة إسهام الدول الإسلامية في حصيلة التبرعات البالغ مقدارها ٤٧٧٨ مليون دولار لا تتجاوز ٢٣٪ ، ولكن إذا تم ترتيب التبرعات على أساس دخل الفرد فإن نسبة قطر والكويت تدخل ضمن الدول العشر الأوائل . وهذا المبلغ لا يدخل فيه بالطبع المبالغ التي تنفقها الدول المضيفة ، ولو أضيف هذا المبلغ فسوف ترتفع حصة التبرعات الإسلامية ارتفاعا كبيرا ، ففي حالة باكستان على سبيل المثال تتحمل تلك الدولة ٥٠٪ من جملة نفقات اللاجئين ، وبصرف النظر عن التبرعات المالية فلقد استوعبت الولايات المتحدة أكبر عدد من اللاجئين للاستيطان بها ، ويوجد بها أكبر تجمع للاجئين الذين قبلت إعادة توطينهم بالقياس إلى عدد سكانها ، وهنا يجد المرء نفسه مضطرا مرة أخرى للقول بأن جوانب معينة من سياسة الولايات المتحدة الخارجية كانت سببا جزئيا أو ذات علاقة بالعوامل التي حملت أولئك القوم على الالتجاء إلى دولة ثالثة .

وإذا نحينا الفلسطينيين جانبا ، فسوف نجد أن الدول العربية لم تكن على درجة عالية من الكرم والسخاء عندما يتعلق الأمر بإعطاء فرصة التمتع بحقوق المواطنة والإقامة الدائمة للاجئين المسلمين وحتى في حالة الفلسطينيين لم يتمكن سوى عدد ضئيل منهم من الحصول على الجنسية في الدول العربية ، إن العدد الكبير من القوى العاملة في بعض بلدان

الشرق الأوسط يشكل ما يتراوح بين ٨٠ - ٨٥٪^(٦٣) من القوى البشرية فيها ، ومع ذلك فإنهم يعاملون معاملة قطعان الماشية ويعيشون فيما يشبه معسكرات الاعتقال الجديدة ، فلا تدفع رواتب متساوية لمن يقومون بأعمال متكافئة ، وإذا أمكن لهذه الدول الإسلامية الغنية أن تستوعب بعض اللاجئين كمواطنين دائمين في بلادها ، فإن ذلك سوف يساعد على حل بعض مشكلات العمالة التي تعاني منها ، كما يحل جزءا من مشكلة اللاجئين الضخمة ، ومما يؤسف أنه من السهل على المسلم أن يهاجر إلى دولة غربية دون أن يكون في مقدوره الهجرة إلى دولة إسلامية ، وأنه من السهل عليه أن يحصل على إقامة دائمة في بلد غير إسلامي ، بينما يتعذر عليه أن يحصل على إقامة مؤقتة في بلد إسلامي .

بعض اقتراحات لما ينبغي عمله :

١ - إن الحل الأمثل هو أن تنصدى للمصدر الأساسي لمشكلة اللاجئين، وهو الانتهاك الصريح والمستمر لحقوق الإنسان - أينما وكلما وجد - ومع أن ذلك ليس بالأمر السهل ، فليس معنى هذا أنه لا يمكن علاجه ، فيجب أن ندعو للتعاطف وأن يحترم بعضنا بعضا كبشر ، ومن الضروري أن يفهم الغرب ، وبصفة خاصة أجهزته الإعلامية أسباب أزمة اللاجئين ، والذي يتمثل في حالة المسلمين في حرماتهم من حقوقهم الإنسانية الأساسية ، فعلى الرغم من أن ٦٧٪ على الأقل من اللاجئين في العالم هم من المسلمين ، فإن صورة المسلمين في الغرب سيئة جدا ، فالمقاتلون المسلمون من أجل الحرية يسمون « بالمتطرفين » ، أو المتعصبين أو المتطرفين ... الخ ، ولا ينبغي للاعتبارات السياسية والتعصب الأيديولوجي أو الديني أن يصرف الناس عن اتخاذ مواقف المعارضة القوية والمستمرة لأي انتهاك لحقوق الإنسان في أي مكان يقع فيه .

٢ - لا ينبغي أن ننكر أن المشكلة بالنسبة للاجئين تعتبر مشكلة دينية ولو جزئيا على أقل تقدير فمن الخطأ إنكار البعد الديني للمشكلة ، لأنه سيؤدي إلى هزيمة ذاتية في نهاية الأمر .

٣ - على الرغم من أن منظمة المؤتمر الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية قدما مساعدات كبيرة للاجئين المسلمين في مختلف أنحاء العالم فإنه بالنظر إلى ضخامة هذه المشكلة ، قد يكون من الأوفق بالنسبة لمنظمة المؤتمر الإسلامي أن تفكر في إنشاء وحدة لمعالجة جميع جوانب مشكلة اللاجئين ، سواء جوانبها بعيدة المدى أم خططها القصيرة والمتوسطة ، وكذلك يجب دراسة الدور الذي يمكن أن تقوم به

المنظمات الإسلامية الطوعية في الدول المضيفة ، وهنا يتعين البحث في أمر هذه المنظمات الطوعية التي يعاني معظمها من نقص الأموال ، ولقد أثبتت التجربة في ماليزيا أن التعاون بين المفوض السامي للاجئين ومنظمة المؤتمر الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية وهيئة الرعاية الإسلامية المحلية Parkim كان وسيلة ناجعة لمساعدة اللاجئين ، وقد وفرت هيئة Parkim المأوى لـ ٥٠٠٠ مسلم كمبودي .

٤ - يجب اتخاذ الخطوات لمساندة والدفاع عن حق المسلمين في جميع أنحاء العالم حتى يظل كياناتهم مختلفا عن الجماعة التي تحكم دولة ما ، فالمسلمون في حاجة إلى تأييد جميع الرجال المخلصين لكي يتمكنوا من الحفاظ على شخصيتهم الإسلامية ، ولا بد من الحيلولة دون حرمان الأقليات الإسلامية من حقوقها الإنسانية وفضح ذلك كلما حدث .

٥ - يجب حث حكومات الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا ورومانيا وبلغاريا واليونان وكنيا وإثيوبيا والهند وبورما وتايلاند والفلبين على إنهاء انتهاكاتهم الخطيرة لحقوق المسلمين الأساسية في أراضيها ، ويجب السماح للمسلمين في تلك البلاد بممارسة شعائر دينهم دون قيود ، كما يجب إعادة أماكن العبادة والمدارس والأوقاف المصادرة إلى الجماعات الإسلامية واستعمالها في الغرض الأصلي الذي أنشئت من أجله ، كما يجب السماح للمسلمين في هذه الدول بإقامة علاقات اجتماعية وثقافية وتعليمية وتجارية مع الجماعة الإسلامية الدولية ، ويجب السماح لتتار القرم والفلسطينيين والروهنجيا والأريتريين والصوماليين وغيرهم من المسلمين الذين أخرجوا من ديارهم وأوطان أجدادهم بالعودة إليها والإقامة فيها ، ويجب أن تتخذ حكومتا باكستان وبنجلاديش الإجراءات الكفيلة بحل مشكلة البهار الموقوفين في بنجلاديش .

٦ - يجب دراسة الحل الإسلامي لمشكلة اللاجئين دراسة متأنية وإعنية ، فإذا استطاعت الدولة الحديثة أن تحمل نفسها على تحقيق المثل الأعلى الإسلامي وهو أن تكون دولة متعددة الثقافات ، متعددة اللغات ، متعددة الديانات بطوائفها المتعددة ونظامها القانوني ونظامها التعليمي وأسلوب معيشتها ، فإن المشكلة الأساسية للأقليات سيكون من الميسور حلها ، وتختفي تقريبا مشكلة اللاجئين ، لقد ثبت نجاح هذا الحل الإسلامي عبر التاريخ وليس هناك من سبب يحول دون تنفيذ نظام مماثل في الوقت الحالي .

NOTES

1. Wirth Louis: **The Problem of Minority Groups**, in Linton (ed), **The Science of Man in the World Crisis**; New York, Columbia University Press, 1957 P. 35.
2. G.E. Simpson and Yinger, I.M: **Racial and Cultural Minorities: An Analysis of Prejudice and Discrimination**, Harper, New York, 1977) p. 27.
3. Ibid: P. 35.
4. Wirth: op. cit.: P. 348-9.
5. See I.R. Al-Faruqi: **Islam**, Illionis Argus Communications, Niles, 1979) P. 61-68, also Saeed. Ramadan: **Islamic Law: Its Scope and Dquity** Geneva, Saeed Ramadan, (Geneva, 1970) P. 119-127.
6. Ibn Sa'ad: **Die schreiben Muhammads und die Gefharten und der Spartern Trager des Islams is zun Hajre do Flicht**, hrsg von E Sachau etc., Veden 1904 I11, P. 246.
7. J.W. Arnold: **The Preaching of Islam** (Lahore, Sh. Muhammad Ashraf, 1976) P. 65.
8. Ibid: P. 61-68.
9. Fazlul Karim: **AL Hadith**, The Book House, Lahore n.d.) P. 392.
10. Ibid: P. 392.
11. Hadith related by Tirmizi: Ibid P. 393.
12. M.H. Haykal: **Hayat Muhammad** — trans. I.R. AL-Faruqi (Plainfield Indiana, North American Trust Publications, 1976) P. 97.
13. Ibid: P. 105.
14. M.A. Ghazi: **The Hijrah: Its Philosophy and Meaning for Modern Man**, (Lahore, Islamic Book Foundation, 1981) P. 14.
15. Ibn Ishaq: **Seerat Rasul Allah**, Pakistan, trans. A. Guillaume (O.U.P. 1970) pp. 231-3.
16. Ministry of Justice Saudi Arabia: **Muslim Doctrine and Human Rights in Islam**, (Beirut, Darul kitab al-Lubnani, 1972.)
17. International Council of voluntary Agencies: **List of Member Agencies, November 1980**.
18. I.C.V.A. News: "Refugees, Migrants, Emergencies," No. 87, October 1980, P. 25.
19. U.S. Committee for Refugees: **1983 World Refugee Survey**, 1983, World Refugees Statistics, pp. 61-63.
20. Eritrien Relief Committee: **Eritrien Refugess in The Republic of Sudan**: (Sajan, 1980) P.6.
21. Iran government sources give the number as 2 million.
22. Asia Week.
23. New Straits Times.
24. U.S. Committee for Refugees op. cit **Palestinian Refugees: Defining the Humanitarian Problem**, P. 25.
25. Ibid, P. 61.
26. Ibid, P. 62 (I have adjusted the Figures to include one million internally displaced persons in the Philippines and up dated the Figures for Afghan refugees and refugees from Ethiopia in the Horn of Africa.
27. Ibid, P. 61.
28. U.S. Committee for Refugees: **1980 World Refugee Survey**, "Africa: Millions in Distress," P. 39.

29. **Impact International:** "Ogaden War: A Classic Case of Amoral and Glibality". 27 June — 10 July 1980 P. 5.
30. For details on the situation faced by the Somali Muslims of North Eastern Kenya see **Impact** 2-15 December 1980 pp. 5-6 and 9-22 January 1981, P. 4, 13-26 February, 1981, P. 2 and 24 July-13 August, pp. 6-7. The problem of Muslims in Uganda after Idi Amin has been reported in **Impact** 27 June—10 July, P. 4. Unfortunately the mess which Idi Amin created has scarcely improved since the Tanzanian invasion.
31. The Tigrinians just south of Eritrea have been fighting for independence for 100 year. The Muslim town of Ahmed Ngash north of the provincial capital of Makalle is claimed to be the first in the African continent dating back to the time of Muhammad see **Impact** 28 December 10 January 1980, P. 5-6.
For recent reports of government atrocities against Muslim see **Crescent International** March 16-31, P. 1-11, April — 15 P. 3 and May 1-15 P. 7-11.
32. Eritrean Liberation Front Appeal of the Eritrean People to 26th Session of the General Assembly entitled "Eritria" A Victim of U.N. Decision and Ethiopian Aggression: (New York 1971)
33. Eritrean Relief Committee.
34. Eritrean Liberation Front op. cit.
35. Ibid.
36. Ibid.
37. Ibid.
38. Ibid.
39. **Crescent International:** "Eritreans old on to Their Gains Despite Pending by Ethiopia 1-15 March 1984, P. 12.
40. **Foreign Information Department Tripoli,** Socialist people's Libyan Arab Jamahiriya: Libya: A Case to be Heard in American Policy Towards the Sudan Chad Border Dispute and Libya's Role in Chad P. 15-24.
41. **Crescent International:** "Libya, France seek third man to resolve Chad conflict." P. 4 May 1—15.
42. **Asia Week:** "Pakistan: Three Million and Still Counting", 19 February, 1982, P. 17.
43. See for example **Crescent International**, "Sovietising Afghanistan to neutralise Islam", March 16—31, 1982, P. 1. The problems of Muslims in the Soviet Union have been well covered by **Impact International** e.g. 14-27 August 1981. A good discussion of their plight is found in the papers of S. Akiner, **Islam in the Soviet Union** and A Seytmuratova, **The Plight of the Crimean Tartars** both delivered at the International Conference to commemorate the 15th Century Kijrah, Kuala Lumpur, 1981.
44. **Asia Week** op. cit. p. 17.
45. See for example **Impact International:** Operation Dragon King, 26 May-8 June 1976, P. 6—8.
46. Rohingya Liberation Front: **Submission to the Organization of the Islamic Conference**, 1980.
47. **Far Eastern Economic Review:** «In The Dragon's Wake», «More Equal and Other», «A Legacy of Rebellion», P. 33-36. 26 April 1984.
48. **Impact International:** The Biharis: Suspended between Hope and Agony, P. 6. 27 April - 10 May, 1984.
49. For details of the tragedy of Cambodian Muslims see **Al-Nahdah**, "The Muslims the World forgot", April-June 1981, P. 16-19 and also **Fate of Muslims in Kampuchea**, published by the Cambodian Muslim Welfare Committee, (Kuala Lumpur n.d.)

50. The Pattani Struggle has not attracted the same interest if the West as has the Moro struggle in the Philippines but there is a great deal of material in Malay on their struggle. The Barisan regular English newsletters. *Impact International* has carried frequent articles regarding their Case e.g. 28 April-11 May 1978, P. 4-5 and 13 February 1977, P. 15. One good Summary of the Pattani case is found in *Pattani Dabuku dan sekarang* by A.B. Bangara, Published by Penal Penyelidikan Angkatan Al-Fatani, 1977. A good summary of the history of the Muslims in Pattani is found in the *Islamic Review of Arab Affairs: The Muslim Malays of South Thailand*, November-December 1969, P. 16-23. Details of the deaths of three religious scholars in 1982 is found in 'Risalah', Year 7, No. 21981, P. 18-19. The Pattani Submission to the 3rd Islamic Summit in 1981 is found in *Al-Nahdah*, April-June 1981. *Islamic Horizons* December 1980 issue contained an article entitled: *Pattani Muslims: The Little Known Jihad*.
51. There has been considerable press coverage of the events in the Southern Philippines and quite a number of studies have been made of the problem including T.J.S. George's in adequate work *Revolt in Mindanao* (O.U.P, Kuala Lumpur, 1980.) A better treatment is found in M.A. Kettani's *Muslims in the Philippines*, a paper delivered at the International Conference of the 15th Century Hijrah, Kuala Lumpur, 1981. *Impact International* has devoted considerable space to the problem e.g. the *Human Rights of the Muslims of the Philippines* in three installments in November 1975; also in 14-27 January 1977, *The Shrinking Moro Homeland*, p. 5-6, in 3-26 May 1977, *Philippines Dangerous Threshold*, P. 7 and 27-9 November 1978 the *Refugee Dimension of a Genocidal War*, P. 5-6.
52. E. W. Saeed *The Question of Palestine*, (Routledge and Kegan Paul, London, 1980) P. 11.
53. Theodor Herzl; *Complete Diaries*, ed Raphael Patani, Trans. Harry Zohn, (New York, Herzl Press and I. Youseloff, 1960) Vol. 1, P. 88.
54. *Ha-Aretz*: 4 April 1969.
55. *London Sunday Times*: 19 June 1977.
56. Saeed: op. cit. P. 15.
57. *Ibid*; P. 138.
58. Begin, Menachem; *The Revolt*, trans. S. Katz, W.H. Allen, London 1979.
59. Saeed: op. cit. P. 84.
60. *London Sunday Times*; 'Insight' Report on Torture in Israel, 19 June 1977.
61. *Impact International*: 'OPEC in the Service of the Third World', 11-24 May, 1979, P. 9.
62. 1983 World Refugee Survey: P. 63.
63. Ahmed, Kurshid; *Oil, Immigrant Workers and Pattern of Development*, *Impact International*, 26 February - 11 March 1982. P. 16-17.

دراسة إحصائية عن الأقليات الإسلامية في العالم

**للدكتور محمد محمود محمد
المتاح المساعد بجامعة الملك سعود**

دراسة إحصائية عن الأقليات الإسلامية في العالم

د. محمد محمود محمدين

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى اقتراح أسس يعتمد عليها في تقدير أعداد المسلمين في الأقطار غير الإسلامية ، ويوضح أسباب التباين في الأعداد التي يقدرها الباحثون المختلفون للأقليات الإسلامية ، والتي ترجع غالباً إلى : عدم اهتمام كثير من الدول بإحصاء الأقليات الإسلامية بحجة أن مثل هذه التعدادات تؤدي إلى مشكلات طائفية ، بالإضافة إلى أن هناك دولا نامية لا تجري إحصاءات حيوية ، كما يضطر كثير من المسلمين الذين يعيشون في أقطار ملحدة إلى إخفاء عقائدهم .

وتناول البحث تقدير أعداد الأقليات المسلمة في العالم بأكثر من ٣٧١ مليوناً أي ٣٥٪ من مجموع المسلمين في العالم ، الذين قدرهم الباحث بأكثر من ١٠٦٦ مليوناً سنة ١٩٨٥م واقتراح البحث توثيق الصلات بالأقليات المسلمة في الأقطار غير الإسلامية وتكليف المراكز الإسلامية والجمعيات الإسلامية بتتبع أحوال المسلمين بتلك الأقطار وتقدير أعدادهم .

وإزاء ما يتعرض له المسلمون في بعض الأقطار غير المسلمة مثل بلغاريا والفلبين والهند من معاملات عنصرية اضطهادية ، فإن الباحث يقترح أن تتخذ الأقطار الإسلامية الإجراءات التي تتيحها لها إمكاناتها للضغط على تلك الأقطار لترفع يدها عن المسلمين .

تمهيد :

إن معرفة عدد الأقليات المسلمة في أقطار العالم المختلفة هو أمر بالغ الأهمية ، لأنها مؤشر ذو دلالة في مجال تطور أعداد المسلمين وزيادتهم ، سواء أكانت هذه الزيادة وليدة النمو السكاني ، أم نتيجة للهجرة من الكفر إلى الإسلام ، والهجرة من الكفر إلى الإسلام مصدر مهم ينبغي تتبعه ودراسة كافة الوسائل التي يمكن أن تسهم في تنميته .

ولاشك أن هذا الموضوع ليس سهل القيادة ، وإنما تحول دونه صعوبات عديدة سوف يتعرض البحث لنماذج منها ثم يوصي بوضع أسس لتقدير أعداد الأقليات المسلمة في العالم .

أولاً : مشكلة تقدير أعداد الأقليات المسلمة في العالم :

يختلف تقدير أعداد الأقليات المسلمة في العالم بين الباحثين ، فمنهم من يقدر أعداد هذه الأقليات بأقل من ٢٢٠ مليوناً ، ومنهم من يقدر أعداد الأقليات المسلمة ، بل إنه يشمل كذلك عدد الدول الإسلامية إذ أن بعض الباحثين يقدر عدد الدول الإسلامية بسبع وخمسين وحدة إسلامية^(١) ، وبعضهم الآخر يقدر عدد الدول الإسلامية بخمسين دولة (اثنتين وعشرين دولة آسيوية ، وسبع وعشرين دولة أفريقية ، ودولة أوروبية)^(٢) .

وفي دراسة أجراها فريق من الباحثين بمجلة Time قدر عدد الدول الإسلامية بسبع وثلاثين دولة على النحو التالي : (عشرون دولة إسلامية في آسيا ، ست عشرة دولة في أفريقيا ، دولة واحدة في أوروبا هي البانيا)^(٣) .

إذا كان هذا هو الاختلاف في تقدير عدد الأقطار الإسلامية ، فليس من المستغرب إذا أن يكون هناك اختلاف كبير في تقدير أعداد الأقليات المسلمة في العالم .

إن اختلاف الباحثين في اعتبارهم الدولة إسلامية أو غير إسلامية ينعكس أثره ويتردد صداه في تقدير عدد الأقليات المسلمة ، لأنه في حالة تقدير الباحث أن دولة ما إسلامية يجعله ملزماً بأن يستبعد أعداد المسلمين فيها من الأقليات الإسلامية ، أما إذا اعتبر أن الدولة غير إسلامية فإنه سيضيف سكانها المسلمين إلى أعداد الأقليات المسلمة .

وهناك مجموعة أخرى من العوامل التي لا يمكن تغافلها تحول دون تقديرات صحيحة للأقليات المسلمة في العالم منها :

- ١ - عدم اهتمام كثير من الدول بإحصاء الأقليات الدينية بحجة أن مثل هذه التعدادات تؤدي إلى مشكلات طائفية ، والحقيقة التي لا يمكن إنكارها ، هي أن بعض هذه الدول تخشى أن يدرك المسلمون أحجام أعدادهم الحقيقية والأثر الذي يمكن أن يؤدي إليه ذلك .
 - ٢ - يلجأ كثير من المسلمين في الدول الشيوعية إلى إخفاء عقائدهم وشعائرهم الدينية ، والتظاهر باعتراف المعتقدات التي تسير الاتجاه العام للدولة حتى يكونوا بمنأى عن الاضطهادات ولا يجرموا الوظائف الكبرى والحساسة .
 - ٣ - يعيش معظم المسلمين في أقطار نامية لا تجري إحصاءات حيوية خاصة بعدد المواليد والوفيات والزواج والطلاق وعدد أفراد الأقليات الدينية المختلفة .
 - ٤ - بينما يسود اتجاه عام بين الشيوعيين والمستعمرين الأوروبيين يميل إلى تقدير عدد المسلمين بأقل من عددهم الحقيقي ، فإن هناك من جهة أخرى بعض الباحثين المسلمين الذين يميلون إلى المبالغة في تقدير عدد المسلمين .
 - ٥ - تتباين التعدادات التي تجريها الأقطار التي تضم المسلمين من حيث مواعيدها ، ودقتها وشمولية معلوماتها ، وكل هذه أمور لا تساعد على التقديرات الصحيحة لأعداد المسلمين ، كما أن هناك أقطاراً أفريقية لم تعرف التعدادات وكل ما هنالك من أرقام عن المسلمين ليست إلا تقديرات أجرتها الحملات التنصيرية وفق ما يتخدم أغراضها .
 - ٦ - يدرس بعض الباحثين جمهوريات الاتحاد السوفيتي الإسلامية كوحدات مستقلة ، كما يدخل نفر من الباحثين فلسطين المحتلة في أعداد الأقطار الإسلامية ، بينما يرى بعض الباحثين غير ذلك .
 - ٧ - لعل من أهم الأسباب التي ينتج عنها اختلاف في تقدير أعداد الأقليات المسلمة بين الباحثين ، هو اختلافهم حول تحديد مفهوم الدولة الإسلامية ، هل الدولة الإسلامية هي الدولة التي تزيد فيها نسبة المسلمين على نصف سكانها ؟ أم أن الدولة تعد إسلامية إذا كانت نسبة المسلمين فيها تزيد على أي من نسب أتباع الديانات الأخرى وإن لم تتجاوز هذه النسبة ٥٠٪ من جملة السكان ، وفي رأيي أن الدولة تعد إسلامية إذا كان المسلمون فيها يمثلون أكبر نسبة بين أي من الديانات المختلفة التي تسود هذه الدولة .
- إن كل العوامل السابقة تجسد بما لا يدع مجالاً للشك مشكلة تقدير أعداد الأقليات المسلمة في العالم ، وتوضح سبب التباين في تلك التقديرات بين الباحثين .

ثانياً : أسس مقترحة لتقدير أعداد الأقليات المسلمة :

إذا ما أردنا أن نصل إلى تقديرات أقرب إلى الواقع فعلياً أن نحسن اختيار أسس موضوعية تتحاشى المبالغة من جهة ، وتتجنب التقديرات التي تصدر عن الجهات المعادية للإسلام والتي تميل إلى تقدير المسلمين بأقل من أعدادهم الحقيقية من جهة أخرى .

ربما كان من أفضل الأساليب التي يمكن الاعتماد عليها في تقدير أعداد الأقليات المسلمة في العالم ، توثيق الصلات بهذه الأقليات المسلمة والاستعانة بها في هذا المجال .

ويجب الاستعانة بالمراكز الإسلامية الموجودة بتلك الأقطار لتتبع أحوال المسلمين وتقدير أعدادهم ، ويمكن إنشاء مراكز إسلامية أخرى في الأقطار التي لم تنشأ بها مراكز . كما يمكن تشجيع الباحثين وتكليف الأكفاء منهم على إجراء البحوث في هذا المجال . وعموماً هناك وسائل أخرى متنوعة يمكن أن تتضافر جهودها في هذا المجال مثل الجمعيات الإسلامية والانحادات الإسلامية وغير ذلك من الوسائل المختلفة .

ثالثاً : تقديرات عن أعداد الأقليات المسلمة في العالم :

على ضوء بعض الأسس المتاحة التي اقترحها الباحث فإنه يقدر عدد السكان المسلمين والأقليات المسلمة سنة ١٩٨٥ م على النحو التالي

القارة	عدد السكان المسلمين في الدول الإسلامية بالمليون	الأقليات المسلمة بالمليون	المجموع
آسيا	٤٧٠	٢٨٢	٧٥٢
أفريقيا	٢٢٣	٧٠	٢٩٣
أوروبا	٢	١٥	١٧
الأمريكتان	—	٤	٤
استراليا	—	٠٫٣	٠٫٣
المجموع	٦٩٥	٣٧١٫٣	١٠٦٦٫٣
	%٦٥	%٣٥	%١٠٠

وتتزايد أعداد المسلمين في العالم ما بين ٢١ إلى ٢٥ مليوناً في السنة* .

أ - الأقليات المسلمة في آسيا :

يقدر عدد المسلمين في آسيا بأكثر من ٧٥٢ مليون نسمة ، منهم ٤٧٠ مليوناً يعيشون في الأقطار الإسلامية أي بنسبة ٦٣٪ تقريباً من إجمالي عدد المسلمين في آسيا بينما يقدر عدد المسلمين الذين يعيشون في أقطار غير إسلامية بأكثر من ٢٨٢ مليوناً أي بنسبة ٣٧٪ من مجموع مسلمي آسيا .

وتقدر أعداد المسلمين في أهم أقطار آسيا غير الإسلامية على النحو التالي :

نسبتهم المئوية من مجموع السكان	عدد المسلمين بالمليون	الدولة
١٥٪	١٠٠	الهند
١٠٪	٩٥	الصين الشعبية
٢٥٪	٦٩	الاتحاد السوفيتي
٨ ٪	١٢	سري لانكا
١٢٪	٦١	تايلاند
٧ ٪	٢٧	بورما
١١٪	٥٧	الفلبين
—	٢٤	دول آسيوية أخرى

ومما تجب الإشارة إليه أن مسلمي آسيا يلقون اضطهاداً ويتعرضون للمذابح في بعض المناطق كما هي الحال في الاتحاد السوفيتي ، وفي الفلبين ، وتايلند ، والهند ، التي ذكرت مجلة إرشاد الهندية في يوليو سنة ١٩٨٤م أن الأقلية المسلمة في الهند قد تعرضت لهجوم الأغلبية الهندوكية مرات عديدة منذ استقلالها حيث قتل آلاف المسلمين في مدن جبل بور ، وأحمد آباد ، ومراد آباد ، وبومباي ، وأخيراً ما حدث في أسام حيث دمرت قرى المسلمين وذبح الرجال والنساء والأطفال^(٤) .

ب - الأقليات المسلمة في أفريقيا :

يقدر عدد المسلمين في أفريقيا بأكثر من ٢٩٣ مليوناً ، منهم ٢٢٣ مليون مسلم

* حسب الزيادة حسب معدلات متوسط النمو السنوي للسكان في كل دولة من الدول التي تضم المسلمين اعتماداً على معدلات النمو السنوي في تقارير الأمم المتحدة عن التنمية في العالم سنة ١٩٨٤م .

يعيشون في الأقطار الإسلامية أي بنسبة ٧٦٪ تقريباً ، ويعيش أكثر من ٧٠ مليوناً (٢٤٪ من مجموع المسلمين في أفريقيا) في أقطار غير إسلامية ، ويعد تقدير أعداد الأقليات الإسلامية في أقطار أفريقيا من أهم المشكلات التي تختلف فيها وجهات النظر بين الباحثين ، وقد ظهر هذا الأمر جلياً في البحوث التي قدمها الجغرافيون للمؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول الذي عقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في يناير سنة ١٩٧٩ م ، فبينما ذكر بعض الباحثين دولاً مثل ساحل العاج والكاميرون وسيراليون وتوغو وبنين (داهومي) والحبشة كدول إسلامية ، عدها بعض الباحثين دول أقليات إسلامية كبيرة . ويختلف تقدير نسبة المسلمين في أثيوبيا بين الباحثين ، إذ أن بعضهم يقدرهم بنحو ٦٥٪ من مجموع السكان^(٥) وبعضهم يقدرهم بنسبة ٤٨٪ من مجموع السكان .

ويقدر عدد المسلمين في بعض الدول الأفريقية غير الإسلامية على النحو التالي :

الدولة	عدد المسلمين بالمليون
أثيوبيا	١٧
تنزانيا	١٢
أوغندا	٥
كينيا	٤
غانا	٣٫٩
ملاوي	٢٫٨
مدغشقر	٢
موزمبيق	٢
زامبيا	١٫٢

ومما تجدر ملاحظته أن نسبة المسلمين تزيد بصفة خاصة في شرقي أفريقيا لقربها من شبه الجزيرة العربية ولقدم الهجرات الإسلامية إليها ، ويكفي أن نشير إلى أن أولى الهجرات الإسلامية كانت إلى الحبشة حينما اشتد أذى الكفار على أتباع محمد عليه السلام فأمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة وقال لهم : « إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » .

وجدير بالذكر أن مسلمي أثيوبيا يلقون معاملات سيئة ويتعرضون للاضطهادات الدينية .

ج - الأقليات المسلمة في أوروبا :

لا توجد في أوروبا إلا دولة إسلامية واحدة هي ألبانيا وتقع جنوب شرقي أوروبا ، ويصل عدد المسلمين فيها إلى مليوني نسمة .

أما بالنسبة للأقليات المسلمة في أوروبا فيصل عددها إلى ١٥ مليوناً ، ويعيش في يوغسلافيا وحدها أكثر من خمسة ملايين مسلم .

ويتعرض المسلمون في بلغاريا لضغوط تعسفية وصلت إلى حد إجبار المسلمين بالقوة على تغيير أسمائهم أو إضافة لاحقة بلغارية إلى أسمائهم فيصبح اسم محمد (محمديف) وأحمد (أحمدوف) ، وتحرم السلطة البلغارية إطلاق الأسماء الإسلامية أو غير البلغارية على المواليد الجدد ، وتحرم كذلك أداء الفرائض الدينية الجماعية كصلاة الجمعة والعيد^(٦) .

وجدير بالذكر أن عدد المسلمين في بلغاريا يصل إلى أكثر من ٢٥ مليون مسلم .

وهناك منظمة عالمية للتصير مقرها أوروبا جندت الأموال الطائلة والكفاءات العالية لتصير المسلمين ، ويقدر عدد الذين يعملون في مجال التصير بنحو ١٧ مليوناً ، وقد قال روي جورج رئيس المنظمة : (ينبغي محاربة الإسلام في نفوس المسلمين المقيمين في أوروبا ، وقال : إن الملايين العشرة من المسلمين المقيمين في أوروبا هدية بعثها الله لنا)^(٧) .

د - الأقليات المسلمة في الأمريكتين :

عدد المسلمين في الأمريكتين بما يقرب من أربعة ملايين مسلم . وتضم **يقدر** الجالية الإسلامية في أمريكا الشمالية أكثر من ثلاثة ملايين من المسلمين منهم أكثر من مليونين من أصل أفريقي .

ويقدر عدد المسلمين في أمريكا الجنوبية والوسطى بنحو ٤٠٠ ألف مسلم . وهناك منظمات إسلامية عديدة في الولايات المتحدة الأمريكية لها نشاط ملموس مثل : اتحاد الطلبة المسلمين ولهذا الاتحاد فروع في أكثر الولايات ، وقد أسهم هذا الاتحاد في إنشاء اتحادات أخرى مثل اتحاد العلماء الاجتماعيين المسلمين . واتحاد العلماء والمهندسين المسلمين واتحاد الأطباء المسلمين . وإلى جانب هذه الاتحادات هناك المراكز الإسلامية العديدة والجمعيات .

ولعل أكبر المشكلات التي تواجه الأقليات المسلمة في الولايات المتحدة ، مشكلة التحزب أو التشرذم بسبب الخلافات الإقليمية التي حملوها معهم من أوطانهم ، بالإضافة إلى التبثر وعدم التركيز في مناطق محددة بسبب اتساع الولايات المتحدة^(٨) .

هـ - الأقليات المسلمة في أستراليا :

يزيد عدد المسلمين في أستراليا على ٣٠٠ ألف مسلم ، وقد عرف الإسلام طريقه لأستراليا في فترة استكشافها حينما استخدم الإنجليز الإبل وسيلة للتنقل في مناطق أستراليا الصحراوية ، واستعانوا ببعض المسلمين من أفغانستان وباكستان لقيادة تلك الإبل ، وقد أنشأ هؤلاء المسلمون المساجد ، لذا فليس غريبا أن يقول أحد المكتشفين الإنجليز بأن صوت الأذان دوي في أرجاء القارة الأسترالية قبل أن تدق أجراس الكنائس^(٩) .

ويوجد في أستراليا خمس وخمسون جمعية إسلامية ، وأكثر من ٣٥ مسجداً ومركزاً إسلامياً ، ومعظم مسلمي أستراليا من أصل لبناني ، وأستراليا من القارات التي يمكن أن تستوعب أعداداً كبيرة من المسلمين ، لذا يجب العمل على دعم الأقليات الإسلامية وتشجيع هجرة المسلمين إليها .

الخاتمة

ما زالت الدراسات الإحصائية عن الأقليات في العالم بحاجة إلى مزيد من الجهد وتضافر الجهود ، لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة وحتى نخرج بتقديرات أقرب إلى الواقع نسترشدها في تتبع أحوال هذه الأقليات ، ونعتمد عليها كمؤشر ذي دلالة بالغة لدراسة تطور أعداد المسلمين .

ولعل من أفضل الوسائل التي يمكن أن نعول عليها في هذا المجال ، توثيق الصلات بالأقليات المسلمة والاستعانة بالمرآة الإسلامية والجمعيات والاتحادات الإسلامية المختلفة وأن نبسط لها يد العون والتأييد .

كما يجب ألا نتغافل عما تتعرض له الأقليات المسلمة في أوروبا وآسيا وبصفة خاصة في بلغاريا والفلبين والهند وتايلند حيث تدبر لحرب المسلمين والإسلام كل يوم وسيلة جديدة ، فحري بنا نحن المسلمين أن نولي هذا الموضوع ما يستحقه من الدراسة العلمية ، واتخاذ كافة السبل لتوثيق الصلات بهذه الأقليات ودعمها حتى يقوى كيانها وتقف في وجه التيارات التي تتعرض لها ، وهذه أمور لا تناها الأمان أو تدرك بالوعود المسووفة وإنما لا بد أن نستنفذ الوسائل المعنوية والمادية وأن نسلك في سبيلها كل الدروب الوعرة ، وعلى سبيل المثال يجب أن تتخذ الدول الإسلامية بعض الإجراءات ضد الدول التي تضطهد الأقليات المسلمة لا سيما وأن الدول الإسلامية لها وزنها وتملك الأساليب الفعالة في هذا المجال .

- المراجع -

- (١) غلاب محمد السيد ، حسن عيد القادر ، محمود شاكر (البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية في العالم المعاصر) من مطبوعات المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، صفر سنة ١٣٩٩هـ / يناير سنة ١٩٧٩ م .
- (٢) محمد محمود ، (خريطة العالم الإسلامي) ، دراسات ، مجلة كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، م ٤ سنة ١٩٨٢م ، ص ٢١٠ .
- (٣) The, World of Islam, The Weekly Newsmagazine Time, April 16, 1979, PP. 6-16.
- (٤) جريدة الشرق الأوسط ، السبت ، ١١/٥/١٩٨٥م ، ص ١٤ .
- (٥) محمود شاكر ، (العالم الإسلامي) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٤٠٣هـ ، ص ٤٢ .
- (٦) جريدة الشرق الأوسط ، ٢٢/٣/١٩٨٥م ، ص ١٠ .
- (٧) المسلمون ، جريدة المسلمين الدولية ، ٣٠ رجب سنة ١٤٠٥هـ ، ص ١٠ .
- (٨) غلاب محمد السيد ، وآخران (البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة) ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٧٠ .
- (٩) تقرير بعثة الأزهر إلى أستراليا ، جريدة الشرق الأوسط (العدد ١٨٦٦) في ٤/٤/١٤٠٤ م .

الدراسات النفسية والاجتماعية للأقليات المسلمة

للدكتور سيد أحمد عثمان
جامعة عين شمس

الدراسات النفسية والاجتماعية للأقليات المسلمة

د. سيد أحمد عثمان

ملخص

للأقليات المسلمة علينا حق الأخوة ، وحق التساند ، وحق التداعي ، وتلقي علينا هذه الحقوق مسؤوليات مكافئة لها ، وهي : مسئولية الاقتراب ، والفهم ، والرعاية . ويعتمد نجاحنا في النهوض بهذه التبعات تجاه الأقليات المسلمة على اعتمادنا على المنهج العلمي في تعرفهم ودراسة شئونهم - ولما كان البعدان النفسي والاجتماعي يمثلان بعدي محور ، تنعكس فيهما كافة أبعاد حياة الأقلية المسلمة ، كما يؤثران في هذه الأبعاد ويعطيان الأقلية المسلمة تميزها الخاص ، لما كان هذا شأن البعدين النفسي والاجتماعي ، فإنهما من أكثر جوانب الأقليات المسلمة حاجة إلى الالتفات إليهما والاهتمام العلمي بهما ، تنظيراً وتحليلاً ودراسة .

وقد تعرضت الدراسة الحالية لهذين البعدين ، محددة موقعهما من النسيج العام لأبعاد حياة الأقلية المسلمة ، ثم محللة لهما ، ومبينة أهميتهما . ثم وضعت الدراسة الحالية خطة للدراسة العلمية المنظمة لهذين البعدين ، تبدأ بتعرف خصائص كل منهما ، ثم ذكر الأشكال أو الصور التي يمكن أن تتخذها دراسة هذه الخصائص وهي : الدراسات النظرية ، والدراسات الميدانية ، والدراسات المقارنة ، والدراسات التشخيصية ، والدراسات التطويرية ، ثم الدراسات الوقائية . وانتهت الدراسة باقتراح معاونات تساعد في القيام بهذه الدراسات ، وفي تحقيق أكبر فائدة ممكنة منها بالنسبة إلى الجانبين النفسي والاجتماعي في الأقليات المسلمة .

حق ومسئولية:

لجماعات الأقليات المسلمة علينا حق ذو ثلاث شعب: حق الأخوة ، وحق التساند وحق التداعي . هم أخوة لنا مهما نأت بهم الديار (انما المؤمنون أخوة) (الحجرات : ١٠) ، و (المسلم أخو المسلم) (متفق عليه) ، وهم من البنيان الإسلامي العام للأمة المسلمة الذي يشد بعضه بعضاً ، (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (متفق عليه) ، وهم من الجسد المؤمن الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (متفق عليه) .

لذا فهم يمثلون الأخ البعيد القريب ، والسند القليل الكثير ، والعضو الغائب الحاضر ، هو في الهامش هناك ، ولكنه بالقلب موصول ، مهما بعدت بينهما الشقة .

وان هذا الحق للأقليات المسلمة ، ليلقى علينا مسؤولية ذات شعب ثلاث كذلك . فحق الأخوة مسئوليته الاقتراب ، وحق التساند مسئوليته الفهم ، وحق التداعي مسئوليته الرعاية .

من مسؤولية الاقتراب منهم ان لا نكون (نحن) بعيدين عنهم ، إذ لا بد أن نألفهم وأن نعرفهم ، وأن نقربهم منا باقترابنا منهم ، فيكونون دائماً في موضع الفكر والنظر ، وفي مجال الهم والاهتمام . ونحمد الله أننا في عصر تيسرت فيه سبل امتداد الفكر ، واتساع النظر ، وتعددت فيه وسائل الاحاطة والتعرف ، وزادت فيه كفاءة أدوات الحصول على المعلومات وتنظيمها وحفظها ، فضلاً عن نعمة الله الكبرى في الانتقال السريع إلى القاصي من المكان ، والزياره القرية للنائي من الأهل . الا يساعدنا هذا كله في حسن تحملنا مسؤولية الاقتراب من أخوتنا المسلمين حيثما كانوا؟

وإذا كانت مسؤولية الاقتراب تعبيراً عن الحب ، فإن هذا الحب محتاج إلى أن يكون حب فهم ، حتى يكون الاقتراب اقتراب دراية . لا يكفي أبداً أن نقرب من جماعات الأقليات المسلمة اقتراباً مادياً ، لا ، ولا اقتراباً قلبياً ، بل ينبغي أن يكون ، مع ذلك ، اقتراباً علمياً ، أي اقتراب فهم ، وتعرف ، واحاطة ، ودراسة . اننا نريد أن تكون علاقاتنا بجماعات الأقليات المسلمة ، بل بكل أجزاء الأمة المسلمة على اتساع العالم ، علاقات تقارب وحب ، فأهم (علاقات) (تعارف) بالتقارب المحب الفاهم ، و(تعاون) بالتآزر القائم على الوعي الشامل ، والالف المتبادل ، والرحمة المشتركة . نحن في عصر أشد ما يسدد فيه أي عمل ، اجتماعي أو غيره ، الفهم العلمي النابع من الدراسة المنظمة .

ولا يمكن أن تضع الفئة المسلمة المجاهدة جهادا علميا ، سلاحا من أسلحة العصر فيه قوة وزيادة فعالية ، في تحقيق مسئوليتنا نحو إخواننا في الأقليات المسلمة.

أما الشعبة الثالثة من مسئوليتنا تجاه قومنا من الأقليات المسلمة ، فهي مسئولية الرعاية ، التي هي ، في حقيقتها تنويع عملي بقدر ما هي برهان صدق ، ودليل كفاية كل من مسئولية الاقتراب ، ومسئولية الفهم . فإذا نحن أحسنّا الاقتراب من أعضاء جسد الأمة المسلمة ، وإذا نحن سددنا فهمنا إياها فهم حب وقرب ، إذا نحن حققنا هذا ، فإن ما يتبع هذا أن نرعى جماعات أقلياتنا المسلمة رعاية عملية عندئذ تكون رعاية بصيرة ، صادقة عن حب الاقتراب ، بقدر ما تكون رعاية فعالة ، لأنها قائمة على الفهم العلمي ، ومستهدية به ، في بدئها ومسارها ، وتقويمها وخواتيمها .

الحاجة إلى منهج دراسة :

البين ، إذن ، أن سلامة الوفاء بحق ، أو حقوق ، الأقليات المسلمة علينا **من** وأمانة الأداء لمسئوليتنا ، أو مسئولياتنا ، قبلهم ، هذه وتلك ، مرهونة بالعمل العلمي : استقصاء وإحصاء ، تعرفا ودراسة ، تحليلا ومقارنة .

وكل عمل علمي إنما يقوم على (منهج) يحدد مجال النظر ، ويوجه خطة الدراسة ، ويقوم مسارها ، ويقدر نتائجها ، ويشير إلى تطبيقاتها ، ولا صحة لأي منحنى علمي ، أو نظرة علمية إلا بصحة المنهج . والمنهج الذي أقترح أن تلترمه دراساتنا العلمية للأقليات المسلمة يجب أن يتميز بما يلي :

١ - الواقعية :

بمعنى أن يكون منهجا معتمدا على الوقائع ، والبيانات الحقيقية ، والسجلات المضبوطة ، فلا يجري وراء انطباع عام ، أو تصور ثابت ، أو ظن طاريء . ولنتذكر دائما أن أي نتيجة نخلص إليها في أي دراسة للأقليات سوف يترتب عليها (عمل) فما لم تكن النتيجة مستندة إلى ما هو موثوق به ، كانت نتيجة شائثة ، ومضللة . وأحسب أننا في تعاملنا مع الأقليات المسلمة ، ومع كل جانب من جوانب وجودنا الإسلامي ، لا ينبغي أن نسمح للشائثة أن يتدخل ولا للمضلّل أن يعمل .

٢ - الواقعية :

أي يكون منهج دراساتنا للأقليات المسلمة منهجا عينه على الواقع المعاش لهذه الأقليات .

نتعرف ما هو كائن ، ونحيط به ، ونفهمه ، قدر جهد أدوات البشر العلمية ، وطاقتهم الفكرية ، بحيث تكون درائتنا بكافة جوانب حياتهم دراية شاملة مستغرقة . من شأن واقعية المنهج هذا أنها :

أ - تحقق أكبر قدر من قابلية التطبيق لدراساتنا ، لأنها تعرف الواقع بقدر اعتمادنا على الوقائع ، كما أسلفت .

ب - تعطي الأقليات المسلمة إحساسا حقيقيا بأننا نعرفهم ، نفهمهم ونقدر ظروفهم الخاصة ، وملاساتهم المميزة ، ومن شأن هذا الإحساس أن ينمي عندهم ثقة بنا ، وتصديقا لنا ، وهما أمران لازمان لنجاح أي عمل إنمائي ، أو تطوري ، لجماعات الأقليات المسلمة ، أو لأي جماعة نتعامل معها على أساس من البحث العلمي القويم .

ج - وأخيرا فإن من شأن معرفتنا ، بل دراستنا لواقع الأقليات المسلمة أن يساعدنا على تصور واقع أفضل لها ، والتخطيط للعمل الذي يحقق ذلك الواقع الأفضل . إذ لا يمكن أن نفرض واقعا أفضل لجماعة ما لم يكن هذا الواقع الأفضل نابعاً من الواقع الحي ، ومنشقا منه ، ومترقيا عليه . ولا تتحرك جماعة نحو مثلها الأعلى إلا بتحريك قوى الصحة فيها وتحرير طاقات التطور عندها ، وعلاج عوامل التعطيل والجمود التي تمتص قواها ، وتبدد طاقتها . وما من سبيل إلى تحقيق هذا إلا بمنهج يلتزم الواقعية في نظره ووجهته .

٣ - الشمول المتكامل :

من أكثر ما يصيب منهج البحث العلمي ، والنفسي والاجتماعي منه خاصة بالجمود الذي يكاد ينتهي به إلى العقم ، أمران هما : ضيقه الذي يجعله يغيب عن الكل ، وتحديدده الذي يحمله على أن يغفل عن الوصل . يضيق المنهج عندما يركز على موضوع أو جانب أو بعد ، أو مستوى ، أو مشكلة ، فيصل فيها إلى غاية ما يستطيع من فهم ولكنه أبداً لن يكون فهماً كاملاً إلا إذا كان فهماً في إطار (الكل) ، في السياق العام الذي يعيش فيه الجزء موضوع الدراسة . والظواهر النفسية والاجتماعية ، على وجه الخصوص ، لا يمكن أن نفهمها حق فهمها إلا في الكل الذي تنتمي إليه انتهاء حيويًا ، والسياق الذي تتحرك فيه تحركاً تفاعليًا .

وإن فهم أي جانب من جوانب وجود الأقليات المسلمة يقتضي منا أن نتبنى منهجاً يقوم على هذه الكلية في النظرة ، وفي التحليل وفي التفسير ، وفي التخطيط لأي عمل اجتماعي قائم على دراساتنا . لا بد أن يكون منهج دراستنا للأقليات المسلمة منهجاً كلياً ، شاملاً محيطاً بكل ما يمكن أن يمتد إليه البصر ، والبصيرة العلمية من أبعاد وعوامل تؤثر في الأقليات المسلمة حيث تكون .

غير أن هذه الكلية في المنهج لا ينبغي أن تكون مجرد إحاطة لأبعاد متباعدة متناثرة ، بل لأبعاد متفاعلة متكاملة . لأنه ما من بعد ، أو عامل ، أو عنصر ، يعمل منفصلا عما سواه مما يحيط به ، ويتعامل معه . فالتكاملية شرط لازم للكلية ، والتفاعلية شرط لازم للشمولية . ولا يمكن أن يتم لنا فهم صحيح لأي جانب من جوانب الأقليات المسلمة إلا إذا كان منهج بحثنا فيه ملتزما بهذه التكاملية التفاعلية ، لأن هذه التكاملية التفاعلية هي أخص خصائص الحياة النفسية ، والحياة الاجتماعية سواء من جانب دراستنا للفرد أو للجماعة . و شرط سلامة المنهج ، والثقة بنتائجه ، أن يكون مماشيا لطبيعة الحياة وسنن الوجود .

فالمنهج الشامل المتكامل ، المحيط المتفاعل ، هو أنسب المناهج لدراسة الأقليات المسلمة دراسة توصل إلى الفهم العميق ، كما تشير بوضوح ، وواقعية إلى إمكانات التطبيق .

٤ - الوضوح واليسر :

ليس من اللازم للمنهج العلمي ، ليكون علميا أن يكون غامضا مبهما ، مستغلقا مستعليا ، يبدو وكأنه سر من السر ، أو ضرب من السحر ، الذي لا يقدر عليه إلا نفر قليل ممن يستأثرون بمفاتيح أختامه ، ورموز طلاسمه . لا ليس الغموض ضرورة للمنهج العلمي القويم ، ولا يعلو قدره بمقدار ما فيه من هذا الغموض السقيم ، لأن المنهج ، في نهاية الأمر ، وفي أبسط صوره وأصدقها ، ليس سوى أسلوب موجه للنظر ، وطريقة منظمة في الفكر ، وخطة مهيأة للفهم . حقا إن المنهج يقوم على مسلمات وافتراضات ، ويتوسل بأدوات وتقنيات ، مما قد يصعب فهمها ، والتعامل معها ، إلا على الجماعة أولي التخصص . ولكن هذا لا يعني أن يكون المنهج ذاته عسير الفهم ، عزيز التطبيق عند من يشاء أن يفيد منه بشكل جاد .

ومنهج دراسة الأقليات المسلمة محتاج إلى أن يكون منهجا واضحا قابلا للتعامل معه ، والإفادة منه ، مع تدريب يسير عليه . أقول هذا ، لأن البحوث الاجتماعية عامة ، وبحوث الأقليات خاصة ، هي بطبيعتها ، بحوث فريق ، ولا يمكن أن يكون الفريق كله من المتخصصين تخصصا رفيعا بفلسفة المنهج ، ومشكلاته ، وتقنياته لأن معظم أعضاء فريق البحث غالبا ما يكونون محتاجين إلى منهج مناسب لخبرتهم ، قريب إلى ادراكهم ، يسير عليهم أمر تطبيقه بدقة وكفاءة .

ثم إن في منهج دراسة الأقليات المسلمة أمرا خاصا بهذه الأقليات ، وأعني به ، أننا محتاجون إلى معاونة أهل الأقلية المسلمة أنفسهم ، وكلما كان منهجنا واضحا ، وكانت أدواتنا بسيطة ، وملائمة لهم ، كان تجاوبهم معنا في البحوث أكبر .

وكذلك نحتاج إلى تدريب طائفة من أهل الأقلية المسلمة للمعاونة في فرق البحث ، بل تكليف أفراد منهم بالقيام ، هم أنفسهم ، بدراسات يمكن أن يوجهوا إليها ، على أن ينهضوا . بالمهام الرئيسية فيها . وهذا مما يؤيد ضرورة أن يكون منهج البحث الذي تتبعه منهجا واضحا بسيطا يسيرا .

٥ - المرونة :

ليس أشد المناهج متانة أصليها وأجدها ، بل ألينها وأطوعها . ذلك لأن المنهج الصلب الجامد لا يسير إلا في درب محدود ، وفي خطوط ضيقة ، وفي وجهة واحدة ، وفي جزئية ضيقة ، وفي عمومية مطلقة . وفي هذا إضعاف لقوة المنهج الاستبصارية ، بقدر ما هو إبعاد له عن طبيعة الواقع الحي ، وخاصة في الظواهر النفسية والاجتماعية ، تلك التي تتميز بما يلي :

- أ - الحركة ، والتغير ، والتطور .
- ب - الذاتية ، والخصوصية .
- ج - تعرضها لعوامل ، وظروف طارئة أو غير متوقعة .

وكل خاصية من هذه الخواص الثلاث تحتم مرونة المنهج . إذ تقتضي الحركة ، والتغير والتطور ، منهجا يأخذ هذا في اعتباره ، ولن يفعل هذا إلا إذا كان منهجا مرنا . كما تقتضي الذاتية والتفرد ، أو الخصوصية والتوحد ، أن يوائم المنهج نفسه وفق هذه الذاتية ، أو الخصوصية ، فيراعي أن العمومية ، أو التعميم ، لا ينبغي أن تكون على حساب الخصائص التي تتفرد بها الظواهر التي يدرسها . وكذلك على المنهج أن يراعي في تصوره وفي تصميمه وفي خطته ، يراعي أن الظواهر ، وخاصة ما كان منها بشريا ، لا تسير في اتجاه واحد مرتب ، ومتدرج بشكل صارم . فالختمية ، حتى في الظواهر الطبيعية ، لم يعد لها مكانها الراسخ الذي كانت عليه قبل . فالمنهج الأمثل ، هو المنهج الذي يضع في حسابه احتمالات المفاجآت غير المتوقعة وغير المحسوبة ، ويكون فيه قدر من المرونة ، وقابلية إعادة الصياغة ، والتشكيل ، إذا ما طرأت مثل تلك المفاجآت .

ولعل دراسة الأقليات المسلمة من أكثر الدراسات حاجة إلى مثل هذا المنهج المرن . إذ توشك أن تكون كل أقلية مسلمة (وحدة متميزة) في ذاتها ، مما يتطلب ملائمة المنهج لها . فمثلا : من الأقليات المسلمة ما هو ذو تاريخ قديم في مجتمعه الأكبر ومنها ما هو أكثر حداثة ، ومنها المهاجرون الجدد ، ومن الأقليات المسلمة ما هو في مجتمع متقدم ، ومنها ما هو في مجتمع نام ، ومنها ما هو في مجتمعات متدنية ، مسيحية مثلا ، ومنها ما هو في مجتمعات تغلب عليها الديانات الشرقية ، وما إلى ذلك من عوامل خاصة يمكن أن تصبغ الأقلية المسلمة بصبغة خاصة

بها مما يجعل أمر دراستها دراسة علمية منظمة لها جدواها غير ممكن إلا بمنهج مرن يراعي هذا التفرد ، ويحسب حسابا لهذا التوحد .

خلاصة هذا الأمر ، أن الوعي الإسلامي المعاصر لا يحتمل ، بل لا يحتمل الجهاد العلمي الإسلامي المعاصر ، أن تظل الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر كيانات مبهمة بالنسبة إلينا ، وأن لا سبيل إلى أن تصبح هذه الأقليات المسلمة كيانات مضيفة مكشوفة معروفة ، مفهومه لنا ، إلا بتطبيق منهج علمي سليم في دراستها .

البعدان النفسي والاجتماعي في الأقليات المسلمة :

بعدان في كل متكامل :

نظرتنا ولا دراستنا ، للبعدين النفسي والاجتماعي في الأقليات المسلمة إلا إذا **لاتصح** حددنا موقعهما من الكل العام ، أو السياق الأكبر اللذين ينتميان إليه ، ويرتبطان به ، ويتفاعلان معه ، ألم تذكر ، فيما مر منذ قليل ، أن من شروط منهج الدراسة السديد ، مراعاة الشمول المتكامل ؟ ويتكون الكل العام ، أو السياق الأكبر الذي يترابط معه هذان البعدان من مجموعة من الأبعاد التي تؤثر فيهما ، أي في البعدين النفسي والاجتماعي ، كما يتأثر بهما . وهذه الأبعاد المؤثرة المتأثرة ، والتي لا بد أن تؤخذ في الاعتبار العلمي إذا أردنا أن نصل إلى فهم صادق لأي بعد ، أو جانب في الأقليات المسلمة التي ندرسها ، هذه الأبعاد في إجمال شديد ، هي :

١ - البعد الجغرافي :

وهو يمثل المهادر الطبيعي للأقلية المسلمة من حيث خصائص البيئة الطبيعية التي تنشئ حياتها وتنسج نشاطها منها ، موقعا ومناخا وثروة طبيعية ، وإمكانات قابلة للاستثمار وإمكانات مكنونة تحتاج إلى استكشاف .

٢ - البعد التاريخي :

وهو يمثل الإطار الزمني للأقلية المسلمة ، من حيث تاريخ الإسلام فيها وتاريخها في الإسلام كيف دخل إليها ، وما إسهاماتها فيه ، وتاريخ علاقاتها بالمجتمع الأكبر ، أو مجتمع الأغلبية ، وتاريخ علاقاتها بنا نحن هنا ، في المحور العربي الإسلامي ، وتطور هذه العلاقة ، حتى تصل إلى وضعها الراهن .

٣ - البعد السكاني :

وهو يمثل البنية البشرية للأقلية المسلمة من حيث حجم السكان وتوزيعهم وكثافتهم وحركة هجرتهم داخليا وخارجيا وظروفهم الصحية والتعليمية والترويحية ، وعلاقاتهم بالأقليات الأخرى ، إن وجدت .

٤ - البعد الاقتصادي :

وهو يمثل قاعدة الإنتاج والاستهلاك عند الأقلية المسلمة من حيث إسهامها في استغلال الموارد ، والاستثمار ، وتوزيع الثروة ، ومستويات دخول أفرادها .

٥ - البعد السياسي :

وهو يمثل توزيع السلطة في الأقلية المسلمة ، من حيث نصيبها منها ، ومشاركتها في المؤسسات التشريعية والتنفيذية ، والقضائية وفي الأحزاب ، وحقوق أفرادها وواجباتهم .

٦ - البعد الاجتماعي ، وله جانبان :

الأول : الثقافة ، وهي التي تمثل الجانب المعنوي ، الرمزي ، القيمي ، للأقلية المسلمة ، من حيث لغتها ، ولهجاتها ، وأعرافها ، وعاداتها وتقاليدها ، ومعايير السلوك وضوابطه فيها ، وموقفها من ثقافة المجتمع الأكبر الذي تعيش فيه .

أما الجانب الآخر فهو المؤسسات التي تتجسد فيها ثقافة الأقلية المسلمة ، ومن خلالها تعمل ، وما ينظم بنيتها ، ووظيفتها ، من علاقات وتفاعلات ، ودرجة تماسكها وتآزرها فيما بينها ، وفيما بينها وبين مؤسسات المجتمع الأكبر ، اتفاقا واتساقا ، أو نزاعا وصراعا .

٧ - البعد النفسي ، وله ثلاثة جوانب :

الأول : الإدراك عند الأقلية المسلمة ، كما يتمثل في إدراكها لذاتها وللمجتمع الأكبر ، وللإسلام ، وللأمة المسلمة على اتساعها .

والثاني : دافعيته ، كما تتمثل في موجهات سلوك أفراد الأقلية ، وضوابطه ، واتجاهاتهم ، وطموحهم ، ومعاناتهم وانشغالهم .

والثالث : والآخر - سلوكها ، كما يتمثل في تعبيره عن إدراك أفراد الأقلية المسلمة ودافعيته ، ومدى اتفاق هذا السلوك مع قيمهم ومعايير سلوكهم ، ودرجة مساهمتهم لثقافة الجماعة الأكبر ، وما يتمثل في هذا السلوك من توافق أو صراع ، في داخل الأقلية أو بينها وبين مجتمع الأغلبية .

بعدا مركز

ذلك هو النسيج العام لأبعاد مجتمع الأقلية المسلمة ، ذلك هو الكل المتكامل الكيان المتفاعل الذي لا يمكن أن نغفل أبعاده ، ونحن ندرس بعداً أو أكثر من هذه الأبعاد ، لأن أي بعد منها لا يفهم حق الفهم ، ولا يحقق التعامل الواقعي العلمي معه ما نرجو من نتائج ، إلا بأن نأخذ هذا الكيان الكلي المتكامل ، المتفاعل في اعتبارنا .

ونحن إذ نتأمل تلك الأبعاد جميعاً نستطيع أن نميز فيها بين مجموعتين من الأبعاد ، تمثل كل مجموعة منهما مستوىً خاصاً متميزاً ، وإن كانا غير منفصلين ولا متباعدين .

نستطيع أن نميز خمسة أبعاد مما يمكن أن نسميه (أبعاد محيط) ، وهذه الأبعاد هي : البعد الجغرافي ، البعد التاريخي ، البعد السكاني ، البعد الاقتصادي ، البعد السياسي . أما البعدان الآخران فيمكن أن نسميهما (بعدي مركز) وأعني بهما : البعد الاجتماعي والبعد النفسي ، وهما اللذان يدور غالب الكلام حول دراستهما في الأقليات المسلمة .

وما أعنيه بأبعاد المحيط تلك الأبعاد التي تمثل الإطار ، أو المهاد ، الذي تتحرك فيه ، وتتأثر به ، وتتفاعل معه كافة أنشطة جماعة الأقلية . هذا هو الإطار الجغرافي الطبيعي ، والتاريخي الزمني ، والسكاني البشري ، والاقتصادي الإنتاجي ، والسياسي التنفيذي . هذه هي العوامل الخارجية المؤثرة في البعدين الآخرين اللذين سميتهما بعدي المركز ، وهما البعد الاجتماعي ، بثقافته ومؤسساته ، والبعد النفسي ، بإدراكه ودوافعه وسلوكه . هذان البعدان الآخران ، يمثلان المحور الذي تدور حوله الأبعاد الخارجية مؤثرة فيهما ، ومشكلة لهما ، كما أنها ، أي أبعاد المحيط ، تتأثر بهما وتشكل .

ولم سميتهما بعدي مركز ، أو بعدي محور؟ لأمرين ، الأول - لأهميتهما في حركة الحياة وتفاعلها ، كما تتمثل في أبعاد المحيط الخمسة ، والآخر أنهما ، أي البعد الاجتماعي والبعد النفسي ، انعكاس إلى الداخل ، تمثيل داخلي لأبعاد المحيط . فما من بعد من الأبعاد الخمسة إلا وله انعكاس إلى الداخل في الأقلية المسلمة ، في ثقافتها ، أو مؤسساتها ، أو لدى إدراك أفرادها ، ودافعيتهم ، وسلوكهم . وكذلك نجد الأبعاد الخمسة مجتمعة ، لها انعكاس كلي داخلي ، هو الذي يعطي كل أقلية مسلمة تميزها ، وتفرداً من جماع انعكاس هذه الأبعاد .

أهمية البعدين النفسي والاجتماعي في دراسة الأقلية المسلمة :

يمكن أن نرد أهمية البعدين النفسي والاجتماعي بالنسبة إلى الدراسة العلمية المنظمة للأقليات المسلمة إلى العوامل التالية :

١ - إننا عندما نتعامل مع أفراد أقلية مسلمة لا نتعامل مع كيانات من لحم ودم وعظم وعصب ، وإنما نتعامل مع أنساق من رموز ومعان ، وموجهات وضوابط ، هي جميعا تمثل لعناصر ثقافة فرعية خاصة بالأقلية ، وثقافة كلية خاصة بجماعة الأغلبية . كما أنها انعكاس غاية في الدقة ، وتمثيل غاية في الصدق ، لكافة الأبعاد الحيوية المؤثرة في وجود الأقلية ، من جغرافية ، وتاريخية وسكانية ، واقتصادية وسياسية . هذه الرموز والمعاني والموجهات والضوابط ، وهي الجانب المعنوي من وجود الأقلية ، لا يظهر في أوضح أشكاله ، وأنصعها إلا في البعدين النفسي والاجتماعي .

٢ - ولذا فإن التقاءنا بهذين البعدين ، النفسي والاجتماعي ، إنما هو التقاء بالأقلية المسلمة من أوثق باب ، وأصدق ، يمكن أن يوصلنا إلى واقع وجودها الداخلي ، الذي فيه وقع وجودها الخارجي ، أو المحيطي . لا يمكن أن نفهم الأقلية المسلمة من الاكتفاء بدراسة أبعاد المحيط ، جغرافية كانت أم تاريخية ، أم سكانية ، أم اقتصادية ، مهما كانت دراساتها هذه مستغرقة مدققة . مثل هذه الدراسة على الرغم من أهميتها ، سوف تزودنا لاشك في هذا ، بمعلومات عن الأقلية ، سوف تجعلنا نعرف كثيرا عن الأقلية ، ولكنها تظل دائما محتاجة إلى معرفة أخرى ، قرية عميقة ، بوقع تلك الأبعاد المحيطية وآثارها ، على الحياة الداخلية لأفراد الأقلية ، وللأقلية ككل ، محتاجة إلى معرفة كيف يدرك أفراد الأقلية المسلمة تلك الأبعاد ، وكيف يتحركون إزاءها وكيف يسلكون اتجاهها . ليس المهم هو الواقع في ذاته ، بل هو إدراك هذا الواقع ، وتقويمه ، ومواجهته . ولا سبيل أمامنا لنعرف هذا في الأقلية المسلمة إلا بدراسة البعدين النفسي والاجتماعي لها .

٣ - وإن مما يزيد من أهمية البعدين النفسي والاجتماعي في الأقليات المسلمة ، أنهما من أكثر الأبعاد تعرضا للإهمال ، أو الإغفال ، من جانب الذين يتصدون لدراسة الأقلية المسلمة دراسة علمية . وقد يرجع هذا الإهمال أو الإغفال إلى تعقد الظواهر النفسية والاجتماعية ، وشدة تشابكها ، وتداخلها مع الظواهر الأخرى ، مما يتطلب منهجا بالغ الدقة ، والحذر في دراستها . ولعل فيما تقترحه الدراسة الحالية مساعدة في تخطي بعض تلك العوائق ، وفي التخطيط للدراسة العلمية المنظمة لهذين الجانبين . وإن مما يزيد صعوبة دراسة هذين البعدين ، النفسي والاجتماعي عدم توافر الإحصاءات الجيدة والدقيقة عنهما . وهو قصور يحتاج إلى علاج . وكذلك عدم وجود عدد كاف من الأفراد العلميين في الأقليات المسلمة يمكن الاستعانة بهم ، أو الاعتماد عليهم في مثل هذه الدراسات . وهو نقص يحتاج إلى الانتباه إليه ، والعمل على سده ، أو تعويضه .

٤ - يظهر في البعدين النفسي والاجتماعي في الأقلية المسلمة تميزها الذاتي ، وتفرداها الخاص . ذلك لأن سائر الأبعاد ، جغرافية ، أو تاريخية أو سكانية ، أو اقتصادية ، أو سياسية ، من الممكن أن يكون بينها وبين نظائرها في الأقليات المسلمة تشابه أو تماثل ، أو حتى تطابق ، على الرغم من اختلاف الظروف بينها ، غير أن البعدين اللذين لا يمكن أن يوجد بينهما وبين نظيريهما تشابه أو تماثل أو تطابق بين أقلية مسلمة وأخرى ، فهما البعدان النفسي والاجتماعي . هنا نجد الخصوصية الواضحة جدا . وإن دراستنا لهذين الجانبين في الأقلية المسلمة ، إنما هي دراسة لأهم معالمها المميزة لها عن غيرها ، وأبرز ملامحها التي تجعلها تقف متوحدة ، متفردة ، عما سواها ، والفهم الحق لأقلية مسلمة بعينها ، ضرورة لا تتحقق إلا بدراسة للجانب النفسي والجانب الاجتماعي فيها . كما أن التعامل الفعال المؤثر ، مع أقلية مسلمة بعينها لا يدرك إلا بناء على هذا الفهم (الخاص) أو الدراية المتخصصة بهذه الأقلية ، أما المعرفة العامة ، أو المعممة بالأقليات المسلمة ، فإنها تدلنا على المعالم العامة ، وتبين لنا الملامح المشتركة ، وتكشف لنا عن الخصائص الشائعة ، وعلى الرغم من أهمية العام ، فإننا لا يمكن أن نستغني عن الخاص ، وعلى الرغم من ضرورة المشترك ، فلا يمكن أن نغفل عن المنفرد ، وعلى الرغم من قيمة الشائع فلا يمكن أن نتغاضي عن المتميز . نعم لا سبيل أمامنا إلى الوصول إلى التميز والتفرد والتوحد في الأقلية المسلمة إلا بدراسة البعدين النفسي والاجتماعي معا .

٥ - وإذا كان هذان البعدان انعكاسا لسائر أبعاد الكل المتكامل الذي تنتمي إلى ، بحيث يعتبران خير ممثل لها ومعبر عنها ، فإنهما ، أي البعدين النفسي والاجتماعي ، مؤثران في سائر الأبعاد تأثيرا بارزا لا يمكن إنكاره . ذلك لأن العلاقة بين هذين البعدين ، وهما بعدا مركز ، كما أسلفت ، وسائر الأبعاد ، وهي أبعاد محيط ، وهذه العلاقة علاقة تفاعل وتأثير فإذا كانت أبعاد المحيط ، ومنها ، مثلا ، البعد الجغرافي ، أو الاقتصادي ، تؤثر في ثقافة الأقلية ، ومؤسساتها ، كما تؤثر في إدراكها ، ودافعيتها وسلوكها ، فإن تلك الأبعاد ذاتها ، أي أبعاد المحيط ، تتأثر بدورها بالبعدين الاجتماعي والنفسي . لهذا فإن فهمنا لهذين الجانبين هو فهم لدورهما في سائر الأبعاد ، من جهة ، كما أنه ، من الجهة الأخرى ، يساعدنا في التعامل معهما ومن خلاهما ، في التعامل مع أبعاد جماعة الأقلية الأخرى جميعا .

دراسة البعدين النفسي والاجتماعي في الأقلية المسلمة :

ماذا ندرس في البعدين النفسي والاجتماعي في الأقلية المسلمة ؟ أو ما الخصائص التي

علينا أن ندرسها في كل من هذين البعدين ؟ ثم بعد أن نحدد تلك الخصائص أو نحللها ، كيف ندرسها ؟ أو ما الأساليب والطرائق التي يمكن اتباعها لدراستها ؟
لنبدأ بالإجابة عن السؤال الأول فتتكلّم على :

أولاً - خصائص البعد النفسي للأقليات المسلمة :

وأبدأ فأؤكد أن دراستنا للخصائص النفسية لجماعات الأقليات المسلمة من الممكن، بل يجب أن تكون ، بداية لتأصيل فرع في علم النفس الاجتماعي عندنا للأقلية المسلمة . لا يمكن لعلم النفس الاجتماعي الذي يدرس في جامعاتنا المسلمة العربية أن يبقى محصوراً ، بل مأسوراً ، في ذات الموضوعات التي تدرس في المجتمعات الغربية ، لا بد أن يتسع ، ويتحرر ليشمل دراسات نفسية اجتماعية ذات صلة بحياة المجتمعات المسلمة المعاصرة ، ومن هذه الدراسات دراسة الأقليات ، من حيث استجاباتها لمثيرات بيئتها ومؤثراتها ، وهو لب الدراسة في علم النفس الاجتماعي . هذا أمر يجب أن يهتم به النفسانيون المسلمون العرب المعاصرون ، ذلك لأنه لن ينهض به إلا هم ، ولا يصح أن ينتظروا إلى أن يتولاه عنهم النفسانيون في الغرب أو في الشرق .

ما الخصائص النفسية التي نحتاج إلى دراستها في الأقلية المسلمة ؟

أ - خصائص إدراكية ، وتشمل هذه الخصائص ما يلي :

- ١ - إدراكهم لذاتهم .
- ٢ - إدراكهم لمجتمع الأغلبية .
- ٣ - إدراكهم للأمة الإسلامية .
- ٣ - إدراكهم للإسلام .

ب - خصائص دافعية ، وتشمل ما يلي :

- ١ - دافعية الإنجاز عندهم بصفة عامة .
- ٢ - دافعية الإنجاز عند الشباب منهم بصفة خاصة .
- ٣ - مستويات طموح شبابهم وتطلّعهم .
- ٤ - درجة ثقتهم بأنفسهم .
- ٥ - توكيد الذات عندهم .

ج - خصائص سلوكية ، وهذه تشمل ما يلي :

- ١ - مدى استمساكهم بالنظام .
 - ٢ - درجة احترامهم للوقت .
 - ٣ - درجة التزامهم بالاتفاق .
 - ٤ - مستوى حرصهم على النظافة .
 - ٥ - مسايرتهم ومغايرتهم لقيم الأقلية .
 - ٦ - مسايرتهم ومغايرتهم لقيم الأغلبية .
- د - خصائص انثائية ، وتشمل ما يلي :

- ١ - انتماءهم إلى جماعاتهم الصغيرة المباشرة ، (مثلا ، الأسرة ، الأصدقاء ، العمل ، الجوار) .
- ٢ - انتماءهم إلى جماعة الأقلية ذاتها .
- ٣ - انتماءهم إلى الأمة المسلمة على اتساعها .
- ٤ - مستوى المسؤولية الاجتماعية عندهم .

ثانياً - خصائص البعد الاجتماعي للأقليات المسلمة :

وهنا أيضاؤكد الحاجة إلى تأصيل فرع في علم الاجتماع عندنا يختص بدراسة الأقليات المسلمة اجتماعيا ، من جهة ثقافتها ، ومؤسساتها . إن مثل هذا الفرع في علم الاجتماع ، مع نظيره في علم النفس الاجتماعي ، يتعاونهما ، سوف يؤديان إلى ما ترجوه الدراسة الحالية هذه من الوصول إلى فهم للأقليات المسلمة ، قائم على الدراسة العلمية المنهجية السديدة ، ذلك الفهم الذي يمكن اتخاذه ، دون غيره ، أساسا قويا للتصدي لأية مشكلة نفسية اجتماعية تتعرض لها أقلية من الأقليات المسلمة ، وأساسا متينا للتعامل العملي ، والمعالجة التطبيقية ، والمعاونة الإنمائية ، في كافة شئون الأقلية المسلمة . ولنسأل : ما الخصائص الاجتماعية التي نحتاج إلى دراستها في الأقليات المسلمة ؟

أ - خصائص ثقافية ، وتشمل ما يلي :

- ١ - خصائص اللغة أو اللهجة أو اللهجات الخاصة وعلاقتها باللهجات الأخرى التي تتعامل معها .
- ٢ - القيم المميزة للأقلية المسلمة وعلاقتها بقيم الأغلبية .
- ٣ - تقاليد جماعة الأقلية وأعرافها وعلاقتها بتقاليد جماعة الأغلبية وأعرافها .

ب - خصائص تنظيمية وتشمل ما يلي :

١ - الجماعات الصغيرة في الأقلية المسلمة ، مثلا (جماعات الأصدقاء والجوار ، والعمل) .

٢ - إرتباطات هذه الجماعات وعلاقتها وتفاعلاتها .

٣ - أنشطة هذه الجماعات .

٤ - المستويات الاجتماعية والاقتصادية في الأقلية المسلمة وعلاقتها بمثيلاتها في جماعة الأغلبية .

ج - خصائص قيادية ، وهذه تشمل ما يلي :

١ - أنواع القادة في الجماعات الصغيرة .

٢ - أنواع القادة في الجماعات الكبيرة .

٣ - إعداد القادة .

٤ - القيادات من الأقليات في المنظمات والمؤسسات الثقافية والاقتصادية والإدارية والسياسية والعسكرية .

د - خصائص إعلامية ، وهذه تشمل ما يلي :

١ - الإعلام الإخباري .

٢ - الإعلام الترويجي .

٣ - الإعلام الديني .

٤ - الإعلام الموجه من منظمات غير إسلامية .

هـ - خصائص تعليمية ، وتشمل ما يلي :

١ - التعليم العام .

٢ - التعليم العالي .

٣ - التعليم الديني .

٣ - إعداد المربي المسلم .

و - خصائص أسرية ، وتشمل ما يلي :

١ - درجة تماسك الأسرة في الأقلية المسلمة .

٢ - علاقاتها مع سائر أسر الأقلية المسلمة .

٣ - موقف أسرة الأقلية المسلمة من أسر الأغلبية .

كانت تلك إجابة السؤال الأول عن : ماذا ندرس في البعدين النفسي والاجتماعي للأقلية المسلمة ؟ أو ما الخصائص التي يجدر بنا أن ندرسها في هذين البعدين ؟ ونلنفت الآن إلى السؤال الآخر ، وهو كيف ندرس هذين البعدين ، أو على وجه أدق ، كيف ندرس خصائص هذين البعدين ؟

أبدأ بالإشارة إلى أربعة أمور عامة ، وهامة ، بالنسبة إلى أسلوب دراسة البعدين النفسي والاجتماعي للأقليات المسلمة :

أولهما : أن علينا أن نفيد من كل ما هو متاح من أساليب حديثة في الدراسات النفسية والاجتماعية ، سواء في تصميم الدراسة أو في الأدوات التي تستخدم ، هذا ، مع مراعاة ملائمة هذا جميعا لنوع دراستنا ، بل إنه من الممكن إنشاء ، وابتكار ، أساليب ، وأدوات جديدة .

أما الأمر الثاني : فهو أن دراستنا للبعدين النفسي والاجتماعي في الأقليات المسلمة لا ينبغي أن تقف عند الدراسات الامريكية الميدانية التي تعتمد على الأرقام والإحصاء ، إذ على الرغم من أهمية هذا النوع من الدراسات ، فإنها ، وحدها لا تكفى ، ولا يمكن الوقوف عندها ، كما يحدث في كثير من دراساتنا النفسية والاجتماعية .

والأمر الثالث : هو ضرورة أن نتعرف ، تعرف إحاطة ، وندرس دراسة عمق . ونفحص ، فحص إفادة ، ما تقوم به المؤسسات المعاصرة ، قومية كانت أم عالمية ، مما ينشئه أصحاب الديانات الأخرى ، أو أصحاب المذاهب المختلفة من دراسات للأقليات التي تنتمي إليها في شتى بقاع العالم . لا يمكن أن تكون المؤسسات الإسلامية العلمية أقل منها حرصا على الدراسة المنتظمة للأقليات المسلمة ، ولا بد أن تفيد هذه المؤسسات من مناهجهم وأساليبهم ، وطرائقهم ، في دراسة أقلياتهم ، كما تفيد من إجراءاتهم ، وأعمالهم المعاونة لحماية تلك الأقليات ، بل الحرص على زيادة أعداد المعتنقين لديانتهم ومذاهبهم ولا يملك العمل الإسلامى المعاصر إلا أن يواكب تلك الحرب الخفية ، والمعلنة أحيانا ، إن لم ينتصر فيها .

ولن يكون له هذا ، إلا إذا واجهها علما بعلم ، ومنهجيا بمنهج ، وتنظيما بتنظيم . ولا يصح أبدا أن نرفض أسلوبا من أساليب الحرب ، أو أداة من أدوات القتال ، بدعوى أنها تنتمي إلى المسيحية أو اليهودية ، أو غيرها إذا وجدنا فيها قوة لنا ، وزيادة في فعاليتنا في مواجهة الحياة . يصح هذا في أساليب دراسة الأقليات المسلمة وأدواتها كما يصح في كل ناحية من نواحي جهادنا الإسلامى المعاصر .

أما الأمر الرابع والأخير : فهو أن المنهج الذي نتبناه في دراسة الأقليات يجب أن يتميز بتلك الخصائص التي مرت بنا الإشارة إليها ، ألا وهي : الواقعية والواقعية ، والشمول المتكامل ، والوضوح واليسر ، ثم المرونة .

ويمكن أن نحقق الدراسة العلمية للبعد النفسي والاجتماعي عن طريق أشكال ، أو صور من الدراسات هي :

أ - الدراسات النظرية للأقليات المسلمة :

فقد سبقت منذ قليل الإشارة إلى أهمية الدراسة النظرية ، والحاجة إليها ، إلى جانب الدراسات الميدانية . وأعني بالدراسات النظرية ، تلك التي تحاول وضع تصورات أو نظريات عن الأقليات المسلمة ، سواء للبعد النفسي ، أو البعد الاجتماعي ، أو قد يكون تصورا عن أقلية مسلمة بعينها ، من حيث بعدها النفسي ، أو بعدها الاجتماعي . هذه الدراسة النظرية تكون بمثابة :

١ - الموجه العام للبحوث والدراسات الفرعية حيث تبين الأمور والعوامل والمتغيرات التي تحتاج إلى دراسة .

٢ - الرابط الذي يربط بين نتائج الدراسات الجزئية المتناثرة والمتباعدة .

٣ - المنسق بين نتائج الدراسات المختلفة ، نفسية أو اجتماعية ، عن الأقليات المسلمة ، بحيث تضعها في أنساق ، أو منظومات عامة تتكامل فيها نتائج الدراسات المختلفة ، سواء بالنسبة إلى الأقليات المسلمة كلها ، أو في منطقة ما ، أو بالنسبة إلى أقلية مسلمة بعينها . أي إننا في حاجة إلى دراسات نظرية ، أو نظريات نفسية واجتماعية عن الأقلية المسلمة ، ويجب أن يكون لها مكان بين دراساتنا للأقليات المسلمة .

ب - الدراسات الميدانية :

وهي الدراسات التي تعتمد على الاتصال المباشر بواقع الجانبين النفسي والاجتماعي للأقليات المسلمة ، كما تعتمد على الوقائع الامبريقية ، والبيانات العيانية عن الأقليات . ولهذا النوع من الدراسات أصوله وأساليبه وطرائقه وأدواته وتقنياته ، التي يمكن الاستفادة منها فيها . غير أن الشرط الأهم ، حتي تكون لهذه الدراسات قيمتها الحقيقية ، فهو أن تكون دراسات قائمة على : الألفة ، والمخالطة ، والمشاركة ، والمعايشة لجماعات الأقليات المسلمة . إذ لا يكفي أبدا أن نراعي ، في مثل هذه الدراسات الشروط والقواعد والأصول العامة للبحث العلمي ، ثم نقف من الأقلية المسلمة التي ندرسها موقفا متناثيا متباعدا ، لا ، لأن الأقلية المسلمة ليست جماعة غريبة بعيدة هناك تدرس وتفحص ، بل إنها جماعة من الإخوة في غربة ،

معاونات دراسة البعدين النفسى والاجتماعى فى الأقليات المسلمة :

نجاح الدراسات السابقة جميعا إلى معاونات تؤيدها ، وتشجعها وتحث خطاها **يحتاج** وتحقق لها الاتصال والاستمرار والتكامل ، هذه معاونات هي :

١ - مركز مختص بالدراسات المتصلة بالأقليات فى أبعادها كلها ، يكون بمثابة الموجه الأعلى ، والمنسق الأشمل ، للجهود العلمية فى مجالات دراسات الأقليات المسلمة .

٢ - أقسام علم النفس ، وأقسام علم الاجتماع فى الجامعات الإسلامية والعربية وتتلخص معاونتها فى تبني كثير من الدراسات النفسية والاجتماعية التى أسلفت الإشارة إليها .

٣ - ولعل أهم ما يمكن أن تقدمه هذه الأقسام هو تشجيع نشأة فرع فى علم النفس الاجتماعى للأقليات المسلمة فى أقسام علم النفس ، ونشأة فرع فى علم الاجتماع للأقليات المسلمة فى أقسام علم الاجتماع . إذ لا شك فى أن نشأة مثل هذه الفروع سوف يمثل الإطار العلمى الذى تتحرك فيه البحوث فى هذين المجالين . هذا فضلا عن أنهما سوف يكونان بمثابة القوى الحائلة والحافزة لإجراء مثل تلك البحوث .

٤ - وإن تنظيم عمليات التوثيق والنشر والتعريف ، وحفظ المعلومات الخاصة بالأقليات المسلمة ، يعتبر من أكبر معاونات على البحث العلمى فيها . وإن وجود مركز مختص بدراسات الأقليات المسلمة والمقترح فى رقم (١) أعلاه مما ساعد على توافر هذا العون القيم .

٥ - ومما يعاون أكبر المعاونة فى إجراء بحوث الأقليات المسلمة ، تدريب أفراد من العلميين فى الأقليات ذاتها على إجراء البحوث العلمية ، بحيث يمكنهم المشاركة الفعالة مع الباحثين ، بل يمكنهم القيام ، هم بأنفسهم ببحوث مستقلة فى الجانبين النفسى والاجتماعى ، فى أقلياتهم ذاتها .

٦ - وأخيرا ، تيسير الزيارات الميدانية للدارسين ، قدر الإمكان ، لمجتمعات الأقليات ، إذ لا غنى عن المشاركة والمعايشة للوصول إلى التعرف الدقيق والفهم العميق والدراسة المستبصرة ، هذا مع تيسير زيارات الأفراد العلميين فى الأقليات المسلمة لمراكز البحوث وأقسامها فى الجامعات العربية والإسلامية .

هذا ، والله نسأل أن يهديننا فى النوايا إلى أخلصها ، وفى المقاصد إلى أشرفها ، وفى السبل إلى أرشدّها . إنه نعم المولى ، ونعم النصير .

نحس بإحساسهم ، ونندوق بأذواقهم ، ونعاني بمعاناتهم ، ونشتاق بأشواقهم . وإنما يكون لنا هذا بأن نعيش بينهم ، وفيهم ، مشاركين ، متعاطفين ، متوادين ، متراحمين ، ونحن ندرسهم وفق أدق مناهج العلم وأرق أساليبه .

ج - الدراسات المقارنة :

ومن الدراسات التي تزيدنا فهما للبعدين النفسي والاجتماعي في الأقليات المسلمة ، تلك التي تقوم على المقارنة بين أقلية مسلمة وأقلية ، أو أقليات أخرى . وقد تكون المقارنة في الإدراك ، مثلا ، أو الدافعية أو السلوك ، كما تكون في المكونات الثقافية ، أو في بنية المؤسسات الاجتماعية ووظائفها . هذا أيضا لون من الدراسات التي يجب أن نشجعها لما لها من قيمة إثرائية في فهمنا للأقليات المسلمة في شتى أركان المعمورة .

د - دراسات تشخيصية :

إذ نحتاج صحة تعرفنا للأقليات المسلمة إلى دراسات تشخص المشكلات وتحدد المضلات ، وتبين النواقص ، وتبرز الأزمات في البعدين النفسي والاجتماعي ، وما من جماعة أقلية ، أو غيرها ، إلا وهي محتاجة ، بين الحين والحين ، إلى مثل هذا التشخيص ، حتى تحسن تقدير موقفها ، وتحدد تحديد موقعها وتختبر صحة مسارها وتقوّمه .

هـ - دراسات تطويرية :

ثم إن الدراسات التشخيصية سابقة الذكر ، هي التي تعين عونا واقعا على إجراء الدراسات التطويرية الإنمائية . ذلك لأن هذا النوع الأخير من الدراسات لا يمكن أن يجري وبطريق ، إلا بعد دراية بالمشكلات والعوائق والعلل القائمة بالفعل ، ولست في حاجة إلى تكرار القول بأن أشد المشكلات والعوائق والعلل تعويقا للتطوير والإثراء هو ما كان في الجانبين النفسي والاجتماعي ، أحدهما أو كليهما .

و - دراسات وقائية :

وهذا نوع من الدراسات التي تركز على المؤثرات السالبة ، أو العوامل المخبطة ، أو الظروف المعاندة ، أو الملامسات المعاكسة ، أو التخطيطات المتدسّسة ، المتلصصة ، الكائنة ، الصائدة في ظلام ، أو من وراء غيوم من الضلالات والأوهام .

الدراسات الوقائية تقوم بكشف قوى التدمير والتعطيل ، تبشيرا ، أو تشويشا ، أو تكديرا ، ثم تحصرها ، ثم تحلل عملها ، ثم تعمل على مقاومتها ، ومعادلة آثارها ، والوقاية من فعلها ، وبصفة خاصة في مجالي الإعلام والتربية . الدراسة العلمية هنا خير وقاء للأقلية المسلمة من مثل هذه القوى التي لا تكل ولا تمل .

الفصل الرابع

المسلمون في الاتحاد السوفيتي والصين

الوضع الراهن للمسلمين السوفييت كما يمثلهم التتار في إقليم كازان

دكتور نادر دولت

الوضع الراهن للمسلمين السوفييت كما يمثلهم التتار في إقليم كازان

د. نادر دولت

يتراوح عدد المسلمين في الاتحاد السوفيتي بين ٤٥ - ٥٠ مليون ، وبذلك يحتل المسلمون السوفييت المرتبة السادسة بين الشعوب الإسلامية من حيث العدد بعد أندونيسيا وباكستان والهند وبنجلاديش وتركيا ، وهم أكثر عددًا بكثير من مسلمي كل من مصر وإيران ، وتطلق صفة الإسلام في الاتحاد السوفيتي عادة على القوم الذين كانوا ينتمون لدين الإسلام وثقافته قبل الثورة البولشفية في عام ١٩١٧ م ومن ثم فإن هذه الصفة لها مدلول قومي وثقافي يتجاوز معناها الديني البحت^(١) .

وغالبية المسلمين السوفييت ينحدرون من أصول عرقية تركية ، وهم يعيشون في منطقة الفولجا - أورال ، وشمال القوقاز ، وفي وسط آسيا وفي مناطق أخرى من الاتحاد السوفيتي ، وبعد انتصار الجيش الأحمر في منطقة الفولجا - أورال في خريف عام ١٩١٨ استعاضت موسكو عن الدولة الواحدة التي كانت قائمة في تلك المنطقة وأسست جمهوريتين صغيرتين : تاتارستان وبشكيريا ولم تمنحهما أكثر من التمتع بالحكم الذاتي ، وكان تفتيت وحدة الشعوب التركية في منطقة الفولجا - أورال مثلاً سارت على نهج موسكو بعد ذلك في المناطق الإسلامية الأخرى ويبلغ عدد المسلمين في هذه المنطقة الآن حوالي ٦٠٥ مليون مسلم^(٢) .

وتضم منطقة شمال القوقاز عدة جماعات عرقية تفصل بينها الجبال المرتفعة ، وتحدث هذه الجماعات عشرات اللغات المختلفة المشتقة كلها من ثلاث أسر لغوية هي التركية والفارسية والابيرية - القوقازية ، ولهذه الجماعات العرقية نظمها الاجتماعية وتقاليدها التاريخية وتوجهاتها الاقتصادية المختلفة ، ولكن يوحد بينها عامل واحد هو الإسلام ، وينقسم هذا الإقليم إلى منطقة

أديج وكراشاي - شركيز المتمتعة بالحكم الذاتي ، كاباردين - بلكار ، وشيشين - انجوش
وشمال أوسيتين ، وجمهورية داجستاني السوفيتية المتمتعة بالاستقلال الذاتي ، ويزيد مجموع
سكان هذه المنطقة على أربعة ملايين نسمة .^(٣)

وهناك ما يقرب من ٦ ملايين مسلم ينتمي معظمهم للمذهب الشيعي يعيشون في جمهورية
أذربيجان السوفيتية وجمهورية ناهشنيان ولهما حدود مشتركة مع إيران وتقعان في منطقة القوقاز ،
وفي الجمهوريات المجاورة لها .^(٤)

وقد تأكد التقسيم الإداري لآسيا الوسطى بتقسيم سياسي ، فبدلاً من الأمة التركستانية التي
كانت تضم شعوب هذه المنطقة أسست السلطات السوفيتية عدة شعوب وقوميات لكل منها
إقليم خاص ولغة مكتوبة خاصة ، ويعتبر شعب الأوزك أكبر المجموعات الست الرئيسية التي
تضم أبناء المنطقة الأصليين ، بينما يمثل شعب كاركالباكس أصغر الشعوب الإسلامية ، وجميع
هذه الشعوب فيما عدا شعب التاجك من أصل تركي ، ويشكل الأوزك غالبية السكان في
جمهوريتهم ، بينما يعتبر الكازك أقلية في جمهوريتهم إذ يتقدم عليهم الروس من الناحية العددية بعد
أن فقد الكازك ما يقرب من مليون شخص فيما بين ١٩٢٦ - ١٩٣٦ بسبب مقاومتهم
لإجراءات الأنظمة الجماعية ، وكذلك يعتبر القرغيز أقلية في جمهوريتهم ، وإن كانوا أكبر
المجموعات التي تعيش فيها مع الشعوب التركية الأخرى وهي الأوزك والتتار ، والايغور ، والكازك
حيث يشكلون أغلبية السكان هناك . أما التركان والتاجك فهم أغلبية في بلادهم ، كما توجد
أعداد كبيرة من التاجك في أوزبكستان^(٥)

وهناك مسلمون آخرون في آسيا الوسطى وهم الكازان - التتار - التتار الكرميون الذين
أبعدوا من بلادهم في ١٩٤٤ - الايغور - الدنجان - وهم المسلمون الصينيون . كما يوجد
أيضاً بعض الأتراك العزيرين والأكراد والبلوخ . ويبلغ مجموع السكان المسلمين في اتحاد
الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ٤٥ مليوناً^(٦) ونظراً لارتفاع معدل المواليد بين المسلمين فإن
تعدادهم لابد وأن يقرب من الخمسين مليوناً .

وتتسم السياسات التي تتبعها الدولة السوفيتية تجاه المسلمين بانعدام التجانس والترابط
المنطقي ، والتي كانت طابع السياسة القيصريّة في يوم من الأيام والواقع أن الهدف الرئيسي للنظام
الجديد ظل ثابتاً ولم يطرأ عليه تغيير منذ عام ١٩١٧ ، فقد شن الزعماء البلاشفة حرباً شاملة ،
ضد جميع الأديان بمجرد توليهم مقاليد السلطة ، وإن اختلفت السياسات التي استخدموها في
سبيل تحقيق هذا الهدف ، مما يعكس مرونتهم التكتيكية ، ولذلك ما إن انقضي العقد الأول من
الحكم الشيوعي الذي كان يسوده نوع من التعايش القائم على أساس هش ، حتى واجه
المسلمون حملة عدوانية ضارية وهجوماً مباشراً على الإسلام لم تخف حدته إلا مع اندلاع نيران

الحرب ، وشهدت فترة ما بعد الحرب نوعا من التعايش أسهمت في إيجاده عدة عوامل من بينها إدراك الزعامة السوفيتية أن الوجه الإسلامي للاتحاد السوفيتي يمكن أن يكون رصيـداً له في علاقاته مع الصحوة الإسلامية التي شهدتها الشرق الأوسط ، مما يحول بين هذه الصحوة وبين « تلويث مناطق الإسلام » أما عن اشتداد الحملة المعادية للإسلام في الصحافة خلال السنوات الأربع الماضية وكثرة الدراسات العلمية عن الإسلام بالتركيز على الإسلام في روسيا ، فإنها تعكس بصفة خاصة بعض الجهود التي تبذلها الزعامة السوفيتية لتشويه الإسلام وإبراز طبيعته المتخلفة وطابعه المعادي لمصلحة المجتمع .^(٧)

كما أن الإجراءات المبذولة التي اتخذت في عهد تشيرننكو توحى بأن الحملة المناوئة للإسلام سوف تستمر بعنف ، فليس هناك ما يشير إلى حدوث تغيير جوهري في موقف السوفييت سواء في المستقبل القريب أم على المدى الأبعد ، لأن مثل هذا التغيير يعادل التفاهم مع أيديولوجية منافسة تبرز الشيوعية في قدرتها على تعبئة الجماهير ، وقد ينتهي بها الأمر إلى نبذ الماركسية اللينينية . وإضافة إلى ذلك فإن الدين الإسلامي مازال في نظر السلطات كما كان عليه منذ خمسين عاما مضت ، مجرد تراث من مخلفات الماضي فيما قبل عصر الاشتراكية ، وأنه ينطوى على مفارقة تاريخية ، بل إنهم ينظرون إليه أولا وقبل كل شيء على أنه عقبة كبرى أمام ظهور الإنسان السوفيتي ، وهي المرحلة الأخيرة للتكافل البيولوجي والثقافي بين الروس والمسلمين .^(٨)

ومما يؤسف له ما نلاحظه من أن النظام السوفيتي يحتفظ بالمسؤولين من أصحاب المناصب الدينية لأغراض دعائية بحتة ، ومن أمثلة ذلك أحمد جان مصطفى إمام وخطيب جامع موسكو ، الذي تلقى تعليمه الديني في إحدى مدارس كازان (؟) وقد صرح مؤخراً في مقابلة صحفية بأنه يوجد مائة جامع وحوالي ١٠٠٠ مسجد في القرى ، وكلها مفتوحة للصلاة^(٩) . ولكننا نعلم أنه كان يوجد على عصر الإمبراطورية الروسية ٢٨٠٠٠ مسجد لم يبق منها اليوم سوى نحو ٤٠٠ مسجد^(١٠) وأكثر من ذلك بات من المعروف أنه لا توجد مدرسة في كازان وعليه فإن الإمام الخطيب المذكور لا يمكن أن يكون قد تلقى تعليمه الديني في كازان ، فلا يوجد في الاتحاد السوفيتي سوى مدرستين تمارسان نشاطهما إحداهما هي براك فان (مدرسة الإمام إسماعيل البخاري حالياً) في طشقند ، والميرى عرب في بخارى ، وكلتاهما تديرهما إحدى دور الإفتاء الأربع ، وهي دار الإفتاء في آسيا الوسطى وكازاخستان ، ونجرجان حوالي ٥٠ خريجاً كل سنة .

وقد تم طبع القرآن الكريم باللغة العربية مرتين في هذه الدار ، وإن كانت لم تشجع مشروعات ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات التركية على خلاف الترجمة التتارية الشهيرة التي وضعها موسى جار الله بيجيف (١٨٧٥ - ١٩٤٩) في عهد آخر القيصرية ، ومازالت الترجمة الروسية

للقرآن الكريم نقلا عن المخطوط غير المكتمل الذى وضعه الأكاديمي الراحل أ . كراكوفسكي
ما زالت الترجمة الوحيدة التي نشرت في العهد السوفيتي ، وقد طبعت في موسكو وصدر منها
٥٠٠ نسخة وبذلك أصبحت من المواد البيبليوغرافية النادرة .^(١١)

وعلى الرغم من أن الدستور السوفيتي لا يمنع المرء من التدين ، إلا أن الشخص المتدين لا
يكون محبوباً وتتضاءل فرصه في التقدم في حياته ، والدعوة للإسلام محظورة حظراً تاماً مع أن
الدعاية للإلحاد فرض على الجميع .

وقام الدعاية الإلحادية في الاتحاد السوفيتي بطريقة منظمة على أوسع نطاق ، فهي من
المهام والواجبات الأساسية لجميع المؤسسات التعليمية على سبيل المثال (ابتداء من رياض
الأطفال حتى الجامعة) ، بل إن الدعاية الإلحادية تبدأ في مدارس الحضانة أيضاً . وتشكل
الإلحادية العلمية جزءاً أساسياً وإجبارياً في مناهج الجامعات في الاتحاد السوفيتي ، ومن أولى
واجبات الدعاية الإلحادية تثقيف المعلمين وإعادة تثقيفهم في مجال الإلحاد العلمي ، ولا يدخرون
وسعا في محاولة إعداد « المعلم الملحد المثالي » ، وقد أضيفت ندوات عن تعليم الإلحاد العلمي إلى
برنامج التدريب السياسي للمعلمين على مستوى المدارس الثانوية وفيما يختص بالعمال فإن إدارات
الدعاية والإثارة التابعة للأحزاب الشيوعية في الجمهوريات المختلفة قد أعدت برنامجا خاصا
لتعليمهم الإلحاد ، ومن واجب منظمات الحزب والكموسمول الإشراف على تأثير الدعاية
الإلحادية في أوساط العمال ، وكذلك توجد في المشروعات الكبرى مجالس خاصة لممارسة
الدعاية الإلحادية ، كما توجد مدارس للإلحاد في كثير من المصانع ، وكما هو الحال في المشروعات
المقامة في المدن ، يفرض على الحزب والمنظمات الاجتماعية في الريف ممارسة الدعاية الإلحادية في
المزارع الحكومية والمزارع التعاونية ، وهكذا تروج جميع المنظمات العامة ووسائل الإعلام
الجماعية للمذهب الإلحادي بشكل أو بآخر ، أما الدعاة المحترفون فلا تقتصر مهمتهم على
ترويج الدعايات المناهضة للأديان في أماكن العمل والتعليم ، وإنما يتعين عليهم أيضا أن يذهبوا
إلى البيوت لإعادة تثقيف المؤمنين وإثارة الاهتمام في نفوس من لا يبالون بالعناصر الدينية بين
السكان ، وتحاول السلطات تدعيم صفوف الدعاة المحترفين بتجنيد أفراد عاديين من المعلمين
والطلاب من التلاميذ والموظفين والعمال ورجال المزارع الحكومية للقيام بهذا العمل . ويكلف
بعضهم بمهمة مقاومة آثار الدين أثناء العمل ، في حين يستند إلى بعضهم الآخر مهمة مقاومة
الدين في وقت الفراغ ، والتقدير المقبول بصفة عامة لعدد المشتغلين بهذه النشاطات هو ستة
ملايين شخص .^(١٢)

وفي جمهورية تاجكستان الاشتراكية السوفيتية وحدها كتبت عشرون رسالة علمية عن
مشكلات الإلحاد العلمي خلال الفترة ما بين ١٩٦٥ - ١٩٨٠ ، كما قدمت ١٢ رسالة

دكتوراه عن « الإتحاد العلمي » فيما بين ١٩٧٨ - ١٩٨٠ كان نصفها تقريباً عن الإسلام^(١٣) . وفي تاجكستان كانت موضوعات الرسائل التي قدمت للحصول على شهادة التخرج في ١٦ مدرسة علياً في العام الجامعي ١٩٨١ - ١٩٨٢ تدور حول التاريخ والإتحاد العلمي نظرياً وتطبيقياً^(١٤) وفي نوفمبر ١٩٨٢ م عقد في موسكو مؤتمر لعموم الاتحاد حول الدراسة المركبة للإسلام ودوره في الصراع السياسي - الأيديولوجي المعاصر^(١٥) . كما اشتركت وزارة التعليم العالي والثانوي التخصصي في أذربيجان مع جماعة الدولة في تلك الجمهورية في تنظيم مؤتمر عن المشكلات المنهجية في الدراسات السوفيتية عن الإسلام^(١٦) . وقد عقد في باكو بتاريخ ٣١ مايو ١٩٨٤ م^(١٦) . ويتضح لنا من هذه الأمثلة أن الدولة السوفيتية تسعى جاهدة للقضاء على هذه العقبة : الإسلام ، ولكن دون أن تحرز نجاحاً يذكر ، ونضرب مثلاً لذلك بما جاء في مجلة العلم والدين في عددها الصادر في أبريل ١٩٨٤ م ، من أن الجهود المبذولة لمحاربة الإسلام في داغستان تواجه عقبات وصعوبات سواء بين الشباب أم الشيوخ ، ويروى س . مسلموف الاختصاصي في مقاومة الأديان ، أن كثيراً من طلاب داغستان يعتقدون أن الدين يخدم غرضاً إيجابياً في المجتمع أو أنه ليس ضاراً على أقل تقدير ومن ثم لا يجب محاربته^(١٧) .

وحتى عهد قريب كانت الجمهوريات السوفيتية الإسلامية يحميها الستار الحديدي من التلوث الخارجي ، أما الآن فقد تضاعفت عدة عوامل مختلفة منها الثورة الإيرانية والحرب في أفغانستان ، وحركة العودة إلى أصول الدين في العالم العربي كل تلك العوامل أضعفت من مناعة ذلك الستار الحديدي ، وبدأت الاتصالات تتزايد الآن بين المسلمين السوفيت وإخوانهم المسلمين في الخارج تتزايد الآن بعد أن كانت قد توقفت في نحو عام ١٩٢٠ ، وهذا الموقف الجديد يعتبر في نظر السلطات السوفيتية إيجابياً وخطيراً في آن واحد ، لأن استئناف هذه العلاقات قد يساعدها بالفعل في التغلغل والغزو النفسي للعالم الإسلامي ، أما إذا فقدت السيطرة على هذه الاتصالات ، فإنها قد تتحول إلى « حزام ناقل » تمر من خلاله الأفكار الهدامة إلى الجمهوريات الإسلامية وتؤدي إلى زعزعة استقرارها^(١٨) . وفي هذا العصر الذي تقدمت فيه وسائل الاتصال الحديثه يواجه الحكام السوفيت تحدياً يتمثل في الإذاعات الأجنبية وخاصة الموجهة منها باللغات التركية وتعني بذلك إذاعة صوت أمريكا بلغات الأوزبك والعزيري ، ورايو الحرية الذي يذيع بلغات التتار والتركان والأوزبك والقرغيز والكراخ والعزيري والتاجك ، وإذاعة المملكة العربية السعودية التي توجه إذاعة بلغة الأيوور ورايو إيران الذي يذيع بالفارسية واللغة العربية ، ولذلك تتعرض هذه الإذاعات لتشويش شديد ، ومن جهة أخرى تتحدث التقارير السوفيتية التي وردت في الآونة الأخيرة عن العثور على أشرطة كاسيت مسجل عليها مواد إسلامية انتشرت في أنحاء آسيا الوسطى السوفيتية وظهرت في كل المؤسسات ومن بينها أندية الضباط ، وتحتوي بعض هذه الأشرطة على خطب آية الله الخميني وغيره من الشخصيات الإسلامية ، تم تسجيلها من الإذاعة

الإيرانية ، إضافة إلى بعض الخطب الدينية من المملكة العربية السعودية .^(١٩) وإن كان هذا التطور الإيجابي من وجهة النظر الإسلامية لا يعني وجود صحوة إسلامية جديدة في الاتحاد السوفيتي .

ولكل مجموعة من المسلمين في الاتحاد السوفيتي صفاتها الخاصة التي تتميز بها وتختلف بها عن غيرها ، وكل منها تحتاج لعناية خاصة ، ورغبة في دراسة أحوال المسلمين السوفيت عن كثب ، سأضرب مثلاً بنموذج معين ربما كان متطرفاً ، وهو حالة التتار والبشكير ، وهم الطوائف المسلمة التي تعيش في منطقة الفولجا - أورال ، وغيرهم يشكلون مثلاً متطرفاً لأنهم كانوا أول من خضع للسيطرة الروسية منذ ٤٣٣ عاماً ، ولذلك فهم أكثر تعرضاً للكبث والقمع ، وعندما نبحث حالتهم نلاحظ أن أغلبية ضئيلة جداً من هؤلاء المسلمين مازالوا يحتفظون بمعتقداتهم الدينية ، وربما كانت حالتهم لا تمثل حال الشعوب الإسلامية الأخرى التي تعيش في الاتحاد السوفيتي ، ولكنها على أى حال تعطينا فكرة عامة عن الأحوال الفعلية للإسلام في الاتحاد السوفيتي .

عندما أصاب الضعف والانحطاط شانيت كازان ، سقطت شعوب منطقة الفولجا - أورال وخاصة التتار والبشكير تحت نير الحكم الروسي ، وتعرضوا لقمع شديد من جانب الأورثوذكسي الروسي ، إلا أن الإسلام وحده هو الذي مكن هذه الشعوب التركية من الاحتفاظ بشخصيتها القومية لأن الإسلام له ماضٍ وجذور عميقة في منطقة الفولجا - أورال ، وكانت دولة البلغار التركية قد اعترفت بالإسلام كدين رسمي للدولة قبل ما يقرب من ٧٠ عاماً من اعتناق الروس للمسيحية كدين رسمي لهم^(٢٠) ويؤكد المفتي تلجات تاج الدين رئيس المجلس الديني الإسلامي للجزء الأوروبي من الاتحاد السوفيتي وسيبيريا أن البلغار في تشان الماس اعتنقوا الإسلام رسمياً في ١٦ محرم عام ٣١٠ هـ الموافق ١٦ مايو ٩٢٢ م^(٢١) وفي أعقاب غزو شانيت كازان (١٤٧٣ - ١٥٥٢) تم تدمير المساجد أو تحويلها إلى كنائس أورثوذكسية ، وقد أيدت الدولة الأعمال التعسفية التي أقدمت عليها الكنيسة الأورثوذكسية الروسية والتي استمرت أكثر من ٢٠٠ سنة ، وكان من بين آثارها إرغام المسلمين على التنصر ، وفي عام ١٧٥٦ تم تدمير ٤١٨ مسجداً من مجموع المساجد التي كانت قائمة في منطقة كازان والبالغ عددها ٥٣٦ مسجداً^(٢٢) ولم يكن مسموحاً للتتار في منطقة الفولجا بناء المساجد والمدارس حتى عام ١٧٥٩^(٢٣) ، ثم اتبعت الإمبراطورة كاترين الثانية سياسة أكثر تحملاً إزاء رعاياها المسلمين ، فتم إنشاء « الإدارة الدينية » في أوقاف بتاريخ ٤ ديسمبر ١٧٨٠^(٢٤) ، وكانت مهمتها الرئيسية اختبار وتعيين القادة الدينيين الذين تتطلبهم جموع المسلمين ، وكانت تلك الإدارة الدينية تعمل في جانب من جوانب نشاطها . أداة رقابة لحساب الدولة ، وفي غضون ذلك كانت الكنيسة الأورثوذكسية الروسية تقوم بالتبشير بين المواطنين من غير الروس تحت حماية الدولة ، وإن كانت

نتائج تلك المحاولات لم تحقق ما كان يعلق عليها من آمال ، وخاصة بالنسبة للتتار الذين رفضوا محاولات تحويلهم عن دينهم ، ويتضح من تعداد السكان الذى أجري في عام ١٧٩٦ أن التتار من سكان إقليم كازان كان تعداد الرجال بينهم ١٠٣٠٥٠ وتعداد الإناث ١٠٨٢٩٠ ، ولم يزد عدد من تم تصديرهم من تلك الأعداد عن ١٣٣٨٤ من الرجال و ١٣٩٢٢ من النساء^(٢٥) .

ونتيجة لإصلاحات كاترين الثانية أصبحت الكتابة باللغة العربية أمراً ميسوراً ، وبدأ المسلمون في إنتاج المؤلفات الدينية أساساً وتوزيعها بين السكان ، وقد تم طبع ٥٧٧ كتاباً في إقليم كازان خلال الفترة من ١٨٠١ - ١٨٥٥ وهو عدد كبير له وزنه بالفعل إذا وضعنا في اعتبارنا أنه في تلك الفترة ذاتها لم يصدر في روسيا سوى ١٤٦٣ كتاباً فقط^(٢٦) ، وخلال الفترة من ١٨٤٢ - ١٨٥٢ تم طبع ٢٣٦٠٠ نسخة من القرآن الكريم و ٤٤٣٠٠ نسخة من الجزء السابع من القرآن الكريم^(٢٧) ، وفي الفترة من ١٨٥٣ - ١٨٥٩ ، بلغ عدد النسخ المطبوعة من المصحف الشريف ٨٢٣٠٠ ، ومن الجزء السابع منه ١٦٥٠٠٠^(٢٨) ، وبحلول عام ١٨٦٨ كان يوجد في إقليم كازان ٧٢٩ مسجداً ، زاد عددها بعد ذلك سنة بعد أخرى^(٢٩) وأسفر النشاط الروحي للفقهاء وأئمة المساجد عن نتائج طيبة ، ففي عام ١٨٠٢ أعلنت أول مجموعة من المسيحيين التتار في إقليم نجني - نوفجورود خروجهم عن الدين المسيحي^(٣٠) ، وقد أضيفت الكنيسة الأورثوذكسية بانزعاج بالغ من جراء ذلك وشرع المبشرون من أمثال المبشر الشهير المنسكيكج (١٨٢٢ - ١٨٩١) في اتخاذ مختلف الإجراءات للإبقاء على التتار المعمدين في حظيرة الكنيسة^(٣١) .

ولم تفتقر عزيمة المسلمين بسبب نجاحهم المحدود ، بل على العكس من ذلك ظهرت أفكار ومبادرات جديدة في صفوفهم ، فقد قوبلت حركة « التجديد » التي أسسها إسماعيل جاسبرالى (٨٥١ هـ - ١٩١٤ م) بحماس شديد في منطقة القولجا - أورال ، وكان هدف تلك الحركة تحقيق الوحدة بين الشعوب التركية في روسيا ، وحدة اللغة ووحدة المبادئ ووحدة العمل - بدأ في إصلاح المدارس الدينية لكي ندرس بها العلوم الدينية إلى جانب العلوم الدينية ، وبفضل الحركة التجديدية تمكن أتراك منطقة القولجا - أورال من استخدام الإسلام كقوة سياسية أيضاً .

وعندما أصبح البيان الذى يضمن الحرية الدينية سارى المفعول في ١٧ نوفمبر ١٩٠٥ ، سمح للشعوب التركية بممارسة شعائرها الدينية الإسلامية ، فارتدت أعداد كبيرة ممن سبق تصديرهم عن الدين المسيحي وفي أبرشية كازان وحدها خرج على الكنيسة ٢٣٨٦٠ من أبناء الإقليم ودخلوا في الإسلام^(٣٢) . وفي الوقت نفسه بدأت أولى المساعي السياسية ، ففي الثامن من أبريل لعام ١٩٠٥ م اجتمع المثقفون المسلمون من مختلف أنحاء البلاد لأول مرة في نجني

فوفجورود^(٣٣) ، وكانت الإدارة الدينية ترعى في عام ١٩٠٧ - طبقا للبيانات الرسمية ٦٠٠٠ محلة ، تضم ٥ ملايين مسلم^(٣٤) ، كما تفيد الأرقام الرسمية أيضا بأنه كان يوجد في إقليم كازان ٦٨٠ كنيسة ودير و ١٨٩٠ مسجدا في عام ١٩١٣^(٣٥) ، وفي عام ١٩١٧ كان يوجد ٢٢٢٣ مسجدا و ٣٦٨٣ إماما في تاتارستان^(٣٦) .

وقد اضطر الشيوعيون السوفييت خلال السنة الأولى للثورة البولشفية إلى عدم اعتبار الإسلام مجرد دين فحسب ، وإنما حركة لها قوتها وفاعليتها السياسية نظرا لأنها تمثل ملايين المسلمين ، ولقد اعترفوا بذلك في السياسة الجديدة التي تبنتها موسكو وأعلنت في البيان الشهير الصادر في ٢٠ ديسمبر ١٩١٧ موجها للعمال المسلمين ، وقد وعدت الحكومة السوفيتية العمال المسلمين حينذاك بمنحهم حرية العقيدة الدينية وممارسة شعائهم ومعتقداتهم دون قيود^(٣٧) . إلا أن الحكومة السوفيتية نقضت وعودها كلها بعد أن تولى الشيوعيون مقاليد السلطة ، فقد تعرض الرعماء الدينيين للاضطهاد ، وأغلقت المعاهد الدينية ، ولم يسمح بالتعليم الديني ، وفرضت ضرائب عالية على الكنائس والمساجد التي استمرت في ممارسة نشاطها ، ولما تبين للقادة السوفييت أن هذه الإجراءات الإدارية غير كافية ، فقد بدأوا في تنظيم حملة دعائية ضد الأديان لعب فيها « اتحاد الملحدنين النضاليين » دورا مهما ، فقد وصل عدد أعضاء هذا الاتحاد في جمهورية التاتار السوفيتية إلى ألفي عضو في عام ١٩٢٦ ، وارتفع هذا العدد إلى ٢٥ ألفا في عام ١٩٣٠ ، أما في بشكيريا فقد بلغ عدد الأعضاء في اتحاد الملحدنين النضاليين ١٢ ألفا في عام ١٩٣٠ ، وارتفع إلى ٤٠ ألفا في عام ١٩٣٨^(٣٨) .

ورغبة من الحكومة السوفيتية في رفع الروح المعنوية للشعوب أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد عدلت عن سياسة الاضطهاد التي كانت تتبعها ضد الدين والإسلام ، وتمكنت الحكومة السوفيتية من استغلال هذا الموقف السياسي الجديد^(٣٩) ، فقد اقترح مفتى أوقاف عبد الرحمن ريزوليف ، وهو من القلائل الذين نجوا من حملة الاضطهاد الديني التي استمرت طوال الفترة من ١٩٣٢ - ١٩٣٨ ، اقترح على ستالين في عام ١٩٤٢ تطبيع العلاقات بين الحكومة السوفيتية والإسلام ، وقد قبل ستالين هذا الاقتراح وأبرمت اتفاقية كان من نتيجتها وضع حد للدعايات المناهضة للدين أو في جانبها الأكبر على الأقل وبذلك استعاد الإسلام وضعه « القانوني » بعد ٣٤ عاما وأصبحت أوقافا مقرأ للإدارة الإسلامية^(٤٠) ، ولكن بعد حرب عام ١٩٥٣ واصل خروتشوف الحملات الإدارية والنفسية تحت شعار « العودة لتعاليم لينين » ، وخفض عدد المساجد « المفتوحة » في الاتحاد السوفيتي كله إلى حوالي ٤٠٠ مسجد ، وعدد الرؤساء الدينيين « المسجلين » إلى ٢٠٠^(٤١) وتفيد المعلومات التي وردت بعد ذلك أنه يوجد في تاتارستان ١٧ مسجدا في عام ١٩٨٢^(٤٢) .

والواقع أن الإدارة الدينية في أوقاف لا تمارس أى سلطة ومثالا على ذلك نشر إلى أنه لا يطبع في أوقاف سوى تقويم باللغة العربية لا يستطيع قراءته إلا من جاوز الستين من العمر ، ومع أن هذه الإدارة مسئولة عن الجزء الأوربي من الاتحاد السوفيتي وسيبيريا ، فليس من المصريح لها أن تنشر أية مطبوعات أخرى وأن تتقف القادة الدينيين ، ولا يتلقى الأطفال في الاتحاد السوفيتي بصفة عامة أى تعليم ديني ، كما لا يسمح للعلماء بمزاولة أى نشاط خارج المسجد ، مثل الدعاية الاجتماعية أو صيانة المستشفيات والمعاهد الدينية أو إلقاء محاضرات أو إصدار مطبوعات^(٤٣) .

ومن بين الإدارات الدينية الأربع هناك إدارة واحدة وهي « المجلس الديني الإسلامي لآسيا الوسطى وكازاخستان » تتمتع بامتياز تثقيف القادة الدينيين ونشر المطبوعات ، ويستغل الاتحاد السوفيتي شعب الأوزبك وعاصمته طشقند في أهدافه التوسعية مثلما كانت روسيا القيصرية تستغل التتار للغرض نفسه ، واعتباراً من عام ١٩٦٥ أحكمت موسكو سيطرتها وقبضتها على الإدارات الدينية الإسلامية الأربع ، فقد أصدر مجلس الوزراء السوفيتي في الثامن من ديسمبر ١٩٦٥ قراراً بإنشاء مجلس الشؤون الدينية ، ومهمة هذا المجلس من الناحية الرسمية هي تنسيق العلاقات مع المسلمين خارج الاتحاد السوفيتي ، وعلاوة على ذلك يتولى هذا المجلس وممثلوه في الجمهوريات والمناطق الإدارية مسؤولية التعاون مع المجالس المحلية^(٤٤) .

إن الإجراءات والدعايات الإلحادية والمناوئة للإسلام والتي اتخذتها الدولة ، واستمرت أكثر من ٧٠ عاماً قد جعلت الالتزام بتعاليم الإسلام ، وانتشار هذا الدين أمراً محالاً ، بل إن عدد المؤمنين أو بالأصح المسلمين الممارسين لشعائر دينهم قد انخفض ، وليس معنى هذا بالضرورة أن الإسلام قد اختفى تماماً من تاتارستان وبشكيريا ، ولما كانت الإجراءات التي اتخذتها السلطات السوفيتية حتى الآن لم تحقق النتائج المرجوة منها ، فقد قرر الزعماء السوفيت خلال السنوات الأخيرة شن حملة دعائية لنشر الإلحاد ، ولمقاومة الإسلام بصفة خاصة ، على أساس فكري ، ونتيجة لذلك صدر في كازان وحدها أكثر من ٢٥ كتاباً مخالفاً للإسلام فيما بين ١٩٦٠ - ١٩٨١^(٤٥) ، وهذه الطريقة أتيت الفرصة لمؤلفي هذه الكتب والمقالات المختلفة لتشويه الإسلام والإساءة إليه وإلى المسلمين دون أن ينتقدهم أحد ، وإشاعة عدم الاستقرار بين المسلمين ، فقد كتب جارييف جوييج التتاري الملحد في الطبعة الثالثة من كتابه « أسرار القرآن » ... « هناك ٢٢٥ تناقضا في القرآن ، ٢٢٥ تناقضا في كتاب الله الذي خلق العالم من لا شيء ، ولننظر إلى الكافر لينين الذي لم يخلق شيئا بله ذبابه ! إنك لن تجد تناقضا واحدا في كتابه الذي يتألف من ٥٥ مجلدا ، وهذا أمر لا ينكره حتى القادة الدينيون المعاصرون »^(٤٦) ، ومن السهل ترديد مثل هذه الأقوال - ما دام من المعروف أنه لا يمكن أن يصدر ما يفندها تحريراً أو شفها في ظل نظام الحكم الاستبدادي ، فليست أمام المسلمين السوفيت أى فرصة للرد على مثل هذه الأقوال أو إبداء رأيهم في هذه الانتقادات .

وهناك بعض الشعائر الدينية مثل الطهارة والتي تأصلت كعادات قومية بين الناس ، يقولون عنها إنها غير صحية^(٤٧) ، كما يثيرون الشكوك حول الصيام وقد أرغم المفتي شاكِر جان شيال الدين في عام ١٩٦١ على إصدار فتوى أعلن فيها أن العمال بمن فيهم عمال المزارع التعاونية لا يجب عليهم الصيام ، وإن كانت فتواه لم تلق قبولا من الأئمة ولذلك توقف نشرها .^(٤٨)

وكانت مدينة كازان تفخر بأنها تضم ١٣ مسجدا في عام ١٩١٧ ، ولم يكن عدد سكانها يزيد على ٢٠٦ آلاف نسمة تصل نسبة المسلمين بينهم إلى ٢٢ ٪ فقط^(٤٩) ، أما الآن فإن تعداد سكان كازان يصل إلى المليون نسمة نصفهم من التتار ، ومن المؤكد أن نسبة كبيرة من هؤلاء التتار من المسلمين ، ومع ذلك لا يوجد لديهم سوى مسجد واحد فقط ، ويقول الإمام زكي صافيولين أن أكثر من ألفي مسلم لا يؤدون صلاة الجمعة في مسجد مرجاني الذي بنى منذ أكثر من ٢٠٠ سنة^(٥٠) وقد سمحت السلطات لستة فقط من شباب كازان بالدراسة في بخارى ، ولا يصرح سنويا إلا لشخصين فقط من المسلمين من منطقة الفولجا - أورال بالسفر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج .^(٥١)

وتشير نتائج الدراسات الاجتماعية الشحيحة والإحصاءات إلى أن السياسة الإلحادية التي طبقت طوال مدة تقرب من ٧٠ عاما قد حققت نتائج إيجابية بالنسبة للزعماء السوفيت ، وأخرى سلبية بالنسبة للمسلمين ، إذ تشير الإحصاءات الرسمية إلى أن نسبة من يعتبرون أنفسهم مؤمنين في تاتارستان ليست مرتفعة ، ومن النتائج التي أسفرت عنها دراسة اجتماعية أجراها المعهد الإلحادي في بنزا أو بلاست أن نسبة المؤمنين بين الروس تصل ٢٨ ر ٤ ٪ ، وأن هذه النسبة ترتفع بين التتار وهم من المسلمين إلى ٣١ ر ٥ ٪ ، وفي جوركوف أو بلاست ترتفع نسبة المسلمين إلى ٦١ ٪ بين نساء التتار ، وتصل إلى ٤٠ ٪ بين الرجال^(٥٢) . والإيمان بالإسلام بين سكان الريف وكبار السن أقوى منه بين سكان المدن ، فقد قرر ٧٣ ر ٩ ٪ من المتقاعدين في جمهورية بشكير ممن تم استجوابهم بأنهم يتمسكون بتقاليد الإسلام^(٥٣) وفي عام ١٩٦٥ كان ٤٠ - ٥٠ ٪ من الآباء في قرى التتار المختلفة يسمون أبناءهم بأسماء إسلامية ، ويجبرون لهم عملية الطهارة ، كما كان ٥٥ - ٦٠ ٪ يعقدون قرآنهم بمعرفة إمام المسجد ، في حين كان ٩٠ ٪ منهم يدفنون موتاهم حسب الشعائر الدينية^(٥٤) .

ويمكن تقسيم المسلمين في منطقة الفولجا - الأورال إلى ثلاث فئات ، تضم الفئة الأولى المسلمين المتمسكين بدينهم ، وتحتهد هذه الفئة في الالتزام بأوامر الدين وتجنب نواهيه ، إلا أن عدد هذه الفئة صغير . أما الفئة الثانية فتتألف في معظمها من كبار السن الذين تلقوا تعليما دينيا ، ولهذا السبب يحافظون على التقاليد الإسلامية ، وهي فئة صغيرة العدد أيضا . أما الفئة الثالثة ، فهي الأكبر عددا ، ويوجد بينها عدد وافر من المفكرين ، وأفرادها ليسوا من المتمسكين

بدينهم ، فعاليبتهم لا تذهب إلى المساجد إلا في الأعياد الدينية فقط ، وإن كانوا يرون من اللائق المحافظة على العادات الإسلامية كجزء من تراثهم الثقافي والقومي .^(٥٥)

وخلاصة القول أن الإسلام كان وما زال جزءا من الشخصية القومية للمسلمين في الاتحاد السوفييتي ، وإذا كان الوعي القومي غير الديني قد ازدادت قوته في الوقت الراهن ، فإن ذلك يعزى سببه إلى الإسلام أيضا .. وقد نجح المسلمون في منطقة الفولجا - أورال في المحافظة على دينهم طوال فترة النشاط التبشيري والأعمال الانتقامية من جانب الدولة والتي استمرت أكثر من قرنين من الزمان ، وعندما أعلنت الدولة الحرية الدينية بعد ذلك ، سنحت لهم الفرصة لتوسعة مؤسساتهم الدينية ، ثم جاء الحكم السوفييتي الذي استمر قرابة سبعين عاما فأصبح من الصعب للغاية بالنسبة للمسلمين السوفييت ممارسة شعائر دينهم ، بل لقد نجح السوفييت في خفض عدد المسلمين بدرجة كبيرة ، وإن كانوا لم يتمكنوا من القضاء على التأثير الإسلامي كجزء مهم من شخصيتهم القومية ، ولو أتيحت الفرصة للمسلمين السوفييت لممارسة شعائر دينهم دون ضغط من الدولة كما هو الحال في عام ١٩٠٥ فمن المؤكد أن عدد المسلمين سوف يزداد في الاتحاد السوفييتي .

FOOTNOTES

1. A. Bennigsen - M. Broxup, **The Islamic Threat to the Soviet State**, Beckenham, Kent, 1983, p. 1.
2. **Naselenie SSSR. Po dannim vsesoyznoy perepisi naseleniya 1979 goda** (Population of the USSR according to Data of the All-Union Census of 1979), Moscow 1980, p. 27-30.

Total population (in thousand) In RSFSR

1970	1979	1979
Tatars 5931	6317	5011
Bashkirs 1240	7688	1291
	----	----
Total	7688	6302

3. *Ibid.*, p. 23-66.

Persian speakers	population (in thousand)	
	1970	1979
Ossetin	488	542
Kurd	89	116
Persian	28	31
Tat	17	22
Beluchi	13	-
Afghan	4	-
Caucasians		
Chechen	613	756
kabardian	280	322
Ingush	158	186
Adige	100	109

Cherkes	40	46
Abhaz	83	91
Abaza	25	29
Daghistanis		
Avar	396	483
Lazgin	324	383
Dargin	231	287
Laks	86	100
Tabasaran	55	75
Rutul	12	15
Tsakur	11	14
Agul	8	12
Dungan (Chinese Muslims)	39	52
Turkic		
Kumuk	189	228
Karachay	113	131
Turk	79	93
Balkar	60	66
Nogay	52	60
	----	----
Total	3554	4197

4. *Ibid.*, p. 10-29.

The total number of Azerbaijanis in 1970, was 4, 380,000 and in 1979, 5,477,000.

Azerbaijanis living in 1979.

Azerbaijan SSR	4,709,000
Nahchevan ASSR	239,000

Georgian SSR	256, 000
Armenian SSR	161, 000
SFSR	152, 000

Total	5,517,000

5. *Ibid.*, P. 27-30.

Major Muslim groups (in thousands)

	1970	1979
Uzbek	9195	12456
Kazakh	5299	6556
Tajik	2136	2898
Turkmen	1525	2028
Kirghiz	1452	1906
Karakalpak	236	303
	-----	-----
Total	19843	26147

6. *Ibid.*, p. 2730.

The Muslim Population of the USSR (in thousands)

	1970	1979
Uzbek	9195	12456
Kazakh	5299	6556
Tatar	5931	61317
Azberbaijani	4380	5477
Tajik	2136	2898

Turkmen	1525	2028
Kirghiz	1452	1906
Bashkir	1240	1371
Karakalpak	236	303
Uighur	173	211
Dungan (Chinese Muslim)	39	52
Muslims of Caucasia	3554	4197
(see f.note 3)		
Crimean Tatars	300	400
(estimate)	-----	-----
Total	35460	44172

- 7 . A.A. Rorlich, «Sufism in Tatarstan: Deep Roots and New Concerns,» **Central Asian Survey**, Vol. 2, Nr. 4, Dec. 1983.
- 8 . A. Bennigsen, «Islam and USSR,» **Geopolitique Contents**, Nr. 7, Fall 1984, s. 54-55.
- 9 . O. Veroispovedaniy, «About Religion,» **Sovietskiy Soyuz**, Nr. 1 (419), 1985, p. 26.
10. A. Bennigsen, **opt. cit.**, p. 55.
11. S.A. Shuiskii, «Muslims in the Soviet State: Islam, a Privileged Religion? (1955-1980),» **Oriente Moderno**, Nr. 7-12, July-Dec. 1980, p. 386.
12. O. Antic, «The Promotion of Atheism in the Soviet Union Today,» **RL** 258/77, November 8, 1977.
13. **Islam V SSAR** «Islam in USSR,» (Moscow: 1983) p. 141.
14. **Ibid.**, p. 141.
15. **Assessment and Research**, Report 905-AK, August 27, 1984, p. VI.
16. **Ibid.**, p. VIII.
17. **Ibid.**, p. 19.
18. A. Bennigsen, **opt. cit.**, p. 60.
19. «The Magnetic Appeal of Islam in USSR,» **Arabia**, March 1985, p. 46.

20. N. Devlet, **1905-1917 Yillari arasinda Ruysa Turklerinin milli mucadele tarihi** (The history of the national struggle of the Turks of Russia between 1905-1917) Dissertation, (Istanbul: 1982) p. 71.
21. Tal'at Tazeev, «Contribution made by Muslims of Tataria to Islamic patterns of Thought,» **Muslims of the Soviet East**, 1980, Nr. 3, p. 4-8.
22. N. Devlet, **opt.cit.**, p. 4.
23. A. Ibrahimof, **Coban Yildizi** (Northern Stern), St. (Petersburg: 1907) 2nd ed., p. 14.
24. N. Devlet, **opt.cit.**, p. 18.
25. J. Glazik, **Die islammission der russisch-ortodoxen Kirche**, (The Islamic Mission of the Russian-orthodox church), (Munster: 1959) p. 112.
26. N. Devlet, **opt.cit.**, p. 13.
27. J. Glazik, **opt. cit.**, p. 151.
28. N. Devlet, **opt. cit.**, p.13.
29. **Ibid.**, p. 9.
30. J. Glazik, **opt. cit.**, p. 114.
31. **Ibid.**, p. 141-142.
32. **Ibid.**, p. 147-148.
33. N. Devlet, **opt. cit.**, p. 111.
34. A. Ibrahimof, **opt. cit.**, p. 27.
35. Sh. Chafizov, **Obrazovanie Tatarskoy ASSR** (Learning the Tatar ASSR), (Kazan: 1960) p. 6.
36. A.A. Rohrllich, «Islam under Communist rule: Volga-Ural Muslims,» **Central Asian Survey**, July 1982, Vol/I, Nr. 1, p.32.
37. G.V. Stackelberg, «The tenacity of Islam in soviet Central Asia,» **The Islamic Review**, Dec. 1966, p. 27.
38. A Hakimoglu, «Forty years of Anti-Religious Propaganda,» **The East Turkic Review**, (Munich 1960) Nr. 4, p. 67-68.
39. G. V. Stackelberg, **opt. cit.**, p. 28
40. A. Bennigsen - M. Broxup, **opt. cit.**, p. 71.

41. **Ibid.**, p. 48.
42. L. Wieland, «Der Schiefe Turm von Kasan (The Oblique Tower of kazan,» **Frankfurter Allgemeine Zeitung**, 27. 3. 1982.
B. Kueppers, «Unter den Minaretts und Kirchenturmen von Kasan in Sowjet-Tatarien (Under the Minarets and church-towers of kazan in Soviet Tataria,» **Deutsche Press Aentur**, 12.3.1982.
43. B. Spuler, Die Muslime Innerasiens in der Gegenwart (The Muslims of Central Asia in the Present Time), **GLAUBE In DER 2, Welt**, 1983, Nr. 1, p. 28.
44. Islam Dini Turbinda Bilishme-suzlik (Dictionary about the Islamic Religion), (Kazan: 1878) p. 151.
45. **Ibid.**, p. 202-206.
46. G. Gobey, **Kuran sirleri** (The secrets of Quran), (Kazan: 1973) 3rd ed., p. 364.
47. **Islam Dini Turinda...**, p. 159.
48. G. Gobey, **opt. cit.**, p. 373.
49. R.K. Valeev, T.M. Ionenko, I.R. Tagirov, «Kazan v 1917 godu (Kazan in 1917), **Stranitsy Istorii Goroda kazan** (The history pages of Kazan city), (Kazan: 1980) p. 66-67.
50. L. Wieland, **opt. cit.**
51. **Ibid.**
52. **Islam v SSSR**, p. 66.
53. **Ibid.**, p. 39.
54. G. Gobey, **opt. cit.**, p. 408.
55. **Islam v SSSR**, p. 68.

**وضع الأقلية المسلمة
في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي
في الصين والمعروف باسم تركستان الشرقية**

غلام الدين باهتا

وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي في الصين والمعروف باسم تركستان الشرقية

غلام الدين باهتا

هذا هو وقت التغيير في تركستان الشرقية ، فقد تهيأت فرص شتى لتحسين وضع المسلمين في جمهورية الصين الشعبية ، وبدون مساعدة العالم الإسلامي فقد تصبح هذه الفترة مرة أخرى من فترات الخطر بالنسبة لأصحاب الأديان المتعايشة في جمهورية الصين الشعبية .

وشرق تركستان المعروفة بهذا الاسم^(١) تسمى أيضا « تركستان » باللغة التركمانية والعربية ويطلق عليها اسم « توران » في المصادر الأوروبية والإيرانية كما تعرف باسم « تركستان الصينية » في المصادر الهندية والبريطانية وكانت تعرف في تاريخ الصين القديم باسم « هس - جو » (غرب) وفيما بعد ومنذ ١٨ نوفمبر عام ١٨٨٤ أحدث تنظيم ، بموجبه أصبح هذا البلد هو الإقليم التاسع عشر للصين وأصبح اسمه سينكيانج ، وذلك في ضوء القرار الذي أصدره الإمبراطور الصيني^(٢) .

وكلمة سينكيانج من أصل صيني وهي تعني « الحدود الجديدة » ، رغم أن رئيس الوزراء السابق شو ان لاي قال إن الاسم الجديد يعني « الأرض الجديدة »^(٣) .

وفي أول أكتوبر من عام ١٩٥٥ قامت الصين بتعديل اسم تركستان الشرقية إلى سنكيانج ويور زيزهيق وهي تعني « إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي » .

الموقع :

يحد تركستان الشرقية ثلاث جمهوريات سوفياتية بوسط آسيا (كازاكستان وكرجيزستان وتاجكستان) في الشمال الغربي وأفغانستان وباكستان والهند في الجنوب وأقاليم التبت

الصينية وكوينجهاى وجانسو في الشرق وتبلغ إجمالى مساحة هذا الإقليم ١,٦ مليون كيلو متر مربع. وتركستان الشرقية هو أكبر إقليم في الصين ويشغل سدس مساحة جمهورية الصين الشعبية وهو أكبر من مساحة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا سوياً .

السكان :

يتكون سكان تركستان الشرقية أساساً من المسلمين التركمان ومعهم جنسيات الاجور والكازاك والكرجز والأوزبك والتتار والتاجك وغيرهم .

وعلى أية حال فإن عدد سكان تركستان الشرقية يقدر بما يزيد عن ١٣ مليوناً^(٤) ومن بين هؤلاء يبلغ عدد الأجور ٤,٥ مليون والكازاك ٨٠٠,٠٠٠^(٥) وبقية الأقليات المسلمة التركمانية ٩٠,٠٠٠ .

وعلى أية حال فقد ظهر مقال في جريدة تصدر في هونج كونج اسمها « كونج باو » أى (الأفق الشرقى) وذكر المقال في العام نفسه وهو ١٩٧٨ م بأن عدد سكان الأجور يبلغ ٧ ملايين نسمة^(٦) وقبل ذلك بعشر سنين كانت التقديرات السوفياتية لعدد سكان تركستان الشرقية (إيجور) تذكر أنهم ٥ مليون^(٧) .

ومنذ أن غزا الروس السوفيات أفغانستان المجاورة بدأت بكين تنظر نظرة جديدة إلى التطور وقامت بدراسة الموقف عن كثب في تركستان الشرقية فبالإضافة إلى الاستعداد العسكرى الواضح فقد كانت استراتيجية الصين الرئيسية في الاستيلاء على تركستان الشرقية تهدف إلى توطين قبائل الهان بها^(٨) وفي الماضي (منذ عام ١٩٤٩) جلبت الحكومة الصينية المركزية إلى تركستان الشرقية ما يقدر بأكثر من ٥ مليون من « الهان » لتضمن سيطرتها على الإقليم وفي عام ١٩٥٣ كان يوجد ٤,٥٧٤,٠٠٠ من السكان من غير « الهان » .

والإحصائيات الحديثة لعدد السكان الصينيين تبين أن هناك ١,٠٣٨,٠٠٠,٠٠٠ نسمة يعيشون في الصين^(٩) فإذا كان هذا الرقم صحيحاً فلا بد وأن يكون هناك أكثر من ١٠ ملايين من الأجور يعيشون في تركستان الشرقية ولا بد وأن يكون معدل سرعة النمو بين غيرهم من الأقليات المسلمة التركمانية أكثر من معدل سرعة النمو بين الصينيين . والواقع أنه قد حدث تغير كبير في نسبة الأجور والكازاك وغيرهم من المسلمين التركمانيين والإيرانيين الذين كانوا يشكلون أكثر من ٩٠ في المائة في الماضي (قبل عام ١٩٤٩) من سكان تركستان الشرقية ووفقاً للبيانات المأخوذة من التعداد الصينى الرسمى في منتصف عام ١٩٥٣ (أى منذ ٣٢ سنة مضت) فإنه يوجد :

٣,٥٤٠,٠٠٠	من الأوجور	٧٤,٦ ٪ من سكان تركستان الشرقية
٧٤٥,٠٠٠	من الكوجاك	٩,٧ ٪
٢٥٩,٠٠٠	غيرهم	٥,٥ ٪
٣٠٠,٠٠٠	«الهان» الصينيون	٦,١ ٪ ^(١٠)

سنة ١٩٦٧

٩,٩٤٣,٠٠٠	من الأوجور (*)	٦١,٨ ٪
٦٤٣,٠٠٠	من الكوجاك	٨,٠ ٪
٣٥٢,٠٠٠	غيرهم	٤,٤ ٪
١,٧٩١,٠٠٠	الهان الصينيون	٢٢,٤ ٪ ^(١١)

سنة ١٩٧٨

٥,٤٠٠,٠٠٠	من الأوجور	٤١,٥ ٪
٨٠٠,٠٠٠	من الكوجاك	٦,١ ٪ ^(١٢)

في هذا التاريخ لم يذكر عدد غير ذلك —

في هذا التاريخ لم يذكر عدد الهان الصينيين —

ملحوظة :

لم تذكر بيانات عام ١٩٧٨ عدد الهان الصينيين ومع ذلك فإن تقديرات السكان لعام ١٩٨١ حددت وجود ٧,٥ مليون من الأقليات وذكرت أن عدد الهان الصينيين يبلغ ٥,٣٠٠,٠٠٠ (٤٧,٦ ٪)^(١٣).

ووفقا لهذه الإحصائيات فإنه يظهر بوضوح أن عدد الهان الصينيين قد ارتفع بشكل كبير وببطء ولكن بطريقة أكيدة ويقتر من أن يصبح غالبية ، بينما يتدرج المسلمون من الأوجور تحت تصنيف الأقلية في « إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي » .

من هم الأوجور ؟

هم قدامى سكان وسط آسيا وتنتمي لغتهم إلى المجموعة التوركية ويرجع تاريخهم الأوجور إلى آلاف السنين « وبالتحديد ولأن الأوجور لعبوا دورا هاما في تاريخ إمبراطورية تانج فإن المؤرخين الذين يؤرخون لهذه الفترة يفردون لهم مكانا كبيرا »^(١٤).

وفي الأزمنة السابقة كان الأوروبيون يعرفون الأوجور على أنهم جزء من « الهون » أما الصينيون فكانوا يطلقون عليهم اسم « هوى هو »^(١٥) وذكرت بعض المصادر الصينية الأخرى أنهم كانوا يعرفون باسم « هسيونج نو »^(١٦) وفي الوقت الحالى يطلق عليهم الصينيون اسم « واى - جور » .

« والأجور » من المسلمين السنيين الذين يتحدثون بلهجة نيو - أوجور وهى جزء من الأسرة الشرقية للغات التوركية . وتشكل تركستان الشرقية الإقليم الوطنى التاريخى للأوجور بل إنهم اليوم يشكلون غالبية السكان فيما يعرف الآن رسميا باسم « سنجان أوجور المتمتعة بالحكم الذاتى داخل جمهورية الصين الشعبية » .

الديانة :

جاء دين الإسلام إلى تركستان الشرقية عام ٩٣٤ الميلادى وقد جاء به إلى الأوجور ستاتوك بوجرا خان الذى اعتنق الإسلام قبل أن يتولى العرش ويصبح حاكم ولاية أوجور كراخانيد وبعد أن أصبح حاكما اتخذ لنفسه اسما مسلما هو « عبد الكريم - ساتوك بوجراخان » ، وهدى معظم التركان من سكان وسط آسيا إلى الإسلام . ويفخر سكان تركستان الشرقية من الحقيقة التاريخية بأن عبد الكريم ساتوك بوجراخان قد بنى أول إمبراطورية إسلامية توركانية في تاريخ العالم في عام ٩٤٠ الميلادى .

وخلال فترة حكم « أسرة كاراخانيد وبعدها » (٨٤٠ - ١٢١٢) ، أصبحت شرق تركستان مركزا رئيسيا من مراكز الإسلام في آسيا وكانت شرق تركستان محورا لنشاط إسلامى ومركزا من مراكز العلم في وسط آسيا ولازال ضريح عبد الكريم ستاتوك خان باقيا في ارتوش قرب كاشجار في شرق تركستان^(١٧) .

وتتمتع الأقليات العربية حاليا بحرية دينية جديدة كما تتمتع باقتصاد جديد مريح وهم يحصلون على تصاريح بالذهاب إلى مكة عندما يتلقون دعوات من المملكة العربية السعودية وعلى أية حال فهناك قيود واضحة على التعليم الدينى وخاصة بالنسبة لجيل الشباب كما تمتع الأقلية المسلمة هناك بحرية غير محدودة بالنسبة للتعليم العلماني .

السياسة الوطنية تجاه الأقليات :

هناك حقيقة معروفة وهى أن شرق تركستان قد أصبحت مستعمرة اقتصادية للصين منذ أن تم غزوها وكل الباحثين السوفيات يقومون بالإشارة إليها بهذا الشكل ، لم يحدث ذلك في السنوات القليلة الماضية فقط ولكن أيضا عندما كانت الصداقة الصينية السوفياتية في ذروتها كانت تركستان دائما تحكم بطريقة استعمارية خالصة حيث كان الصينيون أو المانثوس في أعلى مراكز السلطة وكانوا أحيانا يمثلون طبقة النبلاء في الطبقات الصغرى من السلطة^(١٨) .

والقضية الرئيسية هى تطوير هذه المناطق اقتصاديا واستيعاب الأقليات في الثقافة الصينية . وابتداء من عام ١٩٥٦ م (بعد تسمية سنجان باسم أوجور المتمتعة بالحكم الذاتى وذلك في عام ١٩٥٥) أحدث الحزب الشيوعى الصينى تغييرات في الملابس التقليدية للأقليات المسلمة

وفي طريقة الكتابة وحاولوا تقليص قوة الإسلام ، وفي أغسطس من عام ١٩٥٦ عقد مؤتمر في أرموكي تقرر فيه استخدام أبجدية سيريالية معدلة تعديلا طفيفا لكي تكون هي الكتابة المدونة للأوجور والكازاك والأوزبك والتتار والكوجاك والكرجز وقد تم إدخال هذا التعديل في طريقة الكتابة بناء على مشورة السوفييات وهذه الكتابة السيريالية الجديدة كانت خطوة رئيسية لاقتلاع جذور التعاليم الإسلامية المدونة بالأبجدية العربية والتي كانت تستخدم في الكتابة التوركية المحلية منذ أن أصبحت شرق تركستان دولة إسلامية وخلال « حركة المائة زهرة » وما تلا ذلك من حملات تصحيحية قومية مضادة للمحلية تم تغيير عادات وتقاليده الأقلية المسلمة في تركستان الشرقية وحتى وقت متأخر من عام ١٩٦٠ ازدادت حدة تطرف سياسة الحزب القومية ووفقا لما ذكرته رين ريباو وهي جريدة بكين اليومية (في عددها الصادر في ١ ديسمبر من عام ١٩٥٧) فقد اهتمت قليلا من أصحاب الفكر من الأقلية الإسلامية بأنهم مغالون في الإقليمية وأنهم يشيرون الجماهير ويشوهون سياسة الحزب القومية . وفي ٩ ديسمبر من عام ١٩٥٧ ذكرت نفس الجريدة أن أشخاصا داخل منظمة سينجيانج (تركستان الشرقية) الإسلامية قد تعرضوا للنقد لأنهم وضعوا مصالحهم الدينية الفردية فوق مصالح الدولة .

وعلى النقيض من ذلك فإن قرار عام ١٩٥٦ بإحلال الأبجدية السيريالية محل الأبجدية العربية التي كانت تستخدم لفترات طويلة من قبل الأوجور والكازاك والأوزبك والكرجز والتتار والتجال ثم إصدار قرار معاكس في عام ١٩٥٨^(١٩) (بتغيير الأبجدية السيريالية بالأبجدية الرومانية) وخاصة باعتبار اللغة العربية لغة محظورة بالقانون . كل ذلك كان مأساة للثقافة الإسلامية للطوائف التركمانية ولحياتها الاجتماعية ولتعليم الجيل الناشئ . وفي مارس من عام ١٩٦٠ نشرت جريدة سينجيانج اليومية خطبة مطورة ألقاها سيف الدين عزيزي أول سكرتير عام للحزب الشيوعي في تركستان الشرقية وقال في خطبته « جاهدوا من أجل تحقيق انتصار عظيم للثورة الاشتراكية على جبهة اللغة وجاهدوا من أجل تعزيز تضامن الشعب بكل قومياته » وبعد ذلك جاء دور جايكيلوف رئيس لجنة إصلاح اللغة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي وأفاض في الشرح فقال « لقد وجدنا أن أكثر ما يلائمنا ليس هو الأبجدية السلافية ولكن الأبجدية الرومانية » وكان البرنامج الجديد يعتمد على أخذ الوحدة القومية للصين ومصلحتها العامة في الاعتبار . وكان الهدف النهائي من إصلاح اللغة هو جعل لغة الهان بالترجيح هي اللغة المشتركة للعلاقات الاجتماعية . أما الهدف الخفي لإصلاح طريقة الكتابة فكان رغبة الحزب في إزاحة قبضة الإسلام عن الأقلية المحلية المسلمة وخاصة عن الشباب وبذلك يتم إضفاء الصبغة الصينية على الإقليم وكانت « وحدة الأمة هي محور دعاية الحزب عن الدين خلال عام ١٩٥٨ م وكانت فكرة الوحدة تدور حول إعطاء الهان قوة دفع متزايدة

بحيث يكون لها عواقب متعاطمة في الوقت الذي يوجه فيه الحزب جهوده لإحداث التحول الاجتماعي والاقتصادي الهائل المعروف باسم « القفزة الكبرى للأمام » والذي كان له آثار كبيرة وخاصة على أسلوب حياة المسلمين . تم إدخال نظام الكوميونات في اغسطس من عام ١٩٥٨ . وفي ظل هذا النظام أصبح المسلمون جزءا من الهان (الصينيين) يعيشون معهم ويشتركون معهم في صالات الطعام حيث تقدم أكالات تحتوي على لحم الخنزير وتم إلغاء الأماكن الخاصة بالمسلمين مثل أماكن الوضوء والاستحمام كما تم إلغاء المطاعم التي تقدم الوجبات الإسلامية وكان هناك حث متزايد على التزاوج بين الطوائف ويقال إن المسلمين طالبوا بأن يتم إنهاء إعفائهم من نصوص قانون الزواج لعام ١٩٥٣ لأنهم أصبحوا راغبين في الزواج الأحادي وأنهم بدأوا يدركون مخاطر الزواج المبكر ويودون تطبيق الحد الأدنى لسن الزواج عليهم^(٢٠) .

وقد ألغيت المنظمة الإسلامية الصينية رسميا في عام ١٩٥٨ في نفس الوقت تقريبا الذي بدأ فيه الأئمة يعملون «برغبتهم الثقافية» في الحقول وكانت هناك مصادرة على نطاق واسع للأراضي التي تمتلكها المساجد . والكوارث الاقتصادية والاضطرابات الاجتماعية التي أحدثتها القفزة الكبرى للأمام معروفة للجميع ولا تحتاج إلى مزيد من بيان .

ومنذ أن حدث الاشتباك العلني مع الصين في عام ١٩٦٣ فإن الصحافة السوفياتية نشرت عددا كبيرا من التقارير حول «الحياة السعيدة» للأوجور السوفيت وذلك بقصد عمل مقارنة بينهم وبين القهر القومي والاضطهاد الذي يتعرض له الأوجور في تركستان الشرقية كما كانت التقارير تتحدث عن المعسكرات المقدسة والقهر العسكري للأقليات وتشير إلى هدف يكين من إضفاء الصبغة الصينية على تركستان الشرقية ووجه الاتهام إلى الزعماء الصينيين باتخاذهم سياسة وطنية لاحتواء القوى التقليدية الكبرى وتحيزهم ضد الأقوام غير الصينية والعمل على احتوائهم^(٢١) .

ومن الواضح أن الزعماء السوفيت كانوا يميلون في تعاملهم مع الأوجور الموجودين في أراضيهم إلى إظهار الكرم الزائد بالنسبة لهذه النقاط وذلك لكي يبينوا الفرق بين سياستهم «الحسنة» وسياسة الصين «السيئة» وتحليل التقارير السوفيتية المختلفة عن القهر القومي في تركستان الشرقية يتضح أن التركيز كان يتم على النقاط التالية:

١- عدم وجود كادر إداري وسياسي قومي، واستعمار مناطق الأوجور بواسطة المهاجرين الصينيين . ويقال إنه خلال حركات التطهير عام ١٩٥٨ في جمهورية الصين الشعبية طرد ممثلو الأقليات القومية من مناصبهم وقبض عليهم وأرسلوا إلى معسكرات العمل^(٢٢) وذكر تقرير آخر صدر في عام ١٩٦٧ بأن «كل المراكز الإدارية ومراكز الحزب في الأقاليم القومية قد تم شغلها بواسطة الهان الصينيين . وأن الأعمال المكتوبة تتم باللغة الصينية فقط»^(٢٣) .

وقد كان هناك تركيز شديد على تدمير الثقافة الإسلامية القومية وعلى احتوائها في الثقافة الصينية وذلك من خلال تقديم أمثلة مادية على ذلك .

ويقال إن اللغة التركية للمسلمين كانت تستخدم فقط في السنوات الأولى من التعليم ، وأحد التقارير الصادرة في عام ١٩٦٩ (خلال فترة الثورة الثقافية) يدعى بأنه لا توجد على الإطلاق مدارس تستخدم اللغة القومية وكانت هناك شكاوى من تزوير تاريخ الأقوام غير الصينية وكانت هناك انتهاكات لحرمة الدين وحرمة الأماكن المقدسة للمسلمين في تركستان الشرقية وإساءة معاملة العلماء كما يقال أيضا إنه كان يتم إجبار الفتيات المسلمات تحت التهديد بالموث بالزواج من الصينيين وإن سفاحي ماوتسى تونج الذين لم يردعهم رادع قد بدأوا في إجبار الأجور والكراج وغيرهم من المسلمين على أكل لحم الخنزير وعلى حرق جثث موتاهم ومنعوا المسلمين من دفن موتاهم وفق الشريعة الإسلامية .

وخلال فترة الفوران الجماهيرى الذى عرف باسم « الثورة الثقافية »^(٢٤) كان هناك صراع حول الرعامة وتصادم بين النظريات المختلفة حول أساليب التنمية الاقتصادية كما كانت هناك ضغوط كثيرة أخرى بالإضافة إلى الثورة على أمور الثقافة ، وكان لكل ذلك تشعبات من بينها السياسة التى تتبع مع الأقليات وفى عام ١٩٦٦ تم استيعاب الطلاب الصينيين فى تنظيم أطلق عليه اسم جماعات الحرس الأحمر وطلب منهم (ماو) أن يهدموا حصون السلطة المحافظة وأن يهدموا الأربعة القدامى (الأفكار والثقافة والعادات والتقاليد القديمة) وكانت جرائد الحائط تظهر وعليها رسومات أو عبارات مكتوبة بخط اليد تعبر عن اتجاهات الحرس وكانت دائما تردد آراء الزعماء الراديكاليين وإحدى جرائد الحائط التى كانت تظهر فى بكين فى خريف عام ١٩٦٦ تناولت موضوع الدين وطالبت السلطات (١) بإغلاق المساجد (٢) إلغاء المنظمات الدينية (٣) إلغاء دراسة القرآن وما إلى ذلك وظهر على حائط آخر اقتراح بيرنانج من عشر نقاط لاجتثاث جذور الإسلام ومن بين نقاط البرنامج (١) الإلغاء الفورى للمنظمات الإسلامية فى الصين (٢) مطالبة شيوخ الإسلام بالعمل فى معسكرات العمل (٣) إقامة دفن جثث الموتى على غير الشريعة الإسلامية (٤) إلغاء إقامة الاحتفالات والأعياد الإسلامية^(٢٥) وكان الاتجاه العام للقائمين على توجيه الثورة الثقافية اتجاها لا دينيا . وخلال سنوات الاضطرابات العشرة التى أثارها « عصابة الأربعة » (الزعماء الصينيون الراديكاليون) زادت حدة المعركة ضد الدين الإسلامى ومزقت كل نسخ القرآن الكريم وكتب الحديث وغيرها من الكتب الإسلامية وأغلقت كل المساجد وقبض على علماء الدين وعذبوا وأجبروا على تنظيف المجارى وعلى رعاية وتربية الخنازير^(٢٦) .

وحول موضوع قوميات الأقلية قال ماوتسى تونج « من الضرورى إقامة علاقات طيبة بين شعوب الهان وبين قوميات الأقلية وفى نفس الوقت ينبغي بذل الجهد للتغلب على القومية حيثما

وجدت بين قوميات الأقلية كما أن المغالاة الوطنية للهان والقومية المحلية يشكلان خطراً على وحدة القوميات .. فإن ذلك يسبب وجود تناقضات بين الشعب ولا بد من التغلب على هذه التناقضات »^(٢٧) وفي ٤ أغسطس من عام ١٩٥٧م عقدت ندوة في كنجداو في إقليم ستاندونج الصيني عن « بعض التساؤلات حول السياسة الخاصة بالقوميات » وقال شوان لاي « إننا نعارض نوعين من المغالاة القومية الكبرى (وفي الصين يمثلها مغالاة الهان القومية) والمغالاة القومية المحلية مع التركيز على القضاء على مغالاة الهان القومية وكلتا المعالجتين إفصاح عن قومية بورجوازية ونحن لا يمكننا الاعتماد فقط على شعب الهان »^(٢٨) وكان شوان لاي على حق من ناحية أنه لا يمكن الاعتماد على الصينيين في موضوع يتعلق بحقوق الأقليات الوطنية وكتبت جريدة « سينكيانج ريباو » (سينكيانج اليومية) في ١٤ ديسمبر من عام ١٩٦٠ (أي بعد ثلاث سنوات من إلقاء خطبة شوان لاي) كتبت تقول « في جمهورية الصين الشعبية تبلغ نسبة الصينيين (أمة الهان) إلى مجموع السكان ٩٤ ٪/ ونحن نؤيد التحام شعوب الصين وهذه الأمة هي الأمة الصينية ويجب أن نزيد من عدد الزيجات بين الصينيين والأقليات ولا يجب أن يعترض أحد على ذلك ولا يجب على أي أحد أن يمنع ذلك وعلى أية حال فلن يكون أحد قادراً على أن يقف في وجه هذه العملية وكانت هذه الكلمات رداً على مطالبات ماوتسي تونغ ورئيس الوزراء شوان لاي بالنسبة للمشكلات القومية في تركستان الشرقية وعلى النقيض من ذلك يوجد تباين كبير بين السياسة وبين الواقع الذي يواجهه الناس .

ووصلت مجهودات الاستيعاب ذروتها خلال فترة الثورة الثقافية التي استمرت من عام ١٩٦٦م حتى ١٩٧٦م بين غير المسلمين والمستوطنين أو المهاجرين من الهان الصينيين عندما أصبح استخدام الأبجدية العربية محظوراً بحكم القانون وحل محلها الأبجدية الرومانية وتم إحراق الكتب الإسلامية القديمة ونسخ القرآن الكريم وأغلقت المساجد وقام المسئولون من الهان الصينيين بإلقاء خطبهم دون مترجمين .

وإذا ما تم تطوير سنكيانج بالكامل فإنها يمكن أن تستوعب ١٠ أضعاف سكانها الحاليين البالغ عددهم ١٣ مليوناً كما قال أحد كبار مراسلي الصحف الأمريكية الموجودين في أوريجي عاصمة إقليم سنكيانج المتمتع بالحكم الذاتي^(٢٩) وقد أضاف قائلاً « إذا ما تم إعداد الجبال المغطاة بالبرد الكثيف للزراعة ولاستخدام القوة الهيدروليكية وإذا ما تم حل مشكلة تكديس طرق المواصلات فمن المؤكد أن هجرة الهان ستبدأ من جديد . وإن توقع وجود مائة مليون صيني يعيشون مجاورين للجمهوريات الاتحادية السوفيتية بوسط آسيا لا بد وأن يسبب رعباً لموسكو . ولعل أحد الأسباب لذلك هو احتمال نشر جبهة عسكرية عبر الحدود تبلغ ربع القوات المسلحة للاتحاد السوفيتي .

وفي الماضي كان للصين ثلاثة مصادر من المهاجرين الهان هم الجنود المسرحون والمتخرجون من المدارس الثانوية الذين لا توجد وظائف لهم في المدن ، والخارجون على القانون والمنشقون (العناصر الفاسدة) المنفيون من أجل إعادة تعليمه من خلال العمل (وعدد الأشخاص الذين أرسلوا إلى سنكيانج (تركستان الشرقية) لتنفيذ عقوبة (لم يكن معروفا) رغم أن أحد المسؤولين في شهيزي (وهي نموذج جديد لمدينة تضم مجمعا زراعيا شمال أورمكي ، اعترف بأنه يوجد ٣,٠٠٠ شخص من المعارضين للثورية ومن اليمينيين ضمن السكان البالغ عددهم نصف مليون . وربما كان عدد السكان أكبر من ذلك بكثير في المستعمرات المطلوب استصلاحها في عمق الصحراء .

الاقتصاد

يمكن أن تصبح تركستان الشرقية الغنية بمواردها مركزا أساسيا صناعيا آسيويا لو أمكن السيطرة على أمور المناخ والمسافات المتباعدة .

والموارد الطبيعية لتركستان الشرقية هائلة إذ يوجد بها البترول والفحم واليورانيوم وخام الحديد والذهب والكبريت والملح والنحاس والفضة والبلاطين والرصاص والقصدير والليكا والماس والزمرد كما أن هذه الموارد الطبيعية تشتمل أيضا على الغاز^(٣١) ويقول العلماء الجيولوجيون إن مناجم الفحم في تركستان الشرقية يمكن أن تكفي العالم لمدة ٦٠ عاما^(٣٢) ويأمل زعماء الصين في استغلال هذه الموارد الطبيعية لتنفيذ برنامج تحديث البلد .

ومن الناحية الجغرافية فبسبب بعد تركستان الشرقية عن شاطئ البحر من الناحية التاريخية وبسبب بعدها عن بكين وبسبب العلاقات المتوترة بين الصينيين والأقليات العرقية فإن تركستان الشرقية متخلفة بشكل كبير عن جيرانها من الدول والأقاليم الداخلية .

ومنذ عام ١٩٥٠ تدفع بكين بأعداد هائلة من الجنود المسرحين ومن الشباب الحضري المتعلم وغيرهم من الصينيين إلى هذه المنطقة وهذا يتم جزئيا لتوفير الفنيين من أجل التنمية الاقتصادية . ولكن السبب الرئيسي لذلك هو إحداث استقرار في هذه المنطقة التي يقطنها التركستان الثعساء ، والتي يشتبهها الروس .

وإن أكبر نجاح لبكين هنا يكمن في التطوير الاقتصادي فيوجد الآن مصانع للبتر وكيمائيات ومجمع للحديد والصلب ومصانع للماء ومصانع للنسيج ومصانع لتعليب الطعام وقد تضاعفت مساحة الأرض المزروعة ثلاث مرات ويتم ري حوالي ٩٠ ٪ منها^(٣٣) . وتستعد تركستان الشرقية لتنفيذ خطة تحديث طموحة لتحويل غابات الصين الغربية إلى كاليفورنيا الصين وذلك بنهاية القرن الواحد والعشرين ويتوقف نجاح هذه الخطة على مقدرة الزعماء على تحقيق الوحدة العرقية والاستقرار السياسي^(٣٣) .

ويحتاج التحديث في تركستان الشرقية بكل تأكيد إلى مشرفين يمكن الاعتماد عليهم في إدارة القوى البشرية كما يحتاج إلى فنيين مؤهلين وهذه هي أكبر مشكلة يتحمل عبئها الزعماء الصينيون وهي أول مشكلة ينبغي حلها . وبالإضافة إلى ذلك فإن البطالة متفشية بشكل كبير بين المسلمين وتزداد حدتها سوءا .

وللتغلب على هذه المشكلة فإن الزعماء الصينيين يواجهون اختيارين : أن يعطوا أولوية للأنظمة التعليمية أو يلجأوا لنقل العمال المؤهلين من الأماكن الصناعية المكدسة بالسكان مثل شينغهاي إلى مناطق الأقليات في تركستان الشرقية والبدل الثاني لن يكون قرارا مقبولا للأقليات المسلمة التي تشعر بالشقاء من قبل . فإن عدم توافر التعليم وخصوصا بين الأقليات المسلمة إنما يرجع إلى سياسات التمييز التعليمية في الماضي والتي لازالت مستمرة إلى حد ما حتى الآن في مؤسسات التعليم العالي فعلى سبيل المثال ترسل بكين كل عام آلاف كثيرة من الطلاب الصينيين للدول الأوروبية وأمريكا الشمالية للحصول على مؤهلات عليا أو خبرة في مختلف المجالات غير أنه لا يحدث أن يرسل شخص واحد أو فني واحد من الأقليات المسلمة ضمن هذه المجموعات . وفي عام ١٩٨٣ فإن الرئيس زهاو زيانج والسكرتير العام للحزب الشيوعي هو ياويانج قاما بجولة في الإقليم وقررا أن يكون الإقليم هدفا لعملية كبيرة بحيث يصبح أهم مناطق التنمية في الصين خلال القرن القادم .

« من الآن فصاعدا يجب أن نضع تطوير سنكيانج في جدول أعمال التعمير الخاص بكل البلد » هذا ما قاله زهاو زيانج .

وبالنسبة لعصب الصناعة وهو البترول فمن المعتقد أن يكون في تركستان الشرقية قدر هائل من الاحتياطي ويأمل وانج أن يجذب ذلك رعوس الأموال الاستثمارية « سنكيانج ستصبح كاليفورنيا الصين » هذا ما قاله السكرتير الأول للحزب وأكبر زعيم عسكري وسياسي في الإقليم وقد قام وانج إنماو - البالغ من العمر ٧١ عاما - بجولة في كاليفورنيا وتكساس واريزونا في أكتوبر من عام ١٩٨٤ « نعم في الواقع يوجد تفاوت (بين الهان والأقليات) لأنهم غير متساوين اقتصاديا » هكذا قال سكرتير الحزب وانج في مقالة تمت معه في يورمكي « وحيثما يوجد التفاوت (في الداخل) فسوجد خلاف »^(٣٤) .

وفي السنة الماضية بدأت إحدى لجان الحزب تتخذ إجراءات فرض « برنامج للحد من النسل » في تركستان الشرقية التي طردت منها الأقلية المسلمة في الماضي . والآن توجد دعاية ضخمة وبرامج تعليمية وقوانين جديدة ضد الأسر كثيرة العدد في كل أنحاء تركستان الشرقية^(٣٥) .

سياسة القومية الجديدة :

وبالنسبة لموضوع قوميات الأقلية فقد قال ماوتسى تونج «إنها تشكل ٦ في المائة من مجموع السكان وهم يقطنون أقاليم فسيحة من المساحة الكلية للصين ومن الضروري إقامة علاقات طيبة بين شعب الهان وبين الأقليات ويكمن أساس ذلك في التغلب على المغالاة في القومية وفي نفس الوقت ينبغي بذل الجهد للتغلب على القومية المحلية حيثما وجدت بين قوميات الأقلية . وتشكل المغالاة القومية للهان والقومية المحلية ضررا على وحدة القوميات » (٣٦) .

وفي خلال عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧ عندما طلب الحزب الشيوعي الصيني من الجماهير أن تنتقد هذا من خلال ما عرف باسم « حملة المائة زهرة » فقد انطلقت شكاوى المسلمين التركمانين المكتوبة وكانت القائمة الطويلة من الشكاوى تشتمل على البيانات التالية :

- كل المسلمين في كل مكان أسرة واحدة (وليسوا قوميات منفصلة) .
- المصالح الدينية هي المصالح القومية .
- الحزب الشيوعي الصيني يرغب في إلغاء القومية والدين .
- لا يمكن أن يلتقى الدين مع الحزب الشيوعي الصيني إلا كما يلتقى الماء والنار .
- سياسة الحكم الذاتي للقوميات لا معنى لها .
- يجب أن يكون للمسلمين دولة بدون الهان .
- إن رفع النساء المسلمات لسراويلهم (عند العمل في الحقول) إنما هو أمر مخالف للدين .
- المشاركة في المجمعات التعاونية يجرمه الدين .

وقد تعرض هؤلاء المسلمون الذين قاوموا فساد الزعماء للضرب المبرح أو القتل (٣٧) ولم يتمكن الحرس الأحمر في الماضي من أن يمحى الممارسات أو التقاليد الإسلامية .

وكما يقول مسلمو تركستان الشرقية فإنهم دفعوا ثمنا غاليا من حياتهم وممتلكاتهم ليحافظوا على دينهم وعلى شخصيتهم القومية . ورغم البيئة الملبدة بالغيوم التي يعيش المسلمون الصينيون الآن في ظلها فإن حكومة دنج اكزيا وينج أكثر تسامحا بالنسبة للإسلام مما كان عليه الحكام في العقدين السابقين .

والتغيرات الحديثة التي حدثت في السياسة لها تأثير على سكان تركستان الشرقية بالنسبة لأمر الدين واللغة والمجتمع والاقتصاد . وعلى وجه الخصوص هناك تخفيف من حدة القبضة على الأقليات المسلمة في تركستان الشرقية وفي كثير من المناطق العرقية . وتظهر آثار هذه التغيرات بوضوح في أماكن كثيرة ابتداء من يورمكي إلى اسكو وكوشا وتوريان وايلى والتاي

وكاشجار وباركنت وخوتن وهذه التغيرات هي نتيجة لأعمال دنج اكزيا وينج نائب رئيس الحزب هو القوة المسيطرة على زعامة الصين الديمقراطية الشعبية ويشارك معه في ذلك السكرتير العام هويوايانج ورئيس الوزراء زهاوزيانج وقد تحركت حكومة بكين لتخفيف التوتر بين الصينيين الهان وبين الجماعات العرقية بضممان حقوق أعضاء جماعات الأقليات وتمتع الأقليات بحقوق متساوية في ظل القانون وفي داخل الحزب الشيوعي ولكن بالرغم من هذه الجهود ففي أغسطس من عام ١٩٨١ فقد تدهورت العلاقات بين الأوجور في تركستان الشرقية بشكل سيء لدرجة أن أقوى زعيم وهو دنج اكزيا وينج جاء إلى تركستان الشرقية من بكين لعمل مصالحة في الاشتباك السياسي الذي وقع بين الصينيين وبين أعضاء الأوجور في اللجنة الحاكمة للإقليم^(٣٨) ويبدو أن بعضا من جراح المغالاة القومية للهان قد بدأت تلتئم وهناك أعداد متزايدة من الأقليات يتم تدريبهم أو إحلالهم محل الهان الذين يتولون الآن معظم المناصب الرسمية الهامة . والإسلام في تركستان الشرقية قد تحرر جزئيا من ضغوط الوثنية العقائدية . ويستطيع المسلمون الآن تأدية فريضة الحج في مكة (إذا ما دعوا من قبل إخوانهم المسلمين الذين يعيشون في المملكة العربية السعودية) والمساجد مفتوحة وأعيد تأسيس المنظمة الإسلامية لجمهورية الصين الشعبية كما تم تأسيس فروع لها والآن يقوم المسلمون من الأوجور والتركمان ، كما يقوم الإيرانيون المسلمون بارتداء أزيائهم الوطنية وقد أصبح زى ماو الموحد الذي تم ارتداؤه في بقية أنحاء البلد أمرا غريبا في تركستان الشرقية .

وقد أصبحت الشهادة الإسلامية « لا إله إلا الله محمد رسول الله » « أمرا دينيا ولم تعد أمرا سياسيا » هذا ما قاله أحد المسؤولين في المنظمة الإسلامية في بكين عندما سئل إذا كان من الممكن أن تعامل العقيدة بمثل ما كانت تعامل به في الماضي على أنها تهديد للحرب وللدولة وللأيديولوجية الشيوعية^(٣٩) .

وفي تركستان الشرقية ساعد دين الإسلام على إيجاد هوية عرقية ، وبالنسبة للمسلم الورع يعتبر الدين جزءا لا يتجزأ من الجنسية . ومنذ فترة قريبة سأل أحد المراسلين رجلا كان يتكلم اللغة الانجليزية في الشارع « هل أنت أحد الأوجور » فأجاب بكبرياء « نعم . أنا مسلم » وقد وضعت الحكومة خطة لعمل ترجمات للقرآن ولكتب الحديث من اللغة العربية إلى اللغات المحلية وقد نشرت هذه الترجمات منذ فترة قريبة .

وعلى أية حال فهناك حدود واضحة بالنسبة لمجال الأنشطة الدينية للمسلمين . والوحدة هدف رئيسي في كل أنحاء البلد ولا يوجد (في تركستان الشرقية) بالرغم من كل ما يقال عن الوحدة العرقية برنامج رسمي لتعليم الهان الصينية .

وعلى ذلك فالاحتمال قليل في أن يؤدي تغير النظام إلى مزيد من الحرية الدينية . والغريب في الأمر أن أى حكومة جديدة ستكون أقل تسامحا في هذا الشأن وأن أى تغيير في اتجاه التسامح في موضوع الحرية الدينية إنما يتحدد بحاجة الصين إلى الحفاظ على علاقات ودية مع الشرق الأوسط^(٤٠).

وفي إحدى الخطب التي ألقاها وزير الخارجية الصينية هوانج هوا في أوائل عام ١٩٨٠ أشار إلى أنه يمكن تحويل الإسلام إلى أداة سياسية نافعة للنظام الشيوعي في بسط نفوذه في الشرق الأوسط والحد من التوسع السوفييتي في المنطقة^(٤١) وخاصة أفغانستان .

ورئيس الوزراء شوان لاي الذي لم يؤيد الثورة الثقافية وأصبح فيما بعد هدفاً « لعصابة الأربعة » قد حذر من أن التشدد ضد المسلمين سيكون له تأثيرات خطيرة على سياسة الصين الخارجية وبناء على ما أصر عليه فقد فتح مسجدا في كل من بكين وشنغهاي وجوانجزهو (كانتون) من أجل الدبلوماسيين المسلمين والزوار والطلاب^(٤٢).

ومنذ تغيير السياسة ، والاهتمام شديد بتعليم المزيد من الأقليات القومية في تركستان الشرقية ومنح مزيد من الحرية الدينية غير أن تعليم الإسلام في المدارس محظور ويسمح لعدد قليل من الأفراد بالذهاب للحج ، وهناك مستشفى وأطباء غير أن المرضى من الفقراء لابد أن يدفعوا مصاريف العلاج مقدما .

وقد سأل أحد كبار العلماء المسلمين الأجلاء وهو أمير حسين قاضي من تركستان الشرقية منذ فترة قريبة رئيس الوزراء الصينى هذه الأسئلة^(٤٣) :

سؤال : هل ستسمح لمزيد من المسلمين بالتوجه إلى مكة المكرمة لأداء الحج ؟ .

جواب : لا . لا يمكننا السماح بسفر المزيد من المسلمين إلى مكة لأن بلدنا اشتراكية وليس لنا علاقات دبلوماسية مع المملكة العربية السعودية .

سؤال : كثير من المستشفيات لا تهتم بعلاج المرضى من الفقراء إذا لم يدفعوا مصاريف العلاج مقدما . فهل يمكن تغيير هذه اللوائح ؟

جواب : هذا شيء بسيط .

سؤال : أحب أن أسألك إذا كان من الممكن أن نفتح مدارسنا الدينية ؟

جواب : هذا سؤال سياسى أيضا والأطفال الذين لم يصلوا إلى سن الثامنة عشرة لا يمكنهم الالتحاق بمدارس دينية ويمكن لمن تزيد أعمارهم عن ١٨ عاما أن يلتحقوا بالمدارس الدينية .

وحيث أن سكان تركستان الشرقية وخاصة كتاب وعلماء الأقلية المسلمة قد تم إعفاؤهم من العمل في المزارع وفي معسكرات العمل فقد سمح لهم لأول مرة منذ عام

١٩٤٨ بكتابة تاريخهم وبكتابة القصص والشعر ولقد حققوا تقدما ملحوظا خلال فترة بسيطة في مجال الأدب والتاريخ. وينشر حاليا كثير من الكتب القيمة والدوريات والمجلات. ولقد أتاحت لهم الفرصة لكي - يبحثوا عن الحقائق ولكي يحققوا تقدما فعليا في مجال البحوث القومية. وعلى أية حال فقد توقفت فجأة بعض المطبوعات فعلى سبيل المثال توقف صدور بولاج (المصدر أو الربيع) وربما كان السبب أنها كانت تتعمق في سير أغوار التاريخ وقد بدأت بولاج في الظهور في عام ١٩٨٠ م ولكنها توقفت عن الصدور في عام ١٩٨٤ م.

الخاتمة :

وهكذا فإنه في خلال السنوات الخمس الماضية مرت الحياة الدينية والثقافية بفترات من الازدهار والتدهور غير أن حياة المسلمين في تركستان الشرقية قد تحسنت بشكل عام فيما بين عام ١٩٨٠ وعام ١٩٨٥ ويرجع سبب ذلك إلى التطور الهام والحوية الجديدة التي ظهرت في الدول الإسلامية والشرق الأوسط وكان لهذه الدول تأثير ملحوظ على الشؤون الدولية بشكل عام كما كان لها تأثير على السياسة الداخلية والخارجية بجمهورية الصين الشعبية :

- ١ - وهناك فرص إيجابية كثيرة لاستمرار إحياء الحياة الدينية والثقافية للمسلمين في تركستان الشرقية . ويجب على الدول الإسلامية أن تعرف أن هناك مصالح مشتركة بينها وبين بكين في النواحي الاقتصادية والثقافية . وأن على هذه الدول الإسلامية أن تساند الأقليات المسلمة في تركستان الشرقية .
- ٢ - يجب منح شباب الأقليات في تركستان الشرقية منحا دراسية للدراسة في مختلف بلاد العالم والسماح لهم بالبقاء هناك لفترة كافية .
- ٣ - يجب على الدول الإسلامية أن تسهم مساهمات طيبة وترسل فرقا من العلماء إلى تركستان الشرقية لإعادة بناء وإصلاح المساجد القديمة والمدارس الدينية .
- ٤ - يجب على المجتمع الإسلامي في كل أنحاء العالم أن يستخدم الزكاة لدعم الأسر الفقيرة في تركستان الشرقية ولدعم أولادهم العاطلين عن العمل . كما أن المسلمين من المرضى وكبار السن الذين لا يمكنهم دفع نفقات المستشفيات والعلاج الطبي في أشد الحاجة لم يد العون إليهم .
- ٥ - يجب على الدول الإسلامية أن تدعو وأن تبدأ في تبادل العلماء والفنانين والطلاب مع تركستان الشرقية .
- ٦ - يجب على الدول الإسلامية أن تعطي أولوية مطلقة وعناية خاصة لعرض حالات الأقلية المسلمة في مشوراتها حتى يمكن إعطاء العالم الحر مزيدا من المعلومات حول هذا الموضوع وحتى يمكن الحصول على تأييده لقضيتهم .

Footnotes

- 1 - Victor Louis and Harrison Salisbury, **The Coming Decline of the Chinese Empire**, (The New York Times Book Co. Inc., 1979) p. 63.
- 2 - Owen Lattimore, **Pivot of Asia**, P. 50. Hayit Dr. Baymirza, (Otag Yayinlari, 1975, Istanbul) p. 148, **Turkistan Rusyaile Cin arasinda**.
- 3 - Louis Victor and Harrison Salisbury, see footnote on 1, p. 63: Zhou Enlai on National policy, 1957, **Beijing Review**, No. 9, March 3, 1980.
- 4 - **Beijing Review**, No. 8, 1982.
- 5 - **Beijing Review**, No. 9, March 3, 1980. p. 17.
- 6 - **Ta Kung Pao** (Eastern Horizon), Hong Kong, vol. XV11, No. 8, August, 1978.
- 7 - **Komsomol' skia Pravda**, 20 May 1969, p.
- 8 - **Newsday**, July 26, 1982, reported from Urumqi by William Sexton (Newsday's Asia Bureau chief), New York, P. 11, "Chinese Official Data announced"
- 9 - Weisskof, Michael (The Washington Post), **Newsday**, New York, February 11, 1985.
- 10- Data from the official Chinese census of mid-1953, Bruk, p. 91: (**Canadian Slavonic Papers**), « The Uighurs Between China and the USSR. »
- 11- Urumchi (Urumqi) Radio, April 28, 1967. Cited in the **Central Asian Review**, XVI (1981). 208. The Soviets also estimate the present number of Eastern Turkistan's Uighurs at five million. **Komsomol' skia Pravda**, 20 May 1969.
- 12- **Beijing Review**, No. 9, March 3, 1980, p. 17 (Official Data).
- 13- See footnote No. 24 (**Newsday** Report). Official Data).
- 14- Colin, Mackerras, **The Uighur Empire According to the T'ang Dynastic Histories**, (University of South Carolina Press, Columbia,) So. Car., p. 2
- 15- Colin, Mackerras, See footnote No. 9 and p. 224.
- 16- Kwanten Luc, **Imperial Nomad, A History of Central Asia 500-1500**, (University of Pennsylvania Press, 1979) p. 29.
- 17- Mehmet, Acikgozoglu, **Islam Devletleri Tarihi**, (Yeni Asya Yoyinlari, Istanbul,) P. 93.
- 18- Victor Louis and Harrison Salisbury. See footnote No. 1, p. 64.
- 19- **Sinkiang Jih-pao**. 17 Dec, 1959. (Translated in the survey of China Press, No. 2182) Also, **Central Asian Review** XI, 330.
- 20- June Teufel Dreyer, (Professor of Politics). University of Miami, **Central Asian Survey**, Vol. 1, No. 2/3, oct. 1982-Jan, 1983, "The Islamic Community of China," p. 46.

- 21- **Literaturnaia Gazeta**, 16 June 1967.
- 22- Karklins Resma Silde, **Canadian Slavonic Papers**, "The Uighur Between China and the USSR," p. 349.
- 23- A Dynkov, "Peking Chauvinists", **Izvestia**, April 1967, and also **Literaturnaia Gazeta**, 26 sept. 1963
- 24- Rakhimov, also A. Mirov, "Sinkiang Tragedy," **Literaturnaia Gazeta**, 7 May 1969, p. 118; Busakov, **Literaturnaia Gazeta**, 14 June 1967.
- 25- Dreyer June Teufel, "The Islamic Community of China," p. 48.
- 26- Peter Humphrey, **Religion in Communist China**, Autumn 1982.
- 27- **Selected Readings from the Works of Mao Tsetung**, VI, Foreign Language Press. Peking, 1971, p. 460.
- 28- **Beijing Review**, No. 9, March 1980. "Zhou Enlai on National Policy," 1957. It was made at a forum held in Qingdao in east China's Shandong Province on August 4, 1957.
- 29- **Newsday**, July 26, 1982. (Same source as above), New York.
- 30- Myrdal, Jan, "The Silk Road," Pantheon Books, New York, p. 42.
- 31- **U.S. News and World Report**, March 8, 1982, p. 63.
- 32- Same source as above. (**U.S. News and World Report**).
- 33- "Chinese, Turkic Minority in Northwest Live in Uneasy Peace" by Lena H. Sun, **The Washington Post**, January 13 and 14, 1985.
- 34- "Chinese, Turkic Minority in Northwest Live in Uneasy peace," **The Washington Post**, January 14, 1985, p. A13.
- 35- **Xinjian Geziti**, March 30, 1983, No. 13229, p.4).
- 36- **Selected Readings from the Works of Mao Tsetung**, VI. The Question of the Minority Nationalities, Foreign Language Press, Peking, 1971, p. 459.
- 37- Dreyer, June Teufel, Doc. Dr. Goktan Erkut, Orta Dogu Teknik Universitesi, 1984, Ankara, Turkiye, **Cindeki Islam Cemaati**, p. 10.
- 38- **The Washington post**, World News Foreign Service, Jan. 14, 1985.
- 39- **Los Angeles Times**, 27 May 1981.
- 40- "The Islamic Community of China," **Central Asian Survey**, Vol. 1, No. 2/3, Oct. 1982 and Jan. 1983, P. 55.
- 41- Denis A. Smith, "Communist China Reassesses Impact of Islam," **The Journal**, Muslim World League, Vol. 7, No. 11, Sept. 1980, p. 36.
- 42- "Islam Behind the Bamboo Curtain," **Arabia, the Islamic World Review**, September 1981 (No. 1).
- 43- **Voice of Eastern Turkistan**, Vol. 1, No. 3, 1984, Istanbul, p. 52

اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية

محمد إركن البتكن

اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية

محمد إركن البتكن

مقدمة :

إن تركستان هي الوطن الأم لشعب التركمان وإن اسم « تركستان » إيراني الأصل وهو يعني « أرض شعب التركمان »، ويرجع الاسم إلى القرن السابع .^(١)

وقد تم الاستيلاء التدريجي على الجزء الغربي من تركستان بواسطة قيصر روسيا في عام ١٨٦٥، وأصبحت تعرف عندئذ باسم تركستان الغربية وبعد قيام الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٢٢، قسمت تركستان الغربية إلى خمس جمهوريات سميت أوزبكستان وكازاخستان وكيرغستان وتركمنستان وتاجكستان .

وقام حكام مانشو في الصين بغزو الجزء الشرقي من تركستان في عام ١٨٧٦ وتبعاً لذلك سميت تركستان الشرقية ، سنكيانج أو إقليم سنكيانج أوجور المتمتع بالحكم الذاتي .

منطقة تركستان الشرقية :

تبلغ مساحة تركستان الشرقية ١,٦ مليون كيلو متراً مربعاً أي أنها تشكل حوالي سدس المساحة الإجمالية للصين بما في ذلك المستعمرات الصينية مثل التبت ومنغوليا الداخلية، ويحد تركستان الشرقية في الشمال الغربي تركستان الغربية وفي الشمال الشرقي منغوليا وفي الجنوب الغربي أفغانستان وباكستان والهند وفي الجنوب التبت وفي الشرق الصين .

تعداد السكان :

إن آخر تعداد قامت به الصين يحدد عدد سكان تركستان الشرقية بما يزيد قليلا عن ١٣ مليون^(٢) ومن بين هؤلاء يصل عدد الایجور إلى ٦ مليون والكراك مليون والكيرجيز ١٥٠ ألف والأوزبك ١٥ ألف والتتار ٥ آلاف والتاجيك ٣٠ ألف والهويس ٦٠٠ ألف والمونغول ١٥٠ ألف والأعراق المانشوسية ٩٠ ألف وباقي السكان صينيون .
الاقتصاد :

إن تركستان الشرقية بلد غني باليورانيوم والبلاطين والذهب والفضة والحديد والرصاص والنحاس والكبريت والقصدير والميكا والزمرد والفحم والبتروول .
الديانة :

إن كل الشعوب التركمانية التي تعيش في تركستان الشرقية وهم الایجور والكازاك والكيرجيز والتتار والأعراق الهند أوروية من التاجيك والأعراق الصينية من الهويس كل هؤلاء مسلمون وهؤلاء المسلمون يشكلون أكثر من نصف السكان المسلمين في الصين .
وقد حدث خلال حكم ساتوك بواجرا خان حاكم كاراخانيدي أن بدأ أهل تركستان الشرقية يدخلون الإسلام وكان ذلك في عام ٩٣٤ ، وقد اتخذ الحاكم لنفسه اسما عربيا وهو عبد الكريم وأصبح اسمه عبد الكريم ساتوك بواجرا خان ، وكان أول حاكم تركماني اعتنق الإسلام في آسيا الوسطى^(٣) .

وبعد أن اعتنق التركمان الإسلام قام مسلمو تركستان الشرقية بتأسيس حضارة إسلامية شاسعة في المنطقة وتم بناء المئات من المساجد والمدارس والمكتبات^(٤) ، وكان يوجد في كاشجار وحدها ٦ مدارس^(٥) ، وجاء المئات من الطلاب من بلاد أجنبية ليدرسوا في هذه المدارس^(٦) ، وكان يوجد بمكتبة المسعودي - أي في كاشجار حوالي ٢٠٠ ألف كتاب^(٧) .
وفي تلك الفترة ظهر مئات من علماء الإسلام الذين ذاع صيتهم في العالم الإسلامي كما ألقت مئات من الكتب القيمة وقد تم اكتشاف ١٥٠ مؤلفا منها فيما بعد ، وتوجد بعض هذه الكتب في متحف للننجراد^(٨) . ومن بين هذه الكتب يوجد كتاب كتبه العالم التركماني المسلم يوسف حاجب وعنوانه : « كوتات - كوييليك » وكتاب « ديوان لغات الترك » الذي كتبه محمود كاشجاري ، وكتاب « أثابيت الحقائق » الذي كتبه أحمد يوكنكي وكلها كتب معروفة في العالم الإسلامي .

كما أنه في خلال هذه الفترة استخدم التركمان المسلمون الكتابة العربية في تركستان الشرقية .

وكان الإمام حسين خالف في كاشجار هو أول تركماني مسلم في تركستان الشرقية قام

بترجمة معاني القرآن إلى اللغة التركمانية وذلك في القرن الثاني عشر .^(٩)
وكانت الحضارة الإسلامية التي بزغت في تركستان الشرقية قد أخرجت كُتَّابًا وعلماء مسلمين عظاما مثل الإمام البخارى والترمذى والسمرقندى والبيروني والفارابي وابن سينا وأبو معشرى والزخشرى وألونغ بك والعشير نيقاى .
وهذه القوة والمكانة والحضارة التركمانية الإسلامية التي سادت وسط آسيا حوالى ألف سنة انهارت انهيارا شديدا بعد غزو المانشو لتركستان الشرقية .

التاريخ السياسي :

من عام ٢١٠ قبل الميلاد إلى ما بعد ذلك كانت تركستان الشرقية تقع داخل حدود سلالات حاكمة مثل الهون (٢٢٠ ق.م حتى ٣٨٦ بعد الميلاد) والتابغاش (٣٨٦-٥٣٤) والكوكتورك (٥٥٢-٧٤٤) والابجور (٧٤٤-٨٤٠) والكاراخانيد (٨٤٠-١١٢٤) والمونغول التركان (١٢١٨ - ١٧٤٩) .

وانتهز الصينيون الفرص التي ضعفت فيها هذه الدول وشنوا ست غزوات رئيسية على تركستان الشرقية في أعوام ١٠٤ قبل الميلاد و ٥٩ قبل الميلاد و ٧٣ بعد الميلاد و ٤٤٨ بعد الميلاد و ٦٥٧ بعد الميلاد و ٧٤٤ بعد الميلاد غير أن هذه الغزوات لم تحقق نجاحا مستمرا^(١٠) ، كما أن المانشو الذين أقاموا إمبراطورية ضخمة في الصين قاموا بغزو تركستان الشرقية في عام ١٧٥٩ وسيطروا عليها حتى عام ١٨٦٢ ، وخلال هذه الفترة ثار التركان المسلمون في تركستان الشرقية ٤٢ مرة ضد الحكام المانشويين في الصين^(١١) وفي آخر ثورة قاموا بها عام ١٨٦٤ نجحوا في طرد المانشويين من أرضهم وأسسوا دولة مستقلة تحت زعامة يعقوب بك بادا فلات واستمرت هذه الدولة ١٦ عاما .

ولخوف بريطانيا العظمى من التوسع الروسي في تركستان الشرقية فإنها حرصت البلاط المانشوى على غزو تركستان الشرقية مرة أخرى وقامت البنوك البريطانية بتقديم المساعدة المالية لقوات الغزو المانشوية .^(١٢)

هاجمت قوات ضخمة تحت القيادة الشاملة للجنرال زهو زهنج تانج تركستان الشرقية في عام ١٨٧٦ وبعد هذا الغزو تحول اسم تركستان الشرقية إلى اسم سينكيانج ، وضمت إلى إمبراطورية المانشو في ١٨ نوفمبر عام ١٨٨٤^(١٣) وفي عام ١٩١١ قام الوطنيون الصينيون بزعامة الدكتور سون يات بقلب نظام حكم المانشو في الصين وأقاموا جمهورية .

وقام التركان المسلمون في تركستان الشرقية - الذين أرادوا تحرير أنفسهم من السيطرة الأجنبية - بعدة انتفاضات ضد الحكم الصينى خلال تلك الفترة ، وقد نجح التركان المسلمون مرتين في عام ١٩٣٣ وعام ١٩٤٤ في إقامة جمهورية تركستان الشرقية

المستقلة^(١٤) غير أن هذه الجمهوريات المستقلة أطيح بها عن طريق غزو عسكري داخلي ومؤامرات سياسية قام بها الاتحاد السوفيتي .

وفي عام ١٩٤٩ تمت هزيمة الصينيين الوطنيين على يد الصينيين الشيوعيين ، وبعد ذلك أصبحت تركستان الشرقية تحت الحكم الشيوعي الصيني واستسلمت القوات الصينية الوطنية في تركستان الشرقية دون أن تطلق رصاصة واحدة غير أن آلاف من التركمان المسلمين حاربوا قوات الغزو الشيوعي الصيني إلى سنوات قريبة .

اضطهاد التركمان المسلمين في تركستان الشرقية :

بعد أن احتل الشيوعيون الصينيون تركستان الشرقية فإنهم اتبعوا سياسة الاضطهاد المستمر للتركمان المسلمين في هذا البلد ويمكن أن تتضح علامات سياسة الاضطهاد في الآثار الثقافية والاجتماعية - والاقتصادية والدينية التي عمل من أجلها الشيوعيون الصينيون . فتحت التظاهر بالقيام « بالإصلاح الثقافي » ألغى الشيوعيون الصينيون الكتابة العربية التقليدية التي كان التركمان المسلمون في تركستان الشرقية يستخدمونها لمدة ألف سنة تقريبا ، وبدلا من الكتابة العربية استخدمت حروف الهجاء اللاتينية لتلائم صوتيات اللغة الصينية^(١٥) واتخذت خطوات إضافية لإدخال كلمات وتعبيرات صينية^(١٦) وتحت شعار « مخلفات الماضي » أُلّف ٧٣٠ ألف كتاب باللغة العربية بما في ذلك نسخ من القرآن الكريم وكتب الحديث والكتب الدينية^(١٧) . وتحت شعار « الإصلاح الاجتماعي - الاقتصادي » طرد الشيوعيون الصينيون حوالي ٩٦,٩ ألفا من التركمان المسلمين إلى ٣٠ ألف من الكميونات بهدف تحويلهم إلى قطع من الحيوانات من أجل تحطيم روابطهم الأسرية الإسلامية التي تعتبر مقدسة من جانب التركمان المسلمين في تركستان الشرقية^(١٨) وفي هذه الكميونات كان يتم إجبار المسلمين على أن يتقاسموا مع المستوطنين الصينيين الحجرات والمطبخ وغير ذلك من الأماكن وكان يتم إعداد الطعام الإسلامي (الحلال) وغير الإسلامي (الحرام) في نفس المطبخ وأجبر التركمان المسلمون على الزواج من أهالي الصينيين وحوالي (٣٠ - ٤٠) في المائة من الأطفال المولودين في تركستان الشرقية هم نتيجة لهذا الزواج المختلط .^(١٩)

وكانت الحملة الشيوعية الصينية ضد الإسلام حملة قاسية ، فقد بدأ الشيوعيون الصينيون بمصادرة أراضي وممتلكات الوقف متسترين تحت شعار « الإصلاح الزراعي » وذلك بهدف قطع الموارد المالية للمسلمين وإجبارهم على التخلي عن كل الأنشطة الدينية بسبب نقص الموارد المالية^(٢٠) وبعد مصادرة أراضي وممتلكات الوقف حاولوا إجبارهم على الانصياع لأوامرهم السياسية بأن أمروا التركمان المسلمين أن يضعوا صورة ماوتسي تونغ في المساجد وبأن عهدوا إلى الكوادر الشيوعية بنشر مبادئ الشيوعية في أوقات الاجتماعات الدينية^(٢١) .

وكانت معظم المساجد في تركستان الشرقية بها مدارس ابتدائية لأطفال التركان المسلمين . وكانت هذه المدارس إحدى الوسائل الهامة لتدريس الإسلام لأطفال التركان المسلمين وبزعم « توحيد التعليم القومي » فإن الشيوعيين أغلقوا كل المدارس الملحقة بالمساجد وطالبوا بتحويل أطفال التركان المسلمين إلى مدارس ابتدائية أخرى تقوم بتدريس تعاليم ماركس ولينين وماو^(٢٢) وبزعم أن المساجد والتجمعات الإسلامية وتلاوة القرآن « تعوق التقدم » قام الشيوعيون الصينيون بمنع التركان المسلمين من القيام بأمور دينهم^(٢٣) وتم إغلاق ٢٩ ألف مسجد في جميع أنحاء تركستان الشرقية وتم تحويلها إلى ثكنات عسكرية واسطبلات ومجازر إلخ^(٢٤) كما تم القبض على أكثر من ٥٤ ألف إمام وتم تعذيبهم وتشغيلهم بالسخرة في تنظيف المجارى وإجبارهم على العناية بأمور الخنازير وذبحها وأكل لحومها^(٢٥) .

وكان سبب هذه الحملة التي قام بها الشيوعيون الصينيون على الإسلام هو أنهم كانوا يعتبرون الإسلام العقبة الرئيسية في سبيل تحقيق السياسة الشيوعية الخاصة بإدخال التركان المسلمين الموجودين في تركستان الشرقية في دوامة الشيوعية ، وأن الجماعات العرقية التي تعيش تحت تهديد فقد هويتها القومية عادة ما تزداد قوة مشاعرها القومية ، والإسلام هو الهوية القومية للتركان المسلمين في تركستان الشرقية ، فالإسلام ليس مجرد معتقدات وشعائر دينية ولكنه يجمع يجمع المسلمين في تقاليد ثقافية ونفسية واجتماعية واحدة وعادات تحكم طرق الحياة كلها للتركان المسلمين في تركستان الشرقية ، وفقدت كل الشعوب التركمانية - التي اختارت أديانا أخرى غير الإسلام - هويتها القومية فقد كان الهازار والبلغار والكومان والبكين وغيرها شعوبا تركمانية . ويحاول البلغار - الذين كانوا من عرقية تركمانية - أن يضموا التركان المسلمين تحت لواء حكمهم .

ومثل كل البلاد الشيوعية فإن الشيوعيين الصينيين يخشون الإسلام لأنهم يعتبرون الإسلام العقبة الرئيسية في انضواء التركان المسلمين في تركستان الشرقية تحت لوائهم فإذا لم يجتثوا جذور الإسلام نهائيا فإنهم لن يستطيعوا إخضاع التركان المسلمين في تركستان الشرقية لمبادئهم وهذا هو السبب الذي من أجله شن الشيوعيون الصينيون حرب إبادة ضد الإسلام في تركستان الشرقية .

ومن أجل الدفاع عن بلدهم واتمسك بعقيدتهم والحفاظ على هويتهم القومية قام التركان المسلمون في تركستان الشرقية بثان وخمسين ثورة ضد الشيوعيين الصينيين في أعوام ١٩٤٩ - ١٩٥١ ، ١٩٥٤ - ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ - ١٩٦٣ ، ١٩٦٥ - ١٩٦٨^(٢٥) .

وفي خلال سنوات ١٩٥٠ - ١٩٧٢ التي نهض فيها التركان المسلمون في تركستان الشرقية للدفاع عن حقوقهم المشروعة تم إعدام ٣٦٠ ألف شخص^(٢٦) وهرب أكثر من

١٠٠ ألف شخص إلى البلاد المجاورة^(٢٧) وسبق أكثر من ٥٠٠ ألف إلى عشر معسكرات للأعمال الشاقة من بين ١٩ معسكراً موجوداً في تركستان الشرقية^(٢٨).

صحيح أنه كان هناك درجة معتدلة من التحرر الذي كان يؤثر على التركان المسلمين في تركستان الشرقية خلال حكم الزعماء الصينيين الجدد الذين تولوا مقاليد الحكم بعد ماوتسي تونغ ، وكان هذا التحرر موجوداً بشكل كبير في مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والدينية ، ولكن يبدو أن معظم هذه الخطوات التحررية التي وضعت موضع التنفيذ بعد وفاة ماوتسي تونغ مازالت بعيدة عن رضا التركان المسلمين حيث حدث الكثير من الصدامات المسلحة في مدن تركستان الشرقية منذ عام ١٩٧٩^(٢٩) وقد أدت هذه الصدامات إلى نشوب نزاعات بين زعماء التركان المسلمين وبين زعماء الصين^(٣٠). وتكمن جذور هذه الصدامات والقتال والنزاعات الموجودة في تركستان الشرقية في رغبة التركان المسلمين في الحصول على حق تقرير المصير ، وأن التركان المسلمين في تركستان الشرقية يطالبون الشيوعيين الصينيين بالوفاء بعهودهم التي قطعوها على أنفسهم قبل الوصول إلى السلطة في الصين .

وقد أعلن الدستور المؤقت للشيوعيين الصينيين الذي وافق عليه مؤتمر مندوبي العمال والفلاحين في عام ١٩٣١ - أعلن أنه :

« في أقاليم مثل منجوليا والتبت وسنكيانج فإن للقوميات هناك حقها في تقرير المصير سواء في الانفصال عن الجمهورية السوفيتية الصينية أو من دويلاتهم المستقلة أو اختيار الانضمام للاتحاد أو تكوين أقاليم متمتعة بالحكم الذاتي داخل جمهورية السوفيت الصينية »^(٣١).

وفي المؤتمر السابع الذي عقد في عام ١٩٤٥ قال ماوتسي تونغ في تقريره عن التحالف الحكومي أنه يشجب سياسات كوومنطاج القمعية باعتبارها مغالاة في الوطنية ، وقال إن الشيوعيين يوافقون على فكرة سون يات سن بالنسبة للمشكلة القومية والتي تطالب بمنحهم « حق تقرير المصير بعد تولي الشيوعيين أمور السلطة في الصين »^(٣٢).

ولكن بعد أن استولى الشيوعيون الصينيون على السلطة في الصين فإنهم تنكروا لوعودهم الخاصة « بتقرير المصير » وبدلاً من ذلك فإن الشيوعيين الصينيين قرروا تكوين « أقاليم » و « مناطق » و « مقاطعات » متمتعة بالحكم الذاتي ، داخل أقاليم تركستان الشرقية مع تقديم وعد بمنح المساواة للجماعات العرقية التي تعيش في تلك البلد .

والآن تسمى تركستان الشرقية « إقليمًا متمتعًا بالحكم الذاتي » ولكن الواقع أنها لم تمنح حق تكوين حكومة من التركان المسلمين وكل مقاليد الحكومة هي بالكامل في أيدي الصينيين .

وإننا نسوق هنا مثالا قدمه مراسل جريدة تصدر في ألمانيا الغربية باسم « درشبيجيل » ذكره في مقال نشره في نوفمبر من عام ١٩٨٣ حيث يقول :

« رغم أن معظم المراكز الهامة في سينكيانج يشغلها الإيجور فلم يكن من الصعب اكتشاف أن معظم المديرين من الصينيين ، وعندما كان أي رئيس قسم إيجوري يتحدث مع شخص أجنبي فإنه كان ينظر إلى عيني مساعده ليعرف من عينيه إن كان ما يقوله هو الصواب أو الخطأ »

وهذه الكلمات هي إثبات قاطع بأن الصينيين لا يزالون يسيرون على نفس السياسة القديمة وهي « إعطاء المنصب دون السلطة » . وبتنحية الحكم الذاتي جانبا فإن « المساواة » التي سبق الوعد بها منذ فترة طويلة لم يتم الوفاء بها بمعناها الحقيقي بالنسبة للصينيين والتركمان المسلمين في تركستان الشرقية فعلى سبيل المثال إذا تشاجر صيني وتركاني مسلم فإن التركاني المسلم هو الذي يعاقب والهدف هو تخويف المسلمين . وفي المناطق التي يكون فيها القضاة والمدعون ومديرو البوليس من التركمان المسلمين فإنهم يتجنبون معاقبة الشخص الصيني الذي يكون طرفا في مشاجرة مع تركاني مسلم حتى لا يوصفوا بأنهم متعصبون لقوميتهم .

وإذا ما اتخذ أحد التركمان المسلمين بصفته مديرا أو رئيسا لمجلس الإدارة قرارا لصالح قومه ولم يكن لصالح الصينيين فإن هذا المدير أو رئيس مجلس الإدارة يعزل من منصبه مع « ترقية » ويرسل إلى بكين للحصول على مزيد من التعليم حتى يصبح « مؤهلا » للوظيفة الجديدة وكل وظائف المناصب العالية تمنح للصينيين أما الوظائف المهنية والبسيطة فتمنح للتركمان المسلمين ، ويوجد ٣٥٠ شخصا يعملون في فندق كبير في أورومشي عاصمة تركستان الشرقية منهم ٣٥ فقط من التركمان المسلمين والباقيون من الصينيين وفي المحلات الكبيرة في أورومشي يوجد ٨٤ موظفا منهم ١٥ فقط من التركمان المسلمين والباقيون من الصينيين وفي أحد مصانع النسيج قرب أورومشي يبلغ عدد التركمان المسلمين ١٠ في المائة من إجمالي عدد العمال وفي كل أنحاء تركستان الشرقية يكون الموقف بهذا الشكل ولا توجد بطالة بين المستوطنين الصينيين أما بين التركمان المسلمين فنسبة البطالة عالية جدا .

ويدعى الزعماء الصينيون الجدد أنهم يولون التعليم عنايتهم غير أن عدد الأميين في تركستان الشرقية لازال عاليا جدا . (٣٣)

و ٢٦ في المائة من المدرسين العاملين في المعاهد التعليمية العالية في تركستان الشرقية هم من التركمان المسلمين (٣٤) أما الباقيون فهم من الصينيين . وكل الكتب الدراسية المستخدمة في المعاهد التعليمية العالية مكتوبة باللغة الصينية ولذلك يجد خريجو مدارس اللغات الإقليمية صعوبة في اجتياز امتحانات المعاهد العالية لأن أوراق الامتحانات تكون باللغة الصينية ولذلك

يضاير كثير من الآباء الذين يرغبون في أن يلحقوا أبناءهم بالمعاهد العالية أن يدخلوهم منذ البداية في مدارس يكون التعليم فيها باللغة الصينية ، ولسوء الحظ فإن الشبان الذين يكملون تعليمهم في مدارس صينية يعجزون عن التحدث بلغتهم القومية وعندما يتحدثون بها فإنهم لا يستطيعون تبليغ المعنى المراد ولذلك يستخدمون كلمات صينية كثيرة للتعبير عما يريدون وعندما ينسى هؤلاء الشبان تقاليدهم وعاداتهم فإنهم يسلكون سلوك الصينيين ، وبالتالي يتسببون في إحداث رد فعل سلبي بين التركان المسلمين .

ويدعى الزعماء الصينيون أن حرية الكتابة الأدبية ممنوحة للجميع ولكن التركان المسلمين محرومون من وجود أدب حديث خاص بهم و ١٦ ٪ فقط من مطبوعات تركستان الشرقية مكتوبة بلغة التركان المسلمين . (٣٥)

وقد تم إحلال الحروف الأبجدية العربية محل الحروف الأبجدية اللاتينية التي تلائم صوتيات اللغة الصينية غير أن إعادة استخدام الحروف الأبجدية العربية قد سبب متاعب لعشرات الألوف من التركان المسلمين الذين تلقوا تعليمهم بالحروف الأبجدية اللاتينية خلال السنوات العشرين الماضية ، وهؤلاء التركان المسلمون مضطرون الآن لتعلم الكتابة العربية من جديد وإلا فإنهم لن يستطيعوا حتى قراءة الصحف التي تصدر بالكتابة العربية . ورغم أنه قد فتحت فصول مسائية لتعليم الكتابة والقراءة بالحروف الأبجدية العربية فإن التجربة لم تلق نجاحاً كبيراً حتى الآن .

وتركستان الشرقية بلد غني جداً ولكن التركان المسلمين في تركستان الشرقية لا يزالون يعيشون عيشة الكفاف ويقوم الشيوعيون الصينيون بنقل منتجات تركستان الشرقية إلى الصين بما في ذلك الخيول والحمير .

وهناك كتاب عنوانه (المسلمون في الصين) نشر في الصين عام ١٩٦٣ كتبه الكاتب الباكستاني محمد رفيق ، يقول فيه :

« ... بعد أن احتلت الصين الشيوعية تركستان الشرقية فإنها جعلت التركان المسلمين يعملون من أجل الصين وليس من أجل الوفاء باحتياجاتهم .. »

ونفس الموقف كائن في الوقت الحاضر ...

ويدعى الزعماء الصينيون أنهم سمحوا للتركان المسلمين في تركستان الشرقية بالقيام بأعمالهم التجارية الخاصة لتمكينهم من تحسين مستوياتهم المعيشية وأن من يملك قدرًا قليلاً من رأس المال يستطيع أن يدير الآن عملاً خاصاً، غير أن هناك عدداً قليلاً ممن يستفيدون من أعمالهم الخاصة بسبب ندرة رأس المال الخاص بالاستثمار، وبالمقارنة بالقمع الظالم في عهد ماوتسي تونغ فإن السياسة الدينية الحالية لزعماء الصين الجدد تبدو تحررية، وطبقاً لما تذكره المصادر منذ عام ١٩٧٩ فإن حوالي ١٤ ألف مسجد قد فتحت في تركستان الشرقية (٣٦)

وسمح لحوالى ١٥ ألف إمام بتلقين تعاليم الإسلام^(٣٧) وأنه قد تم طبع حوالى ١٥٠ ألف نسخة من القرآن الكريم^(٣٨)، وقد تم ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة التركمانية^(٣٩) وفتحت المعاهد الإسلامية^(٤٠) وسمح لحوالى ألف شخص من تركستان الشرقية بتأدية فريضة الحج في العام الماضي^(٤١)، وكل هذا شيء جميل ولكن لازال الرعماء الصينيون الجدد ينظرون إلى الدين باعتباره قوة سلبية في الصين وذلك كما جاء في الوثيقة رقم ١٩ تحت عنوان «فيما يتعلق بموقف البلد الأساسى بالنسبة لمسألة الدين خلال الفترة الاشتراكية» والذي تم تعميمه بواسطة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصينى في مارس من عام ١٩٨٢ على لجان الحزب في البلد . والجملة الافتتاحية لنص هذه الوثيقة غير مشجعة حيث تقول :

في التاريخ البشرى لابد للدين أن يختفي وستأتي فترة تنظر فيها الغالبية العظمى من المواطنين في هذا البلد نظرة علمية تجاه العالم والحياة ولن يكونوا في حاجة إلى عون رוחي من العالم الوهمي للآلهة ، وأن اللجنة الموعودة التي تحدث عنها ماركس وأنجلز وماو هي الهدف الرائع التي ينبغي على الحزب أن يناضل بشدة من أجل تحقيقها جيلا بعد جيل^(٤٢)، وفي رأي الحزب الشيوعي الصينى فإن الدين في الصين يعتبر من الجذور الرديفة ، وتقول الوثيقة رقم ١٩ ما يلي :

خلال الفترة الطويلة للإقطاع الاجتماعي وخلال القرون الطويلة للمجتمعات شبه الإقطاعية وشبه الاستعمارية فإن كل الأديان في بلدنا - بشكل عام - كان يتحكم فيها ويستخدمها الطبقة الحاكمة وكانت موجودة أساسا لتلعب دورا سلبيا ومن الواضح في الصين الشيوعية أن الحزب الشيوعي الصينى يأخذ على عاتقه مسئولية التحكم في المؤمنين بالأديان ، والحرية الدينية الأصلية أمر لا يخطر على بال أحد والمنظمات الدينية الوطنية المعترف بها رسميا تلعب دورا حاسما في سيطرة الحزب الشيوعي الصينى على المؤمنين بالأديان ، ويوجد حاليا ثمان من هذه المنظمات الوطنية ، وقد تم تحديد الدور الرئيسى لهذه المنظمات على كل المستويات وذلك في الوثيقة رقم ١٩ التي تقول :

« لمساعدة الحزب والحكومة على تنفيذ سياسة حرية المؤمنين بالأديان ولمساعدة الشخصيات البارزة في الدوائر الدينية على الارتفاع باستمرار بوعيمهم الوطني والاجتماعي وتمثيل الحقوق والمصالح المشروعة للمؤمنين بالأديان ولتنظيم وقيادة جماهير المؤمنين بالأديان من أجل القيام بالأنشطة الدينية الاعتيادية ... فإن على كل المنظمات الدينية إطاعة زعامة الحزب والحكومة .

وينبغي أن نلفت الأنظار إلى عبارة « الأنشطة الدينية الاعتيادية » ففي الدستور الجديد الذي صدر في ديسمبر من عام ١٩٨٢ م تؤكد المادة ٣٦ الخاصة بالأمور الدينية على أن

« الدولة تحمي الأنشطة الدينية الاعتيادية » ومن ناحية المبدأ فإن تلك الأنشطة التي يشرف عليها المنظمات الدينية الوطنية هي التي تعتبرها الحكومة أنشطة مشروعة كما أن الأنشطة التي يتم القيام بها بشكل مستقل لا تتمتع بحماية الدولة وتتعرض للقهر وعلى ذلك فإن التعليم الديني الخاص الذي يهدف إلى نشر الدين بين الشعب وكذلك تدريس الدين لمن هم أقل من ١٨ عاما يعتبر ممنوعاً^(٤٣).

وعندما اتخذ الحزب الشيوعي الصيني قراراً في عام ١٩٧٩ لإعادة إحياء المؤسسات الدينية كان معظم الزعماء الدينيين الموجودين على قيد الحياة في سن متقدمة ولذلك أعطيت الأولوية لتدريب زعماء دينيين من أجل سد النقص المزمّن وكان الحزب هو الذي يختار الطلاب الذين يدرسون في معاهد التدريب الدينية غير أن عملهم الرئيسي كان أساساً التمسك بسياسة الحزب على أن تكون خدمة الأهداف الدينية عملاً إضافياً ، وتقول الوثيقة رقم ١٩ :

« إن مهمة الكليات الدينية هي تدريب طبقة من الشباب المشتغلين بالدين الذين من الناحية السياسية يحبون وطنهم ويؤيدون زعامة الحزب والنظام الاشتراكي ويحصلون على التعليم الديني . وكل الشباب المشتغلين بالدين ينبغي أن يقوموا باستمرار برفع مستواهم الثقافي ومستوى معرفتهم الدينية وينبغي أن يتمسكوا بإخلاص بسياسة الحزب الدينية .

ويقر الحزب الشيوعي الصيني بأن المسيحية والبوذية والإسلام التي هي أديان رئيسية في الصين لها نفس الأهمية على المستوى العالمي وكما هو الحال في البلاد الشيوعية الأخرى فإن الدين يعتبر وسيلة لتحقيق الغايات السياسية .

وتقول الوثيقة رقم ١٩ :

في الوقت الحالي ومع الزيادة اليومية في علاقتنا الدولية فإن الاتصالات الخارجية للدوائر الدينية تزداد يوماً وتلعب دورها في توسيع دائرة النفوذ السياسي للبلد .

وفي الختام يمكن القول بأن الصينيين الذين قدموا لتحرير تركستان الشرقية منذ ٣٥ عاماً مضت لم يفعلوا شيئاً خلال هذه الفترة من أجل صالح التركان المسلمين في تركستان الشرقية .

وطوال هذه السنين كان الصينيون يتبعون سياسة اضطهاد التركان المسلمين واقتلاع جذور ثقافتهم والقضاء على دينهم ، وأن الحريات الثقافية والاقتصادية والدينية التي استحدثها الزعماء الصينيون الجدد ليست سوى عمليات استعراضية للتعلق للعالم الإسلامي .

فالخزب الشيوعي الصيني دائماً يعادى الإسلام وقد اعترف الزعماء الصينيون الجدد أن القمع التام للإسلام لم يفلح خلال فترة ماوتسي تونغ ومن ناحية المبدأ فإنه يتم تحاشي استخدام

القوة في الوقت الحالى ويدرك الزعماء الصينيون الجدد أنه يجب عليهم تجنب إغضاب الرأى العام العالمى وعلى أية حال فإن خطر انضواء التركان المسلمين تحت لواء الشيوعيين واجتثاث جذور ثقافتهم والقضاء على الإسلام - كل هذا الخطر لا يزال قائما .

وقبل وجود الشيوعيين الصينيين كان هناك فقط ٢٠٠ ألف من المستوطنين الصينيين . أما الآن فيوجد أكثر من ٥ ملايين مستوطنا صينيا ويستثنى من هذا العدد العاملون بالقوات العسكرية في تركستان الشرقية ، ولازال قدوم الصينيين للاستيطان بتركستان الشرقية مستمرا ، وقد قال هويابانغ في إحدى الخطب التي ألقاها منذ فترة قريبة ، قال : إن تركستان الشرقية يمكن أن تستوعب ٢٠٠ مليون من المستوطنين الصينيين^(٤٤) ، ويخشى التركان المسلمون في تركستان الشرقية أن يطفى عليهم هذا العدد الهائل من المستوطنين الصينيين ويكون ذلك سببا في فقدانهم لهويتهم القومية .

وإذا قمنا بفحص المراجع الصينية الوطنية والمراجع الغربية والإسلامية فإننا نعرف أنه كان يوجد أكثر من ٥٠ مليون مسلم في الصين قبل أن يستولى الشيوعيون الصينيون على السلطة في عام ١٩٤٩ غير أن المصادر الشيوعية الصينية الآن تذكر أنه يوجد ١٥ مليون مسلم في الصين ولا يعرف أحد مصير باقى المسلمين . ويعيش أكثر من نصف مسلمي الصين في تركستان الشرقية وإذا كنا قد أهملنا أمور هؤلاء المسلمين خلال السنتين الماضيتين فالواجب على العالم الإسلامى أن يتخذ في الحال الخطوات اللازمة لحماية إدماج التركان المسلمين في تركستان الشرقية وفي الصين ضمن الصين الشيوعية ككل .

NOTES

- 1 . Emel Esin, **Islamiyetten Onceki Turk Tarihi**, (Istanbul: 1978)p. 117.
- 2 . **Beijing Review**, 21.5. 1983
- 3 . Emel Esin, **Ibid.**
- 4 . **Ozbek Ensiklopedyasi**, Vol. 14, (Tashkent: 1980)
- 5 . **Ibid.**
- 6 . **Ibid.**
- 7 . **Ibid.**
- 8 . Kebirov, **K. Tughi**, (Alma Ata: 6.8. 1976.)
- 9 . Emel Esin, **Ibid.**
10. Mehmet Emin Bughra, **Chinese policy**. (Istanbul: 1954.)
11. **Ibid.**
12. Owen Lattimore, **Pivot of Asia**. Boston: 1950), p. 32,
13. **Ibid**, p. 50.,
14. İ. Y. Alptekin, **Degu Turkistan Davasi**. (Istanbul: 1973). p. 145.
15. **The china Quarterly**. No. 3, p. 36, (London 1960.)
16. Wolfgang scharlipp, **Materialia Turcica**. (Bochum: 1979.)
17. Yusuf Han, **Sotsiyalistik Kazakistan**, 14. 1. 1976.
18. Sinkiang Ribao, 25. 11. 1959.
19. Viktor Louis, **The coming Decline of the Chinese Empire**, (New York: 1979), p. 98.
20. Shen ping-Wen, **Chinese Communist Criminal Acts in Persecution of Religions**. (Taiwan, March 1978.)
21. **Ibid.**
22. Clyde-Ahmad Winters, **Islam in the peoples Republic of china**. (Hong Kong: 1979.)
23. **The Los Angeles Times**, 1.12. 1983.
24. **Ibid**: also see **Arab News**, 22.9. 1981.
25. İ. Y. Alptekin, **Ibid**, p. 259-275; also see, Muhammad Ildemir, **Dogu Turkistan ve Cin- Rus Anlasmazligi**. (Munich: 1977,) No. 17.
26. Ziya samedi, **K. Tughi**. Alma Ata: 14. 3. 1974
27. **Newsday**, 26. 7. 1982.
28. Chen Shu Ping, **The Chinese Communist System of Reform Through Labor**. (Taiwan: April 1978).
29. Retuer, 8.4. 1982; **The Washington post**, 11.9.1981; **Der**
30. **Ibid.**
31. **The East Turkic Review**, (Munich 1960) No. 4; also see, June T. Dreyer, **China's Forty Millions**. (Harvard University press, 1976.)

32. **Ibid.**
33. **Frankfurter Allgemeine Zeitung**, 11.5. 1983.
34. **Renmin Ribao**, 26.6.1984.
35. **Renmin Ribao**, 29. 3. 1984.
36. **The Los Angeles Times**, **Ibid.**
37. **Ibid.**
38. **Frankfurter Rundschau**, 30. 11. 1981; also see, **Xinhua**, 12. 4. 1983.
39. **Xinhua**, **Ibid.**
40. **Ibid.**
41. **Arab News**. 21. 9. 1984.
42. Peter Morrison, **Religion in Communist Lands**, Vol. 12, No. 3, 1984: **Red Flag** (Hungchi), June 1982: **Studies on Chinese Communism**, (Taiwan, March 1983.)
43. **Arab News**, 22. 9. 1981.
44. **Der Spiegel**, 7.11. 1983.

ما نتائج حملة روسيا الدخارية في أراضي المسلمين التركستان؟

**الدكتور محمد ساراس
أستاذ بجامعة إسطنبول**

ما نتائج حملة روسيا الحضارية في أراضي المسلمين التركستان؟

د. محمد ساراس

قبل أن ندرس توسع روسيا في آسيا الوسطى المسلمة ، قد يكون من الملائم إعطاء نبذة عن غزوها المبكر في الجنوب الشرقي ، وبصفة خاصة احتلالها للقوقاز ، الذى لعب دورًا هامًا في مستقبل مسلمي آسيا الوسطى . وقد كان أول نجاح لروسيا هو احتلال قازان في عام ١٥٥٢ ، والذى فتح أبواب آسيا أمامها . وتحول الروس بعدها لتطهير منطقة الفولجا حتى بحر قزوين . وقد أتاحت السيطرة على هذا الوادى المسلم مزايا تجارية واستراتيجية للروس . فقد كان التجار الروس يريدون زيادة تجارتهم مع بلاد فارس والتركستان والهند ، وكان وادى الفولجا هو باب الدخول لتلك البلاد . ولم تؤد السيطرة على الوادى ونهره - خاصة بعد احتلال إستراخان في ١٥٥٦ وإخضاع القوزاق الذين كانوا يسيطرون على المنطقة من الفولجا حتى سيبيريا ، في فترة السبعينات والثمانينات من القرن السادس عشر (١٥٧٠ - ١٥٨٠) - لم تؤد إلى تحسين موقف الروس ، بل أعطتهم تفوقا في صراعهم مع شعوب السهول المسلمين وخاصة التار والباشكير والقوزاق والقرغيز في الشرق .

وقد أدى احتلال الروس لإستراخان إلى إنهاء العلاقات المباشرة بين مسلمي السهول وإسطنبول ورحلات الحج إلى مكة ، وقد أثار هذا التوسع المفاجيء وغير المتوقع من جانب روسيا ، مخاوف شعوب السهول المسلمة^(١) ، ولذلك بدأوا إرسال المبعوثين والرسائل إلى إسطنبول يطلبون المساعدة . وأدى ذلك إلى التدخل من الدولة العثمانية ،

والذى كان في حقيقة الأمر التدخل الجاد الوحيد في تاريخ التوسع الروسى في آسيا المسلمة وحتى التوسع البريطانى في القرن التاسع عشر .

خططت السلطات التركية لمنع توسع روسيا ليس في السهول المسلمة فحسب ، بل في القوقاز والقرم أيضا ، وذلك بشق قناة بين نهري القولجا والدون . وصدرت الأوامر لهذا الهدف ، لحاكم كيفا (KEFE) وخان القرن ، للقيام بالتجهيزات اللازمة . ولكن سرعان ما أدت الظروف الصعبة في المنطقة بين النهرين والأحداث الداخلية في الإمبراطورية ، إلى تغيير السلطات التركية تفكيرها حول مشروع القناة ، وتم التخلي عن الفكرة مؤقتا . ولم يقيم العثمانيون بأية محاولة أخرى ، كما لم يبدوا اهتماما بتوسع روسيا في آسيا . ومن ناحية أخرى ، واصل الروس تحركهم في اتجاه آسيا الوسطى ، بعد أن رأوا تخلى جيرانهم الأقوياء عن مشروع القناة .

واكتشف الروس بعد بضعة حملات صغيرة ضد شعوب السهول ، ضعف معارضتهم من حيث الأسلحة الأقل تفوقا والتفكك والنزاعات المستمرة . واستغل الروس بسهولة نقاط الضعف هذه وبسطوا نفوذهم^(٢) ، وأدخلوا ، بهذه الطريقة ، شعوب السهول تحت سيطرتهم دون صعوبة كبيرة . وتم احتلال أراضي التتار والبشكير فيما بين ١٥٨٠ - ١٧٤٠ كما تم إخضاع نصف سهول الكازاخ للسيطرة الروسية .

ومن الأحداث الأخرى الهامة في تاريخ توسع روسيا في آسيا ، ضم القرم في ١٧٨٠ وانتصارات روسيا المتلاحقة على الإمبراطورية العثمانية وفارس في القوقاز في السنوات التي أعقبت ١٨١٠ . وقد سيطرت روسيا بهذه الانتصارات ليس على المناطق الهامة في القوقاز فحسب بل على فارس وبحر قزوين ، وأتاحت سيطرة روسيا على فارس وبحر قزوين ، الفرصة للروس لاستكشاف بلاد التركمان والأجزاء الأخرى من آسيا الوسطى . وانطلاقا من تلك النقطة لم يكن صعبا بالنسبة للروس أن يوسعوا إمبراطوريتهم إلى الشرق وإلى الجنوب الشرقي ، حيث لم تكن هناك مقاومة تذكر ضدهم في هذا الاتجاه . واكتمل ما بين ١٨٤٠ - ١٨٥٠ احتلال سهول الكازاخ . وأصبح الروس في منتصف القرن التاسع عشر يسيطرون على معظم القوقاز ، ووصلت حدودهم حتى الشواطئ الشمالية لبحر آرال والشرق الأقصى .

وكان القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر هما فترة التوسع الروسى ليس في آسيا فحسب ، بل في أوروبا والشرق الأوسط أيضا . وبالرغم من أن توسعها في آسيا لم يكن ملحوظا تقريبا ، فإن توسعها إلى الجنوب وإلى الغرب حظي باهتمام كبير من القوى الأوروبية . وقد قامت بريطانيا وفرنسا وتركيا بردع توسع روسيا بعنف في

حرب القرم (١٨٥٤ - ١٨٥٦) . وقد حطمت الهزيمة في حرب القرم مكانة روسيا ليس في أوروبا فحسب ، بل وفي آسيا أيضا . وأراد الروس استعادة مكانتهم في آسيا على الأقل ، وذلك بإتمام فتح القوقاز^(٣) ولتحقيق هذا الهدف قام القيصر الكسندر الثاني بتعيين أحد أقرب أصدقائه وأخلصهم وهو الأمير الكسندر ايفانوفيتش بارياتنسكي ، نائبا للقيصر في القوقاز . وكان كذلك واحدا من أعظم قواد التوسع في عصره ومصلحا عظيما في المجالات العسكرية والإدارية^(٤) وبدأت إصلاحات بارياتنسكي ، خلال ثلاث سنوات ، تعطى نتائج طيبة في القوقاز . وأصبح الجيش القوقازي أكثر فعالية في عملياته ضد القوقازيين وفي إدارته لتلك المنطقة . وفي العامين ١٨٥٩ - ١٨٦٠ أوقعت القوات الروسية سلسلة من الهزائم بشاميل الأسطورة وهزمت أتباعه في العامين التاليين . وهكذا أصبحت القوقاز قاعدة رئيسية لتوسع روسيا في اتجاه الجنوب الشرقي .

وفي ذات الوقت ، قام القيصر الكسندر الثاني ، بناء على نصيحة بارياتنسكي ، بإرسال بعثة برئاسة اجناتيف إلى بخارى وخيفا ، للحصول على معلومات طبوغرافية وإحصائية وغيرها من المعلومات ذات الأهمية العسكرية عن تركستان . وقام اجناتيف بزيارة خيفا وبخارى في ١٨٥٨ . ولخص اجناتيف ، لدى عودته إلى بتسرج ، نتائج مهمته كمايلي : « إن النتيجة الرئيسية والأساسية لإرسال البعثة إلى تركستان ، هو أن الضباب الذي كان يخفي الخانات عن الحكومة الروسية ، قد تبدد الآن . وقد تفتحت أعيننا على الأقل على القيمة الحقيقية لآسيا الوسطى^(٥) . واقترح على حكومته ضرورة اتباع روسيا لسياسة نشطة في اسيا الوسطى ، نظرا لوجود إمكانات طيبة لتوسيع السلطة الروسية في تلك المنطقة . ونصح بسرعة القيام بعمل عسكري ضد خوقند ، وإخضاع تركمان الشاطئ الشرقي لبحر قزوين للسيطرة الروسية واستخدامهم ضد خيفا^(٦) .

وفي صيف عام ١٨٦٤ ، دعا الكسندر الثاني لعدة اجتماعات في بتسرج لمناقشة مشكلة آسيا الوسطى مرة أخرى . (ولما كان أنصار اتخاذ « سياسة توسعية » هم الأغلبية ويتمتعون بمباركة القيصر ، فقد استقر الرأي على اتباع سياسة نشطة في آسيا الوسطى واتخاذ الاستعدادات الضرورية لهذا الغرض . وكان أمام جور شاكوف ، وزير الخارجية الروسية ، بديل واحد ، هو إخفاء العمليات العسكرية بالمناورات الدبلوماسية وتقديم مبررات للحكومات الأخرى . وكان جورشاكوف يمتلك الشجاعة والمهارة والخبرة الدبلوماسية اللازمة لتغطية توسع روسيا بستان من الدخان . وفي ٣ ديسمبر ١٨٦٤ ، قبل أن تبدأ الجيوش زحفها أرسل جورشاكوف خطابا دوريا إلى الممثلين الروس في الخارج ، للاسترشاد به في « أية إيضاحات يمكن تقديمها إلى الحكومات المعتمدين لديها ، في حالة توجيه الأسئلة ، أو عندما يرون تصديقا لأفكار خاطئة بالنسبة لعملنا في تلك

وقد تم انتقاء الكلمات والأمثلة بعناية في تلك الرسالة المكتوبة بصورة حاذقة . وكانت مرآة طيبة لتعقيدات السياسة الروسية التي كثيرا ما دفعت الدبلوماسيين الغربيين إلى استنتاجات خاطئة . وكتب جورشاكوف : « إن موقف روسيا في آسيا الوسطى هو كمواقف جميع الدول المتحضرة التي تتصل بالشعوب الرعوية نصف الهمجية التي لا يوجد لديها أى تنظيم اجتماعي ثابت » .

ودائما ما يحدث في مثل تلك الحالات ، أن الدولة الأكثر تحضرًا تضطر لصالح تأمين حدودها وعلاقاتها التجارية ، لأن تمارس نوعًا من السيطرة على أولئك الذين تجعلهم شخصيتهم الهائجة وغير المستقرة جيرانًا غير مرغوب فيهم .

فهناك أولا الغارات وأعمال السلب التي ينبغي قمعها . ولكي يتم وضع حد لها ، فيجب إخضاع قبائل الحدود بشكل أو بآخر تحت سيطرة الدولة المتحضرة .

وعلى الدولة أن تدافع عنهم ضد عمليات السلب تلك وأن تعاقب أولئك الذين يقومون بها .. وإذا حدث وتمت معاقبة اللصوص ذات مرة ، وانسحبت الحملة بعدها ، فسرعان ما ينتهي هذا الدرس ويفسر انسحاب الحملة على أنه ضعف منها .

ذلك أنه من خصائص الآسيويين ألا يحترموا شيئًا سوى القوة الظاهرة والمحسوبة . وتجد الدولة نفسها مرغمة على اختيار أحد بديلين ، إما التخلي عن ذلك العمل الذي لا نهاية له أو أن تترك حدودها للاضطرابات المستمرة ، وتحويل كل عمليات الازدهار والأمن وجميع نواحي الحضارة ، إلى شيء مستحيل ، أو أن تنحدر من ناحية أخرى إلى مصاف الدول الهمجية .

وكان ذلك هو مصير كل دولة تجد نفسها في موقف مماثل . وقد اضطرت كل من الولايات المتحدة في أمريكا وفرنسا في الجزائر وهولندا في مستعمراتها ، وإنجلترا في الهند - اضطرت جميعها بدافع من الضرورة الملحة أكثر منها بدافع الطموح ، إلى السير في هذا الطريق ، الذي تتمثل الصعوبة الكبرى فيه في معرفة الوقت الذي ينبغي أن تتوقف فيه»^(٨) .

وقد كان بيان جورشاكوف عن آسيا الوسطى مشكوكًا فيه فقد ذكر أولا ، أن شعوب آسيا الوسطى « نصف همجية ، من البدو ، الذين ليس لديهم أى تنظيم ثابت » . وإذا كان يعنى سهول الكازاخ ، التي كانت فعلا تحت السيطرة الروسية ، فقد يكون محقا في ذلك .

وكان الموقف في سهول الكازاخ هو أن معظم الأراضي الخصبة للكازاخ المسلمين

كانت محتلة من قبل الروس . وكان من الطبيعي أن يقوم الشعب الذى انتزعت أرضه بالقوة ، بمهاجمة المراكز الروسية من وقت لآخر ، لكي يستعيد ممتلكاته وأراضيه . وكيف يمكن أن نلوم الكازاخ على ذلك ؟

وإذا كان جورشاكوف يقصد الخوكانديان ، الخيفان أو البخارين ، فقد كان مخطئاً تماماً : ذلك أن تلك الشعوب كانت مستقرة ولها حكوماتها ودولها ذات الحدود الثابتة ، فقد ظلت حدود كل من خوكاند وخيفا وبخارى قائمة لعدة قرون . وثانياً فإن تأكيد جورشاكوف بأن « من خصائص الآسيويين ألا يحترموا سوى القوة الظاهرة والمحسوسة » هو تزييف مدحوض بالحجة والدليل . إن السؤال الهام هنا هو : هل حاول الروس مطلقاً القيام بمسعى سلمي مخلص تجاه خانات آسيا الوسطى لإقامة علاقات طيبة تتيح فرصاً متكافئة لكلا الطرفين ؟ وتشير الدلائل إلى أن الروس لم يحاولوا مطلقاً القيام بهذه المحاولة^(٩) . ويصعب قبول المقارنة مع الولايات المتحدة وفرنسا وإنجلترا ، حيث أن الظروف والمشكلات في الحالات المذكورة تختلف بصورة شاسعة عن ظروف ومشكلات روسيا في آسيا الوسطى . وربما كان من الأرجح أن جورشاكوف بتقديمه تلك الأمثلة ، كان يحاول التماس الأعذار والمبررات لفتح روسيا لآسيا الوسطى المسلمة .

وبعد الإعلان عن إرسال الخطاب الدورى ، بدأ القادة الروس على الجبهات مع آسيا الوسطى ، في خلق المشكلات مع خوكاند وبخارى وكيفا . وبغض النظر عن القانون الدولي ، تحركت الجيوش الروسية إلى تلك الدول الإسلامية واحتلتها واحدة تلو أخرى في الفترة ما بين ١٨٦٥ - ١٨٨٥ . وتم دون رحمة سحق وقتل الأشخاص الذين حاولوا الدفاع عن بلادهم . وفقد الآلاف منهم حياتهم بمن فيهم النساء والأطفال والشيوخ . وتم ذبح الشعوب الإسلامية عمداً في كوخاند وطشقند وخيفا وجوكتيب . وكانت تلك هي بعثة روسيا الحضارية في الدول الإسلامية لآسيا الوسطى . وكان لمهمة روسيا الحضارية في الدول الإسلامية معجبون في أوروبا . وكان السيد/ جلاستون زعيم حزب الأحرار في بريطانيا واحداً منهم . وكان جلاستون بوصفه مسيحياً شخصاً شديد التدين ، ودفعته معتقداته الدينية إلى إدانة الحكم العثماني لمسيحيي البلقان ، وأن يغتفر عمليات القمع الروسية في تركستان . وكان جلاستون يرى أن روسيا تدخل الحضارة والأخلاق المسيحية إلى مجاهل آسيا الوسطى المسلمة . وقال جلاستون إن حكومة القيصر « أظهرت ... قدرًا ملحوظًا من الاعتدال والتعقل ، وعدم الخضوع للأسباب القاسية التى دفعت الروس إلى القيام بمهمة مكلفة مثيرة للقلق وغير مرغوبة »^(١٠) . ولا عجب أن أصبحت صورة جلاستون تزين مكتب الخارجية الروسية في بتسبرج . وقال أحد الجنرالات الروس لأحد الصحفيين الأوربيين في ١٨٨٢ « إنني معجب به كثيراً »^(١١)

ومع ذلك فلم ينجح الروس أيضا في إدارة شؤون الشعب المسلم في تركستان . كذلك وجد مسلمو تركستان بعد الخراب الذى لحق بهم نتيجة هجوم أعدائهم عليهم بلا رحمة أثناء الغزو ، أنهم وقعوا في أيدي إداريين فاسدين . وأدت الإدارة الروسية لتركستان إلى مأساة جديدة في حياة الشعب المسلم . وقد قررت الحكومة الروسية ، أثناء غزوها لتركستان ، إنشاء مركز إداري في آسيا الوسطى .

وتم في خريف ١٨٦٧ إنشاء قيادة الحاكم العام لتركستان ، عين الجنرال كى . بي . كوفمان من وزارة الحرية أول حاكم عام . وبدأ الضباط الروس بشاركون في إدارة تركستان ، بعد إتمام احتلال البلاد كلها . ولكن الأحداث أثبتت خلال بضعة أعوام ، عدم مقدرة الضباط الروس على الإدارة والذين كانوا يعتبرون أبطال الماضي القريب . وأصبح سوء الإدارة والفساد من السمات البارزة في صفوف الإداريين الروس .

وعندما أصبح فساد الإدارة الروسية في تركستان واضحا ، اضطرت الحكومة الروسية إلى التحقيق في الأمر . وتم في ١٨٨٢ إرسال الاستشارى اف . كى . جيرز وفي عام ١٨٨٤ الجنرال الكونت إن . بي . اجناتيف إلى تركستان للتحقيق في أحوال الإدارة المدنية والعسكرية . ووجد كل منهما أن المسؤولين مذبذبين . إلا أن الحكام العامين لتركستان ، الجنرال فون كوفمان والجنرال كوروباتكين ، كانا يفضلان مجرد نقل المخطئين إلى مناصب أخرى أو إبعادهم عن المنطقة بدلا من فرض غرامات عليهم أو سجنهم^(١٢) .

لكن حقائق الموقف مع ذلك أصبحت واضحة في النهاية للجميع ، وقررت الحكومة الروسية اتخاذ خطوات حازمة لحل المشكلة . وصدرت الأوامر في ١٩٠٨ إلى مجلس الشيوخ التابع للحكومة الروسية بإجراء تحقيق شامل وبمحاكمة المذنبين^(١٣) . وتم اختيار عضو مجلس الشيوخ الكونت كى . كى . بالن ، المعروف بمقدرته ونزاهته ، والمعروف بأنه عضو مجلس للفتيش بسبب متابعته النشطة للمسؤولين المنحرفين ، للقيام بتلك المهمة . وأمضى الكونت بالن الذى منح سلطات واسعة وساعده عشرون من الموظفين ، ما يزيد على السنة في عمليات فحص دقيقة لجميع جوانب الشؤون الحكومية والاقتصادية في المنطقة ، بما في ذلك النواحي الإقليمية المتشعبة والنواحي الإدارية للمدن والمناطق الريفية والبدائية ، وكذلك شؤون التعدين والزراعة والمستعمرات والضرائب والشرطة والمحاكم وأملاك الدولة .

وقد استفاد الكونت بالن بحرية من سلطاته في توقيف ومحاكمة المسؤولين الذين اتضح تورطهم في الفساد . وفي أول عملية تطهير تم في التاريخ الإدارى للإقليم ، تم القبض على عشرات من المسؤولين ومحاكمتهم وإدانتهم . وأرغم الجنرال ميشينكو ، الحاكم العام

لمدة أقل من عام ، على الاستقالة من منصبه بسبب انتقادات اللجنة واعتقال بعض من الموظفين المقربين إليه^(١٤) .

وكانت المنطقة عبر بحر قزوين أكثر تضرراً من التحقيقات حيث وجد الكونت بالن هناك أن معظم المسؤولين العسكريين والمدنيين مذنبون ومن بين أولئك الذين ذكرهم بالن مساعد القائد الذي كان متهمًا بالابتزاز والرشوة وتزوير الوثائق الرسمية ، بل والتخطيط لقتل أحد الشهود غير المرغوب فيهم ، وقائد أشخباد اوزد « وهو مقامر ومتلاف » ورئيس الشرطة في أشخباد المتهم بالسرقة والرشوة والقتل والاعتصاب ، ومدير مدرسة أشخباد الذي كان يعطي دبلومات مقابل النقود . وقام بالن بوقف ثلثي المسؤولين في المنطقة عبر بحر قزوين عن العمل وتوجيه الاتهامات إليهم ، وبعد محاكمات مستفيضة استمرت لفترة طويلة بعد عودته إلى العاصمة الروسية ، تمت إدانة الجميع^(١٥) .

وتم في النهاية اتباع الأسلوب المألوف ، إذ بعد تلك المناقشات الكثيرة لم يتم القيام بشيء من جانب السلطات الروسية . وطبعت تقارير بعثة بالن في مجلدات ضخمة ، ثم طواها النسيان مثل العديد من تقارير البعثات السابقة . لكن رجلاً واحدًا لم ينس معاناة مسلمي التركستان : ذلك هو جاسبيرلى إسماعيل بك ، المصلح الإسلامي من جزيرة القرم . وأعلن جاسبيرلى في بيان شجاع أن حملة القميين الروسية في تركستان لم تحرز أية نتائج إيجابية للمسلمين بل سببت لهم التعاسة . وطلب إلى الروس أن يتركوا المسلمين يعالجون مشاكلهم الخاصة . ولفت انتباه المسؤولين الروس إلى تجديد الحياة الإسلامية . وبعد أن ذكر الحكومة الروسية بالحقوق الدستورية للمسلمين كمواطنين روس . دعا إلى الوفاء بالتزاماتها تجاه الشعب المسلم ، وذكر أن الحكومة الروسية مسؤولة عن تحسين الحياة التعليمية للمسلمين وذلك بتوفير فرص كافية للمسلمين لتعلم لغتهم الأم والإسلام في مدارسهم . وأعرب عن معارضته القوية لاستيعاب المسلمين في صفوف الروس ، ولكنه دافع عن التقارب الحميم بين الشعبين (المسلمين والروس) على أساس الاحترام المتبادل والاعتراف بالحقوق الأساسية وتكافل المصالح . وبالرغم من أن جاسبيرلى لم يحظ بأى تأييد من السلطات الروسية لتجديد الحياة الإسلامية ، فقد استطاع أن يحصل على تصريح من حكومة القيصر بأن يعمل لصالح شعبه . ثم سافر بعدها من القرم إلى قازان ، ومن قازان إلى باكو ، ومن باكو إلى طشقند ، ليشرح لإخوانه (المسلمين) أهمية تجديد نظامهم التعليمي . وبعد أن أوقع إخوانه المسلمين ، استطاع جاسبيرلى أن ينشئ المئات من المدارس الحديثة (والتي أطلق عليها الأساليب الجديدة للتعليم) في تركستان ، حيث بدأ المسلمون دراسة الإسلام بالإضافة إلى الموضوعات الأخرى^(١٦) . وكان ذلك هو الموقف في تركستان عندما نشبت الثورة البولشفية في ١٩١٧ .

وأعاق اتباع النظام البولشفي ، تقدم الحياة الإسلامية مرة أخرى . وتعرضت حياة المسلمين آنفد إلى تحول مأساوي جديد . وظل مسلمو تركستان والقوقاز يعانون منذ ذلك الوقت على أيدي الحكام الشيوعيين لروسيا السوفيتية . ولكن مسلك الزعماء البولشفيين ، عند بداية الثورة ، كان مختلفاً إلى حد ما . ويذكر إعلان الخامس عشر من نوفمبر ١٩١٧ المعروف ، الذي وقعه لينين وستالين ، مايلي : « لقد قرر مجلس مفوضي الشعب أن يقوم عمله فيما يتصل بالقوميات على المبادئ التالية :

١ - مساواة وسيادة أمم آسيا .

٢ - حق الأمم الروسية في تقرير مصيرهم بحرية ، بما في ذلك الحق في الانسحاب وتشكيل دول مستقلة ... » (١٧) .

وأعقب ذلك الإعلان بيان رسمي موجه بصفة خاصة إلى « جميع المحمدين (المسلمين) الكادحين في روسيا والشرق » ، وهي كلمات قد تبدو شاذة إذا ماظهرت في البرافدا اليوم :

« يا محمدى روسيا ياتنار الفولجا والقرم ، ياقرغيز (كازاخ) وسارت تركستان ، يا أترك وتنار عبر القوقاز (أذربيجان) ، وكل هؤلاء الذين دمرت مساجدهم أو دور عبادتهم والذين سحقوا ديانتهم وعاداتهم ، ومؤسساتكم الوطنية والثقافية من الآن فصاعدا حرة ولا يمكن انتهاك حرمتها . عليكم بناء حياتكم الوطنية بحرية ودون عوائق . إن هذا حقكم ... » (١٨) .

وقد أوجد هذا الإعلان نوعاً من الأمل والإثارة في قلوب المسلمين الذين اعتقدوا أن العصر الذهبي لهم بدأ يصبح حقيقة . وبدأوا في تشكيل مؤسساتهم الوطنية والحكومة المحلية ، كخطوة نحو تشكيل حكومات مستقلة . كما بدأوا أيضاً في ترميم مساجدهم ودور عبادتهم . إلا أن هذا العصر الذهبي للمسلمين لم يتحقق ، حيث بدأ الجيش الأحمر تحت سيطرة البولشفيين ، في غزو الدول الإسلامية الواحدة تلو الأخرى فيما بين ١٩١٧ - ١٩٢٠ . وبمجرد إتمام إعادة احتلال تلك الدول ، بدأ الزعماء الشيوعيون في روسيا إنشاء مايسمى بجمهورية الحكم الذاتي لتدمير وحدة المسلمين . وبعدها بدأ السوفييت حملة لقمع الشعوب الإسلامية في الإمبراطورية السوفيتية . وتغير مسلك السلطات الشيوعية تماماً . وبدأ السوفييت يتهمون الشعب المسلم صراحة بمعاودة الثورة فيما بين ١٩١٧ - ١٩٢٠ . وقد وصف مصدر سوفيتي حديث ، خلقية تلك الفترة كاليلي :

« في نوفمبر ١٩١٧ اجتمع الفقهاء والشيوخ والتجار والأثرياء ، وممثلو البورجوازية الوطنية وكبار أنصار الوحدة الإسلامية والوحدة التركية في خوكاند فيما يعرف بال مؤتمر

الإسلامي . وحاول البورجوازيون الوطنيون استنادًا إلى نقطة رئيسية في البرنامج الوطني للبروليتاريا ، التي تعلق حق الشعوب في تقرير المصير بما في ذلك الانسحاب وتشكيل دولة مستقلة ، أن « يجسدوا » خططهم الرامية إلى فصل التركستان عن روسيا ، وإخضاعها للإمبريالية الأمريكية والبريطانية » .^(١٩)

وإذا ما تذكرنا كيف ناشد السوفييت ، في بداية الثورة البولشفية الشعوب الإسلامية بقولهم : « من الآن فصاعدا ، فإن عقيدتكم وعاداتكم ومؤسساتكم الوطنية والثقافية ستكون حرة ولها حرمتها ، وعليكم بناء حياتكم الوطنية ، فهذا حقكم » . إن هذه الأدلة كلها توضح أن السوفييت ، كانوا منذ البداية شعبا منافقا لا يعتمد عليه . ولكنهم مع ذلك ، يمكنهم إرسال رسائل إلى الدول الإسلامية قائلين إن « آسيا للأسويين » أو « الحرية لشعوب الإسلام » وأتساءل ما إذا كان هناك مسلم حصيف لا يزال في مقدوره أن يصدق كلمات السوفييت ؟ وإن وجد هذا الإنسان ، فإن على أن أبلغ أخي الساذج بأن عليه أن يهتم بمعاملة المسلمين الذين يعيشون في روسيا السوفيتية .

إخوتي الأعزاء !

قد تعلمون أن الشيوعية ، كمفهوم مادي ، ترتبط ارتباطا وثيقا بنظرية عدم وجود إله . إن الشيوعية ترفض الدين بصفة قاطعة ومن ثم ترفض الاعتقاد في الله .

ومع ذلك ، فيجب أن أذكر أن الزعماء الشيوعيين لروسيا لم يتخذوا اجراء سريعا ضد الإسلام . وبدأ السوفييت مع بداية ١٩٣٠ حركة معادية للإسلام في المجالات السياسية والتعليمية في تركستان . وحاولوا اكتساب بعض علماء المسلمين إلى صف الشيوعية . وفي ذات الوقت حاول حكام روسيا الشيوعيون ، تفسير الإسلام من وجهة نظر شيوعية لكي يزيفوا تعليم مبادئ الإسلام . وأمرت السلطات السوفيتية من ناحية أخرى ، بتدريس المبادئ الإلحادية في المدارس والجامعات واستمر ذلك عدة سنوات ، ولا يزال معمولاً به في تركستان حتى اليوم .

ومن المحزن ملاحظة أن موقف الإسلام المأسوي في الاتحاد السوفيتي لم يتم تجميعه في صورة وثائقية من قبل الدارسين المسلمين . ومن ثم فإنه مما لا يثير الدهشة أن الشباب المسلم خارج نطاق نفوذ نظام الحكم الشيوعي لا يمكنه تخيل ما يحدث للمسلمين في تركستان .

وهنا ، يجب على أن ألفت انتباهكم إلى هذه النقطة المحددة : إن الدول الشيوعية تتبع من ناحية ، سياسة مكثفة معادية للإسلام داخل مجال نفوذها ، وتتبع من ناحية أخرى دعايات وسياسات موالية للإسلام في الدول الإسلامية خارج الاتحاد السوفيتي والصين .

وقد حققوا بقيامهم بذلك ، هدفين : الأول قمع الإسلام داخل نطاق نفوذهم والثاني اكتساب المسلمين من خارج الاتحاد السوفيتي والصين إلى صف أهدافهم السياسية .
الإخوة الأعزاء !

إن مثل هذه السياسات للدول الشيوعية ، وبخاصة روسيا السوفيتية ، قد سببت قدرًا كافيًا من المتاعب للمسلمين . ومن الأمور الجوهرية الإجابة على هذا السؤال بعينه : « ما الذى حققته الشيوعية بسياستها المعادية للإسلام ؟ » ويقدم الدكتور بايميرزا هايت العالم التركستاني المعروف ، الرد التالي على هذا السؤال بعد القيام بأبحاث مكثفة حول الموضوع :

- ١ - تم اعتقال الزعماء الروحيين للمسلمين وأعدم الكثيرون منهم .
وترك المسلمون بدون أية شخصيات دينية مؤهلة .
 - ٢ - تم إغلاق المساجد والمدارس ومصادرة أملاك الأوقاف .
 - ٣ - منع تعليم الشباب على الأسس الإسلامية .
 - ٤ - تم منع المسلمين من ممارسة أركان الإسلام من صلاة وصوم رمضان وزكاة وحج بنص القانون .
 - ٥ - كما تم منع نشر كتب التراث الدينية .
 - ٦ - تم وضع جميع الوسائل الممكنة تحت تصرف الشيوعية ، كعقيدة لروسيا ، في حربها ضد الإسلام .
 - ٧ - ظل التعليم المعادى للإسلام لشبابنا مستمرًا حتى الوقت الحالي كجزء أساسي من سياسة التعليم الشيوعية .
 - ٨ - ظلت النظرية الشيوعية وممارسة الإلحاد جزءًا لا يتجزأ من الكيان الأساسي للدولة . ويتمتع المسلمون ، بدلا من ذلك ، بعقيدتهم الداخلية وإيمانهم الذى لا يتزعزع في الله .
 - ٩ - كما أن من الحقائق أن الشيوعية تقوم بتدريب بعض مجموعات الشباب الملحد من عائلات إسلامية ، والذين يقومون بدورهم حاليًا بمساعدة الروس في حربهم ضد الإسلام . إلا أن هؤلاء مع ذلك ، لا يزالون أقلية بين المسلمين^(٢٠) .
- وعلينا أن نفحص الآن ، في ظل هذه الظروف ، الدفاع عن الإسلام من قبل المسلمين الذين يعيشون تحت الحكم الشيوعي . ويجب ، قبل أى شيء أن نلاحظ أنه بسبب

الاشتراطات القانونية ، ونتيجة للإجراءات المعادية للإسلام التي يتم فرضها بصورة مستمرة ، يضطر المسلمون إلى الدفاع عن الإسلام بطريقة غير مشروعة بصفة غالبية . وأن يقوموا بأداء واجباتهم ، بقدر الإمكان ، بصورة غير واضحة . وطبقا للدكتور هايت ، فإن الدفاع عن الإسلام الذي يقوم به المسلمون في الاتحاد السوفيتي يمكن تلخيصه وتفسيره بالطريقة التالية :

١ - العقيدة (الشهادة) :

كما هو معروف ، لم يتوافر للمسلمين فيما بين ١٩٣٠ - ١٩٣٧ م زعماء دينيون ، حيث تم قتل المدرسين على أيدي السوفييت . ومن ثم لم يكن هناك من يمكنه القيام بتذكير المسلمين بواجباتهم . كذلك لم تكن هناك أية مواد مكتوبة عن الإسلام يمكن للشباب المسلم أن يتعلم منها . فضلا عن أن تعليم العقيدة الإسلامية كان ولا يزال ممنوعا بالقانون في كل من النظامين التعليميين السوفيتي والصيني . وبالرغم من ذلك ، فقد حاول المسلمون من الأجيال الأكبر سنا ، ولا يزالون يحاولون ، نقل المبادئ الأساسية للإسلام إلى الشباب المسلم . ويتم هذا التعليم بالطبع داخل الأسر فقط . وتلك هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن للمسلمين أن يحفظوا بها عقيدتهم اليوم .

٢ - الصلاة :

في المسجد ممنوعة طبقا للقانون السوفيتي . ومع ذلك فإنه بمقتضى القانون الصلاة الديني (مادة ٤) فإن على المسلمين السعى لتسجيل أنفسهم إذا ما رغبوا في الصلاة معا في المسجد .

ويجب ، للحصول على تصريح ، أن يقدم عشرون مسلما على الأقل طلبا للسلطات البلدية لتسجيل جماعة دينية ولفتح مسجد . ويمكن للمسلمين القيام بصلاة الجماعة فقط ، بعد أن تتم الموافقة على الطلب من مجلس الشؤون الدينية للمكتب الوزاري للاتحاد السوفيتي في موسكو .

ومع ذلك فالمسلمون لا يسعون لتسجيل أنفسهم ، إن الخدمات الدينية في المساجد نادرة ، حيث لا يكاد يوجد مساجد ، ولأن المسلمين يريدون حماية أنفسهم ضد المحاكمات الجنائية المحتملة من قبل الدولة الشيوعية . ويتم القيام بمعظم الصلوات بصورة خاصة وفي السر . وحتى في صفوف العائلة لا يتم القيام بالصلوات إلا إذا قرر رأس العائلة أنه لا يوجد بين أعضاء الأسرة ، عملاء للدولة أو للحزب الشيوعي . ويسمح بالصلاة بصفة دائمة في المساجد التي توافق عليها السلطات ، للأجيال الطاعنة في السن

فقط . ويقدر عدد المساجد المفتوحة حاليا في الاتحاد السوفيتي بحوالى ٢٠٠ مسجد . وكان عدد المساجد الموجودة قبل الحكم الشيوعي ٢٤,٣٢١ مسجدا في حالة جيدة ، كان يوجد منها ١٢,٧٣٣ في تركستان . وقد اختفى صوت المؤذن الذى يدعو المسلمين للصلاة .

وكما تعلمون فإن المسلمين يصلون طبقاً لمواقيت الصلاة الخاصة . وعليهم أن يؤدوا صلواتهم في الاتحاد السوفيتي ، في صمت ، بقدر الإمكان ، نظرا لأن القانون يمنع أداء الشعائر الدينية في المكاتب الحكومية والمدارس . وهكذا يصلون في صمت ، دون لفت الانتباه إلى حقيقة أنهم يقومون بذلك ... وتعني تلك التعليمات أن المسلمين يحاولون بجميع الوسائل المتاحة لهم ، الإبقاء على روحهم الإسلامية .

٣ - الصيام :

القوانين الدينية الشيوعية إلى رمضان . ومع ذلك فلا يعنى هذا أن الدولة **لاتشير** تسمح بالصيام . وعلى العكس فإن الصيام يحظى بمعارضة عنيفة من النظام ، حيث يؤكد أن الصيام يعوق استمرار العمل ومن ثم فإنه ضار بالشيوعية .

وبالرغم من ذلك ، فإن الكثيرين من المسلمين يصومون دون أن يلفتوا الأنظار إلى أنفسهم . ولأسباب اجتماعية أيضا ، فإن المسلمين ليسوا في مركز يسمح لهم بإجراء احتفالات دينية .

٤ - الزكاة :

يلتزم القانون الديني الشيوعي الصمت إزاء مسألة الزكاة . ومع ذلك **كذلك** ذلك ، فإنه نظراً لظروف الحياة تحت الحكم الشيوعي ، فلا يوجد فرد في مركز من الناحية الاجتماعية يسمح له بالوفاء بهذا الالتزام إزاء الزكاة . ونتيجة لذلك ، فإن الإسهام المنتظم في الزكاة قد اختفى تقريبا من حياة المسلمين .

٥ - الحج :

أن يتم الحج إلى مكة المكرمة فقط بموافقة الحكومة **يمكن** السوفيتية . وطبقا لمعلوماتنا ، التي نحصل عليها من مسلمي تركستان ، فإن مايزيد على ٥٠,٠٠٠ مسلم ينتظرون الموافقة كل عام للقيام بالحج إلى مكة . وتسمح الحكومة السوفيتية من آن لآخر لعدد يتراوح بين ١٨ - ٢٠ من الأفراد بالقيام بتلك الرحلة . ويعلم الله كم شخصا من بين هؤلاء ، من العملاء المباشرين للنظام الشيوعي . وعلى أية حال ، فإن جميع من يسمح لهم بالقيام بالحج يتم التحقيق معهم بصفة دائمة

من قبل المخابرات السوفيتية (كي . جي . بي) . ويطول انتظار الآخرين للقيام بالحج ، ولكنهم لا يحصلون على الموافقة من موسكو أو على العملات الأجنبية .^(٢١)

حملة جديدة ضد الإسلام :

أحدثت الحرب في أفغانستان والثورة الإسلامية في إيران ، تأثيراً على المسلمين في تركستان . وقد أوجد ذلك شعوراً عظيماً بالقلق في صفوف السلطات السوفيتية منذ ١٩٧٩ . وهم يعتقدون أن جماعات المجاهدين الأفغان قد تشير المبادئ الإسلامية في صفوف مسلمي تركستان الخاضعة للسيطرة السوفيتية . ونتيجة لهذا الاعتقاد بدأ السوفييت يهتمون الدول الإسلامية في الشرقين الأدنى والأوسط باستخدام الإسلام وسيلة لتحريض المسلمين السوفييت ضد النظام السوفيتي وضد الروس « أشقائهم الكبار » . والسؤال بالنسبة لنا هنا كشعب مسلم ، هو « هل نقوم حقيقة بتحريض إخواننا المسلمين في تركستان والقوقاز ضد النظام السوفيتي ؟ » إن الجواب هو « لا » وطالما كانت تلك هي المسألة ، « فلماذا يتهم السوفييت الدول الإسلامية بتحريض المسلمين التركستان ؟ » وفي استطاعتي أن أخبركم بالسبب الذي يدفعهم لاتهام الدول الإسلامية : إن السوفييت يفعلون ذلك عمداً ، لكي يجدوا مبرراً لبدء حملة جديدة معادية للإسلام في تركستان والقوقاز . ولهذا السبب فهم يبدأون دائماً بنشر مئات من الكتب والنشرات المعادية للدين والموجهة ضد الإسلام . ولا تزال تلك الحملة مستمرة بطريقة متزايدة . وأخذ السوفييت في ذات الوقت في تجنيد عدد ملحوظ من الكوادر الملحدة في تركستان بهدف استخدامهم في حملاتهم المعادية للإسلام .

وقد ذكر البروفيسور أ. بنجسن ، أحد كبار الدارسين لمشكلات المسلمين التركستان ، في مقال نشر مؤخراً في مجلة مشكلات الشيوعية ، الأرقام التالية :

« في أذربيجان (التي يبلغ تعداد سكانها حوالي ٦ مليون نسمة) كان يوجد في ١٩٨٣ عدد ٣٧٦١ من جماعات الإعلام السياسي الملحدة ، وعدد ٦٩١١ من جامعي الدعاية ، وأكثر من ٥٠ ألفاً من رجال الدعاية المحترفين للتحريض ، وعدد ٦٧٥٦ من المخبرين السياسيين (وهم أيضاً متخصصون في الدعاية المعادية للدين) ، وعدد ٣٠٩١ من المحاضرين للجان الحزب المختلفة (وهم يحاضرون من وقت لآخر في موضوعات معادية للدين) وعدد ٤٠ ألفاً من أعضاء جمعية المعرفة (هي الجمعية المعادلة لجمعية « زناني » الروسية) ، وعدد ٣٢,٢٥٠ من المحاضرين المدربين خصيصاً في عمليات الإثارة المعادية للدين . وفي قبرغيزيا (التي يبلغ تعدادها ٣,٥ مليون نسمة) كان يوجد في سبتمبر

١٩٨٢ ، عدد ٢٧,٥٠٠ من رجال الدعاية المعادية للدين . وفي صيف ١٩٨٣ كان عدد أعضاء جمعية « بيلم » في أوزبكستان - وجميعهم مدربون في الدعاية المعادية للدين - هو ١٥٠ ألفا منظمون في عدد ٧٥٠٠ منظمة أولية . وفي مقاطعة كاردزو من تركمانيا السوفيتية وحدها ، كان يوجد في يونيو ١٩٨٠ « ما يزيد على ٣٦٠ من المحاضرين الملحين لجمعية « بيلم » . ولا تيسر الأرقام الحالية للجمهوريات ومناطق الحكم الذاتي الأخرى ، إلا أنه يمكن أن نفترض أن جهودًا مماثلة ضخمة معادية للإسلام يجرى تنفيذها في تلك الأماكن وبالإضافة إلى رجال الدعاية المحترفين ، يعمل آلاف من المتخصصين غير المتفرغين في ذات النشاط المعادى للدين ، بما في ذلك جميع أعضاء الحزب الشيوعي والكوموسمول ، والعمال والجنود القدامى والمدرسون وأساتذة الجامعات ، وقدامى الفلاحين ، ورجال الإدارة في الكولخوزات والعمالون في مجال الطب .

وقد عقدت لجان الحزب والكوموسمول المركزية والإقليمية ، منذ ١٩٨٠ ، العديد من الندوات حول الدعاية الملحدة والتعليم الملحد . وتشمل أمثلة ذلك اجتماع اللجنة المركزية للكوموسمول في تركمانيا السوفيتية (أشخباد ١٩٨٣) ، و « الندوة الخاصة بالمنطقة » في انديزان (يناير ١٩٨٣) والمخصصة أساسا لتشكيل جماعات نشطة ضد الدين في وادي فرغانة ، وندوة أخرى خاصة بالمنطقة في ذات المدينة (مارس ١٩٨٣ م) لمساعدة المناضلين ضد الدين في أذربيجان وقيرغيزستان وطاجيكستان وتركمنستان ، ومؤتمر لجنة حزب مدينة أشخباد (سبتمبر ١٩٨٢) والمخصص لتحسين الدعاية الملحدة في تركمانيا السوفيتية ، والندوة التي نظمتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي لأذربيجان (باكو ديسمبر ١٩٨٢) حول « كيفية تحسين الدعاية والتعليم الملحين » .

وينتظر أن تشترك جميع المؤسسات التعليمية - ابتداء من دور الحضارة وحتى الجامعات وأكاديميات العلوم - بصورة إيجابية في الحملة الجديدة المعادية للإسلام . ويوجد في جميع المؤسسات السوفيتية التعليمية العليا حاليا « إدارة للإتحاد العلمي » . وقد تم مؤخرا إنشاء « جامعات الشعب » الخاصة في كافة الجمهوريات الإسلامية ، حيث يعتبر الإتحاد العلمي أحد الموضوعات الرئيسية للدراسة . ويوجد في تركمانيا السوفيتية وحدها ٣٦٠ من « هذه الجامعات » يوجد بها ٩٣,٠٠٠ طالب . كما تم تجنيد العديد من المؤسسات الأخرى للقيام بعمليات مكثفة ضد الإسلام . وقد تم تذكير العديد من اتحادات الكتاب مؤخرا بضرورة أن تكون الموضوعات الملحدة من أبرز موضوعات آداب اللغات المحلية . كذلك يتم دفع مجالس القرى للمتقدمين في السن - في المناطق التي لا تزال فيها الكيانات العشائرية أو القبيلة (بصورة رئيسية في تركمانستان ، قيرجستان ، والجزء الشمالي الشرقي من القوقاز) ، للمشاركة بصورة أكثر فعالية في إدخال طقوس علمانية محلية جديدة

واحتفالات لتحل محل الطقوس والاحتفالات الدينية . فضلا عن أن « الأماكن المقدسة الشهيرة » يتم تحويلها إلى متاحف معادية للإسلام : مثل ضريح شاهي زندا ومسجد خيزر وكلاهما في سمرقند .

أنشئ في ١٩٨٢ معبد جديد معاد للدين في جمهورية آسيا الوسطى باسم « بيت الإلحاد العلمي » لأوزبكستان . ومقره في طشقند وله فروع في جميع أماكن العبادة في الجمهورية ، وتختص هذه المؤسسة بنشر الكتب المعادية للدين والمدارس الإلحادية والجامعات الشعبية . ويحتمل أنه توجد الآن معاهد مماثلة أو مخطط لها في الجمهوريات الأخرى في آسيا الوسطى والقوقاز (٢٢) .

NOTES

- 1 . For detailed information on Russia's expansion in Muslim Asia, see: M. Saray, "The Russian Conquest of Central Asia", **Central Asian Survey**, Vol . 1/2-3, Oct . 1982 - Jan. 1983, pp. 1-30. And by the same, **Ruoishali Devrinde Osmanle Devleti ile Tukistan Hanliklari Arasindaki Siyasi Munasetler** (in Turkish) 1775-1875. (Istanbul: 1984).
- 2 . A. S. Donnelly, **The Russian Conquest of Bashkiria 1552-1740**, (London: 1968,) pp. 54-60.
- 3 . A. J. Rieber, (ed.) **The Politics of Autocracy . Letters of Alexander II to Prince A. I. Bariatsinskii, 1857-1864**. (The Hague - Paris: 1966,) p. 60.
- 4 . **Ibid**, pp. 67-69 .
- 5 . N. Ignatiev, **Missia v khivu I Bukharu v 1858 g.** (Petersburg: 1897), pp. 274, 278 .
- 6 . A. N. Khalfin, **Russia's Policy in Central Aasia 1857-1868**. (London: 1964), P. 39.
- 7 . Correspondence, from 1864-1881, regarding movement of Russia in Central Asia and her relations with Afghanisyan, P.4, F.O. 65/1150.
- 8 . Correspondence, from 1864 - 1881, regarding movement of Russia in Central Asia and her relations with Afghanistan, pp. 2-5, F.O. 65/1150 .
- 9 . As mentioned before, the Russian mission of 1858, which was headed by Count Ignat'ev, was purely a spying mission. As a result of this mission the Russians began to prepare for the invasion of Central Asia.
- 10 . W. E. Gladstone, **Bulgarian Horrors and Russia in Turkistan**; with other tracts (Leipzlg: 1876) p. 79.
- 11 . C. Marvin, **Russian Advance Towards India** (London: 1882) p. 229.
- 12 . R. A. Pierce, **Russian Central Asia: 1967-1917**. (Univ. of California Press, 1960) pp. 79-84.
- 13 . **Ibid**, p. 88 .
- 14 . **Ibid**, p. 88 .
- 15 . Pierce, pp. 88-89. The lengthy reports of the Palen mission are the best single source concerning Russian administratin of Turkistan .
- 16 . For detailed information see, C.S. Kirimer, **Gaspirali Ismail Bery** . (Istanbul: 1934) pp. 29-31.
- 17 . F. A. Golder, **Documents of Russian History 1914-1917**. (Gloucester

Mass.: 1964) pp. 620-625.

18 . O. Caroe, **Soviet Empire. The Turks of Central Asia and Stalinism**, second Ed. (London - New York: 1967) p. 105

19 . R. Conquest (Ed.) **Soviet Nationalities Policy in Practice**. (London: 1967) pp. 23-24.

20 . B. Hayit, "Some thoughts on the problem of Turkistan", **The Journal of Muslim World League**, NO. 2-4, 1979-1980. Makkah; offprint, s. 23.

21 . Hayit, pp. 23-25 .

22 . A. Bennigsen, "Mullahs, Mujahideen and Soviet Muslims", **Problems of Communism**, Nov. - Dec. 1984, pp. 40-41 .

